

Looloo
www.dvd4arab.com
موسوعة الألف عام
الجزء الثانى
شخصيات صنعت التاريخ
أسيمة جانو
دار المعارف

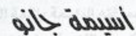
مُقدّمة

انتهت الألفية الثانية التى امتدت من عام ١٠٠٠م إلى ٢٠٠٠م. والتى شهدت أحداثا وإنجازات علمية وحروبا وإمبراطوريات سقطت وطوائف وأقواما ظهرت واختفت. وفى هذا الكتاب نقدم الجزء الثانى استكمالا للجزء الأول لننتقى شخصيات من كل أنحاء الأرض أثرت فى هذه الحقبة التاريخية، سواء علميا أم عسكريا أم أدبيا أم اجتماعيا أم ثقافيا لكن الانتقاء، كما فى الجزء الأول، ليس محدود المساحة الجغرافية بل يمتد بطول الأرض وعرضها من شرق آسيا إلى أفريقيا وأمريكا الجنوبية وهو لا يرتبط بقوم أو جنس أو عرق أو طائفة فكل الأقوام سواء. وكل إنسان صنع تاريخا بشكل أو بآخر أو غيَّر فى مسار حياتنا على الأرض، هو جزء من هذه الموسوعة الصغيرة التى أبقينا فيها على نفس الأسلوب اللاهث السريع للجزء الأول، ليكون وجبة سريعة فلم يعد هناك مجال للتفاصيل الكثيرة فى عصر لم يعد أحد يقرأ إلا فيما ندر.

وليس الهدف من الكتاب هو الإلمام (بجميع) من ساهموا بصنع التاريخ، وإنما هو انتقاء محسوب لأشخاص معروفين أو مجهولين بالرغم من إثرائهم للتاريخ. وليس من أغفلنا منهم هم أقل شأنا ممن ذكرنا. فالهدف من هذا الكتاب هو تعريف الأجيال الشابة ببعض ممن كان لهم الفضل فى أن نصبح اليوم على ما نحن عليه، خيرا أو شرا.

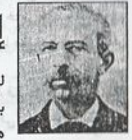
وقد تعمدت إغفال ذكر المصادر والمراجع لطبيعة هذا العمل الموجز. لكنى أؤكد من جديد الشكر والامتنان لكل كاتب أو مؤرخ، قديما وحديثا، أفادنى بأى شكل فى إنجاز هذا العمل الذى يبدو سهلا بالرغم من صعوبته البالغة!

والحمد لله ....





إبراهيم اليازجي



لبنانى من رواد النهضة. لغوى وناقد وأديب وشاعر. أحدث نقلة فى الاهتمام باللغة العربية وآدابها. استمد موهبته وتعليمه من أبيه «ناصيف اليازجى».

هو «إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط اليازجى». ولد فى بيروت عام ١٨٤٧ وكان والده من أهم أدباء عصره. وكان أصله من حمص بسوريا. استخدم الأمير بشير الشهابى، أمير جبل لبنان، والده فى أعماله الكتابية لمدة تقرب من ١٢ سنة. تتلمذ «إبراهيم اليازجى» على يد أبيه فتلقى مبادئ اللغة العربية، ونظم الشعر حين كان لايزال فتى صغيرا. وقد استغرق هذا منه اهتماما خاصا، قبل أن ينتبه إلى أن مهمته أكبر من مجرد نظم الشعر ومجالس الشعراء. وكان قد ذاع صيته كشاعر فى كل أنحاء البلاد حتى كان كبار الشعراء يجالسونه ويحاورونه.

كان مهتما ومهموما بالعروبة والنهضة بها مما كانت عليه آنذاك. فترك الشعر وبدأ بالدراسات الأدبية واللغوية وبالرغم من أنه لم يكن يدين بالإسلام، فقد درس الفقه الإسلامى الحنفى على الشيخ «محيى الدين اليافى» وكان آنذاك أحد مشاهير الأئمة.

اهتم «إبراهيم اليازجى» بالقومية العربية وعمل على استقلالها عن الدولة العثمانية والتحق (بالجمعية العلمية السورية)، التى أنشئت فى بيروت عام ١٨٦٨ وكانت ملتقى شعراء القومية العربية ليتردد صداها فى العالم العربى كله. وكان من أشهر ما قاله:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب   فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

عهد إليه فى عام ١٨٧٢ تحرير جريدة (النجاح) فعرف واشتهر أكثر مما اشتهر من قبل، فكان أن كلفه (الآباء اليسوعيون) بترجمة الكتاب المقدس. ولم يكتف بمعرفته الواسعة باللغة العربية، فدرس السريانية والعبرية بتعمق ليستطيع انتقاء الألفاظ والتراكيب اللغوية بما يليق بالكتاب السماوى. فجاءت الترجمة نقية وبلغة عربية سليمة واضحة.

انتدب لتدريس اللغة العربية وآدابها فى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك فى بيروت، وفى عام ١٨٨٤ اتفق مع الطبيب «بشارة زلزل» و«خليل سعادة» على إصدار مجلة (الطبيب) فنشر فيها

مقالات ترجمها بنفسه، لكنه لم يستمر أكثر من عام واحد، وكانت (الماسونية) تجتذب المثقفين فى العالم العربى دون أن يدرك الكثيرون منهم هدفها الحقيقى، فانتسب «إبراهيم اليازجى» إليها كما فعل كثيرون قبله وبعده. وبدأ ينشر أفكارها بجرأة، وربما انتبه فيما بعد إلى خطورتها على دعوته للقومية العربية والاهتمام باللغة العربية.

قام «إبراهيم اليازجى» بتنقيح أعمال أبيه «ناصيف اليازجى» ويقال إنه أكمل شرح ديوان المتنبى الذى كان والده قد بدأه ولم ينسب شيئا منه إلى نفسه. كما أصدر مجلة (البيان) مع الطبيب «بشارة زلزل» وأعد لها ما يلزمها من آلات للطباعة من أوروبا. وقد اهتم بشكل خاص بصنع الحروف العربية للمطبعة بعد أن كانت الحروف المستعملة إما عثمانية عربية وإما مغربية عربية. لكن المجلة لم تستمر طويلا وافترق الشريكان من جديد.

قدم «إبراهيم اليازجى» إلى مصر، حيث رأى فيها المجال الأكبر لحرية فكره، فأسس مجلة «الضياء» فى عام ١٨٩٨ فى القاهرة، وظلت تصدر لمدة ثمانية أعوام، حتى توفى عام ١٩٠٦ ونقل إلى بيروت ليدفن فى مقبرة الكاثوليك.

قامت الجالية السورية واللبنانية فى البرازيل بجمع تبرعات لإقامة تمثال له من البرونز فى بيروت عام ١٩٢٤ وقد وضعته الحكومة على الطريق الذى كان يسلكه فى طريقه من البرج إلى الكلية البطريركية. ثم نقل التمثال إلى قصر اليونسكو فى بيروت، وسط حشد ثقافى وإعلامى كبير.

نال «إبراهيم اليازجى» كثيرا من التكريم والأوسمة فمنحه الملك «أوسكار» ملك النرويج وسام العلوم والفنون، وعين عضوا فى (الجمعية الفلكية فى باريس) وكان له مناظرات مع فلكى فرنسى مشهور هو «فلاماريون» نشرت فى مجلات فرنسية.

كان يهوى الرسم والحفر والموسيقى. ويروى عنه أنه كان صبورا متفانيا مثابرا.

أتم «إبراهيم اليازجى» أعمال أبيه، مثل (العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب) واختصر كتابيه (نار القرى فى شرح جوف الفرا) فى النحو، و(الجمانة فى شرح الخزانة) فى الصرف.

كما قام بتنقيح (الكتاب المقدس) و(تاريخ بابل وآشور) وغيرها. ألف كتاب (الفرائد الحسان من قلائد اللسان) فى اللغة العربية، ومايزال مخطوطا. كما ألف كتاب (نجعة الرائد وشرعة الوارد فى المترادف والمتوارد) فى ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها.

ترك ديوان شعر باسم (العقد) وبعضه مكتوب بالخط الفارسى. كما ترك كتاب (تنبيهات على لغة الجرائد) عن لغة الصحافة.

إبراهيم باشا



من أفضل قادة الجيوش فى العالم فى القرن التاسع عشر. لعب دورا مهما فى تاريخ مصر والحجاز والشام. وهو أكبر أبناء محمد على باشا. ولد حوالى عام ١٨١٦م بمقدونية، ويذكر بعض المؤرخين أنه ابن «محمد على» بالتبنى فقط.

أرسل محمد على يطلب أولاده بعد أن استقر به الأمر فى مصر. بينما أرسل إبراهيم إلى الآستانة عام ١٨٠٦ رهينة للجزية التى وعد العثمانيين بها. وأعاده العثمانيون بعد أن غادر الأسطول الإنجليزى الإسكندرية عام ١٨٠٧ كما تذكر (دائرة المعارف الإسلامية).

بعد مذبحة المماليك المعروفة التى قام بها محمد على فى القلعة بالقاهرة، عينه والده فى الصعيد لجمع الضرائب وتمكن من طرد باقى المماليك هناك بالعنف غالبا كما يذكر «الجبرتى». تلقب بالباشا من قبل العثمانيين وعين لإدارة الوجه القبلى بمصر.

فى عام ١٨١٦ أرسله أبوه إلى جزيرة العرب لقتال الوهابيين الذين كانت دعوتهم قد بدأت فى الانتشار بمساعدة آل سعود. وكان أخوه طوسون ثم أبوه محمد على قد حاربا هناك ضدهم من قبل. واستطاع «إبراهيم باشا» تدمير معقلهم فى الدرعية ونقل عبد الله بن سعود وأقاربه أسرى إلى مصر لكنه لم يستطع السيطرة على (نجد). فولاه السلطان العثمانى على (جدة) فى شبه الجزيرة العربية عام ١٨١٩.

أوفده والده بعدها إلى السودان لمساعدة أخيه «إسماعيل» مع مدد حربى ناويا الدخول فى معارك ومشاريع فى القتال على الذهب لكنه مرض بالدوسنتاريا فعاد سريعا عام ١٨٢٢. وشارك فى تدريب الجنود الجدد الذين كان يتولاهم ضابط فرنسى عرف فيما بعد باسم (سليمان الفرنساوى).

من أقوى معاركه كانت غزوه لشبه جزيرة القرم بناء على (فرمان) سلطانى عثمانى عام ١٨٢٤ فاستولى على «نافارين» وما حولها وسيطر تقريبا على شبه الجزيرة كلها حتى تدخلت الدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا والنمسا) وهزموه فى موقعة (نافارين) البحرية المعروفة عام ١٨٢٧ ودمرت أساطيلهم جزءا كبيرا من أسطوله فاضطر محمد على إلى استدعائه بناء على طلب البريطانيين عام ١٨٣١م.

لم يتوقف محمد على عن غزواته وأراد ضم الشام فأرسل ابنه «إبراهيم باشا» الذى وصل إلى فلسطين فى نفس العام الذى عاد فيه من اليونان. وكان قد عقد اتفاقية مع الأمير بشير الشهابى حاكم جبل لبنان لمساعدته بالأخشاب لبناء السفن، لكن والى عكا «عبد الله باشا» منعه، فسارت جيوش إبراهيم باشا عن طريق البر إلى غزة بفلسطين. وحاصر عكا برا وبحرا لمدة ستة شهور حتى استولى عليها ثم اتخذ حيفا قاعدة عسكرية له وواصل غزواته حتى احتل بيت المقدس وأعلن هناك وقف جباية العوائد والجزية والضرائب من غير المسلمين مما وجدهم وراءه مساندين له فى حملاته للاستيلاء على أملاك الدولة العثمانية.

وتوغل بعدها فى الشام فضمها حتى وصل إلى الحدود التركية شمالا.

هناك ساعده الشوام الذين اصطفوا وراءه متحدين معه، آملين تحريرهم من العثمانيين فانتصر على الجيش التركى الرئيسى بقيادة رشيد باشا. عام ١٨٣٩م.

اضطرت الحكومة العثمانية عقد معاهدة مع «محمد على» تنازلت فيها عن الشام له وكذلك «أضنة» التى ولى عليها إبراهيم باشا لجمع الضرائب. وكان محمد على يسيطر على السودان وكريت والحجاز ونجد. ولم تكن مهمة «إبراهيم باشا» فى جمع الضرائب سهلة فى أضنة التركية، فثارت الاضطرابات وساد التذمر الشديد فى مدن فلسطينية وشامية واندلعت الثورات ضد حكمه حين أمر بنزع السلاح من السكان وفرض التجنيد الإجبارى عليهم وطلب مجندين من أقضية القدس ونابلس والخليل.

حاول إبراهيم باشا استرضاء زعماء الثوار فألغى الضرائب وأوقف التجنيد ووصل أبوه «محمد على باشا» بنفسه ليسيطر على الأمور بحكمته وهدوئه، فقد كان ابنه سريع الغضب. واضطر محمد على إلى إخماد الثورات بنفسه واعتقل عددا من زعماء بيت المقدس ونفاهم إلى مصر.

لكن الدول الأوروبية تدخلت لمساعدة تركيا ضد جيوش إبراهيم باشا فقد كانت ترفض مشروع محمد على فى وصل الشام بمصر. وحين رفض الانسحاب، حاصرته أساطيل الدول الأوروبية ومعها الأساطيل العثمانية واحتلت مدنا ساحلية عديدة. كما احتلت القدس وحدة انجليزية! واضطر «إبراهيم باشا» للانسحاب من الشام والاكتفاء بمصر.

تولى «إبراهيم باشا» الشئون الإدارية فى مصر بخاصة قطاع الزراعة. وحين أحس محمد على باشا أنه قد فقد القدرة على الحكم وكان عمره حوالى ٧٩ سنة، ولى ابنه نائبا عنه على مصر، لكن إبراهيم باشا لم يشغل منصبه أكثر من بضعة شهور توفى بعدها قبل أبيه فى عام ١٨٤٨ ولم يبلغ الستين من عمره!

تزوج «إبراهيم باشا» عدة نساء، كان منهن «هوشيار قادين» التى لقبت بـ (الوالدة باشا) وأنجبت «الخديوى اسماعيل»!

إبراهيم هنانو

زعيم سورى وأحد قادة الثورة السورية ضد المستعمر الفرنسى. رفض مساعدة الزعيم الروسى لينين وقرر أن البلا د العربية والإسلامية لابد أن تقود ثوراتها بنفسها. حكم عليه الفرنسيون بالإعدام. هو إبراهيم بن سليمان آغا بن محمد هنانو. ولد فى بلدة (كفر تخاريم) فى محافظة ادلب غربى حلب ببلاد الشام قبل تقسيمها بمعاهدة سايكس بيكو. نشأ فى أسرة كردية غنية لأب كان من أثرياء حلب ولأم من الأعيان. درس الحقوق فى

الجامعة السلطانية فى الآستانة، عاصمة العثمانيين على غير رغبة والده. عين فى مناصب إدارية عديدة فى تركيا وسوريا. بدأت إرهاصات الثورة حين تولى رئاسة ديوان والى حلب، رشيد طليع، الذى شجعه على الثورة بالتنسيق مع الأمير فيصل. وانتخب ممثلا لمدينة حلب فى المؤتمر السورى الأول فى دمشق لدورة عام ١٩١٩. ترأس هنانو اجتماعا ثوريا مع نهاية العام فى منزل قائم مقام مدينة ادلب السورية والذى ضم وجهاء البلد والوطنيين. وتم اختياره لتشكيل ميليشيات قوات عربية فى الشمال لمقاومة الفرنسيين الذين احتلوا أنطاكية التى كانت تحت يد أخيه «عزة هنانو».

أول صدام مسلح كان يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) من نفس العام الذى قامت فيه أيضا الثورة فى مصر ضد الإنجليز. رفض «هنانو» معاهدة الانتداب التى وقعها الأمير فيصل مع فرنسا عام ١٩٢٠ فانقسم السوريون بين مؤيد لها ومعارض مما جعل وضع هنانو صعبا واضطر لطلب العون من تركيا التى أمدته بالسلاح والذخيرة. فخاض ضد الفرنسيين معارك بلغ عددها ٢٧ معركة وأسر فيها جنودا فرنسيين. وحين لاحقته القوات الفرنسية فى دمشق وحلب اضطر إلى نقل قاعدته إلى الشمال وأعلن (دولة حلب المستقلة) مما اضطر الفرنسيين إلى إجراء مفاوضات معه رفض شروطها. صعب موقفه أكثر بتوقف إمدادات الأتراك بعد أن وقع كمال أتاتورك معاهدة مع فرنسا التى طالبت بقبول الانتداب الفرنسى على سوريا وحل الجيش والاعتراف بالعملة الورقية الفرنسية وتغيير حكومة حلب وقبل الأمير فيصل الإنذار بينما رفضه هنانو والثوار وبينهم يوسف العظمة الذى قتل فيما بعد فى معركة ميسلون.

حكم على هنانو غيابيا وقال النائب العام الفرنسى: (لو أن لهنانو سبعة رءوس لقطعتها كلها)! لكن القاضى الفرنسى برأه واعتبره (ثائرا سياسيا وليس مجرما) بدليل التفاوض معه من قبل. تولى «إبراهيم هنانو» زعامة الحركة الوطنية وعين رئيسا للجنة الدستور فى الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السورى الذى حاول الفرنسيون إعاقة صدوره بشدة مما أشعل المظاهرات فى كل البلاد.

وكانت الثورة فى جنوب سوريا قد اشتعلت بقيادة سلطان باشا الأطرش. انتخب «هنانو» زعيما للكتلة الوطنية. واضطر للانسحاب إلى الجنوب بعد مقتل عدد كبير من قواته فى كمين وأكمل طريقه إلى الأردن فالقدس حيث اعتقله الإنجليز وسلموه للفرنسيين.

تعرض لمحاولة اغتيال فى سبتمبر من عام ١٩٣٣ بعد مقاطعته لحكومة حقى العظم التى حاولت توقيع معاهدة مع فرنسا. انسحب بعدها إلى قريته (ستى عاتكة) للإشراف على مزرعته وتوفى فى نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٣٥ وأعلن الأذان يومها فى كل جوامع القطر ودقت أجراس الكنائس وعم الحزن أنحاء الوطن العربى! وكانت أغنية شعبية يغنيها الأطفال تقول:

طيارة طارت بالليل   فيها عسكر فيها خيل

فيها إبراهيم هنانو   راكب على ظهر حصان

ابن البيطار



أندلسى دمشقى هو ألمع عالم نبات فى عصره فى القرن الثانى عشر وفى العصور التـى تلته وعنه أخـذ العلماء الأوروبيـون طريقة تركيب الأعشاب الطبية ودراسـة النبات وسمى (رئيس العشابين) واكتشف أول دواء لعلاج السرطان من الأعشـاب، ومازالت كتبه تعتبر مراجع لكثير من الدارسين. قال عنه المؤرخ «ابن أبى أصيبعة» فى كتابه الموسوعة (طبقات الأطباء) أنه (علامة وقته فى معرفة النبات وتحقيقه، واختياره مواضع نبته، وصفة أسمائه على اختلافها).

هو «ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقى» ولد فى مالقا بالأندلس حوالى العام ١١٩٧م. تلقى علومه فى مدينة إشبيلية على كبار علمائها. ثـم ارتحل كثيرا بحثًا عن المعارف فى مراكش والجزائـر وكانت له إقامة طويلة فى المغرب، اجتمع فيـه بأفضل علماء النبات. زار اليونان، بلاد الإغريـق للاطلاع علـى خزائنها فى مجال النبات ودرس كتاب «دريسـقوريدس» ومـا جاء فيه من أدوية عشـبية وعلق عليه وفسره وأضاف إليه كما قرأ كتاب «جالينوس» الإغريقى الشهير فى الطب والدواء. وتعرف إلى الطبيب «محمدالغافقى» الأندلسى. ولم يكن يترك كتابا فى مجاله إلا وقرأه.كما انتقل إلى بلاد ما كان يسـمى ببلاد الروم فى أوروبا كما زار أنطاكية عند الحدود التركية السـورية وانتقل منها إلى دمشق.

عمـل فى بلاط الملك الكامـل محمد بن أبى بكر بن أيوب الذى عينـه طبيبه الخاص فيما يخص الأدوية العشبية وأعطاه منصب (رئيس العشابين) بما يعنى اليوم (نقيبا للصيادلة) فقد كان التعامل الطبى بالأعشـاب بمثابة تركيب الأدوية اليوم. كانت مرحلة دمشـق من أكثر مراحل حياته إنتاجا حيث استفاد من البيئة الغنية حوله فكان يدرس كل نبتة فى مكانها على الطبيعة ويحدد أسماءها وأوصافهـا فى كتبه. وحين توفى الملك الكامل فى دمشـق توجه «ضياء الديـن بن البيطار» إلى مصر ليخـدم لـدى الملك الصالح نجم الدين أيـوب بن الملك الكامل والذى اسـتدعاه وقربه إليه وأبقاه فى منصبه فلم يكن أحد من علماء النبات آنذاك من يمكن أن يحل محله.

كان «ابن البيطار» يعتمد البحث العلمى فى تجاربه واستنباطاته وكان يصر على الدراسة بالمشاهدة والتجربة وكان يقول (ما صح عندى بالمشـاهدة والنظر.. أخذت به). وقد سـجل أفضل تجاربه فى كتابه الشـهير (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) والذى يعـرف بـ (مفردات ابن البيطار) والذى وضع فيه خلاصة دراساته الطويلة والعميقة والمضنية. وفيه ذكر أكثر من ألف دواء عشبى أو تركيب حيوانى أو من المعادن (على غرار أدوية عصرنا بما يسـمى الأدويـة الكيميائية). وفى الكتاب ذكر الأدوية المفردة والمركبة وأسماءها ومنافعها ومضارها ومدى تأثيرها ومجال اسـتخدامها. ويقال إنه

صنف الكتاب خصيصا للملك الصالح. وكان لكتاب (الجامع) منزلة لدى المستشـرقين واعتبروه (من أكثـر الكتب تأثيرا فى أوروبا وكان من أهم العوامل فى تقدم علم النبات عند الغربيين) باعترافهم. وتذكر «سيجريد هونكه» المستشرقة الألمانية فى كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) أنه (من أعظم عباقـرة العرب فى علم النبات حيث حـوى كتابه الجامع كل علوم عصره..). وقد ترجم الكتاب إلى لغات كثيرة وكان يدرس فى الجامعات الأوروبية حتى وقت متأخر.

تـرك «ابن البيطـار» كتاب (الإبانة والإعلام بمـا فى المنهج من الخلل والأوهـام) و(المغنى فى الأدوية المفردة) وقد صنفه تبعا لحال الأعضاء المريضة كالأذن والعين والمعدة، بحيث يسهل الرجوع إليـه من قبل الباحثـين والطلبة والعوام. وكان يتبـع النهج العلمى فى التعريـف بالأدوية فيذكر أسماءها بكل اللغات المعروفة فى وقتها كما يسجل النبات المأخوذ منه الدواء ومكان وجوده ومنافعه وكان يهتم اهتماما بالغا بضبط الحروف وتشـكيلها لتجنب الخطأ فى النسـخ مما قد يؤدى إلى آثار بالغة الخطر إذا ما تم تركيب الدواء بشكل مغاير لما توصل إليه.

من أفضل ما ترك «ابن البيطار» شـرحه لكتاب «ديقوريدس» فى الأدوية وهو عبارة عن موسوعة طبية دوائية مصنفة حسـب الأبجدية باللغـات العربية والبربرية والسـريانية واليونانية. وكان يقول: (إن أعمال القدماء غير كافية وغامضة لطلبة العلم ولابد من تصحيحها وتوضيحها).

لـه مقالـة رائعة فى الليمون باعتبـاره مصدرا مهما لكثير من الأدوية. ولـه (كتاب فى الطب) و(الأفعال الغريبة والخواص العجيبة) و(ميزان الطبيب) و(رسـالة فى التداوى بالسـموم)! وربما كان «ابـن البيطار» أول من اكتشـف تأثير نبـات.(الهندباء) فى مقاومة مرض السـرطان والأورام الخبيثة بمفهوم اليوم.

كان سامى الأخلاق، صاحب مروءة عالية وعلم غزير وتواضع شديد وقوة ذاكرة عجيبة ساعدته كثيرا على اختزان ما يراه. توفى «ضياء الدين بن البيطار» عام ١٢٤٨ فى دمشق عن ٤٩ سنة، بتأثير السم الذى تسرب إليه حين كان يختبر نبتة لاستخراج دواء منها. فقد كان ينادى بالتداوى بالسموم!!

ابن العبرى



عبقرية سريانية فى الفلسـفة واللاهوت. اسقف وطبيب وعالم وأديب وشاعر ولغوى. ترك علامة فى التراث السـريانى. هـو «جريجوريوس أبو الفرج بن هارون الملطى». ولد فى ملاطية (فى تركيا اليوم) وقيل إنه لقب بابن العبرى، لأن أجداده كانوا من قرية عبرة بالقرب من الفرات، وعرف أبوه باسم العبرى

فكان هو ابن العبرى. وكان الظن لدى كثير من المؤرخين أنه يهودى عبرى، لكنه فى الواقع مسيحى سريانى ومتخصص فى اللاهوت أيضا.

ولد عام ١٢٢٦م وانتقل مع أهله إلى أنطاكية التى كانت مركزا دينيا، ثم إلى طرابلس الشام على الساحل حيث درس الطب والبيان والمنطق، كما أتقن اللغة السريانية والأرمنية والعربية والفارسية.

رسم كاهنا على يد بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية «أغناطيوس داوود الثانى» ثم تولى منصب أسقف بلدة جوباس وكان ما يزال فى أول شبابه. نصب مطرانا على حلب بالشام ثم عين على الكنيسة السريانية الشرقية فكان يتنقل لمدة ٢٢ عاما بين رعيته فى نينوى فى العراق حيث يكثر أتباع هذه الكنيسة، ويتجول بين بغداد والموصل فى العراق وتبريز فى إيران وافتتح آنذاك كنيستين وديرا. زار ارمينيا وتكريت عام ١٢٧٧.

كان لبعض الباحثين رأى فى تسميته بالعبرى. فقد عرف عنه أنه كثير التأثر، ووجدانى إلى حد كبير وكان فيه بعض التصوف خاصة فى قصيدته (الحكمة الإلهية) التى تجلى فيها وجده الصوفى ومحبته الآلهية وبكاؤه الشديد. فقالوا إنه سمى بالعبرى لكثرة عبراته!! بينما يرى بعض المؤرخين أنه كان يهوديا بالفعل لكنه اتخذ المسيحية دينا دون أن يذكر ذلك فى أى من كتبه.

كان له حكمة خاصة وفلسفة فى المعرفة. وكان يرى قبل الفيلسوف الفرنسى «ديكارت» بزمن طويل، أن الإنسان طالما يعرف فهو حى، وإذا لم يكن يعرف، فهو لا يفكر وبالتالى فهو غير موجود. وهناك فارق كبير بين أن يكون الإنسان حيا وبين أن يكون ميتا، والفرق بينهما هو الوجود والحياة أو العدم والموت. فالمعرفة هى الحياة. وهى (القوة الأساسية) التى تستطيع أن تستخرج من الإنسان كل مخزونه العميق الفطرى والفكرى.

من أشعاره:

يا خفيا جاء يوما أرضنا　　خارجاً من قدره العالى العظيم

وتجلى منقذاً كل الورى　　ومضى بالنصر للبيت القديم

ترك الكثير من الكتب والمؤلفات باللغة السريانية وبعضها بالعربية، ضاع منها الكثير ومن أشهر ما بقى:

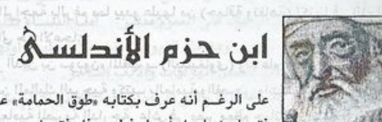
كتب لاهوتية وهى (مخزن الأسرار) و(منارة الأقداس)، وكتب تاريخية منها (التاريخ الشامل) وقد ضم التاريخ السريانى والتاريخ الكنسى، وقد ترجم جزء التاريخ السريانى إلى العربية.

كما ترك كتبا علمية: مثل «كتاب الصعود العقلى فى شكل الرقيع والأرض»، وشرح كتاب (المجسطى) لبطليموس فى علم النجوم وحركات الأفلاك، و(كتاب الزيج الكبير) عن حركات الكواكب لوضع التقويم السنوى، و(كتاب المفردات الطبية)، عن الأدوية المفردة، و(كتاب منافع أعضاء الجسد).

ومن كتبه الفلسفية: (زبدة الحكمة)، وأوجزه فى (تجارة الفوائد)، و(حديث الحكمة)، و(الأحداق) ورسالتان فى (النفس البشرية). كما ألف كتبا فى اللغة مثل كتاب (الأضواء).

لكن أطرف ما ترك «الأحاديث المطربة» يتناول أخبارا وقصصا عن الفرس والعرب واليهود. نشره الإنكليزى المستشرق «واليس بودج» فى لندن عام ١٨٩٧ ونقل إلى الإنكليزية باسم (القصص المضحكة) ويعتقد أن ابن العبرى ترجمه بنفسه إلى العربية.

توفى «ابن العبرى» فى مراغة بأذربيجان عام ١٢٨٦.



ابن حزم الأندلسى

على الرغم أنه عرف بكتابه «طوق الحمامة» عن الحب والمحبين فإنه كان فقيها وشاعرا وأديبا وفيلسوفا وفقيها ووزيرا. هو أبو محمد على بن أحمد ابن سعيد بن حزم، ولد فى قرطبة فى نهاية الألفية الأولى حوالى عام ٩٩٤م فى قرطبة الأندلسية فى عائلة شديدة الثراء حتى إنه كان يقول إنه كان يكتب على منابر (من فضة وذهب). والده «أحمد بن حزم» كان واسع الإطلاع والثقافة وكان وزيرا لدى الحاجب المنصور بن أبى عامر، من أعظم حكام الأندلس. نشأ «على بن حزم» فى القصر وحين مات الخليفة اضطر إلى الخروج مع والده إلى غرب قرطبة بعيدا عن الفتنة. كان واسع الاطلاع، يقرأ كثيرا فى مكتبات قرطبة حتى قيل إنه أصبح (موسوعة علمية). كان حافظا للحديث، فقيها ومستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة. وصل إلى مرتبة (الاجتهاد) فى الأحكام الشرعية. شغل منصب الوزارة فى عهد «المظفربن المنصور العامرى» وكان وفيا ومواليا للبيت الأموى الحاكم فى الأندلس.

زهد «ابن حزم» فى الغنى والدنيا فترك كل شئ وبدأ التأليف فى الفقه. أسس ما عرف بالمذهب (الظاهرى) الذى ينفى القياس الفقهى التقليدى ويحتكم إلى القرآن والسنة فقط بدليل شرعى واضح. وهو ما جعله يواجه حملات ضارية ضده من قبل أتباع مذاهب الإسلام التقليدية الأربعة. قيل عنه إنه كان صاحب مشروع لاعادة تأسيس الفكر الاسلامى.

كان أحيانا يوافق فى آرائه الفرق الباطنية والقرامطة كما يتوافق غالبا مع أهل السنة. الخلاف كان مع أتباع المذهب المالكى الذى كان منتشرا بقوة فى الأندلس والمغرب. عاداه المالكيون بشدة وحدثت عدة مناظرات معهم، اعتبرت آية فى الجدل الفقهى. كثر أعداؤه بسبب نظريته، حتى نفى من قرطبة كلها وأحرقت كتبه فى الأماكن العامة. وله ردود فقهية على اليهود والنصارى والشيعة والخوارج. وكان حاد اللسان حتى قيل إنه (كان من الحدة مثل سيف الحجاج).

اتهم بأنه كان (يحكم ويشرع وينسب إلى الدين ما ليس فيه). وقد تطور مذهبه على يد «ابن تيمية» و«ابن خلدون».



ابن سودون البشبغاوى

من أظرف وأفكه الشعراء والأدباء فى التاريخ ويعتبر أشدهم سخرية وعبثا وهزلا، ومن أكثرهم تعرضا للدراسة من قبل كبار النقاد والدارسين والشعراء أمثال شوقى ضيف وعباس محمود العقاد. ومازالت كتاباته النثرية تلاقى الإقبال والدراسة والتحقيق والمراجعة بالرغم مما يبدو عليها من (حماقة وتفاهة) لكنها فى النهاية فن أدبى أتقنه «ابن سودون» إلى حد الإعجاز.

هو «أبو الحسن على نور الدين بن سودون» الملقب بـ (البشبغاوى) ولد عام ١٤٠٧ فى مصر وهو مملوك جركسى عاش فى زمن المماليك البرجية وكتب بالعامية والفصحى واشتهر ديوانه (نزهة النفوس ومضحك العبوس) بالعامية المصرية الدارجة. عاش فى مصر معظم حياته ثم انتقل إلى دمشق التى توفى فيها.

كان يعمل إماما فى أحد مساجد القاهرة ولكنه مال إلى كتابة الشعر الساخر والمزاح والمرح حتى اشتهر بها. ويقال إنه ابتدع (خيال الظل) أو (الأراجوز) بالشام واتخذ منه وسيلة لكسب العيش. واستمر يقول الشعر والنثر على شكل حكم وأمثال وعلى قدر ما تبدو أشعاره بسيطة وبديهية المعانى فهى عميقة المغزى وثرية الإيحاءات. ومازال مادة لرسائل الدكتوراه فى البلاد العربية خاصة فى مصر.

كان الناس يتناقلون شعره ونثره الضاحك الساخر ويحفظونه ويتندرون به. ومن أشعاره:

وكم عجب عندى بمصر وغيرها   فمصر بها نيل على الطين قد جرى
بها الفجر قبل الشمس يظهر دائما   بها الظهر قبل العصر قبلا بلا مرا.

أصبح «ابن سودون» مادة للنقد الأدبى وبينما يراه ناقد وعالم كبير مثل «شوقى ضيف» من أدباء الفكاهة فأفرد له فصلا كاملا فى كتابه عن (الفكاهة فى مصر) فإن الناقد «عبد الغنى العطرى» يعتبره من (رجال الفكر) وسمى أدبه بـ (الأدب الضاحك)! فهو (قد يدفعك إلى الابتسام حينا والإغراق فى الضحك وهو يسلك طريق المفارقة إذ يبدأ شعره بالجد ثم لا يلبث أن ينتقل إلى أقصى الفكاهة والسخرية وهو يلتزم تقرير أمر واقع يدخل فى البديهيات: كقوله:

كأننا والماء من حولنا   قوم جلوس حولهم ماء!

أو يقول:

البحر بحر والنخيل نخيل   والفيل فيل والزراف طويل
والأرض أرض والسماء سماء   والماء ماء والهواء هواء!
والبحر بحر والجبال رواسخ   والنور نور والظلام عماء

شخصيات صنعت التاريخ

والحر ضد البرد قول صادق   والصيف صيف والشتاء شتاء
والمسك عطر والجمال محبب   وجميع أشياء الورى أشياء
والمر مر والحلاوة حلوة   والنار قيل بانها حمراء
والمشى صعب والركوب نزاهة   والنوم فيه راحة وعناء
والماء قيل بأنه يروى الصدى   واللحم والخبز السمين غذاء
ويقال إن الناس تنطق مثلنا   أما الخراف فقولها مأماء
كل الرجال على العموم مذكر   أما النساء فكلهن نساء

وديوانه (نزهة النفوس ومضحك العبوس) يقوم على فصلين: أولهما المديح والغزل وغير ذلك من الأمور الجدية والثانى يتضمن الهزليات والأدب الساخر.

ومن هزلياته المعروفة جدا والتى قد يحار فيها النقاد بالرغم من بديهياتها:

عجب عجب هذا عجب   بقرة تمشى ولها ذنب
من أعجب ما فى مصر يرى   الكرم يرى فيه العنب
والنخل يرى فيه بلح   وأيضا يرى فيه رطب
أوسيم بها البرسيم كذا   فى الجيزة قد زرع القصب
والناقة لامنقار لها   والوزة ليس لها قتب
لابد لهذا من سبب   حزر فزر ماذا السبب

يقولون عنه: إنه يتعمد الحمق والسخرية من نفسه. وكان مادة لكثير من المؤرخين والموسوعيين العرب أمثال «السخاوى» فى (الضوء اللامع) و«حاجى خليفة» فى موسوعته (كشف الظنون) و«البغدادى» فى (هدية العارفين)، كما نقل بعض الأقدمين بعضا من أعماله فى القرن السابع عشر مثل «ابن القاضى المغربى».

توفى فى دمشق عام ١٤٦٣م.

ابن قزمان

مغنى قرطبة المتجول الشهير بأغانيه على غرار التروبادور الإسبانى. ولا نعرف من هو الذى أخذ عن الآخر ويعرف بأنه (زجال الأندلس)! هو «أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان». ولد فى قرطبة ما بين عام ١٠٧٨ و١٠٨٠ فى أسرة كان لها حضور ثقافى وأدبى وسياسى. وربما يكون المتوكل آخر ملوك بنى

الأفطس عام ١٠٩٤ هو الذى جعله وزيرا أو مستشارا خاصا لديه. وكان صغير السن لا يزيد عمره على ١٦ عاما.

وقد تسمى بـ (ابن قزمان) وكان يعيش متجولا فى عدد من مدن الأندلس ويعود أثناء تجواله إلى قرطبة ثم يتابع التجوال من جديد. وكان يحيا طليقا بلا قيود من أى نوع. حتى اتهم بالزندقة. وقبض عليه لكن القاضى المعروف «سيرين بن محمد» سانده. أعلن توبته وهو فى السبعين من عمره فبنى مسجدا.

أهدى ديوانه الشهير (إصابة الأغراض فى إصابة الأعراض) إلى صديقه (الوشكى) الذى كان يساعده فى الأزمات، ويمده بالمال. وتضمن الديوان الشعرى قصائد «ابن قزمان» التى لم تصل إلينا كلها. كتب التمهيد لكتاب الأغانى، باللغة الفصحى بينما نظم الأشعار بلغة العرب الدارجة لدى الأندلسيين فاحتوى على ألفاظ لاتينية وبربرية مما جعل تحقيقه ونشره أمرا صعبا.

يبلغ عدد قصائد المديح حوالى مائة قصيدة، والطريف أن «ابن قزمان» يمدح نفسه أيضا كما كان العرب القدماء يفعلون خاصة فى الشعر الجاهلى. وهو مثل أبى نواس ينظم الشعر فى الخمر وأحيانا النساء، فقصائد الغزل عنده ليست كثيرة. والقالب الشعرى الذى يغلب على قصائده هو الزجل الشعبى ومن هنا كان يحب أن يكتبه بالعامية. وهو بذلك لا يلتزم كثيرا بالشطر الشعرى لكنه يلتزم بعددها فى القصيدة. وغالبا ما تكون شطرا واحدا قصيرا. مما يجعلها صالحة كموشحات أندلسية.

كان الأندلسيون يستخدمون فى حياتهم اليومية لهجة من اللاتينية الدارجة أو العجمية التى يسميها النقاد والدارسون (الرومانس). وهو ما استخدمه «ابن قزمان». والفرق بين الموشح والزجل القزمانى هو استخدام اللغة العربية الفصحى للموشح.

اعتبر «ابن قزمان» سيد الشعر الغزلى المشطور. وقد سبق الشعراء المحدثين بجعله مكنون القصيدة بالكامل.

ويرى محقق أشعاره المستشرق «نايكل» (وهو اسبانى عربى تشيكى)، بأنه (رفع شعر الغزل إلى المستوى الأدبى) وأن (قصائده تعد مثالا للشعر الغنائى الأندلسى الذى استطاع الانتشار)، إما عن طريق الرواية الشعبية الشفوية واما عن طريق احتوائه على سحر عجيب فى إيقاعه وموسيقيته من حيث نظام القافية وعدد مشطوراتها وبنائها).

ويعتقد بعض المحققين المستشرقين أن «ابن قزمان» هو الذى أثر فى شعر مقاطعة بروفنسال القديم والذى أثر بدوره فى الشعر الأوروبى. وقد مدحه عدد من كبار المؤرخين العرب مثل عالم الاجتماع «ابن خلدون»، كما حقق ديوانه عدد كبير من المستشرقين سواء فى اسبانيا أم فى أوروبا كما لقى اهتماما عربيا خاصا حتى اليوم حيث صور له مسلسل تليفزيونى حول حياته وأشعاره وكان المستشرقون «نايكل» و«هال» والاسبانى «اميليو كارثيا كوميث» قد أشادوا بديوانه، وقال عنه المستشرق الروسى «كراتشوفسكى» إنه (رحلة فى المكان والزمان).

وقد قام الإسبانى «فيديريكو كورييننتى» بتحقيق للديوان تحت عنوان (ديوان ابن قزمان القرطبى: إصابة الأعراض فى ذكر الأغراض). كما صدر لكورييننتى سنة ١٩٨٩م كتاب بعنوان: (ابن قزمان: الزجال الأندلسى).

ويقول النقاد إن (من مميزات شعر ابن قزمان أن زجله يعبر عن تمازج الحضارة العربية بالحضارة الأيبيرية) كما يستخدم اللغة الرومانسية الشاعرية بشكل ملحوظ فى مفرداته وعباراته الشعرية.

لكن هناك خلافا بين النقاد والمحققين والمستشرقين حول الشعر الزجلى فى الديوان وعما إذا كان مساره عربى المقاطع أو لاتينى العروض!

توفى «ابن قزمان» فى قرطبة عام ١١٦٠م.

ابن يعيش النحوى



من كبار العلماء فى النحو العربى فى القرن الثانى عشر والثالث عشر. فصّل كتاب الزمخشرى فاشتهر به. هو «أبو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن أبى السرايا» ويعود بنسبه إلى «ابن حيان الأسدى». كانت أسرته من الموصل بالعراق، وانتقلت إلى حلب بالشام. ولد «ابن يعيش» فى حلب عام ٦٤٣هـ/ ١١٥٩م، وعاش فيها. ولقب بـ (ابن الصائغ). واشتهر بأنه من أكابر علماء النحو العربى والتصريف.

ارتحل إلى بغداد ليلتقى بالعالم «ابن الأنبارى» ويتعلم على يديه، لكن خبر وفاته وصله وهو فى الموصل، فبقى فيها يتعلم على «أبى الفضل الطوسى» ثم على «القاضى أبى الحسن بن الطرسوسى، والشيخ التكريتى، وأبى العباس المغربى».

فى حلب، سمع عن الشيخ «أبى اليمن الكندى تاج الدين» فى دمشق فارتحل إليها وبقى فيها فترة يتعلم، حتى أصبح مؤهلا لتعليم اللغة العربية والأدب فى حلب. وشغل منصب شيخ الجماعة فى المدينة وكان مجلسه فيها ملتقى الطلاب والعلماء والفقهاء. وتم حجز مكان له فى الجامع الكبير فى مقصورته الشمالية ليقوم بالتدريس كل يوم بعد صلاة العصر.

كان يتقن فن التدريس، ونقل أنه كان (لطيف المعشر، صبورا على الطلبة، قادرا على التكيف مع متطلبات العصر والأجيال المتتالية معه). وقد ظل يدرس حتى شاخ وتوفى عام ٥٥٣/ ١٢٤٥م فى حلب ودفن فى المقام المنسوب إلى سيدنا «إبراهيم الخليل».

شرح «ابن يعيش» كتاب (المفصل) الشهير للزمخشرى، شرحا كاملا، بالرغم من صعوبته البالغة. كما شرح (تصريف الملوكى) للعالم النحوى «ابن جنى» ويقال إن معظم علماء الشام كانوا من تلامذته.

أبو حصيرة

حاخام مغربى حضر إلى مصر ودفن فيها فتحول قبره إلى مزار، أثار كثيرا من الجدل تطور إلى قضية سياسية!

هو «يعقوب بن مسعود»، يهودى قيل إنه (حاخام)، ولد فى المغرب عام ١٨٠٧ وارتحل منها إلى فلسطين بقصد الحج وقد حيكت حوله الأساطير والحواديت، فقيل إنه كان مبحرا فى سفينة غرقت قبالة السواحل المصرية قبل أن تصل إلى شواطئ فلسطين فغرق من كان معه، وقيل: إنه بسط حصيرة كانت معه على سطح الماء وسبح حتى وصل إلى السواحل السورية، وبعد أن انتهى من مراسم الحج قرر العودة إلى المغرب سيرا على الأقدام، وحين وصل مع ثلاثة من أتباعه، إلى قرية «دميتوه» بمحافظة البحيرة بمصر، مات هناك. وقيل إنه أوصى وهو يموت بأن يدفن فى مصر. وقد دفن فى نفس مكان وفاته ودفن أتباعه معه بعد ذلك. ويرتفع الضريح والتابوت الرخامى حوالى عشرة أمتار فوق سطح الأرض وتحيطه أرض فضاء واسعة، وقد كتب عليه من الخارج باللغة الآرامية: (هنا يرقد رجل صالح جاء من المغرب ودفن هنا).

وهناك أسطورة أخرى تقول، إن «يعقوب بن مسعود» كان حاخاما شهيرا فى المغرب، وإنه كتب تعليقات وهوامش تلمودية دينية فى القرن التاسع عشر، وإنه انتقل إلى مدينة «دمنهور» فى محافظة البحيرة، التى كانت تشهد آنذاك نشاطا تجاريا واقتصاديا هائلا بسبب تجارة القطن، فأصبح مسئولا عن الجالية اليهودية وتوفى فى «دميتوه» بالقرب من دمنهور عام ١٨٨١ ودفن هناك بناء على وصيته! وقيل إن عدة محاولات لاسترداده من قبل اليهود فشلت، حيث كان يهطل المطر بغزارة أو تهب رياح عاتية وفسر اليهود ذلك بأنه (لا يريد مغادرة مصر)، ولذلك لابد من أن يأتى اليهود لزيارته مادام يرفض الانتقال إليهم.

فى يوم ٢٥ من شهر ديسمبر من كل عام كانت تبدأ احتفالات الحج السنوى للضريح فيتوافد آلاف من اليهود من فرنسا والمغرب وإسرائيل، حيث كان الحفل يفتتح بمزاد على مفتاح الضريح ثم تبدأ إقامة طقوس غريبة فى ليال ماجنة فيأكلون الفواكه المجففة ويشربون الخمور ويدخنون الحشيش كما يحتفلون بذكرى القديسة «استير» التى كانت زوجة لملك فارسى اضطهد اليهود فأنقذتهم منه، وحين يذكر اسمها يدقون الأرض بالعصى فى صخب شديد رمزا لضرب رأس من كان يريد تشتيتهم.

وبسبب ما كان يثيره تواجد المحتفلين من صراخ وضوضاء ومجون وسكر لأكثر من أسبوع وإحاطة المكان بأمن كثيف فقد تم حظر مولد «أبو حصيرة» منذ عام ٢٠٠١ ومنع إعطاء تأشيرات دخول لحوالى مائة من حجاج يهود إسرائيل وتوقفت الاحتفالات بشكلها الرسمى وأخذت القضية

أبعادا سياسية بتدخل الحكومات، فقد اعتبر المنع ردا على انتهاك المحكمة العليا الإسرائيلية للأماكن المقدسة الإسلامية بعد السماح لمجموعة متشددة بوضع حجر أساس للهيكل الثالث المزعوم عند المسجد الأقصى بالقدس كما احتج السفير الإسرائيلى على منع الاحتفال الرسمى ذلك العام، وطلب السفير الإسرائيلى توضيحا (لحظر احتفال دينى مهم!!!) خاصة وأن مشروعا لتسجيل الضريح كأثر مصرى إضافة إلى الآثار الإسلامية والقبطية باء أيضا بالفشل، حيث اعتبر أن القبر لا يمثل أية قيمة حضارية أو دينية! وبذلك لم يعد لليهود أو الإسرائيليين حجة للتدخل لحمايته أو للإقامة حوله!

وفى عام ٢٠٠٦ اجتمع ثلاثمائة يهودى وستة حاخامات من الحجاج اليهود حول الضريح، وعلى رغم أعدادهم التى تعد أقل كثيرا عن المعتاد، فقد تحول المكان إلى ثكنة عسكرية بسبب غضب الأهالى. وطالب المحتفلون علانية بتوجيه دعوات لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه حسب ما يعتقده بعض طوائفهم.

وكان اليهود يتمتعون بوضع متميز فى مصر، فقد خصص السلطان «أحمد بن طولون» فى القرن التاسع الميلادى أرضا لمصرى يهودى هو «سعديا بن يوسف» وكان من اليهود المتميزين المثقفين السياسيين وكان يعرف باسم «سيد الفيومى». وكانت المساحة المقتطعة بمساحة ١٢٠ فدانا فى منطقة البساتين فى ضواحى القاهرة، العاصمة المصرية لتكون مقبرة خاصة بهم وقد أصابها الاهمال بعد رحيل معظم اليهود عن مصر.

أبو الريحان البيرونى

عالم متعدد المجالات عاش فى القرن العاشر والحادى عشر الميلادى، أوائل الألفية الثانية. أطلق اسمه فى القرن العشرين على إحدى الفوهات البركانية على سطح القمر إلى جانب اسم ابن سينا وأرسطو وثلاثمائة من أكابر علماء الكرة الأرضية. عالم رياضيات وفيزياء بالدرجة الأولى وعالم جغرافيا وجيولوجيا وتاريخ وفلك ونجوم ولغات. اعتبر من أعظم علماء الكون قاطبة. قيل إنه (وضع أسس العلوم الحديثة). هو «أبو الريحان محمد بن أحمد بيرونى» ولد عام ٣٢٦ هجرية/ ٩٧٣م فى ضاحية لمدينة «كاث» فى خوارزم (جزء من إيران وأوزبكستان حاليا) وكانت مع «جورجانية» أهم مدينتين فى خوارزم وقد عاش البيرونى فى كليهما. لا يعرف الكثير عن طفولته. تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وشيئا من

الفقه والحديث كالعادة آنذاك. شارك فى الأبحاث المرتبطة بالشمس وعمره ١٧ سنة. كتب عددا من المقالات العلمية قبل أن يبلغ ٢٢ سنة.

راجع وحقق فى خرائط العلماء الذين سبقوه من العرب وغيرهم وعارض «بطليموس» الإغريقى. أتقن الفارسية والسريانية واليونانية والعربية بالطبع حيث كانت لغة العالم العلمية فى القرون الوسطى. تعلم على يد عالم الرياضيات والفلك «أبى نصر بن على بن عراق» وهو أحد أفراد أسرة بنى عراق الحاكمة فى خوارزم عاش حياة هادئة. لكن أحداث الانقلاب على أسرة بنى عراق والحرب الأهلية أرغمته على الهرب إلى مكان لا يعرف من خلال سيرة حياته وإن كان المؤكد أنه ظهر فى مدينة الرى، عام ٩٩٤م حيث عمل فيها مع العالم الفلكى «الخوجندى» عام ٩٩٨م.

التحق ببلاط السلطان شمس المعالى، الذى كان محبا للعلم وأهله وكان لديه مكتبة ضخمة. التقى «البيرونى» بابن سينا فى الرى وأقام مناظرات معه كما تتلمذ على يد الفلكى المسيحى العالم أبى سهل عيسى بن يحيى. عاش فى فقر شديد فى الرى لكنه استخدم مرصد الخوجندى الضخم لأبحاثه عن الشمس التى كانت درة ما تركه من مؤلفات سبق بها الغرب بستمائة سنة، بينها (الآثار الباقية عن القرون الخالية).

مات الخوجندى عام ١٠٠٠م فارتحل البيرونى إلى «جيلان» على بحر قزوين. وعمل فى بلاط حاكمها (ابن رستم). تابع أبحاثه الفلكية مع العالم أبو الوفا الفلكى المتخصص فى الخسوف القمرى والكسوف الشمسى وعاد إلى بلاده خوارزم عام ١٠٠٤م لمتابعة خسوف للقمر، وكان على بن مأمون يحكم آنذاك فألحق البيرونى ببلاطه وظل فى بلاط أخيه (أبو العباس بن مأمون خوارزمشاه) بعده فعهد إليه ببعض المهام السياسية نظرا لطلاقة لسانه وأقام له مرصدا ضخما حديثا لمتابعة أبحاثه.

وكان كلا الأخوين قد تزوجا من أختين للسلطان الفاتح العظيم «محمود الغزنوى» الذى سيطر فيما بعد على كل خوارزم وما حولها. يعتقد المؤرخون أن البيرونى كان أسيرا لدى الغزنوى وأمره بمرافقته فى حروبه فى الهند والتى استمرت أعواما وكانت أخصب فترات حياته. مجلده الضخم المرجع عن الهند تضمن علومها ودياناتها وجغرافيتها وتاريخها وأقاليمها وعاداتها فيما سماه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة)!

عاش فى غزنة عاصمة دولة الغزنوية بأفغانستان مشتغلا بالفلك ورصد النجوم وألحقه السلطان المسعودى بن محمود الغزنوى ببلاطه وكان رفيقا به عن والده وحرره من أسره فأهداه البيرونى مؤلفه القيم (القانون المسعودى التفهيم لأوائل صناعة النجوم) واعتذر عن المكافأة التى رصدها له السلطان وكانت حمل فيل من الفضة يعتقد بعض المؤرخين أنه ترك ١٤٦ عملا ضخما فيما يعادل ١٣ ألف صفحة من القطع الكبير. وعرف لدى المستشرقين باسم (بطليموس العرب).

ترك نظريات فى الجبر والهندسة وحساب المثلثات وفند نظرية أرخميدس وعلق عليها وحسب محورالأرض فيما عرف فى الغرب بـ (قاعدة البيرونى). اكتشف طريقة الإبصار التى طورها عنه

«الحسن ابن الهيثم» فيما بعد والتى تقول: إن شعاع النور يأتى من الجسم المرئى فينعكس على العين وليس العكس كما كان سائدا. ابتكر أول مقياس لكثافة المعادن وحدد خطوط الطول والعرض وناقش دوران الأرض حول محورها قبل «جاليليو» بقرون.

قدم أبحاثا فى تطورات الأزمنة الجيولوجية والولادات الغريبة كالتوائم السيامية. وكتب فى علوم التقويمات الهندية والفارسية والعربية والرومانية وفى الفلك وفى الأوزان وفى المقاييس.. ترك فى علم الطب والدواء كتاب (الصيدلة) وكتابا عن الأحجار الكريمة. قام بتعريف الفلسفة الهندوسية فأصبح مرجعا للمستشرقين. ظل يبحث حتى مات عام ١٠٤٨م (٩٧٣ هجرية). أصدرت أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٥٠ مجلدا تذكاريا عنه بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاته. كما احتفت به الهند وأنشأت أوزبكستان جامعة باسمه فى طشقند! وأقيم له تمثال فى المتحف الجيولوجى بموسكو. قال عنه المستشرق «سخاو» (إنه أكبر عقلية علمية فى التاريخ)..

أبو نضارة



كاتب مصرى ومسرحى وشاعر وصحفى وناشر ورسام كاريكاتير سياسى ساخر، أول من أصدر الصحافة الساخرة والمسرحيات الساخرة باللغة العربية فطوعها لتحقيق أغراض سياسية كان يهدف إليها. هو «يعقوب بن رفائيل صنوع» ويعرف فى الغرب باسم «جيمس صنوع». ولد عام ١٨٣٩ فى حارة اليهود بالقاهرة بمصر، لعائلة من يهود السفارديم (الغربيين)، من أب إيطالى المولد، يعمل مستشارا للعائلة المالكة المصرية، ومن أم مصرية يهودية!

تعلم «أبو نضارة» أو «يعقوب صنوع» اللغة العربية السليمة فأتقن قراءة القرآن الكريم وبرع فى حفظ الأحاديث والسيرة حتى لقب بالشيخ مما جعل الكثيرين يعتقدون أنه اعتنق الإسلام لكنه لم يفعل، وإن كانت هذه الشائعة قد سهلت له الكثير من المصاعب فى بلد إسلامى كمصر، مع إتقانه حوالى ثمانى لغات حية ويقال إنه كان يقرأ القرآن الكريم بالعربية والتوراة بالعبرية والإنجيل بالإنجليزية وأتقن اللغة التركية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت، كما أتقن الفرنسية والإيطالية بالطبع.

أرسله الخديو إسماعيل فى بعثة إلى إيطاليا للدراسة، لكنه خلال السنوات الثلاث التى قضاها هناك، تعرف إلى الحركة القومية الإيطالية وعلى «جاريبالدى» و«ماتسينى»، بطلى

الوحدة الإيطالية، مما أثار فيه الدافع الوطنى، حسب قوله. وحين عاد إلى مصر، كان مستعدا لمواجهة نظام الخديو نفسه! حتى تعرض لمحاولتى اغتيال من قبل الخديو، بعد نفيه إلى باريس عام ١٨٧٨.

كان يعمل بالتدريس فى مصر، وإلقاء المحاضرات والكتابة وتمثيل المسرحيات القصيرة التى كان يخرجها بنفسه. وكان بين هذه المسرحيات: (السلاسل المحطمة) و(البورصة) و(الحشاش) و(الضرتان) و(زبيدة) و(الوطن). وكانت فى أغلبها تنتقد الوضع السياسى فى مصر، كما تنتقد العيوب الاجتماعية، وتسلط النظام الحاكم، والبذخ الذى كان يعيش فيه.

بدأ بنشر صحيفة (أبو نضارة زرقا) عام ١٨٧٧ وكانت تطبع على الحجر، فلم تكن المطابع الحديثة قد انتشرت فى مصر بشكل يمكنه استخدامها دون مبالغ مالية ترهقه. وكانت تحتوى على رسومات هزلية ساخرة وتقترب لغتها من لغة العامة والفلاحين المصريين بحيث يمكن فهمها بسهولة. وكان «جمال الدين الإفغانى» و«الإمام محمد عبده» من المساندين له، لكن القصر لم يكن راضيا، خاصة وأن الزعيم المصرى «أحمد عرابى» اعترف بأن (صحيفة أبو نضارة زرقا) كانت تجلب له التعاطف الشعبى والمؤازرة من البسطاء قبل النخبة.

اضطر إلى الرحيل عن مصر بأمر من الخديو، عام ١٨٧٨ بعد انتقاده الجارح له وللحاشية، فظل يصدر صحيفته على فترات من باريس بالعربية وبالفرنسية. وكانت تدخل مصر بأسماء تمويهية كثيرة، لكيلا تلفت انتباه البلاط. كما كانت تصل أعداد منها إلى سوريا وشمال إفريقية، وحتى إلى الهند حيث نفى أحمد عرابى. وقد أصدر صحيفة أخرى باسم (رحلات أبو نضارة)، وكان يكتب المقالات فى الصحف الفرنسية، كما نشر العديد من القصص التى لم تكن ذات قيمة أدبية تذكر.

أصدر صحيفة (الحاوى) كما أصدر عدة صحف بأسماء غريبة مثل (أبو زمارة) و(أبو صفارة) و(التودد) و(المنصف) كما أصدر (جريدة الأمة الإسلامية) باللغة الفرنسية والتى كانت موجهة لداخل فرنسا. ولم يتوقف عن كتابة المسرحيات القصيرة التى كان أبطالها من شخصيات مصرية وعربية، وتظهر الصراع بين الحاكم والمحكوم وقد نشر عددا كبيرا من هذه المسرحيات، على حد قوله، ولكن لم يصل منها إلا مسرحية واحدة.

فى منفاه حارب فى البداية الخديو اسماعيل ثم الخديوى توفيق وشجع حزب الأمة. وحين فشلت الثورة العرابية ونفى زعيمها انقلب «أبو نضارة» على الإنجليز، وبدأ يوالى فرنسا التى كانت القوة الثانية العظمى آنذاك. بل وطالبها أن تطرد البريطانيين من مصر، كما طالب تركيا العثمانية بأن تتعاون على تحرير مصر من الاستعمار البريطانى الذى كان قد بدأ رسميا عام ١٨٨٢. وقد ساند بمقالاته الأمير «حليم بن محمد على» على استرداد عرش مصر وتحسين أحوال الفلاحين.

وبالرغم من هذه السيرة لأبى نضارة والتى تبدو فى ظاهرها (وطنية خالصة) فإن كثيرا من المؤرخين يشككون فى ولائه لمصر، بل ويذهب البعض إلى القول بأنه (كان يقود حملة منظمة ضد

الحكم الخديو لإشاعة القلاقل فى مصر خاصة بين أبناء الطبقة المتعبة والفقيرة. وذلك لخدمة بريطانيا فى البداية ثم فرنسا بعد افتتاح قناة السويس وأنه كان أداة لحمل العامة على الثورة)! توفى «أبو نضارة» أو «يعقوب صنوع» عام ١٩١٢.

أحمد التيجانى (السيد)

صاحب الطريقة التيجانية الصوفية المنتشرة فى المغرب العربى وليبيا ومصر وفى باقى القارة الإفريقية ويعتقد أن عدد أتباعها فى نيجيريا وحدها يقدر بـ ٢٥ مليون إنسان، أى حوالى ربع السكان كما تنتشر بقوة فى السودان والسنغال ومصر. ويقال أن عدد التيجانيين فى العالم يصل إلى حوالى ٥٠ مليونا. وتأتى أهمية انتشارها بسبب النقص الشديد فى معرفة الشريعة لدى معظم المسلمين من الأتباع الأفارقة مع ميل شديد لاعتناق الأفكار الموائمة لطبيعة الأفارقة القديمة الوثنية وإلى الاعتقاد بالغيب والسحر. فموسم التيجانى يعد ملتقى ثقافيا ودينيا للأتباع. هو «أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التيجانى». ولد عام ١١٥٠ هجرية (١٧٣٧م) فى قرية بالصحراء الجزائرية من نسل أحد أجداده الذى هاجر من إيران. درس العلوم الشرعية فيها وخلف أباه فى زعامة الزاوية باكرا، وارتحل طالبا العلم بين فاس فى المغرب وتلمسان ووهران بالجزائر وبين تونس والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة. تزوج أبوه من قبيلة (تيجا) التى أعطته اسمها فانتسب لأخواله التيجانيين.

فى صيفون زعم أنه التقى بالرسول النبى محمد ﷺ يقظة وأنه أذن له بتعليم الخلق كافة وأنه أخذ عنه (مشافهة لا وحيا)! فأنشأ الطريقة التى سميت بالطريقة الأحمدية أو المحمدية لهذا السبب، كما عرفت بالطريقة التيجانية نسبة إليه وكان عمره ٤٥ سنة. خرجت دعوته من فاس إلى جموع إفريقيا. عرف بأنه (منسب) إلى الإمام الحسن بن أبى طالب وإن اعترض كثير من المؤرخين على هذا النسب. تأثر التيجانى بأفكار الجيلانى والحلاج وابن عربى فكانت طريقته تؤمن (بوحدة الشهود) أى (شهود الحق فى الخلق والكون) وتقترب كثيرا من فكرة (وحدة الوجود) لابن عربى.

نقل عنه قوله: (يوضع لى منبر يوم القيامة من نور) و(كل ما أعطيه كل عارف بالله، أعطى لى)!! يعتقد أتباعه أن لهم (برزخا خاصا بهم يستظلون به) وأنهم (آمنون عند باب الجنة حتى يدخلوها زمرا). الطريقة تفرض على الأتباع أورادا ككل الطرق الصوفية، ويعتقدون أنهم غير

مكلفين بالأعمال الدنيوية، ولا بالسعى لكسب العيش وهو ما يرفضه معظم مؤسسى وشيوخ الطرق الصوفية الذين غالبا ما يحرف الأتباع أفكارهم وينسبون إليهم ما لا وجود له. فيزعم الأتباع التيجانيون أن مجرد ذكر الصلاة الأحمدية المعروفة، تعادل قراءة القراءة أضعافا. وأنهم يمكن أن يكتسبوا العلم بالغيب. لكن الثابت عنه أنه قال (إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه).

للتيجانيين مكانة خاصة ونفوذ لا يستهان بها فى الدول الإفريقية، خاصة التى ينتمى قادتها للطريقة التيجانية ومنها موريتانيا والسنغال (خاصة) ويشاع أن سلاطين دولة المغرب وملوكها من التيجانيين وإن لم يثبت ذلك. خلفاء السيد التيجانى موزعون فى مصر والسودان والسنغال ولكل منهم شهرته وأفكاره وكتبه وأتباعه. أشهرهم «محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسنى التيجانى المصرى» ١٣١٥ - ١٣٩٨هـ وهو رائد التيجانية فى مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن فى الزاوية التيجانية بالقاهرة وله عدة كتب. ومن أشهر خلفاء السيد التيجانى فى السنغال «عمر بن سعيد بن عثمان الفوتى» السنغالى: ولد سنة ١٧٩٧م فى قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًا، تلقى علومه فى الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين، وجاهد ضد الفرنسيين. توفى السيد «أحمد التيجانى» عام ١٨١٥م عن ٨٠ سنة فى فاس بالمغرب وتوجد هناك أشهر زاوية للطريقة التيجانية (يحج) إليها الأفارقة بالملايين فى المواسم.

أحمد الغافقى

رائد موسوعات الصيدلة. عالم فى الطب والصيدلة والنبات وعلم الأدوية المفردة وخواصها.

هو أحمد بن محمد أبو جعفر محمد الغافقى. ولد عام ١١٦٤م فى قرطبة بالأندلس (اسبانيا اليوم) وتعلم وعاش عمره كله فيها. كان من أكثر علماء النبات فى العصور الوسطى علما ومعرفة فى مجاله. يعتبر أستاذ العالم العربى الشهير فى علم النبات «ابن البيطار». كان الغافقى أول من وضع موسوعة صيدلية فى الأدوية النباتية. استخدم كل المصطلحات اللغوية المعروفة والتى وردت فى كتب الطب والصيدلة العربية مرتبة حسب حروف المعجم. كتب فيه عن النباتات الجديدة التى اكتشف بنفسه خواصها فى الأندلس. له كتاب (الأدوية المفردة) ويمكن أن يقال عنه: إنه موسوعة بالمعنى العلمى للموسوعات. فقد اشتمل على أسماء النباتات بالعربية

والبربرية واللاتينية وتحتوى على ألف دواء بسيط مع وصف علمى لكل دواء وطرق استعماله. انتقد بشدة العلماء الذين نقلوا مجرد النقل عن علماء الإغريق ولم يحاولوا إجراء التجارب بأنفسهم على الأدوية. ترك أحمد الغافقى كتاب (منتخب جامع المفردات) و(كتاب الأعشاب) ويتضمن ٣٨٠ رسما شديد الإتقان للنباتات والعقاقير المختلفة. له (رسالة فى الحميات والأورام) و(رسالة فى دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية)!

أحمد شاه درانى

عبقرية عسكرية وسياسية وأول أمير على أفغانستان التى توسعت فى عهده إلى أكبر مما هى اليوم عليه وهو مؤسس سلالة الدرانى من قبائل «عبدالى» التى حكمت حتى دخلت الشيوعية البلاد. ولد عام ١٧٢٢ فى مدينة قندهار ابنا لـ (زمان خان) زعيم قبيلة أبدالى (أو عبدالى) ومعناها كما يقال: (الفوارس). فى طفولته وقع أسيرا لدى قبيلة معادية وظل سجينا لديهم حتى أنقذه حاكم الفرس «نادر شاه» عام ١٧٣٨ والذى كان يسيطر على معظم أفغانستان وجزء من الهند وولاه على فصيلة من الفرسان حتى اغتيل «نادر شاه» عام ١٧٣٨م فتولى أحمد شاه الحكم وانتخب ملكا، وكان أول حكام أفغانستان من قبائل الباشتون التى حكمت أفغانستان فيما بعد قرونا طويلة، وتغير لقب الحاكم الجديد من خان (أى الزعيم) إلى شاه (أى ملك) واتخذ اسم (الدرانى) أى (درة الدرر). وفى الحال بدأ بإرساء وتوسيع مملكته فاستولى على (كابول) وانتزع من المغول أراضيهم فى الغرب وغزا البنجاب الغربية فى الهند ست مرات بين عامى ١٧٤٨ إلى ١٧٥٢. فقد عبر نهر الهندوس فى عام ١٧٤٨ واستولى على (لاهو) عام ١٧٥١ وعلى(نيشابور) ثم (كشمير) ١٧٥٢ و(دلهى) ١٧٥٦ واستولى على كنوز المغول وحمل معه من الثروات ما استطاع وبينها أكبر وأجمل ماسة فى العالم هى «كوهينور»، وحارب السيخ ودخل معبدهم الذهبى فى أمريتسار فعادوه ولاقى فيما بعد هزيمة بشعة منهم واضطر للتنازل عن البنجاب لكنه كان قد وسع مملكته فامتدت من شرق فارس (إيران) إلى شمال الهند، ومن نهر أموداريا إلى المحيط الهندى، وإن لم يستطع الحفاظ على الأراضى الهندية. انصاع رجال القبائل له وكان يحكم بمساعدة مجلس من زعمائهم وأعطى كل زعيم قبيلة الحق فى حكم قبيلته وأرضه على أن يكون مسئولا عن قبيلته، وبذلك ضمن ولاءهم له واستطاع إقناعهم بالجهاد ضد الهندوس وفى عام ١٧٦١ كانت أفغانستان مملكة أكبر بكثير مما هى عليه اليوم. فقد كان يسيطر على معظم أفغانستان (الحالية) وعلى جزء من الهند حتى مات عام ١٧٣٣ وترك

المملكة لابنه تيمور وبعد خمسين سنة غرقت البلاد فى حرب أهلية. لم يأخذ «أحمد شاه درانى» حقه كحاكم عظيم وقائد عسكرى متميز له مكانة شديدة التميز فى التاريخ الآسيوى فقد أهمله المؤرخون لصالح رجال الامبراطورية الفارسية والهندية ولم يكلفوا أنفسهم عناء متابعة مفاخره العسكرية. ترك أحمد شاه ٢٣ ابنا أضعفتهم المؤامرات وتفرق زعماء القبائل لكن «أحمد شاه» ترك شعبا أفغانيا من أفضل المحاربين لكنهم لم يصلحوا أبدا لإدارة البلاد! وظلت السلالة حتى عام ١٩٧٣ ودخول الشيوعية.

ترك «أحمد شاه الدرانى» أشعارا فى حب بلاده! كان منها:

(بالدم سنغرق حبا فيك)، (الشباب يفقدون رءوسهم من أجلك)، (آتى إليك وقلبى مستريح)، (وبعيدا عنك، قلبى يعتصر).

دفن «أحمد شاه درانى» فى قندهار (فى أفغانستان الحالية).

أحمد شوقى



لقب بأمير الشعراء وقيل عنه إنه أعظم شعراء العرب فى العصر الحديث بالرغم من أن جدته لأبيه كانت جركسية بينما كانت جدته لأمه يونانية، وكانت تعمل فى قصر الخديو إسماعيل بالقاهرة بمصر، حيث ولد «أحمد شوقى» عام ١٨٦٨ لأب من أصول كردية، لكنه لم يعتبر نفسه إلا عربيا وبرع فى كتابة الشعر باللغة العربية وقيل عنه إنه (دانت له القوافى)!

لا ينكر «أحمد شوقى» أصوله غير العربية، فيعترف أنه عربى وتركى ويونانى وجركسى. وأن ثقافته عربية وتركية. تعلم فى مدارس مصر (العربية) والتحق بكلية الحقوق ثم بمدرسة الترجمة وسافر إلى فرنسا فى بعثة على نفقة الخديو توفيق بن إسماعيل حيث أقام ثلاث سنوات حتى عام ١٨٩٣ فاكتسبت ثقافة فرنسية إلى جانب العربية والتركية. عمل فى قصر الخديو شاعر بلاط، ينظم فيه القصائد للمديح على غرار شعراء العصور الماضية حين كان لكل بلاط شاعر. وظل حتى بعد وفاة الخديو وتولى ابنه «عباس حلمى».

بقى «أحمد شوقى» معزولا فى القصور الملكية عن العامة فاكتسب الكثير من عاداتها وثقافاتها المترفعة عن الشعب وثوراته ومعارضته للبلاط الملكى، بالرغم من صداقته للزعيم الثائر المصرى «مصطفى كامل» وكان الإنجليز آنذاك مستعمرين لمصر فقاموا بخلع «عباس حلمى»، وكان فى رحلة علاج فى تركيا، وأقاموا مكانه على العرش «حسين كامل» الذى كان يسمى بلقب السلطان.

فشلت محاولات «أحمد شوقى» فى التقرب من السلطان الجديد والذى اقترح إبعاده بسبب نظمه للشعر السياسى والتعرض للحكم، فنفاه الإنجليز إلى إسبانيا فاختار (برشلونة) منفى له من عام ١٩١٥ وحتى عام ١٩٢٠ حين سمحت له السلطات الإنجليزية بالعودة إلى مصر. لكن «أحمد شوقى» ظل غامضا فى اتجاهاته، فحين قاد «كمال أتاتورك» معركته ضد الإنجليز، امتدحه بقصيدته الشهيرة (يا خالد الترك جدد خالد العرب).. بينما انقلب عليه حين قاد انقلابه العسكرى والمدنى ضد الخلافة العثمانية فهجاه بقوله:

مالى أطوقه الملام وطالما ... قلدته المأثور من أمداحى

كانت عودته بداية لنمط جديد عليه من الشعر السياسى والوطنى. انحاز هذه المرة للشعب تماما، سواء فى مصر أم فى الوطن العربى وواكب طموحاته وثوراته. عمل على تجديد الشعر العربى الذى كان نمطيا فى قصائده التى نظمها فى مدائح السلاطين. فأحدث ثورة حقيقية بعد الشاعر الفارس «محمود سامى البارودى». وكان المنفى هو الذى فجر فيه طاقاته الشعرية والتى تمثلت فى تجديد (المسرح الغنائى الشعرى). وكتب «طه حسين» عن هذا التحول (تحول لا نعرف له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه فى أدبنا العربى.. فقد تحرر شعره التقليدى من التقيد بظروف السياسة (...) واستكشف نفسه وإذا هو شاعر قد خلق ليكون مجددا)! ووجد أن «شوقى» قد (أخذ يحقق النموذج الجمالى والفكرى للإنسان المصرى والعربى..)!

وهذا التحول الذى أظهر إبداعه هو الذى خلع عليه لقب (أمير الشعراء) حين تألفت عام ١٩٢٧ لجنة عربية من كبار الشعراء بمناسبة إعادة طبع ديوانه (الشوقيات)، أمثال حافظ إبراهيم وخليل مطران وشبلى الملاط وأمين نخلة وكرموه فقال يوما حافظ إبراهيم مطلع قصيدته:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وقد انتقلت المبايعة إلى الشاعر اللبنانى «بشارة الخورى» المعروف باسم «الأخطل الصغير» بعد وفاة «شوقى».

عرف «أحمد شوقى» بأشعاره التى نظمها فى الشوق الجارف للوطن وهو فى المنفى وفى حب مصر والعرب وكان من أجمل ما قال فى دمشق:

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

وقد شهدت السنوات التى تلت عودته، انطلاقه الشعرى وتألقه وإبداعه، وسجل تجربته الشخصية والتجربة العامة لعصره، كما تفاعل مع الشعب فى مشاكله، وفى الغزل وكانت قصيدته فى مدح الرسول ﷺ، من أجمل قصائده التى بلغ فيها طموحه الشعرى أقصاه. كما نظم قصائد للأطفال على شكل قصص شعرية.

كتب المسرحيات الشعرية فى أخريات سنوات عمره وتعتبر من أهم ما خلده. ويعتبره البعض رائد هذا النوع من الأدب الشعرى. كما ترك ديوانه المعروف بـ (الشوقيات) والذى يضم ١١٣٢٠

بيتا، و(أرجوزة دول العرب) كما ترك (عظماء الإسلام) فى ١٣٦٥ بيتا. ويذكر كتاب سيرته أن شعره المسرحى وصل إلى ٦١٧٩ بيتا من الشعر، بينما يذكر أحد النقاد وهو «د.صبرى السربونى» أن ديوان (الشوقيات المجهولة) حوى ما يقرب من ٤٧٠٠ بيتا وقد وضع «أحمد شوقى» فى كل هذا، (تقنياته الشعرية وتجانس التراكيب والاشتقاقات وطرق التصوير والتجسيد مع قدرة فائقة على إشباع الحس الجمالى للقارئ العربى وهو ما لم يحدث لدى أى من الشعراء فى العصر الحديث)، كما يقول «د.محمد الهادى الطرابلسى»!

توفى الشاعر «أحمد شوقى» فى أكتوبر من عام ١٩٣٢ فى قصره المعروف باسم (كرمة ابن هانئ) على ضفاف النيل بالجيزة بمصر ومازال حتى اليوم ملتقى ثقافيا مرموقا.



إخوان الصفا

قمة الفكر العربى الإسلامى. هم «إخوان الصفا وخلان الوفاء» جمعية سرية سياسية دينية فلسفية علمية من القرن العاشر الميلادى والحادى عشر. مركزهم فى البصرة بالعراق لكن رسائلهم التى عرفوا بها كانت تصل إلى بغداد.

لا يعرف أحد على وجه اليقين أين كانوا؟ ومن هم؟ وكم عددهم؟ وإلى أى مذهب ينتمون؟ لكن الفيلسوف «أبو حيان التوحيدى» من القرن الحادى عشر الميلادى كشف أسماء بعضهم فى كتابه الجامع (الإمتاع والمؤانسة)، كما ذكرهم «إدريس عماد الدين» فى كتابه المهم (عيون الأخبار) فى القرن الرابع عشر الميلادى، ونسبهم إلى الإمام التقى أحمد بن عبد الله بن إسماعيل، بينما نسبهم «ابن حيون المغربى» إلى أربعة سماهم (الحرم) وكان بين الأربعة عبد الله بن مبارك. وقال التوحيدى عن أحدهم وهو «زيد بن رفاعة» (فيه ذكاء غالب وذهن وقاد ويقظة حاضرة واتساع فى فنون النظم والبراعة فى الحساب والبلاغة واسماع المقالات وتبصر فى الإراء والديانات). بينما قال عنهم «شيخه أبو سليمان المنطقى»، إنهم (تعبوا فما أغنوا، وحاموا وما وردوا، وغنوا وما أطربوا، وظنوا ما لا يكون). قيل عنهم: (إنهم جماعة تآلفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة). وقد وضعوا مذهبا جديدا أرادوا به التقرب إلى الله، حيث قالوا: (إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى تطهيرها إلا بالفلسفة، ذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية). وقالوا: (إنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال).

يقال إنهم استمدوا اسمهم من ابن المقفع فى كتابه (كليلة ودمنة) فى حوار بين «دبشليم» الملك و«بيدبا» الفيلسوف. ظهر «إخوان الصفا» فى عصر كان العقل العربى الإسلامى فى أوج يقظته وإبداعه وتميز بتنوع النقاش بين النخب الثقافية فجاءت الجماعة قمة فى الإبداع الفكرى على كل المستويات، مهما قيل فيهم غير ذلك.

فى مكتبة السليمانية فى استانبول بتركيا توجد نسخة مخطوطة من رسائلهم كما وصلتنا نسخ مخطوطة مزينة بنمنمات رائعة تعكس جماليات فن الكتاب الذى بلغ أوجه فى العصر العباسى. وتوجد ترجمة فارسية مختصرة لرسائلهم نشرت فى بومباى بالهند عام ١٨٠٤م. كانت جمعية إخوان الصفا سرية، مما أسبغ عليها كثيرا من الغموض! ولم يكشف عن أسماء أصحابها إلا فيما بعد.

اعتبرت حركة مقابلة لحركة الفيثاغورثيين فى اليونان، واهتموا بالفلسفة والعلوم اليونانية وترجمتها إلى العربية بخاصة الميتافيزيقيا (علوم ما وراء الطبيعة). كثير من الباحثين يقول إن إخوان الصفا كانوا من الشيعة وقال البعض إنهم ينتمون للفرقة الإسماعيلية الشيعية الباطنية، وهو الرأى الأغلب، بينما قال آخرون إنهم ينتمون إلى مذهب الاثنى عشرية (السائد فى إيران اليوم) أو اليزيدية. لكن سبب التخبط بشانهم هو عدم وضوح أى فكر مذهبى فى كتاباتهم بل ويخرج أحيانا من الفرق الإسلامية المعروفة حتى اتهموا أحيانا بالزندقة.

رأى البعض أن مذهبهم (جامع لكل المذاهب ولكل العلوم)، فقد نظروا إلى كل الموجودات فى الكون بالحس المادى وبالعقل وصولا إلى الإنسان الكامل، الذى تجلى لديهم فى (العالم الفاضل، الفارسى النسب، العربى الديانة، الحنفى المذهب، العراقى الآداب، العبرانى المخبر، المسيحى المنهج، الشامى النسك، اليونانى العلوم، الهندى البصيرة، الصوفى السيرة) كما جاء فى الرسالة الثانية والعشرين! وقد بلغ عدد رسائلهم ٥٢ رسالة وكل رسالة تشكل شبه موسوعة وفيها أقانيم عديدة ومتنوعة، وقد قسمت الرسائل إلى ٤ أقسام رئيسية، شكل القسم الأول من أول رسالة إلى الرسالة ١٤ واهتمت بالعلوم الرياضية، وتضمنت الرسائل الـ١٧ التالية، العلوم الطبيعية وشكلت العلوم النفسية والروحية والعقلية، الرسائل العشر التالية وبقيت العلوم الشرعية للرسائل السبع الأخيرة. واستطاعوا تحقيق مزج مدهش بين تعاليم القرآن وتعاليم أرسطو والأفلاطونية الحديثة.! وهو ما لم يقبله كثيرون.

عكست رسائل إخوان الصفا تخبط الشعوب الاسلامية وسط التفكك العام برغم ارتقاء العقل العربى والإسلامى آنذاك فى القرن الرابع الهجرى إلى أعلى درجات النبوغ لكنه تزامن مع ما يسمى اليوم بالقلق الوجودى وحيرة المثقف. فقد اهتموا بالشريعة والسحر معا، وبالفلسفة الأفلاطونية الحديثة والتعاليم القرآنية والتصوف فى آن واحد. تكلموا فى العلوم الطبيعية وعلوم ماوراء الطبيعة

معا. فى الأندلس ترجمت رسائلهم فى الجغرافية والفلسفة فالتقطها الغرب بنهم شديد. وقد ظهرت الآن نظرية حديثة جدا تزعم أن العالم ابن خلدون استقى منهم نظريته الشهيرة فى علم العمران والاجتماع، وأن العالم الانجليزى «داروين» أخذ عنهم نظريته فى أصل الأنواع. فقد صنف «إخوان الصفا» الموجودات حسب النوع والجنس واعتبروا أعلى درجة فى عالم المعادن هى أول درجة فى عالم النبات (فالتراب تطور من عالم المعادن داخل الأرض) وأرقى ما فيه (النخيل) الذى يمتلك صفات حيوانية كالتكاثر عبر التزاوج، وأن الإنسان هو حصيلة الصفات الحيوانية كلها. اتهم إخوان الصفا بالهرطقة وتبنى أفكار وثنية خارجة عن الإسلام . بينما يعتبرهم علماء كثيرون سابقى عصرهم فى العلوم. أرقت جمعيتهم مضاجع السلطة بالرغم من أنها كانت أدبية مكتملة الثقافة، مزودة بالعلوم لادخل لها بالسياسة.

كانوا يقولون (إن الشريعة طب المرضى، والفلسفة طب الأصحاء، والأنبياء يطببون المرضى حتى لايتزايد مرضهم). كان لهم رؤية كونية مجردة من خصوصية أحكام الزمان والمكان! نادوا بالانفتاح على الشرائع والأديان والفلسفات والعقائد والتأكيد على وحدة الأديان، وتأكيد شرعة الاختلاف.

فى الحب عللوا التقارب بين الأحياء باتفاق فلكى بينهم، وعنهم ربما أخذ «ابن حزم الأندلسى» اسم وموضوع كتابه الأشهر (طوق الحمامة). ربما كانوا خمسة أو عشرة، لكنهم تركوا أثرا يزداد أهمية كل يوم مع اختلال المعادلة للتاريخ الثقافى والسياسى للشعوب العربية والإسلامية بشكل خاص، فقد حاولوا الوصول إلى ماهية الإنسان الكونى الأعلى.

آخوندزاده ميرزا على

مسرحى وشاعر وأديب وفيلسوف أذربيجانى وأول من كتب المسرحيات باللغة التركية الفصحى فى أذربيجان، واقتبس عن المسرح الأوروبى، كما رسخ للأدب الأذربيجانى باللغة الفارسية فاعتبر أيضا من المجددين فى الأدب الإيرانى. لقب بـ (موليير الشرق) وقاد حركة التنوير والتغريب فى البلاد.

ولد فى أذربيجان (الإيرانية اليوم) حوالى عام ١٨١١ فى شيكى (نوخا اليوم) باسم «ميرزا فضالى تاغى أوغلو آخوندوف» ويعرف باسم «آخوند زاده ميرزا على». كان عمه (حاجى العسكر) ومربيه الأول، قد أعده ليصبح رجل دين لكنه كان ميالا للأدب والفلسفة. تعرف إلى الأدب الغربى الأوروبى (العلمانى) فانبهر به. انتقل عام ١٩٣٤ إلى تفليسى (عاصمة جورجيا اليوم) حيث

عمل مترجما للغات الشرقية. وتعرف هناك إلى الشعراء الروس المنفيين أمثال «مارلينسكى» و«بولونسكى» كما تعرف إلى الأدباء الأرمن مثل «خاشاتور أبوفيان»، الذين كونوا جميعا الوعى الأدبى والثقافى له فى التحول إلى الغرب.

أول أعماله كان (الشعر المشرقى) عام ١٨٣٧ فى رثاء الشاعر الروسى «بوشكين». حظى بتعليم أدبى وفلسفى عال. فتعرف إلى أفكار جديدة. وربما تعرف إلى «جمال الدين الأفغانى» والمصلح «ملْكم خان». وكتب آنذاك مقلدا أسلوب الأدب الفارسى.

وبالرغم من أنه كان يدعو لترسيخ اللغة التركية فقد كان مواليا تماما لروسيا حتى إنه وقف معها ضد تركيا العثمانية فى حرب القرم، حسبما جاء لدى بعض المؤرخين الروس، وإن كان المؤرخون الأذربيجانيون والأتراك والفرس يشككون فى هذا الزعم.

الثابت أنه عمل مترجما فى بلاط الحاكم العسكرى الروسى لأذربيجان وكان هو الذى شجعه على الكتابة للمسرح. وربما كانت محاباته للسلطة الروسية لكسب الموافقة على تنقل من كانوا يسمون (مسلمى القوقاز)، الذين يسمون اليوم (الترك الأذريين).

كتب «آخوندزاده» ست مسرحيات فكاهية ورواية نثرية باللغة التركية الآذرية بدءا من عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٥٧. كما كتب الرواية التاريخية الساخرة عام ١٨٥٧ بعنوان (الكواكب المخدوعة). ونشر عدة مسرحيات مترجمة إلى اللغة الروسية فى جريدة الحكومة التى كانت تسمى (القوقاز). ومثلت بلغتها التركية الأصلية فى أذربيجان عام ١٨٧٠. وصدرت له الأعمال الكاملة حتى ذلك الحين باللغة التركية الآذرية فى تفليسى عام ١٨٥٩.

ترجمت أولى مسرحياته (حكاية الملا إبراهيم الكيميائى) إلى الفرنسية على يد «باربييه دى مينار» فى المجلة الآسيوية عام ١٨٨٦. كما ترجمت المسرحية الثانية (حكاية السيد جوردان ومستعلى شاه الساحر المشهور) إلى الألمانية نقلا عن الفارسية فى فيينا عام ١٨٨٩. وترجمت المسرحية الثالثة (مغامرات وزير خان سراب) إلى الإنجليزية.

كتب (رسائل) فى علم السياسة فى معارضة للحكم الاستبدادى والحكومة الدينية. عمل على التجديد فى اللغة التركية فابتكر إصلاحا للأبجدية القديمة عام ١٨٥٠ بحيث تصبح أكثر طواعية للنص العلمى والأدبى الحديث! فقد كان يرى أن الحروف العربية المستخدمة فى اللغة التركية لاتفى بالأصوات الموجودة فى اللغة الأذربيجانية التى كانت حتى ذلك الحين تتناقل شفاهية فى أغلبها.

فكان أول من دعا إلى استخدام الحروف اللاتينية فى اللغة التركية.

توفى «آخوند زاده» عام ١٨٧٨م وفى أوائل القرن العشرين أطلق اسمه على (مسرح أذربيجان الأكاديمى للأوبرا والباليه).



اربانيوس توما

عميد المستشرقين الهولنديين فى القرن السادس عشر وأول من حاول نقل معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية فى أوروبا وكان من أفضل من كتبوا باللغة العربية. ولد فى هولندا عام ١٥٨٤ تعلم فى مدينة لايدن وتخرج عام ١٦٠٨ وتعلم اللغات الشرقية أثناء دراسته اللاهوت.

رحل إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وتعرف إلى كبار رجالاتها فى العلم ليكتسب المزيد من المعرفة. تعلم العربية على يد مصرى قبطى هو يوسف باربتوس. وفى فينيسيا استكمل تعلم اللغة التركية والفارسية والاثيوبية. وعاد إلى وطنه عام ١٦١٢ بعد غياب طويل وشغل عام ١٦١٣ منصب استاذ كرسى فى جامعة لايدن للغة العربية واللغات الشرقية باستثناء اللغة العبرية. أصدر صحيفة عربية من مكان إقامته خفضا للتكاليف على غرار ما فعل «سافارى دى بريفيس» فى باريس حين نشر مجلة عربية. وفى عام ١٦١٩ أنشأت جامعة «لايدن» كرسى أستاذية للغة العبرية من أجله خصيصا. ثم كلفته السلطات الهولندية ليكون المترجم الوحيد لها وكان عليه ترجمة وتفسير الرسائل الواردة من الحكام المسلمين فى آسيا وأفريقيا.

انتشر صيته فى كل الدول الأوروبية وعرض عليه ملوك انجلترا واسبانيا وأمراء المقاطعات، وحتى كبير المطارنة فى أشبيلية، العمل لديهم لكنه رفض مغادرة بلاده!!

بدأ الإعداد لترجمة معانى القرآن الكريم باللغة اللاتينية ووضع تفسيرات وهوامش لها، كما جهز لإقامة مكتبة للآداب والعلوم الشرقية لكنه توفى فى نوفمبر من عام ١٦٣٤م.

أصبحت جامعة (لايدن) من أهم مراكز الاستشراق فى أوروبا ومازالت حتى اليوم. ترك «توماس أربانيوس» عددا كبيرا من المخطوطات أهمها (النحو والقواعد العربية) باللاتينية باسم (جراماتيكا أرابيكا) فى (لايدن) عام ١٦١٣، و(قواعد اللغة الكلدانية السورية المسيحية) صدر فى أمستردام عام ١٦٢٨. وأصدر (الكتاب المقدس باللغة العربية) فى لايدن عام ١٦٢٢م ونسخة عربية من إنجيل القديس بولس. وقد ظل كتاب النحو العربى يدرس فى هولندا وباقى أوروبا حتى القرن التاسع عشر.

أعد له خصيصا نموذج جميل للخط العربى لتدوين ونسخ كتبه باللغة العربية خاصة مجموعته عن (الأمثال الشعبية) عام ١٦١٤م.

اشترى دوق بكنجهام الانجليزى عددا كبيرا من مخطوطاته من أرملة توما أربانيوس ثم أهديت إلى مكتبة كامبردج البريطانية.



الملكة أروى

هى «أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفربن موسى» الصُليحى الإسماعيلى. عاشت فى القرن الحادى عشر الميلادى. تعرف بـ (السيدة الحرة)! حكمت فى اليمن ٤٨ سنة حتى وفاتها. تركت آثارا كثيرة فى صنعاء، مازالت من أهم معالم السياحة فيها. لعبت دورا مهما فى نشر المذهب الفاطمى الشيعى فى آسيا وفى بومباى بالهند على وجه الخصوص.

ربيت فى قصر الملك الصُليحى بعد وفاة أبيها الذى كان موفدا إليه. وكانت الأسرة الصُليحية قد استعادت سلطانها على اليمن وعلى الأمراء والإمارات بعد صراع طويل مع أسر (نجاح) التى كانت تهيمن فقط على تهامة. وكانت اليمن أيامها وجزء من جزيرة العرب تتحكم فيها الأسرتان. وكانتا متعارضتين سياسيا وعقائديا. فأسرة نجاح كانت سنية، وتتبع الخليفة العباسى فى بغداد، بينما كانت أسرة الصليحى فاطمية، تتبع الإمام الفاطمى المستنصر وتعود بنسبها إلى دولة (سبأ) اليمنية القديمة.

وكان لـ (آل الصُليحى) فى البداية، النفوذ الأكبر لكن (آل نجاح) استطاعوا القضاء على مؤسس الدولة الصليحية وقتلوا معظم رجالها و أمراء اليمن الذين كانوا يوالونهم. وأبقوا على «أسماء» زوجة الملك الصُليحى «أبو الحسن على بن محمد»، أسيرة لمدة عام كامل حتى تم الصلح بين الأسرتين. وقد سجلت الأحداث لدى عدد من المؤرخين كما فى (العسجد المسبوك) للخزرجى (وهو مخطوط موجود فى دار الكتب المصرية). وفى معارك جديدة بينهما تمكن ابنها المسمى «المكرم» من استعادة مجد والده«أبى الحسن»وانتقم له،وأخضع كل اليمن لحكمه ،واستولى على المدينة المنورة،واستكمل نشر المذهب الفاطمى الذى كان والده قد بدأ بالدعوة إليه.

ولدت «أروى» عام ١٠٦٧م فى حراز باليمن، وفى حياة الملك «أبى الحسن»، زوجتها الملكة «أسماء» من ابنهما «المُكرَم» وكان مهرها، خراج عدن، وقد أصيب زوجهابالشلل بعد حياة حافلة. وبعد وفاة أبيه ووفاة الملكة، عهد ابنها إلى زوجته «أروى» بإدارة البلاد رسميا.

قامت بتأمين الملكة وإبقائها فى أيدى الصليحيين لفترة أكثر من نصف قرن بعد وفاة المؤسس الأول. وكانت تقدم إليها التقارير ويجتمع عندها الوزراء ولم تكن تظهر علنا. بل كانت العادة تجرى أن تحكم من وراء ستار فعلى، يحجب رؤيتها عن الرجال المرؤوسين. وكانوا يدعون لها فى خطب الجمعة بعد الدعاء للمستنصر ثم للصليحى الأول.

كان اليمنيون يلقبونها بـ (السيدة الحرة) وقد عرفت فى التاريخ بهذا الاسم. وأنجبت أربعة من الأولاد، توفى اثنان منهم. وكان أول ما قامت به، مغادرتها لمدينة (صنعاء) واتخذت

مقرها فى قصر شيده زوجها فى حصن فى جبلة اليمن. ونقل إليه كل كنوزه. وتحصنت هناك بالقصر – القلعة.

بسطت الملكة «أروى» سلطتها على القبائل اليمنية. وخضع الناس لها. وحين توفى زوجها المكرم الملك (أحمد بن على الصليحى) سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩٢م؛ كتمت الأمر واستمرت فى إدارة البلاد، حتى استطاعت الحصول على تفويض من الحاكم الفاطمى (المستنصر) فى تسيير شئون الدولة، والدعوة فى اليمن والهند وعُمان، وأمر الخليفة (المستنصر) أن تكون المراسلات باسم ابنها الأمير (على بن أحمد)، الذى كان صغيرًا حينها فجعلها وصية عليه.

ظهرت الخلافات بين أسرة (الصُليحى) وأسرة (الزواحى) حول الأحقية فى الحكم. وكان زوجها قد أوصى بأن تسند أمور الدعوة إلى ابن عمه (الأمير المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى) الذى طمع فى الزواج منها بعد موت زوجها ورفضت، فاحتكم «سبأ» إلى المستنصر بالله، الذى أمرها بالزواج منه. ووافقت شريطة أن يكون الزواج صوريا فلم تكن تسمح له حتى بالتردد على قصرها.

وظلت تحكم اليمن فعليا واستمرت التقارير ترفع إليها واستمر الدعاء لها على المنابر الدينية بعد الدعاء لزوجها «سبأ»، الذى توفى فجأة فاعتمدت على بعض من أكفأ الرجال فى تدبير أمور الحكم والمملكة وكان بينهم «ابن نجيب الدولة» الذى أوفده الخليفة الفاطمى على مصر «الحاكم بأمر الله» إلى اليمن للدعوة له وللفاطميين، فوقف إلى جانب الملكة «أروى» وقمع الفتن التى ثارت ضدها، لكنه بدأ الاستهانة بأمرها وإشاعة خبر عدم قدرتها على التفكير السليم لشيخوختها، وحاول الحجر عليها وانتزاع الملك منها، لكن أمراء وشيوخ الدولة وقفوا ضده، واتهموه بالتآمر على الدولة الفاطمية فقام الخليفة بالقبض عليه وإعادته إلى مصر ويقال إن السفينة التى أقلته غرقت وغرق معها!

وصفت بانها كانت تتميز بالحكمة والذكاء والثبات والعدل والدهاء كما كانت شديدة الاطلاع، واسعة المعرفة، وكانت، كما وصفها معاصروها، بيضاء اللون جهورية الصوت، جميلة، تحفظ الأخبار والأشعار وتعرف الكثير عن تاريخ العرب، وكانت تكتب الهوامش والتعليقات على الكتب.

ويروى أنها كانت (متبحرة فى علوم التنزيل والتأويل والحديث). وأنها (كانت تتميز بالصلاح والتقوى والمعرفة بشئون مواطنيها) مما ساعدها كثيرا على إصلاح أحوالهم.

قامت ببناء جامع صنعاء المعروف، وبتوصيل المياه إلى مدينة الجند ورصف شوارع مدينة ذى جبلة بالأحجار وما يشبه الإسمنت. وشقت الطرق فى الجبال واقامت الأعمدة وأنارت الشوارع، وأوقفت الأموال على فقراء المملكة واهتمت بمرتبات العلماء والطلبة والمعلمين. واهتمت بالثروة الحيوانية فأوقفت الأراضى للرعى فيها.

قامت بفصل الدعوة للمذهب الفاطمى عن شئون الدولة المدنية، فأنشأت لها إدارة خاصة متخصصة مستقلة إداريا وماليا عن أموال الدولة وعن مركز القرار العسكرى والسياسى. وكان الخليفة قد أسند إليها أمر نشر المذهب الفاطمى فى عُمان والهند.

توفيت عام ١١٣٨م بعد أن عاشت طويلا ودفنت فى المسجد الذى بنته. وما يزال اليمنيون يذكرونها حتى اليوم. انتهت الدولة الصليحية مع غزو «طوران شاه بن أيوب» لليمن ونشر المذهب السنى فيها عام ٥٦٩هـ (فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى).

أشرف جاهانجير سيمنانى



من مشاهير الصوفية المسلمين فى الهند. لعب دورا مؤثرا فى تاريخ ولاية البنجال الهندية المسلمة. ويقال إنه كان أميرا لكنه فضل حياة الزهد على حياة القصور. هو (مير سيد أشرف جاها نجير سيمنانى) وتوحى كلمة (مير) إلى أنه كان من الأشراف السادة، ومن سلالة شيوخ لهم قدرهم وعلمهم ومكانتهم. يرتبط اسم (أشرف جاها نجير) بولاية البنجال بشكل خاص حيث قدم إليها وأقام فيها ودعا إلى طريقته التى أخذها عن أقطاب وشيوخ قبله أشهرهم (شيخ نظام الدين أولياء) وظل يتعلم على يد شيخه لأكثر من ستة أعوام حتى سمح له بالإجازة وأصبح (خليفة) وأعطاه الأمر بأن يعود إلى مسقط رأسه لنشر الدعوة.

زار «أشرف جاها نجير» عددا كبيرا من الأماكن فى الهند وهو يدعو إلى الإسلام وأسهم فى نشره بشكل فعال. استقر فى (جاو نبور) وأسس ما يسمى بـ (خانقاه كاشا نشاه شريف). ويقال إنه توفى عام ١٤٠٥م. بعد وفاته اكتشفت أوراق كتبها كانت شديدة الأهمية فى التعريف بتاريخ الهند الإسلامى فى تلك الحقبة المهمة التى تدور بين القرن الرابع عشر والخامس عشر، كما تبين ما دار فى كواليس السياسة وبلاط القصور.

وتدل وثيقة تركها (أشرف جاها نجير) على عظم مكانته ونفوذه وتأثيره كصوفى مسلم معلم. فقد جاء فى الوثيقة أنه خلال حكم (جانيشا) قام الشيخ (نور قطب علم) وهو من كبار أصحاب الطرق الصوفية فى الهند آنذاك بحث السلطان إبراهيم سلطان جاونبور على غزو البنجال لتحرير المملكة الإسلامية من نفوذ (جانيشا) وكتب للقطب الصوفى (أشرف جاها نجير) الذى كان يعيش فى الولاية بحث السلطان على الغزو مستخدما تأثيره فيه. فقام (أشرف) بدوره بكتابة تلك الرسالة (الوثيقة) والتى ما زالت موجودة حتى اليوم فى أرشيف (مملكة راجا جانيشا) والتى تقول: ليتك تنقذ أولاد المسلمين فى الولاية من جانيشا. كما تنقذ بالأخص (الدراويش)، أتباع الطرق الصوفية من نفوذهم. فإنك تكون قد قمت بعمل جليل، وقد نفذ السلطان وصية الشيخ (أشرف جاها نجير)..!

آل كابونى

أشهر وأخطر رجل عصابات فى النصف الأول من القرن العشرين فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث بلغ نشاط المافيا الإجرامى والعصابات المنظمة حده الأعلى فباتت أمريكا مشهورة به وأصبح طابعها الخاص خاصة فى شيكاجو.

هو ألفونس جبرييل عرف باسم (آل) اختصارا لاسمه. ولد فى بروكلين بنيويورك فى يناير من عام ١٨٩٩ لأب إيطالى هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٣. كان له ١٠ إخوة. انخرط «آل» فى عصابتى أطفال وهو فى سن صغيرة فترك الدراسة بعدها وعمره ١١ سنة بعد أن طرد من المدرسة الكاثوليكية اضطر لكسب عيشه فى محل لتجليد الكتب.

تعرف أثناء عمله فى محل للحلويات إلى أحد رجال العصابات وهو «جونى توريو» الذى رسم له حياته فيما بعد. انخرط على أثرها فى عدة عصابات على التوالى حتى عمل (بلطجيا) فى صالة رقص وهناك تلقى الندوب التى عرف بها. فقد أهان امرأة ودخل فى مشاجرة مع أخيها الذى وجه لآل طعنات عميقة على جانب الوجه. اعتذر إليه «آل» فوظفه حارسا عنده. تزوج من سيدة أيرلندية وأنجب منها ابنا.

عرف «آل» باسم ذى الوجه المجروح أو المثلوم لكثرة الندوب الناجمة عن جروح قطعية فى وجهه. ربما ارتحل الى شيكاجو عام ١٩٢١حيث استدعاه «توريو» لمشاركته فى نشاطات مشبوهة وكان توريو قد تزعم (امبراطورية الجريمة) التى كان يرأسها مجرم شهير هو «جيمس كولوسيمو» والذى رفض القيام بنشاط مشبوه مع توريو الذى يبدو أنه تخلص منه بالقتل. مارس «آل» بدايات نشاطه فى الجريمة فى شيكاجو بالرغم من أنه كان يحمل بطاقة تفيد بأنه (تاجر أثاث) وتزعم أول عصابة عرفت باسم (شيكاجو آوت فيت) أو (شيكاجو للتجهيزات). استلفت انتباه مكتب التحقيقات الفيدرالى فى وقت مبكر فوضعه على قائمة الخطرين منذ نهاية العشرينات من القرن العشرين. وبالرغم من أنه لم يعش طويلا واضطر إلى إيقاف نشاطه مبكرا لكن ما فعله خلال سنين قليلة كان كافيا لأن يحفر اسمه فى قائمة المجرمين الأمريكيين وأن تنتج عنه أفلام عديدة وأن تؤلف فى سيرته كتب كثيرة.

كان «آل كابونى» فى العشرينات من عمره حين تصدر اسمه قائمة الخطرين. أصبح الزعيم بعد أن أصيب صديقه وشريكه بطلق نارى أعجزه فاحتل آل كابونى مكانه فى رئاسة (امبراطورية الجريمة) وسرعان ما أثبت كفاءة نادرة فى صالات القمار وإدارة تعاطى وترويج المخدرات والنوادى الليلية وسباقات الخيل واستطاع تحقيق دخل سنوى وصل إلى مليون دولار بحساب تلك الأيام. جرت

عدة محاولات لاغتياله دون جدوى فقد كان يسيطر على شبكة عملاء وجواسيس له فى كل مكان بدءا من الصحافة وحتى أقسام البوليس بحيث كان يصل إلى عدوه ويقتله قبل أن يتمكن من محاولة الاقتراب منه.

ارتكب عشرات من عمليات القتل لكنه لم تثبت عليه تهمة واحدة. أشهر عملياته كانت المذبحة الجماعية فى سانت فالنتاين فى فبراير من عام ١٩٢٩ حين تنكر رجاله بزى رجال بوليس واقتحموا جراجا يتاجر بالمشروبات الكحولية التى كانت محظورة آنذاك وقتلوا من فيه واستولوا على البضاعة. وكان متواجدا فى فلوريدا ليلة الجريمة. كان يحميه محافظ شيكاجو نفسه لكنه انقلب على آل كابونى حين اكتشف خطورة مساندته له على مستقبله السياسى فقرر التخلص منه بإجباره على الرحيل على يد البوليس. اشترى مزرعة خاصة فى فلوريدا بعيدا عن العيون عام ١٩٢٨ وبالرغم من أنه كان يقتل أحيانا بنفسه وأعطى عشرات الأوامر بالقتل فقد عرف عنه أنه كان رحيما عطوفا على الناس وشديد الكرم حتى إنه كان أول من افتتح مطعما للشوربة المجانية أثناء فترة الكساد الاقتصادى عام ١٩٢٩. وفرض على التجار منح الفقراء الكساء والغذاء.

سجن مرة واحدة عام ١٩٢٩ لحمله سلاحا دون ترخيص! حوكم لتهربه من الضرائب فانتهت المحكمة إلى ادانته بـ١٨ جريمة والحكم بالسجن ١١ سنة. أرسل إلى سجن اتلانتا الذى عرف بقسوته وصرامته لكنه عومل معاملة خاصة برغم ذلك. حاول اختصار المدة باتباع سلوك مثالى لكنه اكتشف إصابته بمرض السفلس (الزهرى) القاتل وأطلق سراحه عام ١٩٣٩ وظل يعانى من مرضه حتى مات عام ١٩٤٧ عن ٤٨ سنة فقط.

الشريف الإدريسى

عالم جغرافى عربى من الأندلس من القرن الثانى عشر الميلادى. هو أول من رسم خرائط العالم على (كرة مجسمة) وأول من حدد المعالم الجغرافية بأقرب ما يمكن للحقيقة. هو «أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس» القرطبى الحسانى، يعود نسبه إلى آل البيت الكرام. ولد فى ظل دولة المرابطين حوالى العام ١٠٩٩ فى مدينة «سبتة» المغربية (التابعة اليوم لإسبانيا) من الأسرة الإدريسية. لايعرف الكثير عن حياته الخاصة لكن الثابت أنه تعلم فى قرطبة ثم ارتحل كثيرا وبعيدا لإشباع فضوله العلمى حتى استقر فى جزيرة صقلية حيث استدعاه ملكها «روجر الثانى» الذى أراد لبلاده اللحاق بحضارة

العالم الإسلامى فأرسل عام ١١٤٤ يستدعى من الأندلس بعض علمائها وكان بينهم عالم الجغرافيا والرحالة «الإدريسى» حيث طلب الملك منه أن يعكف على وضع خريطة حديثة للعالم تعتمد على اكتشافاته ورحلاته بحيث تكون فريدة من نوعها، فوضع «الإدريسى» الخريطة وقسمها إلى ٧ أقاليم وكل إقليم قسم إلى ١٠ أقسام فأصبح لديه ٧٠ خريطة بلغ طولها مترين وعرضها متر ويقال إن «كولومبس» مكتشف أمريكا، استخدم هذه الخرائط.

أشهر ما عرف عنه «كرته الفضية المجسمة» وهى أعظم وأروع إنتاج علمى إسلامى جغرافى فى التاريخ. كانت الخرائط ملونة كما أن خطوط الطول والعرض كانت مقوسة بما يدل على أنه كان يعرف أن الأرض كروية وليست مبسوطة كما كان الغرب يظنها. وصف «الإدريسى» الكرة بأنها (عظيمة الجرم أو الوزن، ضخمة الجسم وزنها أربعمائة رطل رومى). أحضر الإدريسى العمال المتخصصين بنقش الفضة الخالصة من الأندلس لحفر الخريطة على الكرة وكانت (مجسمة) بحيث ظهر فيها البلدان بأقطارها ومدنها وريفها وخلجانها ومجاري مياهها ومواقع أنهارها وبحورها وما بين كل بلد من الطرقات المطروقة والأميال المدودة والمسافات المشهودة وكان نقش الخريطة بالألوان وقد طعمت بالعاج ..).

ظل الملك الصقلى ينتظرها حتى وهو على فراش الموت واحتاج الأمر إلى عدد من العمال لحملها إليه فطلب من الإدريسى البقاء وكافأه بالذهب.

حلت خريطة «الإدريسى» محل خريطة « بطليموس» كأساس جغرافى حتى عصر الاكتشافات الجغرافية الأوروبية وظلت أعماله تترجم إلى اللاتينية لمدة قرون طويلة وخاصة كتابه الأشهر (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) الذى يعتبر موسوعة جغرافية احتوت على خرائط ومعلومات عاشها بنفسه فى بلاد أوروبية وأفريقية وآسيوية وقد جمع الكتاب بين المؤلف الذى كتبه لروجر الثانى وسمى (تابولا روجريانا) أو الكتاب الروجرى وبين الخرائط الدقيقة التى رسمها للعالم.

كان «الإدريسى» عالما فى النبات. وكان يجمع الغريب منها ويعطيها أسماء باللغات الست المتداولة آنذاك هى السريانية واليونانية والفارسية والهندوكية واللاتينية والبربرية وظهر ذلك فى كتبه المتعددة منها (كتاب الجامع لصفات أشتات النباتات). ساهم «الإدريسى» فى الاقتصاد وفى علم الحيوان وفى العلاج والأدوية. وألف كتاب (روض الناس ونزهة الأنفس) وعرف باسم (كتاب المسالك والممالك) لكن معظمه ضاع.

نشرت الخرائط فى روما عام ١٥٩٢م بترجمة لاتينية وفى باريس عام ١٦١٩م ثم ظهر بترجمة كاملة بالفرنسية وبهوامش ومجلدات بين عامى ١٨٣٧ و١٨٣٩م أى بعد حوالى ٧٠٠ سنة من عصر الإدريسى. فقد ظلت خرائطه ومؤلفاته المرجع الأول للعلماء الجغرافيين والرحالة والبحارة طيلة هذه الفترة .

لايعرف موعد محدد لوفاته لكنه كان على الأغلب بين عام ١١٦٦ و١١٨٠.

الأزهر



أشهر وأهم (المؤسسات) الدينية الإسلامية فى العالم وقد تخرج فيه كبار العلماء فى أنحاء الأرض وكان مركز الإشعاع الدينى والعلمى لحوالى ألف عام.

هو أول (مسجد- جامع) يبنى فى القاهرة التى أسسها القائد الفاطمى جوهر الصقلى لتكون عاصمة الفاطميين الشيعة. ويرجح أن اسم الأزهر كان نسبة إلى ابنة النبى الكريم فاطمة التى تلقب بالزهراء وإن لم يعرف فى البداية إلا باسم جامع القاهرة حتى تحول إلى مؤسسة تعليمية لتدريس الشريعة والفقه على المذهب الشيعى، الذى يدين به الفاطميون.

تم وضع حجر الأساس فى ١٤ رمضان عام ٣٥٩هـ/ ٩٧١م. افتتح للصلاة بعد عامين. وشهد طيلة الألف عام رعاية متفاوتة من حكام وسلاطين وملوك ورؤساء مصر. عرف بمآذنه الخمس مختلفة الطراز حيث بنيت فى أزمان مختلفة. وله ثلاث قباب أجملها التى تقوم فوق المدرسة الجوهرية، نسبة إلى جوهر الصقلى. وفيه ٣٨٠ عمودا من الرخام النقى. وكانت تحيط به ثلاثة أروقة أكبرها رواق القبلة. وكانت مساحته حوالى نصف مساحته الحالية البالغة اليوم ١٢ ألف متر مربع حيث أضيف إليه مجموعة من الأبنية شملت أروقة جديدة ومدارس ومحاريب غيرت بعض الشىء من معماره القديم على يد حكام مصر الذين كانوا يتنافسون فى إيقاف الأوقاف للإنفاق عليه.

كان أول من صلى فيه بالناس، القاضى «أبو حنيفة بن محمد القيروانى» قاضى الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وتولى التدريس من بعدها أبناؤه. وكان يدرس فى البداية العلوم الدينية من فقه وشريعة إلى جانب اللغة العربية والمنطق والفلك. وكان للمذهب الشيعى الأفضلية حتى قامت الدولة الأيوبية عام ٥٦٧هجرية، فألغت المذهب الشيعى مذهبا للدولة واعتمدت المذهب السنى وإن أبقت على تدريس المذهب دون الأخذ به فى أيام المماليك من بعد. اهتم المماليك بشكل خاص بإعمار الأزهر ومنح الطلبة معونات وهبات وأوقاف وفتحوا أمامهم مجالات المشاركة فى النهضة العلمية والثقافية مما مهد للمشاركة فى الحركة السياسية.

أنشئ منصب (شيخ الأزهر) فى أواخر القرن الحادى عشر (١٧ ميلادى) وكان العثمانيون قد وصلوا إلى القاهرة فنقل السلطان سليم الأول عددا من كبار العلماء إلى عاصمته (الآستانة) أو (استامبول اليوم).

عرف الأزهر ما يسمى (الجراية) وهى الميزانية المخصصة له والتى كان الحكام والولاة يتنافسون حول مقدارها وأهميتها، وكان يصرف لطلبة الأزهر مايسمى ب (الكساوى) من قميص

وطاقية وقبقاب من الخشب للوضوء. وربما امتد هذا إلى أسرة الطالب من طعام وكساء. كما كان يصرف لطلبة العلم فيه حلويات الأعياد والعيدية. وكان الأزهر يتألق فى شهر رمضان بشكل خاص ليظل مفتوحا حتى السحور وصلاة الفجر حيث تعقد حلقات الذكر والإنشاد الدينى وقراءة القرآن والتسابيح.

اتخذ الأزهر دورا سياسيا تعدى دوره الدينى. وأثر فى مجريات السياسة فى مصر وخاصة فى العالم الإسلامى عامة. أدرك نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م نفوذ الأزهر فحاول استرضاء واستمالة شيوخه وإبداء الاحترام لهم. وحين أنشأ بونابرت (مجلس الشورى) ضم إليه المشايخ الذين لم ينخدعوا بسياسته ووقفوا ثائرين ضده مع الشعب.

كان مشايخ وطلبة الأزهر من الأهمية بحيث كانوا يشكلون معظم أفراد البعثات العلمية التى أرسلها محمد على باشا إلى أوروبا وخاصة فرنسا تمهيدا لنهضة مصر. فتعلموا الترجمة والإعلام والقانون بما يعد انقلابا فى مناهج الأزهر. وهو ما هيأه ليواكب النهضة العلمية والتعليم الحديث بمصر على يد محمد على وأسرته من بعده.

وانتقل النظام التعليمى بالأزهر إلى مرحلة جديدة وصدور قوانين جديدة عام ١٨٧٢تسمح لطالب الأزهربالحصول على (الإجازة العلمية) بعد امتحانه شفاهة من الشيخ أو الاستاذ. بما يعادل شهادة (العالمية) التى كانت تمنحها المدارس العادية وتلاه قانون عام ١٨٨٥ الذى يعطى الطالب الحق فى التدريس إذا اجتاز امتحانا لدى لجنة من ستة علماء أزهريين فى أحد عشر مادة.

تطور الهيكل التنظيمى والإدارى عام ١٩٠٨ بإنشاء مجلس لإدارة الأزهر برئاسة شيخ الأزهر وعضوية مفتى الديار المصرية وشيوخ المذاهب السنية الأربعة وأجيز المذهب الشيعى الجعفرى كمذهب خامس فيمابعد. ومع جهود شيوخه العلماء تمكن الأزهر من مسايرة التقدم المعرفى فى مجالات عديدة بكلياته فى علوم الفلك والفلسفة الإسلامية والفقه والشريعة والمنطق. لكنه ظل مستقلا حتى عام١٩٦١ حين أمر الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بتحديثه تماما ليشمل الكليات الأخرى (الطب والهندسة والزراعة) كالجامعات المدنية ففقد الكثيرمن تميزه كما أصبح شيوخه مع الوقت يتم تعيينهم من قبل الدولة ليصبح مؤسسة من مؤسساتها.

تخرج فى الأزهر بنظامه الراسخ القديم فطاحل المفكرين والثوارأمثال طه حسين وحسن البنا والشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس فى فلسطين وسعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ وأحمد عرابى قائد الثورة العرابية ضد الإنجليز ومحمد عبده مجدد الحركة الدينية وأمين الحسينى مفتى القدس أيام الانتداب البريطانى.

يمتلك الأزهر كجامع وجامعة ثانى أكبر مكتبة جامعية فى مصر. كما نشر أول مجلة دينية للدعوة عام ١٩٢٩ وكانت تضم مقالات فى المسائل الدينية إلى جانب الأدب والتاريخ والترجمة وأخبار العالم الإسلامى.

آدم عبد الله الإلورى



مؤرخ وداعية للثقافة العربية ولغتها فى إفريقيا وأحد أشرس المدافعين عنها أيام كانت إفريقيا محتلة من الاستعمار الفرنسى والإنجليزى. جعل هدف حياته نشر الثقافة العربية فى نيجيريا وافريقيا عامة. أسس أول مركز تعليمى لتخريج الدعاة والمدرسين باللغة العربية والذى تحول إلى جامعة فيما بعد. هو «آدم عبد الله» ولد عام ١٩١٧ فى قرية تابعة لمدينة «إلورن» جنوب نيجيريا فسمى «الإلورى». تأثر بالطريقة الصوفية القادرية المنتشرة فى الغرب الإفريقى. كان دائم السفر للتتلمذ على يد العلماء العرب والمسلمين. التقى فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر والسودان بعدد كبير منهم على اختلاف مشاربهم. كان أول عالم يجمع علماء المنطقة باسم (رابطة الأئمة) وكان أول عالم من نيجيريا يحصل على إجازة من الأزهر الشريف. عرف طيلة حياته بحبه للغة العربية التى يعتبرها (لغة حضارة روحية) وخاض عددا من المعارك ضد إدخال أولاد النيجيريين المدارس البريطانية فى وقت كان من الصعب- ومايزال- إقناع الطبقات المثقفة بجدوى تعليم اللغة العربية وإتقانها. فقد كان الكثيرون يعتبرون من لا يتقن الإنجليزية (نصف إنسان) متأثرين بالاستعمار البريطانى الذى ترك اللغة الإنجليزية لغة رسمية فى نيجيريا حتى بعد الاستقلال. نفذ مشروعه (للتعليم العربى والإسلامى) عام ١٩٥٢. ترك أكثر من خمسين كتابا بالعربية فى التاريخ والأديان والفلسفة والسير والتصوف والأدب. لغته سليمة مذهلة الإتقان والسلاسة. من مؤلفاته، (الدين النصيحة) عام ١٩٥٠ و(موجز تاريخ نيجيريا) ١٩٦٤عام و(تاريخ الدعوة فى الاسلام) عام ١٩٦٧ و(نظام التعليم العربى) عام ١٩٧١ و(فلسفة التوحيد). لكنه أثار جدلا واسعا وانتقادا حين أصدر كتابه (الإسلام فى نيجيريا اليوم وغدا) عام ١٩٥٠ وتعرض فيه للخلافات القبائلية بين الهوسا واليوروبا، أكبر شعبين مسلمين فى نيجيريا والدول المحيطة. كما أثار النقد بكتابه (فلسفة النبوة والأنبياء) الذى انتقد فيه رموز الدعوة وفسر ظاهرة عدم ظهور أنبياء فى الشمال الأوروبى. توفى فى أبريل ١٩٩٢ فى مستشفى بلندن.

الانكشارى



هو ما سمى بالجندى الجديد من فرق المشاة فى الجيش العثمانى والتى عرفت بالانكشارية. توسعت بهم الامبراطورية العثمانية حتى ضمت أجزاء من آسيا وأوروبا لما كان يتمتع به الانكشاريون من جلد على القتال وشجاعة غير

عادية وولاء للسلطان بالرغم من أن معظمهم كان من الدول التى حاربها واستعمرها العثمانيون. وقد نقل أنه حين أصدر «أورخان الثانى» الفرمان بتنظيمهم، أوكل المهمة إلى «قره خليل» أحد كبار رجال الدولة العثمانية، والذى كان كلما أنهى تدريب فئة، يقابلهم بالشيخ «بكطاش» أو «بكتاش» شيخ الطريق البكتاشية، حتى عرفوا بها وعرفت بهم. كان الانكشاريون مدربين تدريبا عاليا وكان يطلق عليهم أيضا (اليكنجرية) كما جاء لدى المؤرخين العرب. ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ ظهورهم لكن أغلب المؤرخين يعتقدون أنه تم تشكيلهم أيام السلطان «أورخان الثانى» عام ١٣٢٦م وهو ابن مؤسس الدولة العثمانية. فى البداية كانوا فرقا عسكرية غير نظامية وكانوا يسرحون بعد انتهاء مهماتهم حتى عهد السلطان «مراد الأول» الذى أعطاهم صفة الاستمرارية. كان يتم اختيار الانكشاريين فى سن صغيرة من أبناء المسلمين الذين تربوا تربية صوفية جهادية أو من أولاد الأسرى من الدول التى يغزوها العثمانيون وغالبهم من النصارى. فكان يتم عزلهم وتربيتهم تربية إسلامية وتعليمهم اللغة والعادات والتقاليد التركية بعد تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات تعد للعمل فى القصور السلطانية، أو لشغل الوظائف المدنية الكبرى فى الدولة، أو لتشكيل فرق المشاة فى الجيش العثمانى وهى المجموعة الأكثر عددا ونفوذا وسلطانا.

كان يمنع عليهم الاتصال بأهليهم ويفرض عليهم الحياة فى الثكنات حتى فى أوقات السلم، والتى كانت تضم المطابخ وخزائن الأسلحة والذخيرة بالإضافة إلى أماكن الضباط والجنود. كانوا يقسمون إلى (أورط) وكل (أورطة) أو (فئة) لها رئيس يسمى (آغا الاورطة) وكان يعتبر من أهم شخصيات الدولة حيث كان يرأس جهاز الشرطة والأمن فى الآستانة (استانبول) العاصمة. وكان لكل (أورطة) شارة خاصة تعرف بها، وتوضع على أبواب الثكنة وعلى الرايات والخيام فى ميادين القتال. وكانوا يحبون أن يرسموها بالوشم على أذرعهم وسيقانهم. أصبح الانكشاريون عماد الجيش العثمانى فى القرن الخامس عشر وإحدى أقوى الفرق العسكرية فى العالم كله، واعتبروا أهم حتى من سلاح الفرسان. واكتسبوا حق الزواج بعد أن كان محظورا عليهم تماما فى البداية، ثم سمح السلطان سليم الأول بالزواج لكبار السن منهم حتى تحرروا تماما من هذا الحظر وأصبح الزواج من حقهم فى أى سن.

ظل الانكشاريون على قوتهم تحت ألوية السلاطين العثمانيين الأوائل حتى وهنت قلوب سلاطين العهد المتأخر من الامبراطورية والتفتوا للجاه والرفاهية، فلم يعد الانكشارى الخشن القوى يثق بهم أو يكن الولاء لهم، خاصة وأن قادة الانكشاريين سيطروا على مرافق الدولة سواء داخل تركيا أم فى الدول التى تسيطر عليها وأصبح لهم نفوذ يفوق نفوذ السلاطين أنفسهم فجمعوا فى أيديهم الجيش والبلاط والمناصب العليا وتدخلوا فى شئون السلطنة فكانوا يعزلون ويعينون حتى إنهم قتلوا السلطان عثمان الثانى بعد عزله عام ١٦٢٢ وخنقوا السلطان إبراهيم الأول عام ١٦٨٤ وأعلنوا التمرد والعصيان أكثر من مرة حتى جاء عهد السلطان «محمود الثانى» الذى تولى عام ١٨٠٨م (١٢٢٣ هجرية) فاعتزم تطوير الجيش وتحديثه بجميع الفيالق العسكرية أسوة بحاكم مصر «محمد على

الكبير» وحاول استمالتهم برفق فى البداية وصبر على رفضهم ١٨ سنة حتى أعلنوا العصيان وقاموا بالثورة فى يونيه من عام ١٨٢٦م وتحدوا أمر «مصطفى باشا البيرقدار» الصدر الأعظم (رئيس الوزراء اليوم) الذى قتل. وجاءت نهاية الانكشارية حين أحاط رجال المدفعية بثكناتهم فى (ميدان الخيل) باستانبول وقتلوا منهم فى يوم واحد أكثر من ٦ آلاف فيما سمى(بالواقعة الخيرية) وأصدر بعدها «محمود الثانى» الفرمان السلطانى بإلغاء الفيالق الانكشارية تماما وكل تنظيماتهم وأسمائهم وألقابهم وأسس الجيش النظامى الحديث لكنه أبدا لم يحقق ما حققه الانكشارية.

دار الأوبرا



الأوبرا نوع من أنواع فنون المسرح تقدم فيه الرواية المسرحية عبر الموسيقى والغناء وأحيانا بمصاحبة نوع من الرقص الجماعى. ظهرت الأوبرا فى إيطاليا حوالى العام ١٦٠٠ وكانت مصاحبة للموسيقى الكلاسيكية الغربية. وكانت المسرحيات التراجيدية الإغريقية تقدم بالغناء الجماعى (الكورس) وبالموسيقى. كلمة «أوبرا» تعنى باللاتينية (الأعمال) ومفردها «أوبوس» ومعناه (العمل) أو المؤلف (بفتح الواو). وتستخدم كلمة «أوبرا» لمجموعة الأعمال لفنان أو كاتب، وتعنى بالعربية المؤلفات الكاملة. وبذلك تعنى الكلمة (مجموعة أعمال) تستعرض على المسرح وتشمل الغناء والموسيقى والحبكة الدرامية ويمكن أن يكون الغناء فرديا أو جماعيا. تستخدم الأوبرا عناصر المسرح التقليدية أيضا. أول من قدم الأوبرا فى عصر النهضة كان الإيطالى «جاكوبو بيرى» الذى قدم أوبرا «دافنى» عام ١٥٩٧ فى محاولة إحياء الدراما الإغريقية. لكن الأوبرا بشكلها العصرى قدمها «كلاوديو مونتيفردى» وكانت تقدم فى البلاط الملكى. أول ظهور علنى للأوبرا أمام الجماهير كان عام ١٦٣٧م فى المناسبات الاحتفالية (الكرنفال) فى مدينة البندقية (فينيسيا). ذاع صيت «فرانشيسكو كافاللى» فى تقديم الأوبرا فى إيطاليا فى عصر الباروك الذى يتميز بالتنميق والزخرفة الصارخة، ظهرت الأوبرات الكوميدية الممتزجة بالمأساة. ارتقى فن الأوبرا كثيرا فى القرن الثامن عشر. ومن أشهر من كتبوا للأوبرا «فاجنر» الألمانى و«موتسارت» النمسوى و«فيردى» الإيطالى (صاحب أوبرا عايدة) و«بوتشينى»، وكذلك «بيزيه» الفرنسى صاحب (كارمن). وأول مبنى أنشئ خصيصا للأوبرا كان مسرحا فى باريس بناه «شارل جارنييه» بين ١٨٦٢ و١٨٧٤، وانتشر بناء ما يسمى بـ (دور الأوبرا) فى العالم وكانت أوبرا القاهرة من أشهرها وكانت تسمى بدار الأوبرا الملكية أو الخديوية، وقد بنيت عام ١٨٦٨ وافتتحت بأوبرا لفيردى عام ١٨٦٩ وجاء فى رسالة غريبة لفيردى نشرت مؤخرا أنه استنكر كثيرا

دعوته لتأليف أوبرا لمصر وعلق بسخرية تنم عن جهله الشديد والمخجل، بأنه يخشى (تحوله هناك إلى مومياء). واعتبرت دار الأوبرا الخديوية من أجمل الدور فى العالم لكنها احترقت تماما عام ١٩٧١. وتم بناء دار الأوبرا الجديدة عام ١٩٨٨.



بديع الزمان الجزرى

أول عالم فى الهندسة الميكانيكية فى تاريخ البشرية والأب الروحى للروبوت. عقلية علمية ابتكارية مذهلة. أعماله ظلت مرجعا علميا لأوروبا فى نهضتها العلمية الصناعية. اعتبر كتابه فى علم (صناعة الحيل) أو (الهندسة الميكانيكية) مرجعا شديد الأهمية لهم وأعيد اكتشافه فى أواخر القرن العشرين كما ظهر مقال مدهش فى مارس من عام (٢٠٠٦) فى صحيفة الاندبندنت البريطانية حين عد بين أسماء ٢٥ عالما مسلما وعربيا أثروا جذريا فى تطور أوروبا.

هو «بديع الزمان أبو العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزرى» وعرف بابن الرزاز. ولد حوالى عام ١١٦٥م فى منطقة الجزيرة الواقعة شمال سوريا والعراق فيما بين النهرين «دجلة والفرات». ولذلك سمى بالجزرى ولايعرف الكثير عن حياته سوى أنه عاش فى «ديار بكر» شرق تركيا (حاليا) وعمل منذ عام ١١٧٤م/ ٥٧٠ هجرية ولمدة تقارب ٢٥ سنة فى بلاط ملوكها الذين كرموه طيلة حياته، فعاش معظم حياته بعيدا عن وطنه. برع خاصة فى (هندسة الميكانيكا)، التى لم تكن معروفة قبله كعلم. فاعتبر (شيخ علماء المسلمين) فى (علم الحيل) وهو ما كان يطلق على (الهندسة والميكانيكا).

أسهم فى تصميم آلاف الآلات لكنه اقتصر فى كتابه الموسوعة على ذكر تفصيل خمسين منها فقط كانت كافية للمساهمة بفاعلية فى التطور الصناعى الأوروبى والعربى. وكان الملك «ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا» قد كلفه عام ١١٨١م بتأليف كتاب عن مخترعاته التى جاءت نتيجة بحوث استمرت ٢٥ سنة، ويعد أروع ما كتب عن الآلات الميكانيكية (ذاتية الحركة) فى القرون الوسطى والآلات الهيدروليكية (المائية) التى اخترعها بنفسه. طور المضخات لرفع المياه والمستخدمة اليوم بعد تطويرها. كما طور نموذجا منها لعب دورا فى تطوير المحرك البخارى والمحركات التبادلية الحديثة. عرف الجزرى بابتكاراته فى مجال الساعات وخاصة الساعات المائية التى عرفت بأشكالها مثل ساعة الفيل وساعة الكاتب. وفى مهرجان نظمته انجلترا عام ١٩٧٦ كرمت العالم الجزرى وعرض متحف لندن للعلوم نسخة كاملة من ساعة مائية له وهى تعمل أمام الزوار.

اخترع أهم خمس آلات فى تاريخ العلم تعتبر التصميمات الأولية، بينها (المضخة) التى تستخدم اليوم فى آبار البترول، والمحركات المستخدمة اليوم فى الطائرات.

ويعتبر علماء الغرب العالم (الجزرى) الأب الروحى لروبوتات اليوم وكان الخليفة قد طلب منه صنع آلة تعمل له إذا أراد الوضوء فصنع له (خادما بيده إبريق ماء وبيده الأخرى منشفة فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر فوق عمامة الخادم فينحنى ليصب الماء ثم يقوم ليناوله المنشفة بينما العصفور يغرد! كما ابتكر (روبوت) بشكل امرأة عربية تقوم بملء وتفريغ حوض الماء وكان القفل المرقم أحد اختراعاته والذى يستخدم اليوم بعد التطوير فى إقفال الحقائب بالشفرة الرقمية. ترك «الجزرى» أحد أهم الكتب العلمية فى التاريخ بعنوان (الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل) ضمنه رسوماته وتصميماته لنماذج اختراعاته ويوصف بأنه (أدق الكتب وصفا وشرحا وتفصيلا) وفيه لوحات ملونة مبهرة، قال عنه البروفسور «لين وايت» إنه (سبق الساعات الفلكية «لجيوفانى دوندى» وابتكارات «دى جيورجيو» الهندسية و«دافنشى» بأكثر من قرنين من الزمن). تميز فى ذلك الحين بأنه جمع بين العلوم النظرية وبين تطبيقاتها العملية وكان ذلك جديدا على العقلية الأوروبية.

مخطوطاته موجودة مترجمة للفارسية وفى قصر «توبكالى سراى» الشهير باستانبول وفى متحف الفنون فى بوسطن بأمريكا ومتاحف أوروبا. وظهرت ترجمة للألمانية لمقاطع من كتابه فى أوائل القرن العشرين بعد إعادة اكتشافه. توفى «الجزرى» عام ١١٨٤م.

أبو بكر الرازى

عالم موسوعى من القرن العاشر الميلادى. طبيب وعالم بالكيمياء والرياضيات والفلسفة والعلوم الطبيعية والمنطق والموسيقى. عرف بأبى الطب العربى. ظلت مؤلفاته التى كتبها كلها باللغة العربية، تدرس فى جامعات أوروبا لمدة قرون طويلة بعد ترجمتها إلى اللاتينية. هو رائد التجربة المعملية فى الكيمياء والجراحة وخياطة الجروح. كان من رواد العلاج النفسى وربطه بالمرض العضوى خاصة مرض الشلل. أول من صنع المراهم خاصة مرهم الزئبق. وأول من اهتم بالتاريخ المرضى للمريض وتسجيله.

هو (أبو بكر) محمد بن زكريا ولقبه الرازى، ربما نسبة إلى مدينة (الرى) التى ولد فيها عام ٨٦٥م/ ٢٥١ هجرية بالقرب من طهران (فى إيران اليوم). ولايعرف الكثير عن حياته الخاصة والاجتماعية إلا أن والديه ربما توفيا وهو صغير. تضاربت الآراء حول كثير من مراحل حياته. على الأرجح انتقل إلى بغداد لدراسة الطب فى البيمارستان (وكان ما يشبه المؤسسة الطبية التعليمية

اليوم). يذكر بعض من كتب عنه من كبار مؤرخى العرب القدامى وكاتبى سير الأعلام، أنه كان يضرب العود وهو صغير وأنه كان صائغا يعمل بالذهب لشدة ولعه بالكيمياء، وربما عمل أيضا صيرفيا فقد كان غنيا ويقال إنه كان أديبا وكان يكتب الشعر، وترك الغناء حين نبتت لحيته (فكل غناء يخرج من بين شارب ولحية، غير مستظرف) كما كان يقول.

ربما تتلمذ أيضا على مؤسس علم الكيمياء الفذ «جابر بن حيان» لكنه مارس الكيمياء فى حياته فى فترتين شديدتى الأهمية، إحداهما فى بداية حياته والثانية فى النهاية من عمره. الوثائق تثبت أنه عمل بالطب منذ صغره وإن كان كثيرون يؤكدون أنه اهتم به بعد الثلاثين. أصيب بالرمد فى شبابه المبكر بتأثير المواد الكيميائية التى كان يستخدمها، وأصيب بالمياه الزرقاء فى كهولته بتأثير القراءة والكتابة الغزيرة فلم يكن يجد ما يدعو إلى الراحة (والعمر قصير وما لديه من العلم غزير)! زار بغداد كثيرا فقد كانت عاصمة العلم والترجمة. ويبدو أنه كان ملما باللغة الإغريقية اليونانية فقرأ مؤلفات «جالينوس» العظيم فى الطب وعارضه فى كتابه (شكوك حول جالينوس) فتعرض لنقد ٢٨ كتابا لجالينوس (أبى الطب)، خاصة نظرياته فى الرؤية والنظر فى الظلام والنور.

ضاع الكثير من كتب الرازى وينقل عنه أنه ألف أكثر من مائتى كتاب ومصنف بين موسوعات ضخمة وبين كتب صغيرة الحجم. أعظم ما كتب على الإطلاق هو كتابه (الحاوى فى الطب) وقد حفظ فيه التراث الإغريقى الطبى والفلسفى واضعا هوامشه الخاصة فى التحليل والنقد وكذلك تجاربه العملية (الإكلينيكية). وربما يجرى خلط بينه وبين كتابه (الجامع الكبير) فلا يعرف إن كان الحاوى قد ضم الجامع أو العكس أو أن كلا منهما كان منفصلا فقد جاء ذكرهما لدى الرازى فى كتبه عن مؤلفاته.

الحاوى فى الطب سجل فيه كل آرائه الطبية ومشاهداته وعملياته وتجاربه وأحوال مرضاه والتعليق عليها ووصف العلاج لها وأنواع الأمراض بتفصيل دقيق مذهل. ويقال إنه بلغ ١٢ جزءا. ترجم إلى اللاتينية عام ١٢٧٩وعرف باسم continens (المحتويات). كان أول من فرق بين الحصبة والجدرى وكتب عن (القولنج) أو الشلل فى كتاب منفرد. وضع كتابا فى الأدوية والعقاقير (المفردة) غير المركبة التى لم يكن يحب اللجوء إليها إلا إذا استعصى الأمر. جاء فى كتابه (السيرة الفلسفية) أنه استنفد تأليف أكثر من ٢٠ ألف ورقة لكتابه موسوعة (الجامع الكبير) وأنه استغرق العمل فيه ١٥ سنة. ولم يتوقف إلا حين عمى تماما فاستعان ببعض تلاميذه يكتبون له. له كتاب (الفصد والحجامة) ويعتبر مرجعا. له كتاب صغير (البول) و(خيوط الجراحة) و(الطب الملوكى) وترك كتبا فى (أسرار الكيمياء) وسماها صناعة الحكمة. جمع فى كتبه خبرة الهنود واليونانيين ومن سبقه من العرب والمسلمين.

أهم ما أخذه الغرب عنه كان (التجربة الإكلينيكية ورصد تطورها). كان أول من قدم شرحا مفصلا لأمراض النساء والأمراض التناسلية وجراحة العيون. بعد اختراع الطباعة كان كتابه الحاوى

من أهم الكتب بعد الانجيل التى تكررت طباعتها وقسم إلى ٢٥ مجلدا. ظلت أوروبا تعتمد على مؤلفاته فى الكيمياء والطب والفلسفة حتى عصر النهضة. له تخريجات فلسفية عجيبة فى الفرق بين الزمان والدهر. ترك مصنفات فى الطبيعة (ميكانيكة المغناطيس) و(نظرية الخلاء والملاء) عن الزمان والمكان. اتهم بالكفر أو بالزندقة حين طالب بفصل العلم عن الدين وعدم تعريض القرآن للأدلة العلمية ليحتفظ بقدسيته. حاور عددا كبيرا من أساطين العلماء فى عصره ودونت هذه المحاورات. كان شديد الكرم واسع الثراء لكنه كان معتدلا فى المعيشة. كان يطالب العلماء بالاستغناء المادى حتى لايتأثر علمهم بالحاجة. كان ينفق الكثير على الفقراء المرضى. مات عام ٩٣٢م وقيل قتل لأنه رفض إفشاء سر تحويل المعادن إلى الذهب!

الساموراى

المحارب الأسطورة. نكهة الإمبراطورية اليابانية. الكلمة مشتقة من كلمة «ساموراو» اليابانية والتى تحولت إلى «سابوراو» معناها (للخدمة) و(ساموراى) هو الخادم والخادم هو السيد فهم السادة، خدام الوطن.

كان عليهم فى البداية اقتناء أسلحتهم الخاصة والحرب مقابل إعفائهم من الالتزامات ودفع الضرائب. كانت تشكيلاتهم الأولية من العشائر القوية لحماية الأراضى والممتلكات. حين توسعت الامبراطورية فى القرن الثامن لم يستطع الجيش قهر المتمردين. فأعلن تشكيل طبقة المحاربين من (الساموراى) وكانوا يسمون (البوشى) لكنهم ظلوا يعتبرون من (الطبقة البربرية) فلم يشترط فيهم التعليم ولم يتولوا مناصب إدارية. أول تحد واجهوه كان دخول الخيل إلى اليابان فأصبحوا فرسانا مهرة يحاربون على الخيول. التحدى الثانى كان مع دخول البنادق البرتغالية عام ١٥٤٢ فاستخدموها مع سيوفهم لكنها كتبت بداية نهايتهم. فى أواخر القرن الثانى عشر ظهر دور (البوشى) أثناء الفوضى التى عمت البلاد وكانت الحروب وسيلة الحياة ودخلت عشائر «ميناموتو» فى قتال شرس مع عشائر «تايرا» وانتصر «تايرا نو كيومورى» وأصبح مستشار الامبراطور فكان أول محارب (ساموراى) يعتلى هذا المنصب، وبذلك أصبح له نفوذ على الحكومة المركزية. كان يميزهم فى تلك الفترة ارتداء الدروع وملابس القتال الثقيلة. جندت الامبراطورية اليابانية الرجال المحاربين النظاميين من العشائر الكبرى المنضمين للحرس الامبراطورى فى كيوتو التى أصبحت عاصمة وكذلك لإدارة المقاطعات. كان الزعيم يلقب بـ «شوجان» وأول امبراطور

يلقب بـ «شوجان». كان «كايكو» واستمر حكم الشوجانات عدة قرون. قبائل «تايرا» كانت محافظة جـدا على النظام الامبراطـورى بالقياس لمن أتى بعدها وإن جعلت نسـاءها يتزوجن الامبراطور بما يسمى بالزوجة العشيقة وكان هذا النظام سائدا، فمارس الساموراى بذلك نفوذا شديدا حتى على الامبراطور نفسـه. فى عام ١١٨٠ اندلعت الحرب التنافسية ثانية وأصبح الساموراى مقاتلا بدرجة (نبيل).

فى القرن الثالث عشـر انتشـرت بوذية الزن وزادت من قيمهم المثالية التى علت على مفهوم الحياة وأصبح الموت هو الهدف بينما انتشرت بوذية الريف بين العامة. فى عام ١٢٧٤ فى عصر سلالة يوان هاجمهم المغول بـ٤٠ ألف عسكرى و٩٠٠ سفينة من البحر فقذفت اليابان بالساموراى لقتالهم واسـتخدم المغول مذعورين قنابل صغيرة فيها بارود. أقام اليابانيون سـورا ضخما حول خليج هاكاتا عام ١٢٧٦ لحمايتهم من المغول فطرح المغول فكرة المفاوضات الدبلوماسـية لكن كل بعثاتهم كانت تعدم حال وصولها إلى اليابان. فى القرن الرابع عشـر ابتكر السـاموراى حدادة ما يسـمى سيوف الساموراى من الصلب واشتهرت سيوفهم المعقوفة باسم (كاتانا) وانتقلت صناعتها إلى الصين والهند. وكانت الكاتانا تتألف من سـيف طويل وسـيف قصير، وكان على السـاموراى الالتزام بالوفاء فى إطار نظام أخلاقى صارم (بوشـيدا) الذى تأسـس فى فترة متأخرة فى القرن السـادس عشـر. وإذا خان الساموراى أخلاقياته وسـيده فعليه الانتحار بسيفه أولا ثم يعدم وإذا رفض ألزم بالرحيل تتابعه الذلة. فى عصر إيدو المسـتقر فى القرن السـابع عشـر لم تعد مهارات السـاموراى مطلوبة فتحولوا إلى موظفين إداريين بنظام يشـبه نظام الشرطة اليوم وخلعوا الدروع وارتـدوا الملابـس الخفيفة وأصبحوا يسـاعدون فى إدارة الأراضى والسـهر على الأمن وأصبحت (زهرة الكرز) رمزهم الجديد. فى عام ١٨٦٧ أنهى الامبراطور «مييجى» امتيازاتهم وحرم عليهم حتى حمل سيوفهم حين قام بتحديث جيشه وأسطوله بعد وصول أول السفن الامريكية البخارية التجارية وقام بإرسـال متدربين إلى مدارس الغرب والاسـتعانة بالخبرة الفرنسـية لصناعة قوة بحرية عسكرية. مع نهاية القرن التاسع عشر كانت الطبقة قد ألغيت تماما. لكن بعض الساموراى التحقوا بالجيش متطوعين وكان آخر اسـتعراض لقوتهم فى حرب بوشـين عام ١٨٦٨ - ٦٩. أول أجنبى حصل على رتبة الساموراى كان البحار الانجليزى «ويليام آدمز» فى القرن السادس عشر. كما حارب الضابط الفرنسى «أويجين كولاش» دفاعا عن الشوجان فى حرب بوشين عام ١٨٦٩ فقد كانت بطولات الساموراى وحياتهم تبهر الغربيين. مع صعود طبقة الساموراى سياسيا أصبح عليه معرفة الأدب والشـعروالإلمام بفنون الرقص والحسـاب والشـاى! كان عليه طلب الإذن من الطبقة الأعلى التى يخدمها إذا أراد الزواج وتدفع له الزوجة المهر. وحين يولد له ولد يصبح سـاموراى بالتبعية. ويتلقى أول سيف فى حفل عام.



السهروردى

يسـمونه شيخ الإشـراق ومؤسـس الفكر الاستشـراقى الفلسـفى فى الشرق الإسـلامى، حكيم الشرق والغرب. قتل لاتهامه بالزندقة. أحد أعلام الفلسفة الصوفيـة. كان لـه تأثير بالغ فى عصره وما تلاه. عـاش فى زمن صلاح الدين الأيوبـى فى القرن الحادى عشـر. هـو «أبو الفتوح يحيى بن حبش الحكيم الملقب بـ شـهاب الدين عمر» ولد عام ٥٤٩ هجرية/ ١١٥٥م. فى بلدة سـهرورد فى شمال غرب بلاد فارس (ايران) فعرف بالسهروردى (بضم السين). درس العلوم فى أذربيجان ثم فى أصفهان حيث كانت فلسفة ابن سينا تحظى باهتمام شـديد. ارتحل السهروردى إلى بغداد وتركيا ومنها إلى سوريا حيث أقام فيها حتى صدر الأمر بإعدامه. قيل إنه سنى شافعى المذهب وقيل إنه من الشيعة الباطنية. لكن المؤكد أنه نشأ فى بيئة شيعية وتعلم فى بيئة سنية! فجاءت فلسفته خليطا.

تأثر بفلاسفة اليونان وبمذهب الإشراق على وجه الخصوص. والإشراق من فروع الفلسفة اليونانية القديمة ويقوم على أن مصدر الكون هو النور. والخالق هو النور الأعلى بينما تستمد العوالم المخلوقة أنوارها من هذا النور. والمعرفة الإنسـانية فى المذهب الإشـراقى تصل عـن طريق الوحى أو الإلهام وهو ما يسمى بالكشف أو الإشراق. وبذلك يفسر السهروردى خلق الكون ونشأة الإنسان (خليفة الله على الأرض).

جمع «السهروردى» بين فلسـفات اليونانيين والمصريين القدامى والزرادشتية الفارسية التى تقول بالنور والنار والظلمة وصبها فى قالب إسلامى تفسيرى وهو ما جعل فلسفته صعبة ومعقدة وغريبة بل ومستهجنة من الذين يدعون إلى التزام النص الفقهى فى التفسير مثل ابن تيمية. فقد رأوا فيها مخالفة للعقيدة الإسلامية ومؤيدة لفكرة وحدة الوجود التى نادى بها الحلاج ومحيى الدين بن عربى، بل وجد فيها البعض خطورة كبيرة على الفكر الإسلامى الصافى. لكن «السهروردى» يرى أن الحكمة لاتتجزأ، وكذلك العلم. ومعرفة الله تعالى لا تقتصر على قوم دون قوم ولا على دين دون دين. وإن كان يقر أن منهله هو الإسلام والقرآن وأنه استقى فكرة النور المطلق من الآية القرآنية: (الله نور السموات والأرض)!

كان يعـد أفقه علمـاء عصره فى أمور الديـن والمنطق والحكمة. ولم يربط قبلـه أحد من العلماء بين الفلسـفة والتصوف، كما فعل، أى الربط بين البحـث النظرى العقلى وبين التجربة الروحية، ليخـرج بنظريته الإشـراقية، كما يقول الباحث الفرنسـى «لويس جارديـه» وأنه (عانى تجربة الشهود الصوفية التى كانت بالنسبة له دخولا إلى عالم الحقيقة الواحدة).

كان يتمتع بشهرة كبيرة بين معاصريه لكنه لم يلق نفس الاهتمام من الدارسين فى الغرب مثل مالقى «ابن رشـد»، الذى كان معاصـرا له. ربما لأن كتب السـهروردى لم تترجم إلى اللاتينية فى

وقتها، لكن «جوسس نوجالس» الإسبانى يرى أن تاريخ الفلسفة يظل ناقصا ما لم تدرس فيه فلسفة السهروردى. وبالرغم من قصر حياته فإنه ترك أكثر من خمسين مؤلفا بالعربية والفارسية ربما يعتبر (حكمة الإشراق) أهمها.

قتل السهروردى عن عمر ٣٦ سنة فقط، بأمر الملك الظاهر والى حلب ابن السلطان صلاح الدين الأيوبى وكانت فتواه الشهيرة: (اقرأ القرآن وكأنه نزل فى شأنك)!

السيد البدوى



مؤسس إحدى أكبر الطرق الصوفية فى التاريخ الإسلامى. هو «أحمد بن على بن إبراهيم» وينتهى بنسبه إلى الإمام جعفر الصادق، حفيد الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب. عرف بالبدوى والملثم والسطوحى والصامت. وهو عربى النسب وخالصه. ولد فى منطقة زقاق الحجر بمدينة فاس فى المغرب العربى فى حوالى العام ٥٩٦ هجرية/ ١١٩٩م. كان سادس إخوته. صموتا متأملا. تتلمذ فى التصوف مع أخيه أحمد، على الشيخ النيسابورى. انتقلت الأسرة إلى مكة المكرمة وعمره ٧ سنين واستغرقت الرحلة أربعة أعوام كانوا ينزلون فيها ضيوفا على قبائل العرب وقابلهم شريف مكة بنفسه. وصف بأنه اقنى الأنف، صبيح الوجه، على أنفه شامة سوداء، قمحى اللون، طويل القامة، أكحل العين، ضخم الساقين. مات والده ومعظم إخوته الذكور. تعبد فى مكة فى مغارة بجبل قرب مكة ورحل إلى العراق وعمره ٣٨ سنة وكانت أرض الأولياء والأئمة. تجول فى أنحاء العراق وزار مقامات الأئمة من الرفاعى إلى الجيلانى. أصبحت حياته كلها عبادة حتى قيل (إنه كان يظل شاخصا ببصره إلى السماء ليلة بطولها!). فى عام ١٢٣٨ ارتحل إلى مصر ونزل فى طنطا التى كان يقال لها (طندا) وكان يحكم مصر أيامها الملك الكامل الأيوبى. أقام فى بيت تاجر يسمى ركن الدين لمدة ١٢ سنة ثم انتقل إلى دار شيخ البلدة «ابن الشحيط» فسكن سطحها وسمى أتباعه بالسطوحيين. عرف بالملثم. ويحتمل أنه تأثر بالعادة الصحراوية هناك فى التلثم طيلة سنى عمره التى قضاها فى شمال إفريقيا.

نسب إليه كثير من الكرامات التى لا تصدق ولا تليق. لكن أشهرها أنه كان يمكنه (جلب الأسرى حتى بعد موته)! حتى شاع فى الأمثلة الشعبية (يا بدوى جلاب الأسرى)! كما روى عنه أنه كان يمكنه مواصلة الصيام أربعين يوما وهو ما لم يتأكد حدوثه. عرف بالغموض المحيط بحياته وبالتناقضات والغرائب فى كتابة سيرته.

مجىء السيد البدوى لمصر فسره كثيرون تفسيرات متطرفة أحيانا. فقد كان فاطمى الهوى، وكان الأيوبيون قد سيطروا على مصر والشام منذ صلاح الدين الأيوبى الذى حارب الفاطميين (الشيعة) وقضى على دولتهم. لكن كل كتاب سيرته القدامى والمحدثين لم يستطيعوا الإتيان بدليل واحد على أية محاولة من السيد البدوى لنشر المذهب الفاطمى أو العمل لصالح دولة فاطمية شيعية طيلة مكوثه أربعين عاما فى مصر.

ينسب للبدوى نظرية (تنقل النور المحمدى). ويذهب البعض إلى أنها (أيضا) من ملامح المذهب الشيعى فى انتقال الإمامة الروحية. لكن المعروف أنه فى قلب التصوف عموما، شيعة وسنة، تتمركز فكرة النور المحمدى. ويقوم على الاتصال (التسلسلى) بالنبى الكريم ومن هنا تأتى فكرة الشيخ والمريد والخرقة الصوفية التى يلبسها الشيخ للمريد. وتعود نظرية (الحقيقة المحمدية) إلى نهاية القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) أى قبل الفاطميين والتشيع السياسى بقرون. والحقيقة المحمدية كما يرونها (هى ألف باء الخلق والوجود) فهى كما قال حجة الإسلام الغزالى فى شرحها أن (محمدا كان نبيا قبل خلق الكائنات).

نسبت إليه بطولات خرافية توصف بالكرامات. لكنه كان يؤكد (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهد). لم يترك مؤلفات أو كتبا مدونة بيده، ولكن نسب إليه كثير من الشعر. لم يتزوج بالرغم من القصة الشهيرة عن فاطمة بنت برى الغانية القوية بما لها وجمالها والتى دار فى داخله بسببها صراع بين الزهد والرغبة حتى تمكن من السيطرة عليها فانقادت إليه وتابت. تفرعت طريقته (البدوية) إلى ١٦ طريقة فرعية بينها المرازقة والحمودية والحلبية والسطوحية. له أوراد و(الحزب الصغير) و(الحزب الكبير). أشهر أقواله فى الدعاء (اللهم اكفينهم بماشئت. اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك فى نحورهم. فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم).

ألف ليلة وليلة



أهم كتاب ظهر بعد الكتب الدينية فى الشرق والغرب بالرغم من كل المآخذ عليه لكنه طبع وجدان العالم القصصى فى كل أنحاء الأرض. مجموعة من القصص الشعبية لا يعرف لها أصل دخلت الأدب العالمى بدءا من القرن الثالث عشر والرابع عشر. نقل أنها قصص روتها شهرزاد ابنة وزير الملك شهريار لأختها دنيازاد لسبب غير معروف لكن التراث الشعبى يقول إن السبب كان لتفادى قتلها بعد أن أصبحت زوجته وان

لم يتفق المؤرخون على ذلك. بل يروى أنها كانت تهدف لتسلية الملك وتثقيفه واطلاعه على أمور الرعية والملوك والسلاطين فى الممالك البعيدة مع كثير جدا من الخيال والتراث الشعبى والنكهة الدينية والأساطير والحكايا الموروثة.

الحكايات فارسية وهندية وعربية ومصرية وبغدادية وشامية ويبلغ عددها ٢٦٤ حكاية ويدعى البعض أنها فارسية الأصل ترجمت أو نقلت عن كتاب يسمى (الهزار أفسان) أى الألف خرافة ولكن لم يستدل المؤرخون على أصل لهذا الكتاب. بل إن المرجح بينهم أنها كتبت فى فترات مختلفة ومتباعدة. وأنها لم تكتب بيد مؤلف واحد بل توارد عليها عدد من المؤلفين فى أحقاب تاريخية متنوعة. فكان يضاف إليها فى كل فترة قصص جديدة إما من أصل هندى حيث كانت بلاد السند والهند تثير الكثير من الخيال!! وإما من قصص عربية تحكى أخبار العرب حيث يذكر فيها أسماء ملوك وسلاطين بالتحديد مثل هارون الرشيد. موطن الحكايات غامض وغير محدد فى كثير من الأحيان. تحيطها أجواء من السحر والسحرة والتى تطغى على كثير من الحكايات بحيث تطيح بالخيال إلى جموح شديد. كما تشمل أجواء الصخب والعربدة والجنس والمجون والطرب والأغانى والقصائد والشعر إلى حد كبير.

ويرى النقاد أنها تمزج بين الخيال والواقع بشكل يسقط الحد بينهما. فلا تعرف إن كانت الحكاية تاريخية أو أسطورية. كما أنها تجمع بين الأدب الرفيع بالقصائد والشعر والمأثورات الدينية العالية وبين الأدب الشعبى الساقط فى الحارات.

بعض المؤرخين يرى أنها ذات صبغة عربية بامتياز. وأنها ربما أعيدت صياغتها على المقاهى فى القاهرة الفاطمية حيث كانت الموالد والساحات بحيث أصبحت (مكونا أساسيا من الثقافة العربية والإسلامية). بل ويعتبرها بعض النقاد شكلا من أشكال الرواية المتكاملة. وأنها أولى الروايات العربية. بل يرى البعض أن رواية محمد حسين هيكل (زينب) ليست أول رواية عربية متكاملة بل حكايات ألف ليلة وليلة! وأنها هى التى مهدت لظهور الرواية سواء فى الشرق أم فى أوروبا.

كما أن حكايات الإيطالى «جيوفانى بوكاشيو» فى القرن الرابع عشر التى أحدثت ضجة فى الأوساط الأوروبية وكانت باسم (ديكاميرون) أو (الأيام العشرة)، قد اقتبست أو نقلت عن ألف ليلة وليلة. وكتاب الديكاميرون عبارة عن مائة حكاية رواها أهل بلاط قصر ملكى للتسلية حين اضطروا رجالا ونساء للانعزال لمدة عشرة أيام خوفا من الطاعون الذى حل بالمدينة. وفى الحكايات الكثير من الطرافة والمجون.

أول ترجمة لها كانت للفرنسية عن طريق المستشرق «أنطوان جالان» وصدرت فى ١٢ مجلدا بين عام ١٧٠٤ و١٧١٧ لكنه أجرى تغييرات كثيرة وتعديلات فى الأشخاص والأحداث، جعلت منها نسخة أوروبية، وعنه كانت كل الترجمات الأوروبية التى ظهرت آنذاك. كما ترجمها المستشرق

الإنجليزى «ريتشارد بيرتون» باسم (الليالى العربية) بين عامى ١٨٨٥ و١٨٨٨م. وتوالت عشرات الترجمات فيما بعد ولكل لغات العالم تقريبا وتأثر بها جميع الأدباء فى العالم بلا استثناء.

طبع كتاب ألف ليلة وليلة لأول مرة فى كالكوتا بالهند بجزءين فقط فى المطبعة الهندوستانية عام ١٨١٤ وعام ١٨١٨. وما زال الكتاب مادة للبحث العلمى والأكاديمى فى الشرق والغرب حتى اليوم. حيث تتم متابعة الملامح الثقافية والسياسية والاجتماعية فيها.

أحدث ترجمة ظهرت عام ٢٠٠٩ قام بها الانجليزى «مالكولم لاينيز» واستقبلها القراء بكثير من الحفاوة تعادل سحر الكتاب الذى لايزول أبدا.



المرسى أبو العباس

من مشاهير العارفين بالله. مقامه فى مدينة الإسكندرية المصرية من أهم وأجمل معالمها. هو «شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن على الأنصارى المرسى الشاذلى المالكى». ينتسب إلى الصحابى الجليل سعد بن عبادة الأنصارى، الذى كان سيد الخزرج فى عهد الرسول الكريم وصاحب سقيفة بنى ساعدة التى تمت فيها بيعة أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق رضى الله عنه. ولد المرسى أبو العباس عام ٦١٦ هجرية/ ١٢١٩م فى بلدة مرسية بتونس. تلقى العلوم التى كانت سائدة فى عصره وكان يتقن معظم اللغات التى كانت سائدة آنذاك كالفارسية والتركية والتقى بمعلمه ومرشده القطب أبو الحسن الشاذلى فتعلم التصوف على يديه وتزوج من ابنته وارتحل معه إلى مصر واستقرا فى الإسكندرية بحى كوم الدكة وأقام فيها لا يبرحها أكثر من ٣٦ سنة.

تولى المشيخة بعد وفاة الشاذلى فكان أول خليفة له وعمره ٤٠ عاما. أجاد علوم التفسير والفقه والأصول والأدب والمنطق والأدب العربى وأتقن دراسة علم النفس فاختلف بذلك عن بعض الشيوخ الآخرين مثل السيد أحمد البدوى الذى كان يرفض الفلسفة ولا يحب أن ينشغل بها تلاميذه باعتبارها مضيعة للوقت والفكر. تأثر بالثقافات والدراسات التى تلقاها على الشاذلى لكنه استطاع تكوين شخصية مميزة له فكانت له مذاقاته الخاصة. كان يقول: (إذا أتانا مريد لا نقول له اخرج عن دنياك وتعال إلينا ولكن ندعه حتى ترسخ فيه أنوار المعرفة. فيكون هو الخارج عن الدنيا إلينا).
وكان بذلك ينهج منهج الشاذلى الذى علمه بقوله: (يا أبا العباس اعرف الله وكن كما شئت)!
ومثل السيد البدوى لم يترك أبو العباس مؤلفات بل كان تلاميذه هم المرجع. تخرج على يديه أئمة كبار بينهم البوصيرى وياقوت العرش وابن عطاء الله السكندرى. شرح المرسى أبو العباس الرسالة

القشيرية الصوفية الشهيرة فأذهل العلماء بما جاء من جديد وكان يرافقه كبار أئمة وعلماء الفقه واللغة فى ذلك الوقت.

كان شديد الصبر وقيل إنه كان يعانى من أزمات أوجاع الكلى وهو يلقى محاضراته فلا يشكو. وحين طلب له أحدهم من الله العافية رد بأنه سأل الله العافية (وما أنا فيه هو عين العافية). كان له فى الصبر كلام فيقول: (الصبر هو صبر على الواجبات والفروض، وصبر على المحرمات الممنوعة وصبر على البلوى). وكان يقول عن الحكام إذا اشتدت حاجته إليهم (اللهم أغننا عن الحكام ولاتغننا بهم). كان يحب أن يظهر أمام الناس بأناقة لائقة من غير تكلف. وكان يستهجن لبس المرقع كما يفعل أحيانا بعض الدراويش، فكان يرى فيه (استعطافا من الناس، أنا فقير فأعينونى)!

كان عزيز النفس، نظيف الجسد واللبس، وكان وسيما، ويكثر من الطيب. كان حسن الهيئة مربوع القامة أبيض الوجه كث اللحية، كما وصفه معاصروه. عرف بتفسيراته الباطنة الكثيرة الدهشة والتى لا يقبلها كثيرون من الأصوليين. كان يقول (كان الانسان بعد أن لم يكن، وسيفنى بعد أن كان ومن كان كلا طرفيه عدم، فهو عدم)! كان إذا أهدى إليه شئ قليل تلقاه بالبشاشة وإذا أهدى أشياء ثمينة تلقاها بعزة وكبرياء. كان كثير الرجاء بالله، واسع الرحمة بعباد الله. كان ورعا وحليما ولم يكن يحب التشفى بأحد ولا الانتقام من أحد. من تخريجاته الجميلة: (جميع أسماء الله للتخلق إلا اسمه (الله) فهو للتعلق، فليكن ذكرك الله فإنه سلطان الأسماء).

كان يكره أن يرى تلاميذه عاطلين بحجة الزهد، فكان يأمرهم باتخاذ حرفة ويقول (ليجعل أحدكم حرفته سبحته، فان كان حرفة باليد فاللسان مع القلب يذكر ومن كانت مهنته بالعقل والفكر فالقلب وحده يذكر. توفى عن حوالى سبعين عاما فكانت وفاته عام ١٢٧٨م. ودفن فى مقابر الصالحين ووضعت علامة على قبره وبنى عند القبر مسجد صغير توسع حتى أصبح من أكبر مساجد الإسكندرية وأشهرها وأصبح مقامه مزارا.

الملكة اليزابث الأولى

ملكة انجلترا التى وضعت بنود المذهب الانجليكانى المعروفة باسم عقيدة الإيمان، وكانت أول امراة ترأس الكنيسة الإنجليزية بعد أن خرج والدها الملك «هنرى الثامن» عن طاعة الفاتيكان، والكرسى الرسولى، فى روما وان ظل محافظا على الإيمان بالكثلكة. فأصبح الملك رئيسا للكنيسة. سميت (الملكة العذراء) لأنها لم تتزوج، بل وهبت نفسها للملكية والوطن. ويقال إن سبب عدم زواجها كان عاهة جسدية لكن المؤرخين

يردون رفضها للزواج إلى تاريخ والديها المأساوى. ويروى عنها أنها قالت: (أفضل أن أتسول بلا زواج على أن أكون ملكة متزوجة).

هى ابنة الملك «هنرى الثامن» الذى أحدث انقلابا فى العرش البريطانى وعلاقته بالكنيسة حيث تزوج سبع مرات دون إذن الكنيسة فى روما والتى اعتبرت زيجاته غير شرعية، فانقلب عليها. ولدت «إليزابث» من زوجته الثانية «آن بولين» التى تزوجها دون طلاق زوجته الأولى، والذى رفضت الكنيسة فى روما الاعتراف به، فاعتبرت اليزابث ابنة غير شرعية فى نظر الكاثوليك فى البلاد. وكان الملك هنرى الثامن، ومن بعده اليزابث، يعدل ويغير القوانين والأنظمة والقرارات الملكية والمراسيم الصادرة عن البرلمان البريطانى العتيد. وهو ما لم يحدث من قبل.

لم تكن إليزابث موضع حفاوة من أبيها الملك الذى تزوج ثانية وتحدى الفاتيكان والكنيسة ليكون له وريث ذكر للعرش. وبالرغم من إهماله لها فإنها تلقت تعليما متميزا وأبدت منذ الصغر اهتماما بالبروتستانتية. ولدت عام ١٥٣٣م وكانت فى الثالثة من عمرها حين أعدمت أمها بالمقصلة بتلفيق تهمة الخيانة لها. ويقال: إن الملك هو الذى أمر بإعدامها ليتسنى له الزواج من جديد ففقدت اليزابث حقها فى العرش لكن وصية من الملك بحكم سيطرته على الكنيسة، ألزمت تولى أختها الكبرى غير الشقيقة «مارى» العرش، بعد أخيها غير الشقيق أيضا، ادوارد، الذى ولد من جين سيمور، إحدى زوجاته فيما بعد، على أن تتولى اليزابث بعد مارى وقد حدث. فقد كان كلاهما عليلى الصحة فماتا بعد فترة وجيزة.

سجنت إليزابث لمدة شهرين ثم لمدة سنة فى قلعة مع خدمها أثناء حكم أختها لاتهامها بالتورط بمؤامرة مع خال أخيها إدوارد للوصول للعرش. وحاول رجال البلاط إعدام إليزابث لكنهم لم يجدوا الدليل الكافى. تولت إليزابث العرش ١٥٥٨ وكان لها شعبية جارفة ومازالت بين أكثر الملوك الانجليز شعبية. بدأت الاستمتاع بحريتها الفعلية فقد كانت تحب كل أنواع الرياضات وتحب الموسيقى والرقص وركوب الخيل والصيد والتمثيل والفرجة على المسارح والتمثيليات.

لقبت (جلوريانا) مشتقة من المجد (جلورى). وشهد عصرها انتعاشا سياسيا ودينيا وعسكريا وثقافيا حتى تميز بكونه (العصر الإليزابثى)، كما شهد اضطرابات دينية بانقسام الشعب إلى مذاهب دينية. فقد اعتنقت هى البروتستانتية ورسخت للمذهب الأنجليكانى ووضعت بنوده وعددها ٣٩ بندا وأصبح الملك رسميا رئيسا للكنيسة! ومن المعتقد أنها كانت محافظة وكانت تحب الشموع والصلبان فى مقصورتها الملكية. لكن الكاثوليك الموالين للكنيسة الرومانية فى روما، ظلوا يناصبونها العداء حتى إن بعض رجال البلاط ادعوا شرعية تولى ابنة عمها مارى ملكة اسكوتلاندا الكاثوليكية عرش انجلترا وأحقيتها. وحين اضطرت «مارى» للهروب بعد وفاة زوجها ملك فرنسا فرنسيس، لجأت إلى انجلترا تحت حماية أختها إليزابث التى خافت من مطالبتها بالعرش فسجنتها، اما لحمايتها فعلا واما لإبعادها عن البلاط وطال حبسها عشرين عاما و اضطرت اليزابث بعدها إلى

إعدامها على مضض (كما تقول بعض المصادر التاريخية) تحت ضغوط فى البلاط. لكن مصادر أخرى تشير إلى شدة القسوة التى أعدمت بها بتهمة التآمر على العرش، فكان هذا وصمة عصر إليزابث الأولى. وقد ألهمت هذه الواقعة كثيرا من الأدباء الذين غالبا ما انحازوا إلى مارى ملكة اسكوتلاندا. ومنهم الشاعر شيللر الألمانى.

شهد عهد إليزابث فترة إلغاء الرضوخ الدبلوماسى للسيطرة الأجنبية. وأصبحت قوة بحرية لا تقاوم. فقد سحقت الأسطول الإسبانى القوى المعروف باسم (الأرمادا) عام ١٥٨٨م وكان ذلك تحولا فى التاريخ بعد أن خضعت البحار للسيطرة الاسبانية والبرتغالية فترة طويلة. وبذلك هزم الملك الاسبانى «فيليب الثانى» الذى كان يتقرب إلى الملكة إليزابث حتى قبل اعتلائها العرش بنية الزواج منها بعد أن علم بمرض الملكة مارى أختها وكان يمنى نفسه بالسيطرة الكاملة على عرش اسبانيا وانجلترا معا. ورفضت الزواج منه بعد أن أشيع عن علاقة بينهما لكن المقربين كانوا يعرفون أنه كان يريد إزاحتها والمطالبة بأحقيته فى العرش بعد إعدام الملكة مارى فأرسل أسطوله باتجاه انجلترا انتقاما منها.

كانت الملكة اليزابث الأولى تتكلم الفرنسية والإيطالية بطلاقة كما تكتب باليونانية واللاتينية. كانت داهية سياسية، وذكية، وجذابة، ومرحة، وراقصة من الطراز الأول. لكنها كانت من أكبر المتاجرين بالعبيد الأفارقة. كما كانت نموذجا صارخا للشخصية القوية والزعامة. انتعشت الحياة الأدبية والمسرحية والسياسية فى عهدها وقد مثل أمامها شكسبير فى بلاطها وكان ما يزال مغمورا، لم يكتب تراجيدياته الرائعة بعد. ظلت على العرش ٤٥ سنة حتى ماتت عام ١٦٠٣.

أم كلثوم



ظاهرة مدهشة فى الغناء العربى فى القرن العشرين من الألفية الثانية. هى «فاطمة إبراهيم البلتاجى» ولدت فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٨ فى قرية طماى الزهايرة بمركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية بمصر لأب كان يعمل مؤذنا فى مسجد القرية ومنشدا دينيا لكسب العيش. سميت بأم كلثوم تيمنا باسم ابنة النبى الكريم. دخلت الكتاب مع أخيها خالد بالرغم من الفاقة الشديدة فحفظت بعضا من القرآن الكريم وغنت لتساهم فى دخل الأسرة وهى فى العاشرة من عمرها القصائد والتواشيح وكانت ترتدى العقال العربى والعباءة كالغلمان حتى لا تعرف هويتها. انتقلت إلى القاهرة مع والدها عام ١٩٢١بعد أن أدت حفلة ناجحة فى قصر «عز الدين باشا يكن» وحصلت على خاتم ذهبى و٣ جنيهات كاملة

بتوصية من الشيخين الموسيقيين «زكريا أحمد» و«أبى العلا محمد» اللذين سمعاها أثناء زيارة رمضانية لهما فى السنبلاوين.

بدأت إحياء الحفلات الدينية فى القصور منذ عام ١٩٢٣ بحضور منيرة المهدية، سلطانة الطرب آنذاك. أول من لحن لها قصائد خاصة بها كان «أحمد صبرى النجيدى» لكن ألحانه لم تتفق وذوقها، فتبناها الموسيقار «محمد القصبجى» الذى رافقها حتى نهاية مشواره فى الحياة. فكون لها فرقتها الخاصة وأول تخت موسيقى لها بدلا من بطانة الشيوخ التقليدية وراءها بعد أن شنت عليها روزاليوسف وصاحبة المجلة المعروفة باسمها، هجوما صاعقا على عقالها العربى وملابسها الذكورية والتى خلعتها عام ١٩٢٥. تأثرت بشدة لموت مرشدها الفنى والروحى «أبى العلا محمد» لكنها تجاوزت حزنها بنجاح اسطوانة (مونولوج إن كنت أسامح) والتى حققت أعلى المبيعات فى زمانها فدوى اسم أم كلثوم وتوارت أسماء كانت ساطعة مثل منيرة المهدية وفتحية محمد.

نقطة التحول فى حياتها كانت مع تعرفها إلى الموسيقار الشاب «رياض السنباطى» عام ١٩٣٥ الذى لحن لها (على بلد المحبوب) فكانت بداية انطلاق حقيقية اكتملت مع الشاعر «أحمد رامى» الذى كان عائدا من باريس، فكانت الفترة الذهبية للثلاثى طبعت فترة الخمسينات من القرن العشرين. لحنت أم كلثوم لنفسها مرتين (على عينى الهجر) عام ١٩٢٨ و(ياريتنى كنت النسيم)عام ١٩٣٥ واعتزلت التلحين بعدها. أدت القصائد السياسية والدينية منذ عام ١٩٤٦ بـ (سلوا قلبى) ثم (ولد الهدى) و(نهج البردة) وأحدثت أزمة حين رفضت تغيير بيت أحمد شوقى (الاشتراكيون أنت إمامهم) وكانت الاشتراكية تكتسح آنذاك.

واجهت أزمة سياسية بعد قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ حين صدر قرار بإيقافها عن الغناء بسبب الأغانى التى تسمى (الفاروقيات) والتى غنتها للملك فاروق وبلغ عددها حوالى ١٥ أغنية. تدخل الرئيس جمال عبد الناصر لوقف القرار. فجاء امتنانها له بأغان وقصائد تظهر إعجابها الجارف به.

قدمت ستة أفلام سينمائية لم يلق النجاح المأمول إلا بعضها. هى (وداد) عام ١٩٣٥و(نشيد الأمل) عام ١٩٣٧و(دنانير) عام ١٩٣٩و(عايدة) عام ١٩٤٢ و(سلامة) عام ١٩٤٤ و(فاطمة) عام ١٩٤٨ اعتزلت التمثيل بعد إصابتها بمرض الغدة الدرقية التى أدت إلى جحوظ بسيط فى عينيها.تزوجت عام ١٩٥٤ من طبيبها «حسن الحفناوى» الذى كان يصغرها بـ (١٧) عاما وظلت معه حتى توفيت. فى زمن العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ غنت أقوى أناشيدها (والله زمان يا سلاحى) فكانت دفعة قوية للجيش والشعب فى مقاومة بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى الحرب على مصر بسبب تأميم قناة السويس.

شاركت فى مسلسل رابعة العدوية الإذاعى بأغانى الرباعيات والتى تضمنها الفيلم السينمائى بنفس الاسم فيما بعد. اعتادت إقامة حفلة فى أول خميس من كل شهر والتى تحولت إلى موعد يجمع كل العرب حيث كانت تنقل إذاعيا. توفيت يوم ٣ فبراير من عام ١٩٧٥ فنعتها الصحف العالمية الكبرى.

قدمت «أم كلثوم» القصيدة والمونولوج والدور والطقطوقة و٣ مواويل والنشيد ونصف موشح (يا بعيد الدار) لزكريا أحمد لكنها برعت فى القصيدة بشكل خاص. كانت مثقفة ثقافة سماعية، حاضرة

البديهة، صاحبة قفشة ونكتة، سريعة التعليق، كانت تحترم نفسها وتعتز بها وبكرامتها وتقدر كثيرا حريتها الفنية. عرفت بإحساسها الوطنى.

حياتها الخاصة كانت عالية الأسوار. بعض الباحثين يؤكدون أن «أم كلثوم» تزوجت من الصحفى «مصطفى أمين» وكان شابا صغيرا ولمدة ١١ سنة وأن وثيقة زواجهما العرفى ظلت فى حوزة الرئيس عبد الناصر بعد تفتيش مكتب مصطفى أمين. واشتهرت قصة حبها لخال الملك الذى رفضت الأسرة المالكة زواجه منها لكونها ليست من الطبقة الارستقراطية. يشاع أنها أيضا تزوجت من الموسيقار «محمود الشريف» عام ١٩٤٦ وكان جميل الطلعة. ويقال أيضا إنها بادلت الشاعر «أحمد رامى» الحب العنيف لكنها لم تتزوجه. وكان يلازمها طيلة مشوارها وهو الذى علمها كل شئ بدءا من قراءة الشعر وحتى آداب تناول الطعام.

تعرضت مؤخرا للانتقاد العنيف واتهمت بأن نجاحها سببه جيش الملحنين الفطاحل وراءها ومؤلفى الأغانى الذين كانوا ينتقون لها أجمل ما كتب. لكن الواقع هو أن أم كلثوم تعتبر فى رأى المتخصصين (حلقة فى سلسلة الإبداع العربى الموسيقى الكلاسيكى). اتهمت بالبخل وبالنزعة المسيطرة والقسوة مع الذين صاحبوها فى مشوارها مثل بيرم التونسى وزكريا أحمد. صدرت عنها آلاف المقالات ومئات الكتب ربما كان أهمها المجلد الموسوعى الضخم (أم كلثوم- السيرة الشخصية والفنية) فى ٣ أجزاء وأشرف عليه المؤرخ الموسيقى اللبنانى «إلياس سحاب».

أمريكو فيسبوتشى

مستكشف إيطالى وبحارة وجغرافى. اسمه (أميرجو فيسبوتشى) وباللاتينية «أميريكوس فيسبوشيوس». يقال إنه وصل إلى سواحل أمريكا قبل وصول كولومبوس إليها. وقد سميت القارة الأميركية نسبة إليه وكان العالم الجغرافى الألمانى «مارتين فالدسيمولر» هو الذى أطلق عام ١٥٠٤ اسم أمريكا (تأنيث أميركو) على ما ادعى أن «أميركو فيسبوشى» اكتشفه، كما سجل اسم أمريكا على أول خريطة رسمها بعد وصول «أميركو» إلى هناك. وقد نشر الخريطة بمساعدة «ماتياس رينجمان» وعرفت فى التاريخ باسم (خريطة الكون) أو (Universalis Cosmographya)، وكانت تكريما «لأمريكو فيسبوتشى».

وكان «فالدسيمولر» قد أصدر ملحقا للخريطة نشر عام ١٥٠٢. وقد أثار الملحق والتسمية الجدل حول أحقية «كريتسوفر كولومبوس» فى أن يطلق اسمه على القارة الجديدة واتهم «اميركو» بالاتفاق مع «فالدسيمولر» على إنكار إنجاز «كولومبوس» وظل المؤرخون فى حيرة

حتى أعيدت دراسة الوثائق فى القرن الثامن عشر وتبين أن الوثائق التى قدمها العالم الألمانى كانت مفبركة.

ولد «أمريكو فيسبوشى» فى فلورنسا وكانت إمارة مستقلة آنذاك. رحل إلى اسبانيا للعمل مندوبا لشركة «لورنزو دى ميديتشى» فى اشبيلية. قام برحلتين بحريتين إلى سواحل أمريكا الجنوبية، وفى عام ١٥٠٨ منح منصب رئيس الملاحين الإسبان، وهو منصب رفيع خاصة وأن اسبانيا والبرتغال كانتا تحت لواء واحد وكانت البرتغال تعد نفسها لتكون سيدة البحار آنذاك، فى صراع قوى مع الدولة العثمانية، التى كانت أساطيلها وملاحوها يجوبون البحار ويسيطرون على البحر المتوسط كله، كما كان العُمانيون المسلمون يسيطرون تقريبا على سواحل إفريقيا الشرقية.. فلم يعد يسمح لإسبانيا إلا بالمحيط.

كلفه الملك «فرديناند» بالقيام بالإبحار فى المحيط. ولا يعرف إلى اليوم كيف توصل لأن يحتل منصبا كبيرا لدى العائلة المالكة إلى جانب (خوان دى كوزا) عام ١٤٩٩. ويرجح أنه عهد إليه بالتجسس لصالح اسبانيا على سواحل أمريكا الجنوبية والبرتغال. فقد قام برحلته البحرية الثانية إلى البرازيل عام ١٥٠١ وادعى ملكية البرتغال لها. وعاد بعد عام ولم يلق المجد الذى كان ينتظره.

كتب خمس رسائل إلى أقاربه، يبين فيها عزمه على الإبحار إلى الهند. وقال إن الأرض التى اكتشفها «كولومبوس» ليست فى آسيا وإنها قارة جديدة وأرض جديدة (الرسالة نشرت فى عالم جديد عام ١٥٠٤) وأنه زارها من قبل. وكان قد قام برحلة بحرية ثالثة عام ١٥٠٣ رسم فيها سواحل القارة الأمريكية الشمالية والجنوبية مما جعل أحد الجغرافيين الفرنسيين يصدر كتابا لتكريمه ويطلق أيضا اسم «أمريكو» على الأرض التى رسم سواحلها. بينما أطلق فيما بعد «فالدسيمولر» الاسم رسميا.

فقد تكونت الدول فى القارة الجنوبية الامريكية واتخذت كل واحدة منها اسما وأطلق اسم كولومبوس على دولة (كولومبيا) للتأنيث!! بينما لم يبق للولايات الشمالية التى اتحدت تحت اسم (الولايات المتحدة) سوى اتخاذ الاسم الذى كان شائعا ومعترفا به وهو تأنيث أمريكو فكانت (أمريكا)!

وبالرغم من أنه لايعرف حتى اليوم على وجه الدقة من كان صاحب السبق فى اكتشاف أمريكا، لكن أمريكا فى النهاية خلدت اسم «أمريكو». وإن كان عدد من المؤرخين والعلماء يعتقدون أن العرب والمسلمين وصلوا إلى سواحل أمريكا قبل الاثنين معا وربما منذ أيام الأندلس. كما يعتقد المؤرخ الألمانى «فتزلر» أن (المسلمين قاموا برحلات بحرية متعددة قبل البرتغاليين) كما قال «جيفرى» عالم الأجناس الأمريكى عام ١٩٥٤ إن (العرب كانوا على صلة بالسواحل الأمريكية قبل كولومبوس) ويعتقد العالم الصينى «هوى لن لى» بأن (المسلمين قد حملوا الجوافة والأناناس إلى هناك والتى وجدت قبل مجيء كولومبوس إليها)!

توفى «أمريكو فيسبوتشى» عام ١٥١٢.

أمير خسرو

رائد الموسيقى الهندية الإسلامية ومبدع الأناشيد الدينية الصوفية فى مدح الرسول ومؤلف الملاحم الشعرية ومن كبار أدباء الهند. هو أبو الحسن خسرو ابن سيف الدين محمد. ولد فى دلهى وتذكر بعض المصادر أنه ولد فى «باتيالى» بالهند بولاية «اوتار- براديش» عام ٦٥١هجرية/ ١٢٥٣م. كان أبوه ضابطا تركيا من أسرة عسكرية تركية نبيلة، هرب من بطش المغول أيام اجتياح جنكيز خان، ولجأ إلى الهند ليكون فى خدمة السلطان «شمس الدين» لكنه مات عام ١٢٦٢ تاركا ابنه «أمير» فى رعاية جده لأمه وكان ثريا. تعلم «أمير خسرو» فى (الكتّاب) وأتقن الفارسية التى كانت منتشرة بالهند آنذاك أثناء حكم الغزنويين.

ومن هنا كانت أول مجموعة شعرية له عام ١٢٧٢ على نمط الشعر الفارسى. بعدها خدم كشاعر فى البلاط السلطانى الهندى وانخرط فى سلك الصوفية وهو شاب صغير.

شارك كجندى فى الحرب ضد المغول وأسر لكنه هرب. فى عام ١٢٨٨ أصدر أول ملحمة شعرية له واعتبرت المثنوى الأول (والمثنوى هو نظم شعرى معين اختص به الفرس والأتراك) وأكمل ديوانه الرائع (خمسة- النظامى) عام ١٢٩٨ وبعده (خزائن الفتوح).

اعتبر «أمير خسرو» أسطورة الموسيقى الهندية، حيث طور غناء ما يسمى هناك (القوالين) أو المنشدين. وطور الموسيقى الهندية الصوفية متأثرا بالموسيقى الفارسية والتركية فأحدث مزيجا متكاملا عرف به، كما طور عددا من الآلات الموسيقية مثل «السيتار» أو «الكيتار» وهى أشبه بالكمان. كتب القصائد التى مازال ينشدها تلاميذ المدارس فى الهند.

كان كاتبا وأديبا غزير الإنتاج، متدفق العبارة أعاد صياغة بعض الروايات الشعرية الفارسية الكلاسيكية مثل (خسرو وشيرين) و(مجنون ليلى) وعرف بـ(كنارى الهند) لجمال صوته وعذوبته. كان يعرف الفارسية والعربية والتركية والسنسكريتية (الهندية). توفى عام ٥٢٥ هجرية/ ١٣٢٥م عن ٧٢ عاما. له مزار فى دلهى، وعرف بقوله: (أنا أصبحت أنت وأنت أصبحت أنا)!

أمين الريحانى



من أهم المفكرين فى العالم العربى الذين أحدثوا تغييرا فى المفاهيم السياسية والاجتماعية فى العصور الحديثة حين نادى بالتحررالفكرى. هو «أمين فارس أنطون يوسف بن المطران باسيل البجانى»، ولد فى ٢٣ تشرين ثانى

(نوفمبر) ١٨٧٦ فى بلدة الفريكة قضاء المتن فى جبل لبنان، لأب تاجر حرير معروف بحفاظه على التقاليد العربية ولأم متدينة وقيل لقب بالريحانى لكثرة شجر الريحان المحيط بمنزله. أرسله أبوه مع عمه إلى أمريكا وعمره ١٢ سنة فتعلم اللغة ثم عمل بالمحاسبة فى متجر عمه ولم يتوقف عن قراءة أهم الكتاب مثل شكسبير وهوجو والتحق بعدها بفرقة تمثيل طاف معها البلاد بضعة شهور. التحق بعدها بمعهد الحقوق فى نيويورك وعاد بعد عام مريضا إلى لبنان فتعلم العربية. بدأ كتاباته بجريدة (الإصلاح) بالتهجم على الدولة العثمانية. عاد عام ١٨٩٩ إلى أمريكا وبدأ إصدار أول كتبه وأهمها (نبذة عن الثورة الفرنسية) التى كونت رأيه فى السياسات الأوروبية وعشقه للغرب وتطوره والذى استمر معه طيلة حياته. ترجم (لزوم ما لا يلزم) لأبى العلاء المعرى فاشتهر فى الصحف البريطانية باعتباره أول من قدم هذا النوع من الأدب العربى.

زار مصر فى طريق عودته إلى لبنان والتقى بالخديوى «عباس حلمى» وبكبار الكتاب والزعماء السياسيين فى مصر. بينما تحول مقره فى لبنان إلى ملتقى أدبى وفكرى صاخب بالأفكار والاختلافات السياسية لعدد من كبار المفكرين الشوام أمثال «محمد كرد على» المؤرخ السورى والأخطل الصغير، الشاعر اللبنانى. اهتم الريحانى كثيرا بالتحرر الفكرى والذى تجسد له باتباع الغرب فيما وصل إليه من معرفة وعلم، بعيدا عن قيود التقاليد والتراث. هاجم الجهل بكل أشكاله وهاجم العنصرية والتخلف التعليمى والفكرى والدينى. كتب كثيرا. عرف بمحاضراته فى الجامعة الأمريكية فى بيروت بلبنان وفى المعاهد السورية وبمقالاته على صفحات الصحف والمجلات الصادرة بالعربية والإنجليزية!

يلخص نظريته الكونية بقوله (أوصيكم بتعهد كل نور جديد وفى كل دين من أديان العالم نور يشع إلى حين... إن أنوار العالم القديمة على وشك الانطفاء فتيقظوا وراقبوا المصابيح الجديدة. إنى من الموحدين وإن فى مرآة توحيدى تنعكس وجوه الرسل والأنبياء أجمعين، كونفوشيوس وزرادشت وسقراط وموسى ويسوع ومحمد وبهاء الله ومارى بيكر أدى، وما بينهم وغيرهم كثيرون...).

هوجم كثيرا بسبب هذه الفلسفة التى يعتبرها البعض إلحادا وخللا فى عقيدته الدينية. فى عام ١٩٠٣ تسبب مقال له حول (المحالفة الثلاثية) بجريدة الهدى فى نيويورك باتهامه بالخيانة الوطنية وانقسم المثقفون اللبنانيون من أبناء المهجر إلى فريقين. مارس النشاط السياسى ضد الحكومة العثمانية انتقل إلى أمريكا عام ١٩١١وشارك فى مؤتمر بواشنطن للحد من التسلح عام ١٩١٨ وطبع كتابه(كتاب خالد) واشتهر. أسس مع «جبران خليل جبران» و«ميخائيل نعيمة» وعدد من أعضاء (الرابطة القلمية) هناك حزبا سياسيا باسم (لجنة تحرير سوريا وجبل لبنان) فاتهم بالعمالة لأمريكا دون سبب مقنع.

قام برحلته الشهيرة للحجاز وقابل شريف مكة «الحسين بن على» والتقى ببعض الزعماء وعلى رأسهم سلطان نجد آنذاك «عبد العزيز آل سعود» وشيخ الكويت «أحمد الجابر آل الصباح» والملك

«فيصل الأول» ملك العراق وكتب بعدها عددا من أهم كتبه فى الرحلات والتاريخ والسياسة بالعربية والانجليزية. عرف عنه التصدى للاستعمار الفرنسى بالذات فى سوريا ولبنان ونفى إلى العراق فتوسط له كبار الشخصيات فى المهجر. اختير عام ١٩١١ عضوا مراسلا للمجمع العربى بدمشق، وعضوا فى جمعية الشعراء الأمريكيين وفى منتدى الصحافة فى نيويورك. ألقى بين عامى ١٩٢٧-١٩٣٩ محاضرات فى أمريكا حول مخاطر الصهيونية قبل قيام دولة اسرائيل. توفى فى بيروت عام ١٩٤٠ متأثرا بجراحه بعد سقوطه من على دراجته التى اعتاد ركوبها حول بلدته الفريكة. وأقيم له نصب فى الجامعة اللبنانية. ترك عددا كبيرا من المؤلفات بالعربية والإنجليزية فى السياسة والفكر الإنسانى والتاريخ والفنون.

أندريس خوان

راهب إسبانى، مؤرخ ودارس للأدب العالمى. أول من أشار إلى تأثير العرب والمسلمين فى أسبانيا وأوروبا. ولد فى فالنسيا فى إسبانيا عام ١٧٤٠ وعاش فى مجتمع يدين بمذهب الجزويت اليسوعيين. وحين طرد أتباع المذهب الجزويتى (اليسوعيين) مع من طرد من اسبانيا الكاثوليكية بعد سقوط الاندلس، ذهب إلى (فيرارا) بايطاليا عام ١٧٦٧. وقام بتدريس الفلسفة فيها.

غادر (فيرارا) ليجول فى أوروبا بعد ما لاقاه من اضطهاد لمذهبه ليجمع مادة لأبحاثه فى الأدب العالمى، والتى كتبها باللغة الإيطالية بين عامى ١٧٨٢ إلى عام ١٧٩٩ ولا يقتصر الكتاب على الأدب بالمعنى المتعارف عليه وإنما اشتمل على كل ما يوجد من كتب مقدسة وكتب دينية ولاهوت وفلسفة وعلوم.

وكان الملك كارلوس الثالث بين الذين اهتموا بالدراسات العربية بالرغم من محاولات طمسها. فاقتطع من أموال الدولة لتوسيع الأقسام العربية وفهرسة مخطوطاتها فاستقدم بعض الرهبان السوريين واللبنانيين من الموارنة لدراسة المخطوطات العربية التى وجدت محفوظة بعيدا عن الحريق الذى طال مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات العربية بعد سقوط الاندلس كلها وطرد العرب.

وقد اطلع «خوان اندريس» عليها فألف كتابا جامعا فى ثمانية مجلدات حول نشأة الآداب الأوروبية وتطورها عام ١٧٩٩م. وقال فيه (إن كل ما يوجد من حضارة فى أوروبا يدين للعرب، وللمسلمين وأن الفضل فى قيام الدراسات الطبية فى أوروبا يرجع إلى ما كتبه العرب، وأن قيام التأليف العلمى فى أوربا فى الطب والرياضيات والعلوم الطبيعية مرجعه إلى العرب).

وذهب إلى أن («روجر باكون» استقى مادة كتابه عن العدسات من الكتاب السابع من «أوبتيكا» للحسن بن الهيثم، وأن «فيتاليون» اختصر النظريات التى أودعها ذلك العالم المسلم فى الكتاب نفسه وشرحها، وأن «الإيطالى ليوناردو بيسانو» أخذ علم الجبر من مؤلفات العرب. ونقل عنهم الأرقام العربية وأدخلها إلى أوروبا، وعلمها لأهلها، وأن «جيلبرتو» درس علم الحساب العربى فى إسبانيا الإسلامية وأدخله إلى المدارس الأوربية، وأن «رونالدو دى فيلانوفا» تلقى تعليمه كله فى إسبانيا الإسلامية على أيدى العرب وعن كتبهم ومدارسهم أخذ المعارف النافعة فى الطب والكيمياء التى نشرها فى أوروبا).

قال عنه النقاد إن الكتاب الضخم دراسة قيمة تحوى القديم والمعاصر من الأدب بنصوصه الكاملة. بينما يعتبره البعض غير دقيق وغير واقعى. بل وصل النقد إلى حد اتهامه بانحيازه الشديد للعرب والمبالغة فى تأثيرهم على الثقافة الغربية الأوروبية والشعر على وجه الأخص! فقد أكد على أن الشعر الإسبانى نشأ لأول مرة تقليدا للشعر العربى. وأنه انتقل عبر اقليم بروفانس. وأن الحكايات كلها ترجع إلى أصول عربية.

وهو أيضا مؤلف كتاب عن جاليليو وأفكاره الفلسفية المنظمة.

عاد إلى جماعته الجزويت بعد تأسيس كنيستها فى مملكة نابولى. وكان عمره ٦٤ سنة. لكنه ترك كتابا شديد الأهمية وضع فيه رؤيته للإسلام وللمسلمين، فكان بداية ترسيخ هذا التصور الذى يعترف بأثر الثقافة العربية فى إسبانيا والغرب.

توفى فى روما عام ١٨١٧م.

لورنس أوليفييه

أحد أعظم الممثلين فى القرن العشرين وأول مخرج نجح فى تحويل مسرحيات شكسبير إلى أفلام سينمائية. هو «لورنس كير أوليفييه». ملك المسرح الإنجليزى. ولد عام ١٩٠٧ فى ولاية سورى بانجلترا ونشأ فى أسرة صارمة التقاليد وشديدة التدين وكان والده قسيسا. وقد ربته أمه التى ماتت عنه وعمره ١٢ سنة فبكاها كثيرا. وكان عمه برتبة بارون ويشغل منصب حاكم جامايكا وعين وزيرا فى الهند حين كانت محتلة من بريطانيا..

بالرغم من أن والد لورنس أوليفييه كان شديد التدين لكنه هو الذى شجعه على تمثيل أول أدواره فى الكنيسة فى عام ١٩٢٤.

حين ذهب أخوه إلى الهند، قرر والده أن يحترف ابنه «لورنس» التمثيل وكان اسمه لدى أفراد العائلة (كيم)! فالتحق بالمدرسة الرئيسة لفن التمثيل وعمره ١٧ سنة. وانضم إلى شركة (بيرمينجهام ريبورتارى) عام ١٩٢٦ فأسندت إليه فى البداية أدوارا ثانوية على المسرح ثم دور هاملت. وكان يعرف أنه يؤدى أدواره بشكل تغلب عليه الصنعة.

وبسبب طغيان الإحساس الدينى عليه فشل فى زواجه الأول لكنه قرر مواجهة الحياة بعيدا عن صرامة ما تعلمه من أبيه، فعاد إلى زوجته وأنجب منها ابنه الأول. وامتد هذا إلى تمثيله. فقد كان يرفض فى داخله أسلوب الممثل العظيم آنذاك «جون جيلجود»، لكن ما يحيره هو هذا الكم من المديح والثناء عليه من قبل الجمهور والنقاد، ووضح هذا جليا حين قدم مندوب عن شركة بومونت وأصر على أن يتبادل معه الأدوار التى تنتجها الشركة. وبالرغم من سخاء العرض فقد رفضه «أوليفييه».

وظل يحاول إقناع النقاد والجمهور بأسلوبه الذى كانوا يرفضونه لمزجه أحيانا بين عدة شخصيات حتى كان دوره فى (هنرى الخامس) وفى(الليلة الثانية عشرة) حين سجل أولى انتصاراته الصارخة فى عالم التمثيل بحيث أصبح حديث الوسط الفنى كله.

أول لقاء له مع النجمة ذائعة الصيت آنذاك والتى أصبحت زوجته الثانية فيما بعد «فيفيان لى» كان عام ١٩٣٧ فى فيلم (حريق فوق انجلترا). ثم فى مسرحية (هاملت) حين لعبت دور «اوفيليا». وتألق هو فى فيلم (مرتفعات ويذرنج) بالرغم من أنه اختلف كثيرا مع المنتج «صموئيل جولدواين» بسبب عدم اقتناعه فى جدوى تصويره كفيلم سينمائى وبسبب اعتراضه على الممثلة الأولى فيه «ميرل اوبيرون» وكاد المنتج أن يلغى تعاقده معه، لولا أن أوليفييه تراجع، ونجح الفيلم بامتياز وفاز هو (بالجائزة الاكاديمية) كأحسن ممثل، كما برعت «فيفيان لى» فى فيلم (ذهب مع الريح) ونالت نفس الجائزة وأحسا أن مصيرهما مشترك وحين حصلت على الطلاق من زوجها تزوجا عام ١٩٤٠ لكن زواجهما كان كارثة.

فى هوليوود بالولايات المتحدة الامريكية، مثّلا فيلم (ريبيكا) و(حب وكبرياء) عام ١٩٤٠. لكنهما فشلا تماما فى عرض (روميو وجولييت) لشكسبير على مسرح مدينة نيويورك بالرغم من الانتاج الضخم المبهر. فالممثلون الصغار الأمريكيون لم يستطيعوا التجاوب مع العملاقين المسرحيين الانجليزيين! وخسر «أوليفييه» و«لى» مدخراتهما فى هذه المسرحية.

عاد إلى انجلترا مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، واكتشفت «فيفيان لى» إصابتها بالسل عام ١٩٤٤ وعلى رغم ذلك مثلت بعد شفائها فيلم (قيصر وكليوباترا) عام ١٩٤٥ لشكسبير.

أراد المشاركة فى الحرب فالتحق بالسلاح الجوى وتلقى تدريبات على الطيران، وظل فى الخدمة عامين ووصل إلى رتبة ملازم. وبعد انتهاء الحرب حصل على لقب الفارس عام ١٩٤٧ وأدى عروضا مع «فيفيان لى» فى نيوزيلاندا لكن نجاحهما الساحق كان فى استراليا، إلا أن الرحلة كانت أيضا كارثية حين عاودت «لى» نوباتها العصبية. وصفعا بعضهما البعض حين رفضت مرة الظهور على المسرح وتكررت المأساة أمام الصحفيين وصرح بأنه (فى استراليا خسر فيفيا لى).

لكنهما عادا للتمثيل معا فى مسرحية تنيسى ويليامز (عربة اسمها اللذة) وفى (انتيجون) وتم الطلاق عام ١٩٦٠ وتزوج من الممثلة «جوان بلورايت» وأنجب منها ثلاثة أطفال. وفى عام ١٩٦٦ مثل «أوليفييه» دور المهدى (محمد المهدى الذى كان له تاريخ فى السودان وما حولها) وكان معه «شارلتون هستون» فى دور الحاكم العام البريطانى «جوردون» وصور الفيلم فى الخرطوم، ويحكى عن محاصرة الخرطوم واستسلامها.

لعب أدوارا متنوعة على خشبة المسرح وعلى شاشة السينما بين التراجيديا الإغريقية والشكسبيرية والكوميديا والدراما الأمريكية والبريطانية واعتبر دوره فى عطيل قمة فى الأداء المسرحى كما قيل إنه بأدائه المتميز (من أفضل المفسرين لمسرح شكسبير) وتألق فى دوره للطبيب النازى السادى فى فيلم (رجل الماراثون) ومثل دور ابن الواعظ فى (الكنيسة العليا) وكان أول مدير (فنان) للمسرح القومى البريطانى. وقد أطلق اسمه على أحد أكبر قاعاته.

رشح ١٤ مرة للأوسكار كما حصل ٥ مرات على جائزة ايمى وثلاث مرات على جائزة (جولدن جلوب) ونال لقب (سير) عام ١٩٤٧ ولقب (لورد) عام ١٩٧٠ وكان يحب مناداته به.

بلغ عدد أدواره المسرحية حوالى ١٢٠ دورا مختلفا بشخصيات متباينة برع فيها كلها. كان منها دور «ريتشارد الثالث» و«ماكبث» و«روميو» و«هاملت» و«عطيل». كما برع فى أدواره السينمائية فى دور «هثكليف» فى رواية «اميلى برونتى» (مرتفعات ويذرنج) وفى رائعة الفريد هيتشكوك(ريبيكا) ودور «اسبارتاكوس» فى الفيلم الذى يحمل الاسم. كما مثل للتليفزيون (تاجر البندقية) و(قطة فوق سطح ساخن) و(الملك لير).

وبالرغم من مرضه بسرطان البروستاتا فى الأعوام الأخيرة وبأمراض أخرى بينها ضمور العضلات، فقد ظل يمثل حتى آخر حياته التى انتهت عام ١٩٨٩ وكان آخر عروضه وعمره ٨١ سنة دور جندى من معوقى الحرب على كرسى متحرك.

فى عام ١٩٩٩ أطلق معهد الفيلم الامريكى على سير لورانس اولفييه لقب (أعظم ممثل لكل العصور).

الأب شارل ميشيل إيبيه

أول من أسس معهدا للصم والبكم واعتمدت فيه لغة الإشارة التى ابتكرها فى القرن الثامن عشر والتى مازالت مستخدمة حتى اليوم. ولد فى باريس عام ١٧١٢ لأسرة غنية وكان ابن مهندس القصر الملكى فى فرساى. تدرب ليصبح قسيسا لكن رفضت رسامته فهجر مذهب الجانيسينزم الذى كان حركة دينية شعبية آنذاك. رسم

راهبا أثناء دراسته للقانون الذى توجه إليه فيما بعد. عمل لخدمة الفقراء والإنسانية وتصادف أنه عثر مرة فى إحدى العشوائيات حول باريس على فتاتين صغيرتين من الصم تتكلمان بلغة الإشارة. فصمم أن يهب نفسه لتطوير هذه اللغة وإيجاد أبجدية للغة التى ابتكرها قبله «القسيس بيريرا» الفرنسى أيضا والذى استعرض ما توصل إليه فى لغة الصم والبكم عن طريق حركات اليدين. وبالرغم من أن «إيبيه» ينكر أنه تعرف إلى لغة بيريرا، فإن الثابت أنه طورها بشكل أصبحت تنسب إليه. ونجح بل وتقدم كثيرا فى مجاله. ويرجع المؤرخون كل النظام المتبع الآن فى تعليم الصم إليه وإلى عبقريته وإصراره.

اعتنق «إيبيه» الفكرة من منطلق واجبه الدينى حيث أراد أن يكون لهؤلاء الصم والبكم مجال لممارسة الطقوس الكنسية خاصة (التناول) وبذلك يتجنبون (الجحيم) فى الآخرة. فى عام ١٧٥٥ أسس «إيبيه» أول ملجأ فى العالم لتعليم الصم، بما يمكنهم من الخروج إلى الحياة والتعامل مع الناس. استغرق حياته فى تدريب الصم والبكم على الكلام بلغة الإشارة والدفاع عن أنفسهم أمام المحاكم لأول مرة. وانتشرت طريقته فى باقى أوروبا. فى عام ١٧٧٦ نشر طريقته فى تعليم الصم والبكم والتى اكتملت عام ١٧٨٤ على شكل دراسة علمية نشرت فى كتابه الذى مازال متداولا حتى اليوم باسم (الأسلوب الصحيح لتعليم الصم). توفى فى ديسمبر عام ١٧٨٩، وفى عام ١٨٣٨ أقيم له تمثال برونزى فوق قبره فى كنيسة سانت روش. فى عام ١٧٩١ تبنت الجمعية الوطنية الفرنسية المدرسة التى بناها وتحولت إلى (معهد للصم والبكم).

روبرت بادل باول

رائد ومؤسس الحركة الكشفية فى العالم. يعرفه الصغار قبل الكبار. خلط العمل العسكرى بالعمل المدنى فحقق حلم آلاف الصبية الصغار فى العمل كجنود. بنى المعسكرات الكشفية المقاربة لمعسكرات الجيش و بالأزياء العسكرية. وانتقلت الحركة من انجلترا ودول الكومونولث البريطانى إلى سائر أنحاء العالم.

ولد «روبرت ستيفنس بادن- باول» فى لندن عام ١٨٥٧م وكان سادس طفل بين عشرة أطفال لأب كان يعمل أستاذا فى جامعة أكسفورد وتوفى وعمر روبرت ثلاثة أعوام فقط. ولم يكن لدى الأسرة ما يكفى فتولت أمه تعليمه ثم التحق بمدرسة مهنية، كان لها الفضل فى تعلمه مهارات عديدة كان بينها عزف البيانو والتمثيل، لكنه أتقن دور المهرج. ونما حبه للكشافة والمغامرة فى الغابات. فكان يقضى أوقاته يطارد الأرانب البرية. كان يقوم بمغامرات مع إخوته خاصة بمراكب حول

سواحل انجلترا. لم يكن تلميذا مجتهدا فكان ينام فى معظم الحصص لكنه نجح بتفوق فى اختبارات الفروسية للجيش وكتب لنفسه فيه مجدا عسكريا لمدة ٣٠ سنة.

خدم فى الهند وأفغانستان وجنوب إفريقيا وفى مالطا كما قاد حملات ناجحة بالمفهوم الاستعمارى فى إفريقيا واعتبر مثلا لكل صبى فى البلاد تمنى أن يصبح جنديا فحقق له حلمه بإنشاء معسكرات كشفية تمارس فيها المغامرات والاستكشافات بالمشى والالتزام العسكرى والنوم فى الخيام. عاد إلى بلاده عام ١٩٠٣ وطلب منه الملك إدوارد السابع التفرغ للكشافة.

كانت البداية معسكرا فى جزيرة حيث جمع ٢٢ صبيا من المدارس العامة ومن الورش الصناعية.

نشر أول كتاب له عن الكشافة عام ١٨٩٩ وترك ٣٢ كتابا عنها. أسس أول حركة كشفية رسمية للفتيان عام ١٩٠٨ وللبنات عام ١٩١٠. وتأسست أول مدرسة كشفية دولية عام ١٩٢٠. كان صيادا فى الغابات وفى المياه. وكان رساما متميزا. حصل على عدة أوسمة من جهات دولية. توفى وعمره ٨٣ سنة فى كينيا وكتب على قبره (هنا يرقد روبرت بادن- باول، رئيس الكشافة فى العالم).



بارا ميسوارا

أول من أنشأ سلطنة فى الملايو فى الشرق الأقصى فى آسيا، وجعل من مملكة مالاقا دولة عظيمة ونموذجا إسلاميا فى الحكم. عرف فى التاريخ باسم «مجات اسكندر شاه» بعد اعتناقه الإسلام! ولد «بارا ميسوارا» عام ١٣٤٤م هندوسيا، وكان الحفيد الرابع لأول ملك لمملكة «ماجاباهيت» القوية. ويعتقد بعض المؤرخين أنه من أحفاد الإسكندر المقدونى. هرب حين غزا السياميون (تايلاند اليوم) بلاده خشية إعدامه، فأبحر إلى «تيماسيك» (سنغافورة اليوم) وقتل مندوب سيام هناك، ونصب نفسه حاكما لكنه أجبر بعد خمس سنوات على الرحيل بعد أن هدده السياميون. فاتجه شمالا عام ١٤٠٢م حتى وصل إلى ما يعرف اليوم بمدينة «مالاقا» التى كانت آنذاك مجرد قرية للصيادين! كان للقائه بأحد ملوك الصين من أسرة «مينج» القوية أثر كبير فى تحول مملكته إلى سلطنة واسعة.

زاره الملك الصينى ومعه زوجته وأتباعه وهو يحمل من الهدايا ما عجزت كتب التاريخ عن وصفه، وقدم له إحدى بناته زوجة له، التى وصلت إلى مالاقا مع حوالى ٥٠٠ من الوصيفات الجميلات والأتباع، فكان أن أهداهم السلطان (هضبة) تحولت مع الوقت إلى (هضبة الصينيين).

اعتنق «باراميسوارا» الإسلام وهو فى السبعين من عمره عام ١٤١٤م بعد زواجه من ابنة الملك الصالح الذى كان يسمى قبل إسلامه: (ميره سيلو) وهو أول ملك أسس دولة إسلامية هناك باسم (مملكة

برلاق). اتخذ «باراميسوارا» اسم (السلطان اسكندر) كما اتخذ لقب (الشاه) الفارسى. وأصبحت دولتـه من أهم الممالك فى الشـرق الأقصى بعد الاتفاق مع الصين على فتـح طريق الحرير والذهب، حتـى إن كاتبـا برتغاليا كتب آنذاك: (إن ملك مالاقا كان يضع يده على رقبة فينيسـيا). وكان ذلك هو السبب فى اعتناق عدد من ملوك الممالك المجاورة للإسلام مما أدى إلى انتشاره بسرعة هناك دون إراقة دماء أو حروب! توفى «باراميسوارا» عام ١٤٢٤!!!



فريدريك أوجست بارتولدى

نحات فرنسى ومصمم تمثال الحرية الشهيرفى نيويورك الأمريكية. وبالرغم من تعدد أعماله القيمة فإن تمثال الحرية يظل أشهرها. وقد أهداه الفرنسيون للأمريكيين بعد انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية.

ولد فى كولمار عام ١٨٣٤ بفرنسـا وانتقل إلى باريس لدراسـة هندسة المعمار والرسم. ولا يعرف الكثير عن حياته الخاصة، سـوى أنه شـهد احتلال الألمان لمدينته ومسـقط رأسه. وقد أثر هذا فيه كثـيرا. وحين قررت (الجمعية الفرنسـية الأمريكية) تهنئة الشـعب الأمريكى فـى العيد المئوى لاستقلال أمريكا فى يوليو من عام ١٨٧، اختير «بارتولدى» لتصميم ما يليق بهذه المناسبة.

ويروى أنه اسـتعاد فى ذهنه صورة لفتاة فرنسـية كانت تهتف ضـد الأمير «لويس بونابرت» ورآها وهى تمسك شعلة مضيئة بيدها اليمنى وترفعها وهى تصرخ بالثوار إلى الأمام يا رفاق. فاكتمل التصميم فى ذهنه بهذه الصورة البعيدة.

وقبـل أن يبدأ المهمة توجه إلى ميناء نيويورك ليحدد بنفسـه أين سيوضع التمثال ومسـاحته وحجمـه وارتفاعـه. ووجد فى جزيرة بدلاو أمام (مانهاتن) المكان الأنسب بحيث يمكن للزائر أن يرى التمثال من على بعد وهو يستقبله واعدا بالحرية والأمان!

وقد أشـيع فى كل فرنسـا أن وجه التمثال كان وجه أمه التى يقال إنهـا كانت رومانية. بينما يمثل جسـم التمثال، جسم حبيبته «جان- ايميلى باهو دى بوسيو» التى تزوجها فيما بعد. ويقال إنـه أيضا تعمد ألا يبدو التمثال عملاقا (مخيفا)، بل مرتفعا بما يؤدى المعنى، فكان ارتفاعه يعادل ٤٨ مترا فقط. وهو وإن كان يبدو صغير الحجم عن بعد فإنه ضخم بما يكفى أن تتسـع رأسـه وحدها إلى ٣٥ شخصا.

البنية الداخلية للتمثال الشـهير لم يصنعها «بارتولدى» بل صممها «جوسـتاف إيفل»، مصمم برج إيفل الشـهير فى باريس. وتعتبر إنجازا عبقريا. استغرق صنع التمثال حوالى ١٥ عاما. ووصل

إلى نيويورك عبارة عن أجزاء فى ٢١٠ صندوقا على مدى عامين وبدأ تركيبه فى يوليو من عام ١٨٨٦ وافتتح فى نفس العام فى أكتوبر. ويقال إن «بارتولدى» نفسـه كان موجودا داخل رأس التمثال وهو الذى أزاح الستار عنه بطريقة خاصة.

أما أبيات الشـعر التى حفرت على قاعدة التمثال فهى للشاعرة الامريكية «إيما لازاروس» وهى يهودية من أكبرالعائلات اليهودية الأمريكية وكانت شـديدة التعصب للصهيونية وجاءت كلماتها (تعالـوا إلى يـا جميع المتعبين) نداء مسـيحيا، لكنها كانـت تقصد به اليهـود المتعبين فى أنحاء الأرض ليأتوا إلى أمريكا التى كانت معدة فى وقت ما لتكون وطنا وعالما جديدا لهم أيضا وقد سجلت كلماتهـا عليه بعد ١٥ سـنة من وفاتها وكانت قصيدتها (التمثـال الضخم الجديد) لتجمع تبرعات فى أوروبا.

سـاهم الفرنسيون بمبالغ كبيرة لبناء التمثال استكمالا للهدية التى تعبر عن الحرية التى نادوا بها فى ثورتهم. وقد بيعت نماذج صغيرة للتمثال لاستكمال بنائه بإيراداتها.

من أعمال «بارتولدى» الرائعة: (أسد بلفور) فى بلفور بفرنسا وهو عبارة عن كتلة واحدة على سفح جبل، ترمز إلى نضال ومقاومة الفرنسيين فى حربهم ضد بروسيا الألمانية والتى خسروا بعدها منطقـة الألزاس واللورين. وكان هو نفسـه جنديا فـى هذه الحرب وكان معجبـا بالزعيم الإيطالى «غاريبالدى» الذى نادى بوحدة إيطاليا.

كما صمم «بارتولدى» (حديقة النباتات) فى (واشنطن دى سى)، وتمثال (ماركيز دى لافاييت) فى مدينة نيويورك، وهو قائد فرنسى حارب من أجل استقلال أمريكا.

توفى «فريدريك أوجست بارتولدى» بالسل عام ١٩٠٤.



هاينريش بارث

من أهم واضعى علم الجغرافيا البشـرية. رحالة ألمانى من القرن التاسع عشر ومن أهم مستكشـفى إفريقيا ودارسـى شـعوبها ولغاتها وعشـاقها بخاصة «تيمبوكتـو» فى مـالى اليوم. ارتحـل إلى الصحارى الإفريقيـة وحيدا بدون معاونـين أوروبيين كما جرت العادة. ولـد فى هامبورج عام ١٨٢١ درس فى جامعة برلين وتخرج عام ١٨٤٤. أبدى اهتماما مبكرا بالآثار واللغات وتعلم العربية وهو تلميذ. قام برحلة حول البحر المتوسـط عام ١٨٥٠ منطلقا من طنجة بالمغرب وعبر شمال إفريقيا إلى مصر واخترق النيل وعبر إلى وادى حلفا وتعرض لقطاع الطرق وحيدا.



عبر سيناء ووصل فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى واليونان. عاد إلى برلين عام ١٨٤٧ وأصدر كتابا عام ١٨٤٩. اختارته الحكومة البريطانية عام ١٨٥٠ مع المستكشف «ريتشاردسون» وعالم الجغرافيا «أوفريج» لإقامة علاقات تجارية مع دول وسط وغرب السودان. توفى رفيقاه وبقى وحده (أشعر أن قدرتى قد تضاعفت) استمرت الرحلة ٥ سنوات. طرق طريق القوافل الأسطورى (ينبوع الظلام) كما وصفها. كان أول المستشرقين الذين اعتمدوا الأساليب البحثية فى كتابة التاريخ والجغرافيا وتطور الحضارة بسبب خلفيته الأكاديمية التى جعلته مختلفا عن سواه من المستشرقين. كتاباته وثائق دقيقة لأحوال السودانيين فى القرن التاسع عشر.

يعود نجاحه كمستكشف ومؤرخ لإفريقيا إلى شخصيته الصبورة وتعلمه على يد كبار المفكرين الألمان الذين أسسوا لفكرة (الجغرافيا البشرية) والبحث التاريخى بالمفهوم العصرى. درس الإسلام وأتقن الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والعربية وبعض اللغات الإفريقية مثل الهاوسا واللهجات البربرية، كما أتقن لغة الطوارق وتأثر بأسلوب حياتهم كثيرا. صادف مقابر للديناصورات ونقل الرسومات التى اكتشفها محفورة فى الصخور. كان يفحص الصخور والأرض والنبات والرمل والانسان. (المعرفة قوة) كما قال. نشر رحلاته بالانجليزية والألمانية بين ١٨٥٧ – ١٨٥٨ فى ٥ أجزاء بما يعادل ٣٥٠٠ صفحة. لم تحقق كتاباته رواجا فى حياته ولم يحصل «بارث» على اعتراف رسمى بخدماته من قبل الحكومة البريطانية. ورفض طلبه للالتحاق بالأكاديمية العلمية فى برلين بحجة أنه لم يقدم أية إنجازات فى الجغرافيا والتاريخ والألسن. مات فى برلين.

لويس باستور

مبتكر أول لقاح ضد داء الكلب وأول من ابتكر (البسترة) أو تعقيم الحليب. كيميائى فرنسى متخصص فى علم الجراثيم. هو «لويس باستور». ولد عام ١٨٢٢ فى قرية صغيرة شمال فرنسا. درس العلوم فى باريس ووصل إلى رتبة الأستاذية وعمره ٢٦ سنة. نال شهرته حين درس ظاهرة التخمر واكتشف الكائنات الجرثومية المسببة لها. وتوصل إلى أنه من المكن القضاء على التخمر الجرثومى بالقضاء على الجراثيم نفسها. كانت العدوى فى المستشفيات تؤرق الأطباء وكان العالم الإنجليزى «جوزيف بليستر» قد اهتدى إلى استخدام المطهرات أثناء وبعد العمليات الجراحية بعد أن قرأ أبحاث «باستور» عن الجراثيم.

كانت البداية مع اكتشافه لمرض (الجمرة الخبيثة) الذى يصيب الحيوان وينتقل إلى الإنسان. وتوصل إلى اكتشاف نوع خاص من البكتريا هى التى تسبب المرض. وكان يعمل على مرض كوليرا الدجاج. وحدث

أنه حقن دجاجة بالجرثومة المسببة للمرض لدراسة أعراضها لكنه فوجئ بعد فترة بأن الدجاجة قد شفيت! وتوصل إلى أن حقن (عصيات) ضعيفة من الجراثيم المسببة للمرض يمكن أن تعطى مناعة ضده دون أن تتسبب بالموت. فكان بداية (التطعيم) الذى استخدمه للوقاية من الأمراض الجرثومية.

لكن اكتشافه للقاح ضد داء الكلب كان الأشهر. فكان الإنسان أيامها إذا تعرض لعضة كلب مصاب فإن وفاته شبه حتمية. وقد استخدم العلماء فيما بعد الأمصال للوقاية من أمراض كانت قاتلة فى ذلك الوقت مثل التيفود والنخاع الشوكى. كما تعتبر دراساته على دود القز من أفضل ما قام به. فقد لاحظ أن الأنثى المريضة تنقل المرض إلى بيوضها السليمة عن طريق الجراثيم الحاملة للمرض مما يؤدى إلى إتلاف مزرعة كاملة من دود القز.

لكن يبقى أن عملية تعقيم الخمر ثم الحليب والتى مازالت حتى اليوم تسمى باسمه وهى (البسترة) هى من أهم ما ترك لنا هذا العالم. فقد توصل إلى أن التسخين الشديد ثم التبريد المفاجئ يمكن أن يقتل الجراثيم دفعة واحدة.

كان لباستور إنجازات فى مجال الفيزياء. فقد كان أول من اكتشف وجود أنواع عديدة للزجاج ومدى تقبله للضوء وذلك لاستخدامه فى حفظ المواد المعقمة. كما قام «باستور» باكتشاف فيزيائى حول تناسق الجزيئات فى المادة وعلاقتها بانعكاس الضوء. كان «باستور» و«فرديناند كون» و«روبرت كوخ» قد أسسوا لما يسمى بـ (علم الجراثيم) وإن كان العرب الأندلسيون بالتحديد قد سبقوهم فى هذا المجال لكنهم لم يفردوا لها علما مستقلا.

توفى «لويس باستور» عام ١٨٩٥ ودفن تحت (معهد باستور) الذى أقيم على شرفه.

بديع الزمان الهمذانى

ربما كان أول من كتب المقال الصحفى فى تاريخ العرب والعالم وأول من ألف المقامات. هو «أبوالفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد» المعروف باسم (بديع الزمان). استوطنت أسرته العربية المرموقة والعريقة من أصل مضرى، فى همذان الفارسية فاشتهر بها وكان يفخر كثيرا بنسبه العربى وبثقافته الفارسية معا مما أثر فى صناعته الأدبية. ولد عام ٣٥٨ هجرية/ ٩٦٩م. تعلم الأدب واللغة على يد كبار اللغويين فى عصره. وكان أخوه مفتى همذان.

لم يكن يستقر به الحال فى مكان حتى يغضب منه كبار القوم فيها من أمراء وشعراء لعزة نفسه. فقد انتقل إلى أصفهان فى إيران وانضم لشعراء الصاحب بن عباد وزير (آل بويه) واشتهر ببراعته

الشعرية وبالتأليف والارتجال لكل ماهو غريب المعنى وكان يتقن السجال وغريب المعانى. أقام فى جرجان وتركها بعد خلاف مع أعيانها الشيعة الإسماعيليين واستقر فى نيسابور أعظم مدن خراسان آنذاك. وهناك تعرف إلى الخوارزمى، الرياضى واللغوى والأديب والذى لم يحسن استقباله فكانت بينهما مناظرات مشهورة أعلت من صيت بديع الزمان فأصبح له تلاميذ وأتباع وأملى عليهم حوالى ٤٠٠ مقامة من مقاماته وربما لم يصل إلينا منها إلا حوالى الخمسين فقط. ترك نيسابور أيضا إلى سجستان الذى أكرمه أميرها ثم انقلب عليه.

أقام أخيرا فى مدينة هرات (فى أفغانستان اليوم) وتزوج من ابنة أحد ساداتها فعاش مكرما ذائع الصيت عالى المكانة وحقق نشاطا أدبيا وتجاريا كبيرا حتى توفى عام ١٠٠٧م ويقال مات مسموما ولم يكن بلغ الأربعين من العمر. كان ترحاله سببا فى معايشته للأوضاع السياسية والإجتماعية التى كتب عنها بطريقة نقدية جديدة تماما أشبه بالصحافة اليوم. وأصبحت رسائله مرجعا مهما للتعرف إلى الحياة فى ذلك العصر، عرف بانتقاداته لما يجرى بأسلوبه السجعى الساحر. قيل عنه (بديع الزمان ومعجزة همذان وغرة العصور). لم يترك سوى ٣ مصنفات هى (الرسائل) التى برع بها وكان عصره شهيرا بها. و(المقامات) و(الديوان). عرف بالسجع اللغوى وبالموسيقى اللفظية والزخارف التى أثرت فيمن أتى بعده.

تيخو براهي

فلكى دانماركى من القرن السادس عشر، حدد قانون حركة الكواكب وفند نظرية كوبرنيكوس. هو «تيخو براهى» ولد عام ١٥٤٦ بالدانمارك وألحقه عمه الثرى الذى تبناه، بجامعة كوبنهاجن لدراسة القانون الذى لم يحبه، فاتجه لدراسة علم الفلك وكان قد انبهر فى صغره بكسوف للشمس عام ١٥٦٠ تنبأ به الفلكيون وجاء كما قالوا فأحدث هذا تحولا فى حياة الصبى الصغير الذى صمم على أن يدرس حركة الكواكب والنجوم ليستطيع معرفة ما سيحدث لها.

شهد عصر «براهى» ما يعرفه علماء اليوم بالانفجار النجمى. لكن «براهى» ظنه ظهور نجم جديد لشدة لمعانه. وقد حدث هذا عام ١٥٧٢ ويعتبر هذا الانفجار من أشهر وأكبر الانفجارات التى تم رصدها. ولم يكن ولادة نجم لكنه كان انفجارا لمجموعة من النجوم انتهت حياتها فأحدثت هذا الإشعاع القوى.

تابع دراسته فى جامعة لايبزيج (بألمانيا اليوم) وقام بإجراء أول رصد مسجل له عند اقتران كوكب المشترى بكوكب زحل واكتشف أن الأزياج الفلكية (الجداول) التابعة لكوبرنيكوس والتى

شخصيات صنعت التاريخ

كانوا يعتمدون عليها فى أوروبا لم تكن دقيقة بالشكل الذى رصده فقرر تسجيل قياسات وجداول فلكية جديدة عام ١٥٦٣.

وكان المسلمون قد قاموا بترجمة الكتب اليونانية ونقحوها وصححوها، ووضعوا جداول لحركتها وسموها (الأزياج) كما وضعوا أسسا وقواعد فلكية مهمة وبرهنوا على دوران الأرض حول الشمس. وقد اطلع كثير من علماء أوروبا على إنجازاتهم ولكن يبدو أن «براهى» حاول تجاوز ما وصلوا إليه بطريقته الخاصة المعتمدة على تجربته الشخصية.

قام بجولات عديدة فى أوروبا وجمع آلات رصد هائلة وفى عام ١٥٧١ أنشأ براهى مرصدا له قرب ساحل الدانمارك فى منطقة تسمى (يورانى بورج) وقام بأول اكتشاف مهم فى حياته حين رصد نجما أكثر تألقا من كوكب الزهرة، وظل على تألقه المتغير لمدة ستة عشر شهرا. وقد رصد مقدار تغير هذا التألق مما نسف لديه فكرة فلكية من أيام أرسطو بأن (التألق) يبقى ثابتا ولا يتغير. كما رصد كوكب المريخ ووجده شديد التعقيد. وكان الملك «فريدريك الثانى» هو الذى يمول أبحاثه ويشجعه لكن موته وضع حدا لطموحات «براهى» الذى لم يجد ترحيبا من ولى العهد فاتجه إلى الامبراطور «رودولف الثانى» فى براج (التشيك اليوم) والذى عينه كبير علماء الرياضيات فى البلاط.

تابع أبحاثه فى مراصده التى جلبها معه من كل مكان، لكنه توفى سريعا عام ١٦٠٢م، بعد أن أوصى بكل شئ لتلميذه ومساعده الألمانى «يوهان كيبلر» الذى أكمل مسيرة «براهى» واعترف بإنجازاته قبله، ومهد لظهور الانجليزى «اسحق نيوتن» فيمابعد! كان تيخو يعتقد أن الأرض لا تتحرك لكن الكواكب هى التى تدور حول الشمس والتى تدور بدورها حول الأرض على عكس ما كان كوبرنيكوس يعتقده من مركزية الشمس. وقد اختلف كيبلر مع براهى حول مركزية الشمس لكن هذا لم يقلل من اعتراف «براهى» بموهبة كيبلر.

بسمارك

رجل ألمانيا القوى وأسطورة بروسيا العسكرية ومن أعظم شخصيات القرن التاسع عشر. وهو المخطط الأول لوحدة ألمانيا الحديثة. هو «أوتو إدوارد ليوبولد بسمارك» ولد عام ١٨٦٢ لعائلة أرستقراطية غنية بمدينة شونهاوزن على نهر الإلبه فى ولاية سكسونيا اليوم الواقعة غرب برلين.. التحق بجامعة توبنجن وعمره ١٧ سنة ثم جامعة برلين حيث درس الحقوق. فى عام ١٨٣٥ عمل فى دوائر رسمية عديدة فى مدينة بوتسدام (شرق ألمانيا) ومدينة آخن (فى الغرب) ودرس الزراعة فى جامعة جرايفسفالد. عاد إلى

شـونهاوزن بعد وفاة والده ليرعى شـئون املاك العائلة والزراعة لكنه كان يميل للسياسة والفلسفة والفنون وعلوم الدين والأدب.

وبسـبب أصوله الارسـتقراطية كان مؤيدا للحكم الملكى لكنه أثناء ثورات إمارات أوروبية بين ١٨٤٨ و١٨٤٩ للمطالبـة بالديمقراطية كان يؤيد الثوار سـرا. كان بسـمارك عضوا فعالا فى صفوف المحافظين ببرلمان بروسيا المصغر فرفض مطالب الجمعية الوطنية وعارض آنذاك فكرة الوحدة خشية أن تخسـر بروسيا اسـتقلالها. تزوج عام ١٨٤٧ قبل الثورة بعام وكان زواجه طويلا وناجحا أكسبه اسـتقرارا ذهنيا. أرسله الملك مبعوثا بروسـيا فى فرانكفورت عام ١٨٥١ فأحدثت السنوات الثمانى التـى قضاهـا هناك تغييرا جذريا فى أرائه السياسـية المحافظة واقتنع بوجـوب وحدة المقاطعات والإمارات الألمانية فى مواجهة النفوذ النمسـوى المتصاعد والذى أدى فيما بعد إلى الحرب البروسية النمسـوية والتى انتصر فيها الجيش البروسى فى مفاجأة أذهلت الممالك الأوروبية وزادت من توتر العلاقات مع فرنسا فخشى نابليون الثالث تنامى القوة الألمانية واختلال توازن القوى العسكرى فى أوروبا. وانتهت بمعاهدة براغ عام ١٨٦٦.

عمـل فـى خدمة الملك فيلهيلم الأول من عام ١٨٦٢ وحتى ١٨٨٨ الذى شـاركه رؤيته. شـغل بسمارك منصب سفير لروسـيا لمدة ٤ سنين، وكانت إحدى القوتين الكبريين المجاورتين لبروسيا. ثم سـفيرا لفرنسا عام ١٨٦٢ فحقق حلمه بأن يكون دبيلوماسيا. بدأ مسيرته السياسية بتعيين الملك فيلهلم (غليوم) الأول له رئيسا لوزراء بروسيا ووزيرا لخارجيتها ثم أصبح أول مستشار للقيصرية الالمانية عام ١٨٧١. واجه بسمارك أكبر أزماته حين توفى الملك الصديق بعد إصابته بالشلل الجسمى والذهنى فخلفه ابنه المريض فريدريش الثالث الذى مات سـريعا وجاء ابنه فيلهلم الثانى الذى كان يصغر بسـمارك بحوالى ٤٠ سـنة مما دفعه إلى إجباره على الاسـتقالة فتفرغ بسمارك لإدارة أملاكه وانسـحب إلى حياته الخاصة عام ١٨٩٠ حتى مات عام ١٨٩٨ قرب مدينة هامبورج وشـيع بجنازة رسمية وشـعبية فخمة وأطلق اسمه على شوارع عديدة وأقيمت له تماثيل عديدة فى كل أنحاء ألمانيا وحصل على عدة ألقاب نبيلة فنال رتبة كونت (جراف) عام ١٨٦٥ وأمير ١٨٧١.

تميز بسمارك بعسكرة الاقتصاد الألمانى وسن قوانين صارمة لحسن الاداء والنظام والدقة والإتقان والقوة فيما عرف بسياسـة الحديد والنار الثانية أثناء الحرب البروسية الفرنسية تعويضا عن عدم لجوء ألمانيا لاسـتعمار مناطق عديدة فى العالم أسـوة بالاسـتعمار البريطانى والفرنسى والبرتغالى. وحد ألمانيا وأبقى قوة القيصرية الألمانية وعزل فرنسـا عن النمسـا وروسيا لكنه وقع معاهدة معها. كان بارعـا فى إيجاد (الأمة الألمانية) لكنه كان أقل نجاحـا فى خلق فكرة (القومية الألمانية) حين حاول أن يكسـر قوة الكنيسة الرومانية الكاثوليك داخل ألمانيا بما عرف بـ (حرب الثقافات). فشل فـى كفاحه ضد (الاشـتراكية القومية) ممـا أدى الى ظهور النازية. اتهم بأنـه لم يهدف إلى إقرار السـلام فى أوروبا وإنما لإذلال فرنسـا وتأليب الدول الاوروبية على بعضهـا. لم يكن يتفهم فكرة

التجديد واهتم بسياسة القوة. أسس الرايخ الألمانى القوى فكانت بروسيا الدولة الألمانية التى امتدت فى شمال ووسـط أوروبا وبلغت أوجها فى القرن الثامن عشـر وأصبحت قوة عظمى ووحدت الممالك والإمارات عام ١٨٧١ وكانت تشمل إلى جانب ألمانيا اليوم، سبع دول أخرى.

الأمير بشير الشهابى



من أشهر وأهم من حكم لبنان تحت السلطة العثمانية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واستمر حكمه نصف قرن. وكان عهده بداية للنزاعات الطائفية فى لبنان والتى أصبح لها آنذاك هيئات سياسية تابعة لقوى إقليمية أو دولية.

هو الأمير بشـير من الأسـرة الشـهابية التى حكمت بين ١٦٩٧ و١٨٤٢م بعد الأسـرة المعنية التى اختارت الشـهابيين ليكونوا أمراء فى لبنان. ولد عام ١٧٦٧ فى لبنان فى أسرة كانت مسلمة سنية ثم اعتنقت المسيحية على المذهب المارونى.

أصبح واليا على وسـط لبنان ووادى البقاع وجبل عامل عام ١٧٨٨م وهى تشـكل ثلثى المسـاحة الحالية للبنان. ظهرت قدرته حين حاول نابليون غزو عكا على سـاحل فلسـطين ووجد مقاومة من واليها أحمد باشـا الجزار واسـتنجد بالأمـير كل من نابليون والجزار لكنه ظـل على الحياد فعاد نابليون إلى مصر. حاول الأمير بشـير الثانى تقليص نظام الإقطاع لكسـر شـوكة نفوذ منافسيه من العائلات الغنية خاصة عائلة بشير جنبلاط الدرزية ذات النفوذ. فى عام ١٨١٩ فرض ضرائب عالية فثار الفلاحون ولم يتمكن الأمير بشـير جمعها إلا بعون عائلة جنبلاط التى اسـتولت على السـلطة وهرب بشير الثانى إلى مصر حيث حليفه محمد على باشا لكنه عاد ليشكل جيشا ونكل بآل جنبلاط وآل أرسلان معا وكلاهما من الدروز، وقامت حروب طائفية.

سـيطر المارونيون التابعون للأمير بشـير الثانى على وسـط البلاد بينما سـيطر الدروز وآل جنبلاط على البقاع واستمرت الحروب المذهبية من عام ١٨٢١ حتى عام ١٨٢٥ حيث هزم «بشير الثانى» غريمه بشـير جنبلاط وقتله وتمكن من نزع سـلاح الدروز لكنه واجه انتفاضة شـعبية. بعدها بدأ الأوروبيون يتدخلون ويسـتخدمون نفوذهم. سـاعد البريطانيون الدروز وقصفوا ميناء بيروت بسبب تحالف الشهابيين مع فرنسا بينما ساندت روسيا الروم الأرثوذكس بلبنان فاضطر الأمير إلى مغادرة البلاد إلى المنفى فى مالطا حيث أقلته بارجة بريطانية. توفى الأمير «بشـير» الثانى عام ١٨٥٠ فى القسطنطينية ونقلت رفاته إلى قصره المسمى (بيت الدين) بلبنان والذى أصبح متحفا سياسيا.

بعل شيم طوف

مؤسس المذهب الحسيدى اليهودى الحديث. هو إسرائيل بن إليعازر. ولد ٢٧ أغسطس ١٦٩٨م فى أوكوبى فى قرية صغيرة أصبحت فيما بعد جزءا من بولندا وروسيا واليوم هى جزء من أوكرانيا. يعرف بين المتدينين باسم (بعل شيم المقدس). صوفى يهودى حيكت حوله الأساطير. قيل إنه ولد لأبوين عجوزين فقيرين وقيل إن أمه كانت فوق مائة العام. يعتقدون أنه من سلالة الملك النبى داوود. (بعل شيم) اصطلاح يعنى المعالج الروحى أو الشافى بقوة الله وانتشر خاصة فى شرق أوروبا. وباللغة اليديشية حرفيا تعنى كلمة بعل (السيد) وشيم (الاسم). فهو سيد الاسم. وهذا معناه أنه إذا امتلك الانسان (الاسم الطيب) (من أسماء الله الحسنى) فهو يستطيع القيام بالمعجزات بقوة الاسم. وكان «بعل شيم طوف» من الذين امتلكوا الاسم (شيم) فتمت على أيديهم معجزة الشفاء حسبما تقول كتبهم. وقيل إن ابنته (عوديل) اطلعت منه على سر الاسم وسر الكتابات التى تركها فأعطتها لحفيدها الذى يعرفه التاريخ باسم نحمان البراتسلافى.

وننقل عن العلامة «عبد الوهاب المسيرى» أن روح بعل شيم طوف تعد شرارة (الماشيح) أى المخلص، وهوالمعروف عند المسيحيين (المسيح) المتلقى للشرارات الإلهية. قضى أول مراحل شبابه فى المدارس الدينية وفى العشرينات من عمره ذهب للغابات واحترف الأعمال اليدوية وبدأ دراسة القبالاه. لم يدرس التلمود وأمضى معظم حياته متجولا فى بولندا وأوكرانيا، يواسى المحتاجين وعرف بشفائه المرضى. وبالرغم من أنه لم يتلق التعليم اللازم فإنه كان يلقى المواعظ الدينية وانتقده اليهود المتدينون واعتبروه (غبيا فاشلا كسولا) حين فصل من كل الوظائف التى التحق بها. واعتذر مريدوه عن كثرة نومه بأنه يتعمدها لتلقى الوحى. تأثر بالفكر المسيحى الدينى فى مسألة حمل (العذراء) من الروح القدس فأفتى بالحمل من غير دنس (وهو الملازم للفكر المسيحى) وغير موجود فى الفكر اليهودى. وقيل إنه امتنع عن معاشرة زوجته ١٤ سنة حملت أثناءها من (لوجوس) أى (الكلمة) ويعنون (كلمة الله) بالإغريقية أو الروح القدس.

تعاليم بعل شيم طوف أو إسرائيل بن إليعازر أدت إلى فصل يهود اليديشية عن واقعهم التاريخى مما جعلهم أكثر تقبلا للأفكار الصهيونية. تأثر ببيئته السلافية أكثر من تأثره بكتب الشريعة اليهودية وكان خشن الطبع كالفلاحين السلاف. كان يتحدث عن الأشباح والعفاريت والأرواح ويرتدى لباس رجال الدين المسيحى. استقر عام ١٧٤٠ فى بلدة مودزيبوز فأقام مدرسة للمريدين. خلق نوعا من الفلسفة الصوفية الحلولية التى تتفق مع المسيحية أكثر مما تتفق مع اليهودية فابتعد عن التعاليم الحاخامية التى كان يراها جافة. كان يحب الخمر (التى تحرمها الشريعة اليهودية)

كما يحب الخيل والطبيعة وقيل إنه كان يدخن بشراهة أشياء (أخرى غير التبغ). وكان يعتقد أن الإله لا يسمع الدعاء ولا يقبل الصلاة إلا إذا نبعت من قلب فرحان!

أوجد مفهوم (التساديك) فى الحسيدية وهو الذى يقوم بالوساطة بين أتباع بعل شيم طوف وبين الإله. وحل التساديك محل الحاخام لدى الحسيديين. وله كاريزما خاصة فهو يصلح للقيادة حيث تحل فيه روح الإله. وهو ما يسمى بالحلولية. فيكتسب صفات ليست للبشر. ويمكن توارث هذا عبر أجيال. وهذا لا يحدث إلا بالتوحد مع الإله للوصول إلى القوة الغامضة السحرية الربانية. والتوحد يأتى من حب الإله والثقة به والبعد عن الحزن والخوف وما يفسد القلب، والصلاة بإخلاص وتفان ومرح ونشوة. وهذه عقيدة (الحسيديين). والحسيد باللغة (حسب المسيرى) كلمة وردت فى العهد القديم، وتعنى (الرجل التقى الثابت على إخلاصه للإله). ثم استخدمت فى القرن الثانى الميلادى على مؤيدى التمرد الدينى ثم لتشير إلى الحركة الصوفية فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر ثم إلى الحركة الحسيدية فى بولندا فى القرن الثامن عشر، عصر بعل شيم طوف.

انتشرت الحسيدية بفضل جولاته بين التجار والريفيين ثم فى المدن الكبرى فى شرق أوروبا كلها، وأصبحت عقيدة أكثر من نصف اليهود فى العالم. فقد كانت تناسب وضعهم هناك وتعتبر خلاصهم من البؤس والفقر والوضاعة التى كانوا يعانونها خاصة مع انتشار القاباله (التصوف اليهودى). كان يعتبر أن الثقة الخالصة فى الإله هى سبيل الوصول، وأن الحب نوعان، أحدهما يعتمد على شئ مشروط ولا يمكنه الاستمرار، لكن النوع الثانى لا يرتبط بشروط ولا بشئ وهو أبدى. وقد ألهمت هذه التعاليم الأدب اليديشى والأدب العبرانى الحديث. طبعت تعاليمه الشفوية بعد ٢٠ عاما من وفاته. أهمها (كتاب مدائح بعل شيم طوف). مات عام ١٧٦٠م.

جراهام بل

مخترع التليفون. اسكوتلاندى الأصل، ولد فى «أدنبره» عام ١٨٤٧ فى عائلة مهتمة ومغرمة بتقنية الاتصالات. كان والده من أهم المختصين بمجال تعليم النطق وكانت والدته صماء. تعلم القراءة والكتابة فى وقت مبكر جدا من طفولته وكان يؤرقه كثيرا أنه لم يكن يسمع (صوت) أمه تتكلم وإذا تكلم لا تسمعه فحتى ذلك الحين كان يحاول إيجاد أية طريقة تساعد أمه على سماع أبنائها والتخاطب عبر الذبذبات الصوتية وليس عبر أنبوب السمع كما كان يفعل إخوته. مات أخوان له بوباء السل. هاجر إلى كندا مع باقى عائلته

عام ١٨٧٠. فى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية عمل فى مدرسة للصم بطريقة (التعليم المرئى) عبر (حركات الشفاه) ثم تزوج من إحدى تلميذاته وكانت صماء!

وفى زيارة إلى لندن أعجب «بل» باختراع «تشارلز وايتستون» المسمى بـ (الآلة الناطقة) فصمم مع أخيه على ابتكار جهاز (ناطق) لمساعدة الصم. وكان قد ابتكر (التليغراف المتعدد) الذى يسمح بإرسال أكثر من رسالة عبر سلك تلغرافى واحد وكان التلغراف هو وسيلة الاتصال الرئيسة آنذاك ولم يكن فى ذهنه اختراع (التليفون) أو بما ترجمته (الكلام عن بعد). لكن الذى حدث أنه كان يعمل يوم ١٠ مارس ١٨٧٦ مع مساعده «توماس واتسون» على ابتكار أداة (تتعرف على الكلام) وحدث أن سائل البطارية انسكب على ملابسه فاستنجد بمساعده فى الغرفة الأخرى بينما كان يمسك بالجهاز وسمعه المساعد ونسيا مسألة السائل الحارق ليحتفلا بأول حديث تليفونى.

انتقل «بل» إلى بوسطن فى الولايات المتحدة الأمريكية وحصل هناك على الجنسية الأمريكية. فى عام ١٨٧٨ أنشأ أول سنترال يدوى وكان يخدم ٢١ مشتركا بينهم الكاتب الأمريكى المعروف «مارك توين»! بدأ العمل على ابتكار (التليفون المصور) الذى استخدم فيه الحزم الضوئية وكان معه مساعده «تشارلز تينتر» وفى عام ١٨٨١ أرسلا رسالة مصورة وصوتية لمسافة حوالى ١٨٠ مترا من مبنى الى آخر! صدرت له ١٨ براءة اختراع باسمه وحده و١٢ براءة بالمشاركة مع مساعديه. أسس (الجمعية الجغرافية الوطنية) National Geographic عام ١٨٨٨ والتى ما تزال حتى اليوم تصدر أرقى وأهم المجلات عن العالم.

أنجب أربعة أطفال بينهم طفلان توفيا وهما صغيران. وقيل إنه كان مغرما بالطائرات الورقية ورعاية الأغنام. توفى فى كندا عام ١٩٢٢ عن ٧٥ سنة. لكن المفارقة أنه فى سبتمبر من عام ٢٠٠١ أعلن الكونجرس الأمريكى أن «انطونيو ميوتشى» هو مخترع التليفون وليس «الكسندر جراهام بل»!.

تيودور ماكسيمليان بلهارس

العالم الألمانى الذى اكتشف الدودة المسببة لمرض البلهارسيا المتوطن فى مصر وسمى المرض باسمه تكريما له. لا يعرف الكثير عن طفولته سوى أنه ولد عام ١٨٢٥ وكان مولعا بالعلوم الطبيعية منذ صغره. التحق بجامعة «ألبرت لودفيج» فى مدينة «فرايبورج» الألمانية حيث قابل أستاذ التشريح المعروف «فريدريك أرنولد» وتعلم على يديه كيفية إجراء البحوث الطبية.

قام «بلهارس» بدراسات عديدة وألف رسالته للدكتوراه حول فصائل الدم فى جامعة توبنجن وأجيز عام ١٨٤٩ وقابل بعدها بعام واحد فرصة عمره حين التقى بعميد مدرسة الطب فى مصر «فيلهلم جريزنجر» وكان قد تسلم منصبه حديثا فاقنع «بلهارس» بالعمل معه فى مصر مساعدا له. وكان عمر بلهارس آنذاك ٢٦ سنة! وكان العرض غير عادى فقطاع الصحة فى مصر كان حصرا على الفرنسيين منذ أيام حملة نابليون بونابرت.

لكن الخديوى الجديد «عباس» كان أكثر ميلا للألمان فقربهم إلى بلاطه واستدعى علماءهم لتحديث القطاعات العلمية فيها على يديهم. شجعه أستاذه السابق «كارل تيودور فون زيبولد» على السفر إلى مصر ونصحه بالتخصص فى الديدان المسببة للأمراض المتوطنة. وقد كتب إلى «زيبولد»: (أعتقد أن مصر هى أفضل ميدان للأبحاث فى مجال الديدان).

أتقن اللغة العربية والقى محاضرات فى مدرسة الطب بقصر العينى بمصر وأصبح أستاذا للتشريح وقد لاحظ أن المصريين يعانون عموما من مرض غامض يصيب الجهاز البولى ويتسبب فى وهن عام وأوجاع وتبين أنه مرض قديم فى مصر، وبدأ يدون ملاحظاته على المصريين المصابين بأعراض هذا المرض واستطاع تشخيصه وسمى علميا (شيستوسوما)، كما رصد التبدلات والتغيرات التى تحدثها فى جسم المريض.

توصل «بلهارس» إلى مسبب المرض وهى دودة طولها سنتيمتر واحد تستوطن الكبد والدم وسميت فيما بعد نسبة إليه (دودة البلهارسيا). ونشر أبحاثه فى المجلات العلمية الألمانية وأطلق اسم (بلهارسيا) على مرض الـ (شيستوسوما) تكريما له عام ١٨٥٦. وبعد عام واحد أصبح «بلهارس» رئيس الأطباء فى قصر العينى بمصر. وبعد ثلاث سنين حصل على كرسى الأستاذية للطب الإكلينيكى فى مصر وظل يحتفظ بهذا المنصب حتى وفاته.

أتقن بلهارس اللغة العربية واهتم كثيرا بالحياة المائية فى حوض النيل وكان يعد اكتشافه لـ (سمك الرعد) أهم بكثير من اكتشافه لدودة البلهارسيا. كما اتجه لدراسة الآثار المصرية والدراسات الإسلامية المتنوعة. وركز عمله فى السنوات العشر الأخيرة على دراسة السكان فى حوض النيل وعلى جغرافية المكان والبيئة البرية والبحرية وكان يدون اكتشافاته وملاحظاته ويستمتع كثيرا بها لكنه لم ينشرها فى حياته.

مات عام ١٨٦٢ بعدوى حمى التيفود من سيدة اثيوبية كان يعالجها فى أثناء رحلة قام بها إلى البحر الأحمر وأثيوبيا مرافقا للأمير ولى العهد «ارنست فون كوبورج جوتا» وكان طبيبه الخاص وكان أيضا مغرما بآثار مصر. وبينما عاد الأمير سالما، تدهورت حالة «بلهارس» فور عودته ودفن فى القاهرة فى ساحة كنيسة.

ولأنه مات وعمره ٣٧ سنة فقط، فقد كرمته مصر بإطلاق اسمه على أهم معهد علمى بحثى لأمراض الكبد المتوطنة وما يزال يعرف باسم «معهد تيودور بلهارس» فى منطقة الجيزة.

هومى بهابها



أبو البرنامج النووى الهندى والذى لعب دورا حاسما فى تطوير برنامج الطاقة النووية فى الهند. هو «هومى جهانجير بهابها». ولد فى أكتوبر من عام ١٩٠٩ فى عائلة مرموقة من البارسيين من كبار صناع النسيج ويمت بصلة النسب إلى عائلة محمد على جناح الذى أصبح أول رئيس لباكستان فيما بعد. تلقى «بها بها» تعليمه فى بومباى وفى المعهد الملكى للعلوم حين كانت الهند محتلة من بريطانيا.

بعد تخرجه من كلية الفنستون والمعهد الملكى للعلوم، التحق بجامعة كمبردج فى بريطانيا لدراسة الهندسة الميكانيكية وكان والده يريد له العمل فى شركات الحديد والصلب الخاصة بأقارب العائلة لكن «بهابها» أبدى ميلا شديدا لدراسة الرياضيات والفيزياء فوافق الأب على الإنفاق عليه حتى يتخرج.

حاز على شهادة الدكتوراه عام ١٩٣٤ وعمل مع أحد مشاهير العلماء وهو «نيلس بور» على نظرية الفيزياء الكمية وكان يتدرب فى المعامل أثناء تحضيره لرسالة الدكتوراه فى الفيزياء النظرية تحت إشراف الحائز على جائزة نوبل «بول ديراك» عام ١٩٣٣. واستطاع إجراء بحوث على اضمحلال الأشعة الكونية وإنتاج زخات الالكترون بمساعدة عدد من كبار العلماء آنذاك، حيث نشر أبحاثا عنها فى مجلات متخصصة أكسبته اعترافا علميا.

حين قامت الحرب العالية الثانية عام ١٩٣٩ كان «بهابها» فى إجازة فى بلده بالهند. واختار البقاء فيها وعدم العودة حتى بعد انتهاء الحرب. وقبل منصبا عرض عليه فى (المعهد الهندى للعلوم) فى بنجالور وكان يشرف عليه العالم «رامان» المرشح لجائزة نوبل.

أنشأ «بهابها» وحدة أبحاث فى الأشعة الكونية فى المعهد، وبدأ العمل على نظريته فى (حركة الجزئيات). تلقى مساعدة واعترافا من رئيس الهند «جواهر لال نهرو»، الذى وافق فى عام ١٩٤٥ على إنشاء معهد (تاتا للأبحاث) فى بومباى وتشكيل (لجنة الطاقة الذرية الهندية) بعدها بثلاثة أعوام. وكان «هومى بهابها» أول رئيس لها. وقاد كتيبة من العلماء الهنود لتطوير المفاعل النووى السلمى عام ١٩٥٦.

وفى خمسينات القرن العشرين كان «بهابها» ممثل الهند فى (هيئة الطاقة النووية الدولية) وكان رئيس (مؤتمر الأمم المتحدة لاستخدامات الطاقة النووية السلمية) فى جنيف بسويسرا عام ١٩٥٥.

أسس (الهيئة القومية الهندية لبحوث الفضاء) مع «فيكرام ساربهاى». وكتب عدة مقالات حول الفيزياء الكمية وأبحاث الفضاء والأشعة الكونية.

توفى بحادث طائرة عام ١٩٦٦ بالقرب من مونت بلانك بسويسرا، بينما كان يحضر مؤتمر للجنة الطاقة النووية الدولية فى فيينا بالنمسا. وقد أطلقت الهند اسمه على مركز الأبحاث النووية ا الذى طور برنامجه عسكريا فأنتج أول قنبلة نووية هندية. ومازال المركز حتى اليوم يعتبر من أهم مراكز البحوث فى العالم.

لودفيج بورشاردت



مكتشف تمثال رأس نفرتيتى الشهير وهو الذى نقله خارج مصر. عالم مصريات ألمانى يهودى. هو «لودفيج بورشاردت». ولد فى برلين عام ١٨٦٣. درس علم الآثار ثم علم المصريات وفى عام ١٨٩٥ غادر إلى القاهرة وعمل مع «جاستون ماسبيرو» مدير معهد الآثار المصرية فى القاهرة وأصدرا معا أرشيف المتحف المصرى بالقاهرة. أنشأ معهد الآثار الألمانى فى القاهرة وظل مديرا له حتى عام ١٩٢٨.

اهتم كثيرا بآثار مصر الفرعونية وبدأ الحفائر فى عدة أماكن وركز على تل العمارنة حيث كان يعتقد أنه سيجد آثارا لبنى إسرائيل هناك. لكنه فى ٦ ديسمبر من عام ١٩١٢ بدأ البحث الشا حتى وجد بالصدفة التمثال النصفى لنفرتيتى برأسها الرائع والصدر الجميل المزين بالمجوهرات ووجد معها عددا كبيرا من الاثار واللقى، وخاصة صدر ورأس إخناتون حيث كان التمثالان النصفيان متشابهين لكنه عرف نفرتيتى قبل ان يتحقق من النقوش، كما قال، لشدة جمال وجهها وصدرها. قاد عمليات استكشافات فى هليوبوليس ومقابر الملوك فى أبوغراب. لا يعرف كيف نقل التمثال النصفى لنفرتيتى الجميلة إلى برلين عام ١٩١٣.

قيل إنه قام بتهريبه عن طريق إخفاء معالمه فى البحر مع مقتنيات أثرية عديدة يقال إن عددها وصل إلى ٥ آلاف قطعة عرضت فى شتاء عام ١٩١٣- ١٩١٤. وظل تمثال نفرتيتى لدى القيصر الألمانى «غليوم الثانى» لمدة يومين. فى عام ١٩٢٣ أعلن «بورشاردت» رسميا اكتشافه واستاءت مصر بشدة لجهلها الأمر طيلة عشر سنوات وطالبت فورا بإعادته! المدير الجديد «لاكاو» الذى خلف ماسبيرو، حاول تغيير نظام الآثار المكتشفة بحيث يلزم المستكشفين إبلاغ السلطات وكيفية التصرف بالآثار المكتشفة فواجه معارضة شديدة من بورشاردت الذى رفض تماما الاتهامات الموجهة إليه بعدم إخبار السلطات المصرية. فالحفريات كانت تتم على مسئولية مصلحة الآثار وكانت أيامها بأيد فرنسية.

مُنع «بورشاردت» من القيام بأية حفريات حتى يعود التمثال الذى مازال حتى اليوم فى متحف المصريات فى برلين يتلألأ وسط احتياطات أمنية شديدة. رفض هتلر أيضا الطلب المصرى عام ١٩٣٣ بإعادة التمثال وقال إنه (يسره أن يراه دائما فهو كنز رائع ولا يمكنه التفريط فيه)! مات «لودفيج بورشاردت» فى باريس عام ١٩٣٨.



بوكاشيو

كاتب وشاعر إيطالى متميز من عصر النهضة فى القرن الرابع عشر مؤلف عدد من الكتب المهمة أشهرها على الإطلاق «ديكاميرون». هو «جيوفانى بوكاشيو» ولا يعـرف الكثير عن حياته ولا يعرف مـكان مولده بالضبط ويرجح أنه ولد فى فلورنسا بايطاليا وقد يكون ولد فى باريس حوالى العام ١٣١٣م. وقد يكون ابنا غير شرعى لوالده الـذى كان يعتقد أنه كان وكيلا لمؤسسـة ماليـة يملكها آل باردى المرموقـين. الثابت أن «جيوفانى بوكاشيو» عاش صباه الأول متنقلا فى إيطاليا واستقر فترة فى فلورنسا التى توجد فيها التلال التى دار فيها كثير من وقائع «ديكاميرون» بينما التقى فى نابولى بالفتاة «فياميتا» التى كانت ابنة لحاكم نابـولى ومتزوجة وبالرغم من ذلك أحبها طيلة حياتـه حتى بعد وفاتها بالطاعون عام ١٣٤٨. وكان الوباء قد اجتاح أوروبا وقتل معظم سـكان فلورنسـا ونابولى وكافة أنحاء أوروبا. وبلغ من حبه لها أن جعلهـا موجودة فى كل أعماله تقريبا وكانت الشخصية المحورية فى «ديكاميرون» (أى الأيام العشـرة) التى تدور حول عشرة أشـخاص من البلاط الملكى، يتبادلون كل ليلة قيادة دفة الروايات التى يحكيها جميعهم عن مغامرات عاطفية وجنسية قد تكون من الواقع أو من الخيال لكنها كانت تهدف لتسـليتهم وهـم قابعون فى حدائق قلعة تحـت الأرض فى قرية بعيـدة خوفا من الطاعون الذى أثار الرعب فى المدينة وكأنه كتبها ليسـتحضر ذكـرى حبيبته التى ذهبت. ويعتقد النقاد أن «بوكاشيو» اسـتوحى الفكرة من (ألف ليلة وليلة) التى كانت حديثة العهد على الأدب الأوروبى آنذاك وأنه روى الحكايات بنفس الطريقة مستخدما مزج الخيال بالواقع بالشعر تماما مثلها.

كان يقـول (أعرف أنى كنت أميل إلى الشـعر حتى وأنا فى بطـن أمى، فقد ولدت للأدب وحده)! درس «جيوفانى بوكاشـيو» القانون واهتم كثيرا بالأدب والدراسـات العلمية وعرف فى أوساط النبلاء حين قدمه والده إليهم. فى نابولى بدأ كتابة القصص والشـعر واستقبلها مجتمع البلاط الملكى. ارتحل إلى فلورنسـا لكنـه غادرها هربا من الطاعـون وحين عاد إليها بعد عام كان مفلسـا وماتت أمه بعدها بقليل لكنه بالرغم من تعاسة ظروفه استمر فى كتابة (أميتو) وهى نوع من الكوميديا التى امتزج فيها

الشعر بالنثر. كما أتم (كانتو) و(فياميتا) عام ١٣٤٣. مات كل إخوته فتزوج أبوه من جديد لينجب أخا لبوكاشيو.

بدأ بوكاشـيو العمل فـى «ديكاميرون» عـام ١٣٤٩ وبعدها أصبح من شـخصيات عصر النهضة الإيطالية فى فلورنسـا فأوفدته حكومتها فى مهام دبلوماسية لمدن إيطالية مثل ميلانو وللترحيب بالبابا أوربان الخامس كما كان على رأس الوفد الذى استقبل الشاعر «بترارك» فكان للقائه به ضجة أدبية. عرفت أشـعاره بالإباحية والمجون بخاصة فى «ديكاميرون» كما كانت «فياميتا» بطلة قصته (فيلوكولو) عام ١٣٣٨. لم يتزوج «بوكاشيو» لكنه أنجب ثلاثة أطفال وتوفى عام ١٣٧٥.

آن بونى (القرصانة)

أشـهر قرصانة فى بحر الكاريبـى من القرن الثامن عشـر. أمريكية من أصل آيرلندى. فقد كان الأوروبيون آنذاك مهووسـين بالثـروات والذهب والكنوز فى العالم الجديد المسـمى أمريكا. وكان معظم مـن ارتحل إليها من المغامرين والمستكشـفين وقطاع الطرق ومـن القراصنة بالتحديد، حيث كان البحر الوسـيلة الوحيدة للوصول إليها. لا يعرف عن «آن» الكثير إلا ما جاء فى كتابات رجال البحار وبينهم «تشـارلز جونسـون». اختلـف المؤرخون حول عام ولادتها ويرجـح أنها ولدت عام ١٧٠٠ ابنة لمحام معروف هو «ويليام كورمـاك» وخادمتـه والذى انتقل مع عائلته من ايرلندا إلى سـاوث كارولينـا بأمريكا. عرفت «آن» بذكائها وشراسـتها وحيكت حولها الأسـاطير وقيل إنها وهى فى الثالثة عشـرة من عمرها طعنت خادمتها بسكين فى بطنها.

تزوجت «جيمس بونى» الذى كان يعمل بحارا وأحيانا قرصانا وهى فى السادسة عشرة من عمرها فحرمها أبوها من الميراث مما أغضب زوجها الذى انتقل معها إلى الباهاما (فى جزر الكاريبى) التى كانت مركز نشـاط القراصنة. تغيرت حياتها حين قابلت القرصان المعروف «جون راكهام» المسـمى (كاليكـو جـاك) فقدمها زوجها لحاكم الولايـة بتهمة الخيانة الزوجية. عـرض حاكم الولاية أن يطلقها زوجها على أن يدفع القرصان «راكهام» مبلغا (لشرائها) منه وكان هذا عرفا سائدا، فرفضت أن تكون (سلعة أو بهيمة تباع وتشترى) كما قالت. سجنت مع راكهام وتمكنا من الهرب واحترفت القرصنة معه لكنها اضطرت للتنكر كرجل فلم يكن يسمح بتواجد النساء على سفن القراصنة.

أثبتت جدارتها الفائقة واستولت على كنوز عدة سفن وذاع صيتها ثم انكشف أمرها بتواجد قرصانة أخرى هى «مارى ريد» وذلك حين اعترض قبطان وقرصان مشهور هو «جوناثان بارنيت» سفينتهم وكان

يعمل لحساب حاكم جامايكا. حكم على «راكهام» وباقى الطاقم بالإعدام وتم تأجيل إعدامها مع مارى ريد بسبب الحمل لكن والدها استطاع فديتها وإطلاق سراحها بالمال. اعتزلت القرصنة وتزوجت من جديد فى ساوث كارولينا عام ١٧٢١ وأنجبت ٨ أطفال وماتت وعمرها ٨٢ سنة فى عام ١٧٨٢.

ريتشارد بيرتون

أول من وصل إلى منابع النيل بإفريقيا ومن أوائل الأوروبيين القلائل الذين زاروا المدينة المنورة ومكة المكرمة من غير المسلمين وسجل رحلاته بدقة عجيبة وهو أفضل من ترجم ألف ليلة وليلة.هو مستشرق بريطانى ومستكشف وكاتب ولغوى وشاعر وعسكرى ودبلوماسى وكان يمكنه التحدث بـ٢٩ لغة ولهجة. هو «ريتشارد فرانسيس بيرتون» ولد فى ديفون بانجلترا عام١٨٢١م لأب عسكرى ايرلندى. تنقل مع عائلته كثيرا بين فرنسا وإيطاليا وانجلترا.تعلم فى فرنسا وطرد من أكسفورد ببريطانيا بسبب شجار عام ١٨٤٢ فانخرط فى الجيش البريطانى فى بومباى الهندية مع (شركة الهند الشرقية) البريطانية حيث أبدى اهتماما خاصا بعادات الشعوب وثقافاتها ودياناتها ولغاتها وكان كثيرا ما يتنكر ليندس وسط الأقوام هناك مما أثار سخرية زملائه فى الجيش.ويعد ما سجله عنها من أفضل ما كتب. أوكل إليه التفتيش على بيوت الدعارة الشاذة فكتب تقارير عنها أنهت خدمته لأنها كانت مرتعا لبعض القادة.

اتجه للاستكشافات التى يحبها وأصبح عضوا فى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية والتى ساهمت فى رحلته إلى سواحل إفريقيا الشرقية مما قاده لاكتشاف بحيرة تانجانيقا فيما بعد. تعلم كثيرا من عادات المسلمين فى الهند والشام وكان يتقن اللغة العربية منذ صغره مما مهد لرحلته إلى الحج متنكرا فى عام ١٨٥٣م. فسافر مع مجموعة من أهل السند (باكستان اليوم) من قبائل الباشتون، ليكون بذلك ثانى أوروبى يقوم بهذه الرحلة التى تعرض فيها للمتاعب حيث كاد ينكشف أمره فيقتل. وقارب الموت على يد قطاع الطرق الذين يهاجمون القوافل. لكنه انكشف فعلا بطريقة ساذجة فقد رفع طرف ثوبه وهو (يتبول) خلافا لعادات العرب الذين يجلسون القرفصاء خوفا من النجاسة واضطر لكشف شخصيته لمن رآه فوثق به.عاد إلى القاهرة من مكة المكرمة التى أنجز من أجلها أحد أهم كتبه (رواية شخصية عن الحج إلى المدينة ومكة) والذى نشره عام ١٨٥٥. زار عدن عام ١٨٥٤ وشبه الجزيرة العربية حيث أعد لرحلته المهمة إلى إفريقيا

إفريقيا كانت استكشافاته المهمة. ففى القاهرة خطر على باله تتبع النيل للوصول إلى منابعه. دعمته الجمعية الجغرافية فى رحلته الإفريقية والتى قام بها مقتحما أرض الصومال لكنه تعرض مع مرافقيه لهجوم كادوا يموتون بسببه مما أجبره على العودة إلى بلاده. استأنف الرحلة عام ١٨٥٧مع المستكشف «جون سبيك» عن طريق زنجبار هذه المرة. لكنهما فى الطريق إلى تانجانيقا كاد «سبيك» يصاب بالعمى و«بيرتون» بالعجز الكامل أثناء الرحلة الشاقة. وصل «سبيك» إلى بحيرة فيكتوريا التى اعتقد أنها منبع النيل الأصلى وعارضه «بيرتون» فى نظريته وافترقا على خلاف وقتل «سبيك» بعدها بيد السكان المحليين وهو يصطاد.عمل بيرتون فى الخارجية البريطانية وجمع أثناء خدمته فيها مادة لخمسة كتب تصف عادات القبائل المحلية وطقوسها الدينية وأعرافها وأكل لحوم البشر وتقديم القرابين البشرية وطقوس ممارسة الجنس لديها بتفاصيل غاية فى الدقة والإباحية وهو ماأخذ عليه.قضى فى البرازيل سنين صعبة فى القنصلية البريطانية بعدها عين قنصلا فى دمشق عام ١٨٦٩م وطرد عام ١٨٧١ ليعين قنصلا فى تريستا شمال إيطاليا والتى مات فيها بالسكتة القلبية عام ١٨٩٠. وكان حصل على لقب فارس عام ١٨٨٦.

كان «بيرتون» هو الذى تحدث باستفاضة عن (القرابين البشرية) لدى طائفة من اليهود وهو الذى نشر الحكاية الشهيرة (حادث دمشق) حول الفطير اليهودى المعجون بدم طفل قتل حديثا فى عيد الفصح اليهودى مما أثار عليه موجة من الاتهامات بالعداء للسامية والتى كانت فى بداياتها آنذاك.من أهم كتبه (القصيدة) عن الصوفية المسلمين. كما ترجم عن السنسكريتية من التراث الهندى (كاما شوسترا) الذى يحوى مجموعة من الحكايات الهندية القديمة التى فيها قدر من الإباحية مثل (ألف ليلة وليلة) التى تعتبر ترجمته لها عام ١٨٨٥-١٨٨٨ من أفضل الترجمات. ترك «ريتشارد فرانسيس بيرتون» عددا كبيرا من الكتب والمقالات من بينها كتابه (اليهود والغجر والإسلام) عام ١٨٩٨ و(الحدائق العطرة وشيخ نفزاوى) عام ١٨٨٦ و(كتاب السيف) عام ١٨٨٤ و(حوض النيل) عام ١٨٦٤. تعتبر كتبه عن الشعوب والرحلات مرجعا حتى اليوم.

فرانشيسكو بيزارو

مغامر اسبانى. مكتشف بيرو بلاد الإنكا وقاهر ملكهم وهادم حضارتهم فى القرن السادس عشر. انحدر من محافظة اكستريما دورا القاسية وكان ابنا غير شرعى ولا يعرف القراءة والكتابة والتحق بالتجنيد من صغره. كان محبا للثروة والمغامرة والسلطة وشارك فى عدة حملات عسكرية فى القارة الأمريكية. قام برحلة إلى بلاد

البيرو مع دييجو الماجر. مول الرحلة قسيس من باناما عام ١٥٢٤. ارتحلا عبر الساحل الغربى لأمريكا الجنوبية فى مركبين مع بعض المرافقين. عاودا فى رحلة استكشاف ثانية عام ١٥٢٦ إلى ١٥٢٧. بقى لامبروزو مع السكان الأصليين بينما تابع مرافقه البحار بارتولو رويتز طريقه إلى الجنوب حيث أدهش السكان المحليين بقاربه بينما أدهشوه بثيابهم المزركشة الجميلة المنسوجة من صوف حيوان اللاما الناعم الغزير. وتعرف إلى ملكهم (ملك امبراطورية الذهب).

ظل بيزارو على جزيرة ينتظر إرسال مدد من القوات من باناما. تعب الجنود والمرافقون له لطول الانتظار. كان يختار رجاله بحرص من القرويين الإسبان ويسلحهم بالسيوف والرماح والتروس ويمتطون الجياد. صمم على عبور الجانب الآخر ومعه ١٢٠ فقط من المرافقين وأبحروا معه على طول الساحل الغربى. قطعت طريقهم جبال الانديز الشاهقة الوصول إلى مملكة بيروالذهبية. فى طريقه التقى بعدد من الشعوب المنوعة التى سيطر عليها ملوك الإنكا. جاهد للوصول إلى كاجاماركا ذات البناء الرائع حيث نصب الملك «أتاهوالبا» معسكرا لمحاربة أخيه. طلب بيزارو الإسبانى رؤية الملك لكنه كان فى فترة صومه لا يقابل أحدا. فأرسل إليه أخاه هيرنان الذى سمح له الملك باللقاء وكان يجلس على كرسى منخفض محاطا بزوجاته ونبلائه. كان منقبا بينما تظهر حلقانه الذهبية الكبيرة فى أذنيه ونقل إليه طلب بيزارو للقائه فوافق.

وفى اليوم التالى ظهر الملك بملابسه الذهبية الملونة. نقل إليه رسالة تقول إنه يجب أن يضع ملك الإنكا والمعبد فى خدمة ملك كاستيل وليون وأن يستولى على زوجات الملك وأبنائه وإلا فالموت والدمار! أهان بيزارو الملك بقذف الكوب الذهبى فى وجهه. دمر «بيزارو» عاصمة إمبراطورية الإنكا، واستولى على كنوزها من الذهب والفضة وقام بمجازر جماعية للسكان المحليين وقتل الالاف من رجال الملك بعد أن أعدمه. وبنى عام ١٥٣٥ قصرا له فى (ليما) عاصمة (بيرو اليوم). وقتل فيها عام ١٥٤١م.

بيكاسو

قد يكون الفنان الأسطورة فى تاريخ الفن التشكيلى المعاصر. قلب الموازين التقليدية وأوجد مدارس جديدة بينها المدرسة التكعيبية. هو «بابلو رويز بيكاسو». ولأن والديه كانا متدينين، فقد أطلقا عليه أسماء معظم القديسين مثل بابلو دييجو وفرانشيسكو باولا وبابلو. ولد فى أكتوبر من عام ١٨٨١ فى مالاقا بالأندلس باسبانيا فى عائلة شبه أرستقراطية، لأب كان فنانا معروفا وأستاذا أكاديميا وكان يجيد نقل

اللوحات للمعارض كما كان مهتما برسم الأشخاص والأجسام. ظل بيكاسو يستخدم لقب أبيه «رويز» حتى عام ١٨٩٨ ثم اتخذ لقب عائلة والدته «بيكاسو».

فى سن صغيرة قلد والده وهو يرسم الحمام وكان محاطا بأبراج الحمام التى أحبها وظهرت كثيرا فى لوحاته. كما قلد أباه فى رسم وحب حلقات مصارعة الثيران. عانى الحزن الشديد بوفاة أخته كونشيتا بالدفتريا عن ٧ سنين وانتقلت العائلة بعدها إلى برشلونة، حيث اجتاز امتحان القبول الصعب للالتحاق بكلية الفنون وكان عمره ١٣ سنة فقط واستكمل دراسته فى أكاديمية سان فرناندو. كان يصطدم كثيرا مع والده (الرسام التقليدى) الذى قرر تفجير موهبة الصغير فأرسله إلى مدريد العاصمة وعمره ١٦ سنة حيث أعجب بأعمال «إل جريكو» على وجه الخصوص ثم «جويا» و«زوباران» وتأثر كثيرا بالوجوه الغامضة فى لوحاتهم وبالأعضاء غير المستقيمة وبالألوان الجذابة وكان يستخدم اليد اليسرى.

أرسله والده لدراسة الفن فى لندن فتوقف فى باريس واستقر فيها حتى مات. افتتح أول معرض رسم له عام ١٩٠٠ وكان عمره ١٩ سنة. عرف بمراحله (اللونية) فكانت المرحلة الزرقاء المعبرة عن (الانتكاسات الداخلية) كما يقول النقاد. توغل فى عمق الحياة الباريسية فانتقل إلى المرحلة الوردية. ويرى بعض النقاد أن المرحلتين هما امتداد للرمزية فى القرن التاسع عشر. اتجه إلى نحت التماثيل بالأحجام التى يريدها فلم يكن أمام موهبته عائق. جاءت بعدها المرحلة التكعيبية وهى الأهم فى تاريخه الفنى وبدأت عام ١٩٠٦ قال عنها (أردنا أن نعبر عما كان فينا)!

فى المرحلة الكلاسيكية من مراحل فنه، عاد فجأة إلى النمط التقليدى وإن كان مختلفا. وبالرغم من أنه لم يكن منتميا للجماعة السيريالية فقد بدأ المرحلة السيريالية والتجريدية عام ١٩٢٥ واستمرت معه حتى عام ١٩٣٦ حيث رسم بعدها عام ١٩٣٧ أهم لوحة له على الإطلاق وهى (الجورنيكا) والتى تعتبر درة الفن فى القرن العشرين. وكانت عن القصف النازى لقرية جورنيكا الإسبانية! ومعها بدأت المرحلة الانطباعية فى رسوماته. يقال إنه تأثر بنظرية النسبية لدى آينشتاين فى رسم الأجسام العارية! فكان لها مقاييس مختلفة. كتب الشعر ومات عام ١٩٧٧ بعد أن تجاوز التسعين من العمر.

لم يحظ قبل «بيكاسو» فنان بهذا القدر من الحفاوة الجماعية والاهتمام الإعلامى العالمى وكان أول فنان يشهد عرض أعماله فى متحف اللوفر وهو ما يزال حيا. يقال إنه انتمى للشيوعية حين أبدى إعجابه الجارف بالزعيم السوفيتى الشيوعى (ستالين)، ورسمه كما يراه. ويقال إن سمعته الفنية أنقذته من ملاحقة النازيين له حين احتلوا فرنسا وكان مقيما فى باريس. لم يصاحب الرسامين فى حياته وجاءت صداقته للرسام «هنرى ماتيس» فى مرحلة متأخرة فى حياته. وكان يفضل صحبة الشعراء والكتاب. صدم معجبيه حين صرح ساخرا بأن (جورج براك)، الذى شاركه ابتكاره للشكل التكعيبى فى الرسم، هو (زوجته)!! فانفصل عنه [illegible] النساء هن الجزء

الطاغى فى حياته بعد شهرته فى (التكعيبية)! كان شديد الانحلال فى رسوماته النسائية وكان يصر على تحدى الأعراف والتقاليد باعتراف كبار النقاد فى الغرب. كان يصر على رسم الأجساد العارية بالشكل الذى يراه وليس الواقع. (كان يمكن أن يرسم عينين بين الساقين أو يرسم الأعضاء التناسلية على الوجه)!

كان لـه عشيقات بلا عدد لكن أكثر من رسم كانت «مارى- تيريز وولتر» فى الثلاثينات من القرن العشرين.قال عنه النقاد إنه كان مولعا بالجنس قدر ولعه بالتكعيبية! وكانت تلازمه فتيات صغيرات فى السن حتى بعد أن تجاوز الثمانين. كان بيكاسو يمتلك كاريزما طاغية وحضورا غير مسبوق كفنان. لكنه كان شديد السادية والقسوة خاصة مع النساء. كان ساخرا شكاكا، متقلب المزاج، ملولا، قلقا دائما، عنيفا حتى مع أولاده.

فى أواخر أيامه بدأت تظهر لمسات جنون واختلال عقلى فى رسوماته فسرها المعجبون بالشطحات الفنية. لكن النقاد يقولون إنها (ملامح ترقب الموت)!

جوزفين بيكر

من أكبر المناصرين لقضية حقوق الإنسان الأسود فى الولايات المتحدة الأمريكية والعالم. راقصة ومغنية جاز وممثلة أمريكية إفريقية تحولت من الإثارة إلى مقاومة للاحتلال وإلى داعية لحقوق الإنسان. اسمها الحقيقى «فريدا جوزفين ماكدونالد». ولدت عام ١٩٠٦ ابنة لعازف أمريكى أسود وقيل إنها كانت ابنة لتاجر يهودى متجول. لقبت بـ (فينوس السوداء) و(اللؤلؤة السوداء). وبالرغم من مولدها كأمريكية فإنها أصبحت مواطنة فرنسية عام ١٩٣٧. جذورها مختلطة من الهنود الحمر ومن العبيد السود فى كارولينا الجنوبية الأمريكية. بدأت حياتها كراقصة فى الشوارع وهى طفلة ثم على المسارح وعمرها ١٥ سنة، ارتحلت إلى مدينة (نيويورك) أثناء فترة انتعاش حى ومسارح (هارلم) والتحقت بمسارح (برودواى) ومثلت عليها بين عامى ١٩٢١ و١٩٢٤ وأشهرها (حلويات الشوكولاته).

كانت فى البداية ترقص (كومبارس) فى الصف الأخير حيث يتعين عليها القيام بحركات كوميدية إذا نسيت البطلة الحركات. فى عام ١٩٢٥ افتتحت عروضها فى باريس على مسارح الشانزليزيه وتميزت برقصاتها المثيرة. وبعد جولة فى أوروبا عادت إلى فرنسا بعقود جديدة نجمة فى (فوى فورجيه)، وتميزت بظهورها بالكعب العالى جدا وبقرد معها يرتدى عقدا من الماس وكان يهرب ليتخفى بين أرجل العازفين ليكسب العرض مزيدا من الإثارة. عرفها النازيون

حين احتلوا فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية ولم يلحقوا بها أذى مما شجعها على الانخراط فى المقاومة الفرنسية ضد النازيين المحتلين وكوفئت بعد الحرب بأوسمة من الحكومة الفرنسية لنشاطها السياسى.

ومع كل هذا النجاح المبهر فى فرنسا فإنها لم تستطع الحصول على الشهرة فى بلدها الأم (أمريكا) حين زارتها عام ١٩٣٦. عانت كثيرا فى حياتها الشخصية وتزوجت ٦ مرات وانخرطت فى مجال حقوق الإنسان فى الخمسينات فأصبحت من كبار المناهضين للعنصرية حتى إنها كانت المرأة الوحيدة التى خطبت مع الداعية الأمريكى الأسود المعروف «مارتن لوثر كنج». توفيت فى أبريل عام ١٩٧٥ وحضر جنازتها أكثر من عشرين ألف إنسان.

فرنسيس بيكون

مفكرقانونى ورجل دولة وعالم وفيلسوف انجليزى من القرن السادس عشر، شديد الأهمية فى التاريخ العلمى. هو فرنسيس بيكون ولد بالقرب من لندن عام ١٥٦١م فى عائلة ارستقراطية كانت تعمل فى القصور الملكية بمناصب رفيعة فوالده «سير نيكولاس بيكون» كان وزيرا أيام الملكة اليزابث الأولى وحامل الأختام الملكية وكانت أمه تجيد اللاتينية والإغريقية والفرنسية. وبالرغم من أنه انتهى مهنيا بكارثة أخلاقية لكنه يظل شديد التأثير فى الثورة العلمية الأوروبية. درس فى جامعة كمبردج وعمره ١٣ سنة. توفى أبوه وكان ما يزال طالبا فاضطر للاستدانة التى لازمته طيلة حياته لكنه ظل قريبا من الأجواء السياسية ومقربا من إيرل سكس، صديق الملكة فى أواخر أيامها، وحين اتهم الإيرل بالخيانة شهد عليه «بيكون» بنفسه مما أثار الأحقاد ضده.

وبالرغم من أنه درس القانون، فقد ظل منشغلا بالسياسة وبتقلد المناصب العامة التى كان يسعى إليها حتى مع الملك جيمس الأول بعد وفاة الملكة اليزابث. فأصبح كبير مستشاريه وحاز الألقاب النبيلة. اتهم بقضايا رشاوى واختلاسات واعترف بها وسجن لكن الملك أصدر عفوا ملكيا عنه لأنه كان يقدر مكانة بيكون العلمية وكان يدرك أن انجلترا ستصبح قوة كبرى بالعلم. كان من مشروعات «بيكون» إنشاء مكتبة للمتحف البريطانى والتى تعتبر اليوم ثانى أكبر وأهم مكتبة فى العالم بعد مكتبة الكونجرس الأمريكية. كما كان من خططه تكوين جمعية علمية أصبحت فيما بعد (الجمعية العلمية الملكية). أهم آثاره كانت فى الفلسفة حيث ترك أثرا عميقا جدا فى العديد من المفكرين الكبار فى انجلترا وفرنسا خاصة العلماء الذين ساهموا فى إنشاء دوائر المعارف فى الغرب.

حاول تنفيذ مشروع تأسيس هيئة للعلوم فى الفلسفة والشعر والتاريخ فى تعبير عن العقل والخيال والذاكرة. وضع تصوره للتطور العلمى فى كتابه الشهير (إصلاح العلوم الكبير) أو (انستوراسيو مانيا). كانت الفلسفة فى رأيه تنحصر فى مجالات ثلاثة هى معرفة الله والطبيعة والإنسان. اعتمد بيكون منهج المنطق العلمى وأسس للاستقراء العلمى الذى سبقه إليه العرب بقرون لكن الغرب لا يعترف إلا بأبنائه! وأرجع الأخطاء الشائعة فى العلوم إلى الأفكار المسبقة الراسخة دون تعليل علمى. كما نفى أثر (الحدس) و(البديهيات)، التى تقود إلى نتائج علمية وبذلك أسس لفكرة (المادية) فى الفلسفة الانجليزية فيما بعد. كان شديد الاهتمام بتطوير العلوم والمعارف. دافع بقوة عن نظرية الحقيقة المزدوجة: حقيقة العقل وحقيقة الوحى.

ترك عديدا من الكتب أهمها (التجديد الأكبر) و(كرامة العلوم) و(الأورجانون الجديد) وقد كتبه باللاتينية ليكون شبه موسوعة علمية ما تزال مرجعا حتى اليوم تتناول تفسير الطبيعة وملكوت الإنسان. لكن أشهر ما ترك هو (الأطلانتيس الجديدة) الصادر عام ١٦٢١م عن القارة المفقودة المعروفة فى التاريخ. حيث يتخيلها فى منطقة نائية بأشخاص من وحى خياله تطبق فيها كل العلوم والتى يتضح فيها تأثره البالغ بأفلاطون ومدينته الفاضلة. كانت حياته غريبة يختلط فيها حب السلطة والمال وحب العلم بلا حدود. توفى عام ١٦٢٦ وقيل إنه قتل.



جون بيمبرتون

مبتكر مشروب الكوكا كولا! بالصدفة البحتة فى أحد معامل الدواء عام ١٨٨٦.

هو «جون ستيث بيمبرتون» ولد عام ١٨٣١ فى جورجيا الأمريكية والتحق بمدرسة (جامعة) الطب وتخرج وعمره ١٩ سنة. رفض اتباع منهج العلاج بالهيروبين الذى كان يتبناه بروفسور «بنجامين راش» وانتهج مدرسة العلاج بالأعشاب واستنشاق بخارها. حصل على رتبة تخرج فى الصيدلة أيضا. خدم فى الجيش الفيدرالى الأمريكى فى فريق الفرسان (حسب بعض المصادر) وأصيب فى معركة مع أحد المتمردين، فلجأ إلى العقاقير المخففة للألم ويقال إنه أدمن المورفين لتسكين آلامه وكان هذا سائدا آنذاك.

أنشأ معملا للأدوية وكان يبيع مواد للتصوير ومستحضرات تجميل أيضا. انتقل بأسرته إلى أتلانتا عام ١٨٧٠ وبدأ تطوير العقاقير وقدم أكثر من اختراع. عمل على ثمار الكولا لاستخلاص مادة تساعد على تخفيف الصداع وتهدئ الأعصاب. لكن معاصريه كانوا على يقين أنه كان يحاول استخراج مادة لتخفيف آلامه وآلام زملائه المصابين فى الحرب. وقيل إنه لدى تجربة المادة المستخلصة طلب من

مساعده مزجها بالماء المثلج لكن المساعد أخطأ ومزجها بماء الكربونات فكان لها مذاق أحباه واستقرا على بيعه شرابا بدلا من البيرة المثلجة.

والواقع أنه كان يريد اختبار منتج خال من الكحوليات بدلا من خمر الكولا الفرنسى وبنفس المذاق اللاذع. وكان «فرانك ماسون روبرتسون» أطلق اسم (كوكا كولا) مشتقا من أوراق (الكوكا) وثمار (الكولا) فكان الاسم الجذاب (الكوكا- كولا). لكن ارتباطه بمادة الكوكا التى كانت أيضا تشير إلى (الكوكائيين) فرض الإعلان عن المنتج الجديد بشكل أكثر فاعلية (شراب منعش لذيذ صحى، يزيل الصداع ويخفف التوتر ويرخى الأعصاب). حاول «بيمبرتون» إدمان الكوكاكولا بدلا من الكوكائيين لتخفيف آلام إصابته فكانت نسبة الكوكا لا تزيد على ٨,٦٤ ملج بينما كان الكوكائيين يحتوى على ٢٠ - ٣٠ ملج. لكن الشراب الجديد كان يحتوى على مادة الكافائين المستخرجة من ثمرة الكولا فيعطى إحساسا أكبر بإزاحة الألم وصدرت الإعلانات عنه كدواء مفيد للتخلص من إدمان المورفين ووضعه مع العقاقير الطبية المزيلة للألم. باع «بيمبرتون» عام ١٨٨٨ حقوق الشراب الجديد لعميلين دون علم كليهما فقسمت على أساس أن أحدهم يملك الاسم والثانى يملك المنتج. واتضح فيما بعد أنه نصب على كليهما لكن الأسرة ظلت تتابع عملها.

مات «جون ستيت بيمبرتون» عام ١٨٨٨ بعد أن أنشأ أحد المستثمرين وهو «كاندلر» مصنعا ضخما للكوكاكولا بعد دفعه مبلغ ٢٣٠٠ دولار ومع عام ١٨٨٧ كانت الكوكاكولا المشروب الأمريكى الأول.

البابا بيوس التاسع

من أهم الباباوات فى الكنيسة الكاثوليكية. شهد عصره نقل اليهود إلى الأحياء اليهودية والجيتو كما شهد إعلان الوحدة الايطالية وفصل المقام البابوى فى مدينة روما، واعتباره مستقلا عن باقى إيطاليا. كما شهد عهده انعقاد مجمع الفاتيكان الأول وإعلان سلطة البابا العليا والعصمة البابوية.

ولد باسم «جيوفانى ماريا ماستاى- فيريتى» فى سينيجاليا فى إيطاليا. عين كاهنا عام ١٨١٩م وأقام أبرشية عام ١٨٢٧ وأصبح كاردينالا عام ١٨٤٠. عين رئيسا للكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام ١٨٤٦م. وتمتع بأطول فترة يقضيها (بابا) على رأس السدة الدينية فقد جاوزت الثلاثين عاما. سار على خطى القديس بطرس وعرف بتوجهه الليبرالى، فهاجم الباباوات المحافظين وبشر بحكومة ليبرالية شعبية للولايات البابوية والعفو عن السجناء السياسيين لكنه حين حول الثوار روما

وما حولها إلى جمهورية، ترك المدينة سرا وحين عاد أعيد تنصيبه عام ١٨٥٠ واتبع سياسة متشددة ومحافظة جدا وربما بأكثر من سابقيه.

كان البابا هو المهيمن على الولايات فى أوروبا منذ عام ٧٥٠م وحتى عام ١٨٧٠م فقد كانت البابوية تسيطر على وسط إيطاليا فيما كان يعرف بالولايات البابوية. وكان تفكيره ليبراليا فى البداية يتجه إلى إعلان وحدة بين ولايات باقى إيطاليا على نمط الولايات البابوية. لكن الثورة الإيطالية القومية بقيادة «غاريبالدى» أصبحت تهدد نفوذه الواسع على الولايات البابوية.

وحين أعلنت وحدة إيطاليا بعد احتلال الثوار للولايات البابوية التى ضمت إلى باقى ايطاليا عام ١٨٧٠م، أصبح البابا (محصورا) فى منطقة ضيقة فى الفاتيكان، مقر الكرسى البابوى وفى قصور (لاتيران) التابعة له والفيلا البابوية فى (كاستل جاندولفو).

أعلن البابا نفسه سجينا باختياره ورفض أى اتفاق لا يعترف به حاكما له سيادة ولم يحصل على ما يريد آنذاك وظلت سياسته متبعة حتى تم توقيع (معاهدة لاتيران) التى تقضى بإنشاء دولة الفاتيكان مستقلة عام ١٩٢٩ ولها علمها وسفراؤها وجوازات سفرها وتعتبر أصغر دولة فى العالم لكن حاكمها البابا يعتبر قائدا عالميا كونيا يتدخل فى الشئون العامة لمئات الملايين من الكاثوليك فى العالم كما يتدخل فى شئون الحرب والسلم للدول، وقضايا حقوق الإنسان وله حق استقبال الحكام المدنيين والعسكريين ورؤساء الحكومات والمؤسسات وقضايا خاصة كالإجهاض ونظام الأسرة.

أصدر البابا «بيوس التاسع» ما يسمى بـ (لائحةالأخطاء) عام ١٨٦٤ وعرفت باسم (سيللابوس)، عدد فيها أخطاء الفكر الحديث والتى ذكر من بينها إعلان حقوق الإنسان، وحق الإنسان فى الحرية الدينية، وفصل الدين والكنيسة عن الدولة، وأدان الفلسفة الطبيعية والفلسفة العقلانية وانتقد بشدة انحسار موجة التدين وعدم المواظبة على الصلاة وإقامة الطقوس والشعائر المسيحية، كما أدان بشدة الأفكار الشيوعية والإشتراكية.

هاجم فكرة (التسامح الدينى) الذى يحدث باسم (التنوير) وكانت حركة التنوير قد قام بها أحد رجال الدين المسيحيين ليخفف من تشدد الكنيسة. وقال البابا بيوس التاسع: إنه (ليس هناك اعتقاد صحيح إلا المعتقد المسيحى الكاثوليكى) وأدان المعتقد البروتستانتى والأرثوذكسى واعتبر أتباعهما (هراطقة) وكذلك بالطبع كل أتباع الأديان الأخرى ولم تستطع الكنيسة الكاثوليكية بعد هذه الفتوى المجاهرة بأى نوع من التعاطف مع الحريات الدينية أو الحقوق الشخصية المترتبة عليها. ولم تعترف بهذه الحريات إلا بعد انعقاد المجمع المسكونى الثانى عام ١٩٦٥ برئاسة البابا بولس السادس.

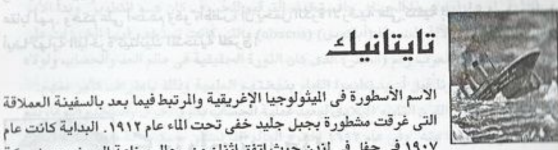
وعلى عهد بيوس التاسع وضعت عدة أبرشيات تحت سلطة رئيس أساقفة الآستانة وهو الذى أطلق اسم (الملك) على السيد المسيح واعتبره (ملك الأكوان والدهور).

لكن من أهم ما قام به البابا بيوس التاسع هو إعلان (عصمة السيدة مريم العذراء منذ كانت فى أحشاء أمها حنة عن الخطيئة وعن أدناس الخطيئة الأولى للبشر) وليس فيما بعد. و(أنها وإن حملت بها أمها كسائر النساء، لكنها لم تتشكل كسائر الخلق وذلك لتهيئتها لحمل السيد المسيح فيما بعد)! فهى (حواء الجديدة، تسهم مع آدم الجديد فى ولادة البشرية إلى حياة جديدة على أساس العذاب وإراقة الدم الزكى).

لم تتم مناقشة تطويب البابا بيوس التاسع (قديسا)إلا بدءا من عام ١٩٠٧ وسط اعتراضات يهودية ظلت عشرات السنين حتى أعلنه البابا يوحنا بولس الثانى قديسا. فقد قام المؤتمر اليهودى الأوروبى باحتجاجات عنيفة. فاليهود يعتبرونه (مثالا للتعصب ومعاداة السامية) وجاء فى بيان المؤتمر (أن بيوس التاسع سيظل فى ذاكرة الأجيال اليهودية، الذى نقل اليهود إجباريا إلى الجيتو والأحياء اليهودية بالعاصمةروما) وأنه (أشاع الكراهية والاحتقار من قبل الكنيسة تجاه اليهود)!

توفى البابا بيوس التاسع عام ١٨٧٨.

تايتانيك



الاسم الأسطورة فى الميثولوجيا الإغريقية والمرتبط فيما بعد بالسفينة العملاقة التى غرقت مشطورة بجبل جليد خفى تحت الماء عام ١٩١٢. البداية كانت عام ١٩٠٧ فى حفل فى لندن حيث اتفق اثنان من رجال صناعة السفن من شركة (النجمة البيضاء) على إنتاج ثلاث سفن ضخمة تتمتع بالكثير من الرفاهية والأناقة وأطلقت عليها أسماء أسطورية وهى (أوليمبيك) والثانية (تايتانيك) والثالثة باسم (بريتانيكا). بدأ العمل على (تايتانيك) عام ١٩٠٨ وتم تجهيزها بما يحلم به أى انسان. انطلقت من ساوث هامبتون بإنجلترا يوم ١٠ ابريل من عام ١٩١٢ وكان طولها ٨٨٢ مترا وعرضها حوالى ٢٧ مترا وتزن ٤٦ ألف طن وتحمل أكثر من ٢٢٠٠ راكب معظمهم من المليونيرات الأمريكيين والأوروبيين.

لم تجهز إلا بستة عشر قارب نجاة فقط. أبحرت السفينة بداية إلى ميناء «شيربورج» بفرنسا ليستقلها مزيد من المسافرين. وتوقفت فى «كوينزتاون» فى آيرلندا قبل أن تنطلق إلى المحيط فى طريقها إلى نيويورك. تمتع الركاب برحلة من ألف ليلة وليلة ثلاثة أيام. كانت مجهزة بـ١٦ مقصورة ضد الماء واعتبرت سفينة غير قابلة للغرق. وبالرغم من أن القباطنة تلقوا أكثر من خمسة تحذيرات من وجود جبال جليدية فإن القبطان «ادوارد سميث» لم يبطئ أو يتوقف واستمر فى الإبحار بسرعة ٢١عقدة. فى الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة بعد الظهر حدد القبطان «فريد

فليت» مكان بروز جليدى فأمر القبطان «ويليام موردوخ» بالدوران بالسفينة نحو الميناء بقوة بينما كانت قمرة القيادة تشير إلى الإتجاه المعاكس.

لم تستطع السفينة تفادى الاصطدام بالجبل الجليدى الذى شطر السفينة بهوة عمقها ٣٠٠ قدم فتسربت المياه بقوة إلى الداخل. بعد ٢٥ دقيقة أمر القباطنة بتجهيز قوارب النجاة لإنزال الركاب. لكنه لم يتم تجهيز أول قارب إلا بعد ٢٠ دقيقة من إصدار الامر ولم يحمل أكثر من ٢٨ راكبا من النساء والأطفال على رغم أن سعته تتحمل ٦٨ راكبا. وكان ما يزال على متن السفينة حوالى ١٥٠٠ راكب! مات معظمهم فى أقل من ثلاث ساعات غرقا ونجا صاحب السفينة هاربا بأحد القوارب. ثم فى عام ١٩٨٥ رصد موقع حطام السفينة (تايتانيك) بعد محاولات لا تحصى لمدة ٧٣ سنة.

مئات الكتب والدراسات والأفلام صدرت وصورت مأخوذة بأسطورة (التايتانيك). واسم تيتانيك مشتق من «تيتان» وكانوا حسب الأسطورة اليونانية ١٣ عملاقا ولدوا فى السماء فخاف أبوهم الإله «أورانوس» من استخدامهم لقوتهم الجبارة فقيدهم فى العالم السفلى، لكن أمهم أطلقت سراح أصغرهم وهو «زحل» أو «ساتورن» فقتل والده وحرر إخوته لكن الإله «جوبيتر» عزل «زحل»، وغضبت عليهم الآلهة جميعا لتمردهم وغرورهم وتحديهم الأقدار ومزقتهم وأنزلتهم إلى الأرض عقابا لهم. وحكم على أحدهم وهو «أطلس» أن يحمل الكرة الأرضية على كتفيه إلى الأبد! وهذه كانت أيضا نهاية الباخرة تيتانيك المتحدية للغرق!

كونراد تسوزه



مهندس مدنى، أول من وضع تصميم جهاز كومبيوتر متكامل هو زد٣ عام ١٩٤١ ويجادل الألمان بأنه هو أول مخترع للكومبيوتر (الحاسوب) بينما يصر الأمريكيون على أن «هوارد ايكن» هو الأب الحقيقى له وإن كان العلماء لا ينكرون أن «كونراد تسوزه Konrad Zuse» اخترع أول نظام رقمى حاسبى فى العالم.

ولد فى برلين بألمانيا عام ١٩١٠ انتقل والداه إلى بروسيا التى كانت تضم ألمانيا ودولا أخرى (اليوم) وعين وعمره ١٧ سنة فى المعهد العالى الصناعى فى برلين حيث بدأ هناك تصميم جهاز (حاسب) لصالح شركة «هينشل» لصناعة الطائرات. وحاز عام ١٩٣٥ على إجازة فى الهندسة المدنية. كون شركة خاصة لتصميم وتطوير جهازه وأنشأ بين عام ١٩٣٦ و١٩٣٨ أول جهاز كومبيوتر رقمى فى العالم واستكمله عام ١٩٤١ وعرف باسم (زد١)، لكن الغارات فى الحرب العالمية الثانية دمرته تماما. كما انها قطعت الاتصالات بينه وبين العلماء فى بريطانيا وفرنسا. وكان الجهاز يعمل

بالكهرباء بنظام برنامج محدود. ولم يستطع العمل بالكفاءة التى كان يريدها «تسوزه» فلم تكن قطع الغيار متوفرة آنذاك وقت الحرب. ولشدة أهميته التاريخية نفذت السلطات الألمانية فى أواخر القرن العشرين نموذجا منه وعرض فى المتحف الألمانى فى ميونيخ.

فى عام ١٩٣٩ استدعى للجيش مع اندلاع الحرب العالمية الثانية لكنه استطاع إقناع رؤسائه بضرورة العودة إلى معمله لتطوير جهازه واستخدمته مؤسسة بحثية أنفقت على تمويله فى برمجة القنابل! بينما كان «هوارد ايكن» من جامعة هارفارد الأمريكية يعمل على تطوير آلة حاسبة ضخمة لحل مسائل علمية ورياضية معقدة.

استكمل «كونراد تسوزه» دراساته العليا عام ١٩٤٥ وجاء بعدها سلسلة أجهزته زد٢ إلى زد٤. حاولت ألمانيا بمساعدة منه إعادة إنتاجها من عام ١٩٨٧ لكنه أصيب بأزمة قلبية أثناء عمله مع شركة سيمنز، صاحبة المشروع.

تقاعد «كونراد تسوزه» وتفرغ للرسم فى آخر أيامه التى انتهت فى ديسمبر من عام ١٩٩٥.

لا يمكن أبدا إسناد اختراع الكومبيوتر إلى شخص محدد بل كان نتاج عمليات وآلات عبر مئات السنين. وكان إجراء العمليات الحسابية أول بدايات ما نعرفه اليوم باسم الكومبيوتر هو (الحاسب الآلى). فالأرقام هى لب هذا الجهاز. واستخدام الترقيم للحروف كان هو التطوير. وبدأ الأمر باستخدام الحصى ثم الآلة المسماة (أباكوس) (abacus) والتى كانت تستخدم فيها الخرزات على أسلاك، ثم اكتشف العرب رقم (الصفر) الذى كان الثورة الحقيقية فى عالم العد والحساب ولولاه لتأخر علماء الغرب قرونا قبل أن يستطيعوا القيام بنهضتهم العلمية وذلك باعتراف كثير منهم.

جاء الخوارزمى فى القرن التاسع الميلادى ليعيد عملية الحساب بطرق أخرى واستخدم اللوغاريتم الذى نقله الغرب حرفيا عنه. وفى عام ١٦٤٢ اخترع العالم الفرنسى باسكال آلة ميكانيكية تسمى باسمه حتى اليوم، تستطيع إجراء عمليات حسابية بسيطة وتطور الأمر مع عدد من العلماء حتى وصل الأمر إلى استخدام البطاقات المثقوبة والتى تعد نواة الكومبيوتر المستخدم اليوم. وقد ابتكر هذه البطاقات الفرنسى «جوزيف جاكار» عام ١٨٠٤ لتطوير آلة نول للنسيج تعمل أوتوماتيكيا بطريقة العد ومازال قماش الجاكار معروفا نسبة إليه!

كان جهاز جاكار خطوة هامة فى تطوير الحاسبات الرقمية حتى جاء تشارلز باباج فكان أول من صمم حاسوبا مبرمجا بالكامل، بداية عام ١٨٢٠. بينما كان «كلود شانون» أول من استخدم آلات الجدولة لمعالجة البيانات الرقمية أوتوماتيكيا عام ١٩٣٧. ونشأت معها فكرة (البرمجة) ثم الحاسب أو ما يسمى (كالكوليتر) والذى انتشر فى الستينات والسبعينات من القرن العشرين حتى بين طلبة المدارس.

ما قام به «كونراد تسوزه» هو تصميم أجهزة إلكترو- ميكانيكية للأرقام الثنائية وبذلك قفز بمرحلة الحساب قفزة كبيرة وأعطى الجهاز القدرة على البرمجة بطريقة عملية غير معقدة كما فعل

سابقوه. وكانت آلاته التى ابتكرها باسم (زد Z) بداية من (زد١ حتى زد٣) أول آلة عاملة تقدم ميزة الحساب الأوتوماتيكى للأرقام الثنائية بشكل عملى. حتى جاء الحاسوب الأمريكى المبنى على نظام العد العشرى وهو (انياك Eniac) ١٩٤٦ وكان لأغراض عامة واستخدامات كثيرة لكنه لم يكن سلس التعامل.

توماس توايفورد

مبتكر قاعدة التواليت الحديثة فى الحمامات ودورات المياه. وبالرغم من أنه لم يكن السابق لهذا الابتكار لكنه كان أول من صنع جهاز دفع المياه والصرف بقطعة واحدة ومن البورسلان الصينى بعد أن كان عبارة عن عدة أجزاء، ومن الخشب والمعادن. ويعتبر ابنه «توماس ويليام ترايفورد» (أبا الحمامات البريطانية بلا نزاع). ينحدر من أسرة تعمل فى مجال الخزف ببريطانيا منذ القرن السابع عشر، ويعتبر الجد الأكبر «جوشوا توايفورد» مبتكر الكثير من الصناعات الخزفية المعروفة وقد عاش بين عامى ١٦٤٠ و١٧٢٩م.

فى عام ١٨٤٩ أسس الأب «توماس توايفورد» مصنعين لإنتاج الأحواض. وقد ولد فى نفس العام ابنه توماس ويليام توايفورد، الذى ابتكر معه عام ١٨٨٥ أول (تواليت) لدورات المياه (قطعة واحدة). وعرفت باسم وحدة التواليت (يونيتاس) وقد صدرها إلى بلاد اوروبا وروسيا حيث عرفت هناك باسم يونيتاس وهو الاصطلاح الذى ظل مستخدما فى روسيا للتواليت نفسه وكان أول عهد الروس باستخدام هذا الابتكار.

وقد أذهل الاختراع الأوروبيين فقد كانوا يفضلون إبقاء أماكن فضلاتهم خارج البيوت. فلم يكن استخدام المياه الجارية معروفا لدى الأوروبيين. وقصر فرساى الفرنسى الذى كان يضم ٤٠٠ غرفة لم يكن فيه حمام واحد فيه مياه جارية. ولأن الفرنسيين أرقى من سواهم فقد ابتكروا العطور القوية لتغليبها على الروائح الكريهة الأخرى!! بينما كان العرب فى الأندلس ودمشق وبغداد يتمتعون بحمامات بخار ومياه جارية وتقنية دفع المياه فى أنابيب لحماماتهم وحدائقهم منذ العصور الوسطى الأولى حين كانت أوروبا لا تعرف كيف تضئ شوارعها أو تجلب مياها لبيوتها.

ومن هنا كان اختراع عائلة «تويفورد» شديد الأهمية للبريطانيين وان جاء متأخرا حوالى ألف سنة عن العرب. فى عام ١٨٨٩ أنتج توايفورد أول أحواض بصرف مياه من أسفل. وحتى عام ١٩٠١ كان توايفورد قد انجز ٣٠ ماركة تجارية باسمه و٢٠ تصميما للتواليت الحديث. وافتتح اول مصنع له خارج بريطانيا عام ١٩٠٣ فى ألمانيا. توفى الابن عام ١٩٢١.



جوزيبى جاريبالدى

بطل إيطاليا القومى، ساهم فى توحيد إماراتها المتفرقة، وكان من رجال العصابات الذين سعوا لاستقلالها وإن لم يتم له كل ما أراد. ولد «جوزيبى جاريبالدى» عام ١٨٠٧فى (نيس) التى كانت تحت السلطة الفرنسية (وتقع اليوم فى فرنسا أيضا) وكانت أسرته تتعامل بالتجارة الساحلية عبر الموانئ. وشارك هو بنفسه عام ١٨٣٤ فى رحلات الأسطول العثمانى فى البحر الأبيض المتوسط بقيادة سيد البحار(القرصان) المعروف «حسين باى».

حاز «جاريبالدى» على لقب (قبطان تجارى) عام ١٨٣٢. وانضم إلى أسطول سردينيا البحرى وكاد يحكم عليه بالإعدام لمحاولته الاستيلاء على (جنوة) الايطالية، لكنه هرب إلى مارسيليا حيث قابل «جوزيبى مازينى» أحد أبطال الكفاح الإيطالى، والتحق معه (بحركة إيطاليا الفتاة). ترك المدينة إلى أمريكا الجنوبية حيث حارب مع ولاية (ريو جراند دى سول) ضد الحكومة فى البرازيل وكانت سمعته فى القتال ضد ملك سردينيا (سيريلانكا) قد سبقته إلى هناك. وكان معه رفيقته فى السلاح ثم فى الحياة «أنيتا ريفييرا دى سيلفا» والتى هربت معه حين كاد أن يلقى القبض عليه ويسجن للمرة الثانية.

مارس رعى الماشية والسمسرة وتدريس الحساب والعمل على السفن فى أمريكا الجنوبية قبل أن يعود إلى شمال إيطاليا ليساعد أهالى ولاية لومبارديا فى شمال إيطاليا، ضد حكومة امبراطورية النمسا التى كانت تحاول السيطرة على بلادهم بينما كانت فرنسا واسبانيا تزاحم النمسا عليها. وحاول الدفاع عن الدولة الجديدة ضد القوات الفرنسية والنمسوية التى وقفت إلى جانب البابا لاستعادة ماخسره من الإمارات. وكان البابا يسيطر على الولايات الوسطى فى إيطاليا بينما كانت أسرة بوربون الفرنسية تسيطر على الجنوب الإيطالى.

عمل مع «كونت كافور» و«مازينى» من أجل وحدة إيطاليا. وكان يقال إن «كافور» كان هو العقل المدبرللحركة، وإن «مازينى» كان هو الروح بينما كان «جاريبالدى» هو السيف. رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عمل لعدة سنوات فى مصنع للشموع، فى نيويورك، وعاد إلى إيطاليا عام ١٨٥٤ وكانت بداية الثورة الإيطالية التى لم تنتعش حتى عام ١٨٦٠، حين استطاع مع المتطوعين من أصحاب حركة (القمصان الحمر) أن يحرر صقلية ونابولى من حكم أسرة البوروبون، وضمها إلى الأراضى التى كان قد حررها «كافور» فى شمال إيطاليا.

استطاعوا تكوين (الملكة الايطالية) الأولى عام ١٨٦١ وأعلن برلمان «تورينو» ميلاد المملكة، لكن «جاريبالدى» تنازل عنها للملك فيكتور الثانى عام ١٨٦٢. وبعد خمسة أعوام عاود «جاريبالدى»

الاستيلاء على روما وكان البابا هو الذى يسيطر عليها ففشل. وأسر وأصيب فى قدمه، ثم سمح له بالمغادرة الى انجلترا التى طلب تأييدها ضد روسيا والنمسا المتصارعتين على إيطاليا.

كان طلبه يرفض كل مرة يحاول فيها طلب المساعدة لانتزاع السلطة البابوية على ولايات الوسط الإيطالى وروما تحديدا. وظلت روما تحت سيطرة البابا حتى عام ١٨٧٠ حيث أصبحت جزءا من إيطاليا الموحدة واضطر البابا إلى التنازل عنها وفك الإمارات البابوية التى كان يتحكم فيها. انتخب «جاريبالدى» فى عام ١٨٧٤ عضوا فى البرلمان الايطالى الجديد.

عرف «جوزيبى جاريبالدى» بطوله الفارع وضخامة جسمه، ولحيته الكثة، وقميصه الأحمر. وترك ثلاث روايات حين كان عاجزا عن العمل فى الميدان لمرضه حتى توفى سنة ١٨٨٢م.

الأخوان جريم



من أشهر وأبرع من كتب للأطفال فى العصر الحديث فى أوروبا. هما «ياكوب» و«فيلهلم جريم». ولد ياكوب (جاكوب) عام ١٧٨٥ وفيلهلم (وليام) عام ١٧٨٦ فى مدينة هاناو الألمانية الصغيرة بالقرب من فرانكفورت بين ستة أطفال ذكور وابنة واحدة لأب كان يعمل كاتبا فى البلدية ومات وعمر ياكوب ١١ سنة. فاضطرت العائلة إلى الانتقال من الريف الذى أشعل خيالهما بالحكايا إلى المدينة ليموت جدهما بعد عامين مما جعل الأسرة كلها تعيش ظروفا قاسية. درسا القانون وبدأ دراسة فقه اللغة والنحو فى أوائل العشرينات من عمريهما وعينا أستاذين فى جامعة جوتنجن التى قادا فيها مع خمسة من زملائهما الأساتذة حملة احتجاج صارخة على الدستور الذى وضعه ملك هانوفر وطردا من الجامعة ومن الولاية فدعاهما ملك بروسيا إلى برلين. صدرت المجموعة الأولى لحكايات جريم الشهيرة فى ١٨٠٧ وجسدت الاهتمام بالفلكلور الألمانى ومن هنا كانت أهميتها. فألمانيا كانت آنذاك عبارة عن إقطاعيات وإمارات وممالك صغيرة متناثرة لا رابط بينها سوى اللغة وهو ما أكد عليه الأخوان «جريم» حيث كان جمعهما للأساطير من مختلف المناطق التى تتكلم الألمانية (نواة) للوحدة الألمانية وكان «ياكوب» يرى أن (قوة اللغة تشكل الشعوب وتحافظ على تماسكها) وكان يحلم بدولة موحدة قوية.

ولأن النضال السياسى لم يكن متاحا فقد ناضل الأخوان باللغة وذلك بالبحث عن الجذور المنسية فى دراسات ألمانية قديمة فجاء جمعهما للحكايات (نوعا من الميثولوجيا) الأصلية الألمانية. واعتبرا (مؤسسى علم الجرمانية- الأدب واللغة). وكان القاموس الألمانى الذى كتباه فيما بعد فى عدة مجلدات مشروعا وطنيا شديد الأهمية. كان مصدر بعض الحكايات الأساطير والقصص الخيالية

أفواه من الفلاحين والبسطاء، لكنهما اعتمدا بشكل خاص على الأساطير المكتوبة القديمة وعلى كتب الأساطير الفرنسية من القرن السادس عشر والجرمانية من القرن الرابع عشر. ومن هنا لم تكن الحكايات مجرد استعادة الرواية الأسطورية لكنها جاءت عملا أدبيا فنيا جعل من حكايات الأطفال عالما حقيقيا.

لم يكن الأخوان جريم أول من كتب الحكايات لكنهما كانا أول من جمع الأساطير والحكايات القديمة الجرمانية بشكل خاص فصاغاها باللغة الألمانية المؤثرة الفاعلة واستخدما البراعة اللغوية بحيث شكلت تراثا جرمانيا- ألمانيا لا غنى عنه. سبقهما فى كتابة الحكايات الفرنسى «شارل بيرو» الذى اشتهر بحكاية سندريللا. وكان يكتبان فى الدوريات والمجلات المتخصصة لمدة ٢٠ عاما.

نشر «ياكوب جريم» أبحاثه عن اللغة الألمانية فى عصور ما قبل كتابة التاريخ ونشرها فى (النحو الألمانى) عام ١٨١٩م ثم (الميثولوجيا الألمانية) عام ١٨٣٣م. و(تاريخ اللغة الألمانية) عام ١٨٤٨م. بينما كرس أخوه «فيلهلم» نفسه للبحث عن الأساطير والحكايات فى كل مكان وتعاونا معا على كتابتها. وأصدرا (الحكايات) معا. اعتبرت (حكايات جريم) من أهم الأعمال وأكثرها انتشارا بعد النسخة الألمانية للإنجيل والتى ترجمها المصلح الألمانى «مارتن لوثر» صاحب المذهب البروتستانتى فى الديانة المسيحية. التقى الأخوان «جريم» بالشاعر جوته الذى أعجب بهما وأحبهما كما صادقهما عدد من الأدباء بينهم «شيللر». كان الأخوان مختلفين فى كل شئ لكنهما متفقان فى مشروعهما وحياتهما معا. توفى الأصغر «فيلهلم» عام ١٨٥٩، وياكوب عام ١٨٦٣. واعتبرت اليونيسكو أعمالهما من التراث العالمى.

جيدو دى أريتسو



أول من وضع النوتة الموسيقية الحديثة فى القرن الحادى عشر الميلادى. ولد عام ٩٩١ تقريبا وكان مهتما بالموسيقى النظرية فى العصور الوسطى. وقد استبدل الكتابة الموسيقية القديمة بالأشكال الموسيقية الحديثة المعروفة بالنوتة الموسيقية.

كان راهبا فى الكنيسة البينيدكتية فى المدينة الإيطالية أريتسو ويعتبر أول أعماله ما يسمى بـ (ميكرولوجوس) والتى يرجح أنها كتبت عام ١٠٢٥ وربما كان عمره آنذاك ٣٤ سنة كما جاء فى إحدى رسائله. أمضى «جيدو» بدايات حياته فى دير بومبوسا على شاطئ بحر الأدرياتيك. وهناك أدرك الصعوبة التى يجدها المغنى فى استرجاع لحن الأناشيد الجريجورية الكنائسية، فعمل على وضع طريقة تسهل عملية تذكر اللحن وتعليمه للمغنى فى وقت قصير وسرعان ما ذاع صيت طريقته فى كل شمال إيطاليا.

لكن باقى القساوسة لم تعجبهم شهرته فطلبوا نقله إلى أريتسو حيث لا توجد كنيسة يمكن الغناء فيها لكن فيها عددا كبيرا من المرتلين، فطلب منه مدربهم «المطران تيدالد» تعليمهم على طريقته وهناك استطاع تطوير التعليم بطريقة فنية وتكنولوجية باستخدام الصولفاج الذى كان فى بومبوسا وضاع.

كما ابتكر البرنامج الذى سمى باسمه وهو تقسيم النوتة بحسب تقسيم اليد البشرية. وقد سجلت نظريته وتطبيقها على جدار كاتدرائية اريتسو كما كان يعلمها فى ذلك الوقت. وسرعان ما جذبت انتباه البابا يوحنا التاسع عشر الذى استدعى «جيدو» إلى روما عام ١٠٢٨ تقريبا ولكنه عاد بعد وقت قصير إلى أريتسو لاعتلال صحته. ولا يعرف الكثير عنه منذ ذلك التاريخ حتى وفاته عام ١٠٣٣م.

ويطلق اليوم اسمه على برنامج النوتة الموسيقة الالكترونية على الكومبيوتر والمعروف باسم (جيدو)!

الأب جيرار دى كريمونا

يدعى أيضا جيرار الكريمونى عند العرب. ناقل العلوم العربية الإسلامية إلى الغرب اللاتينى المسيحى. من أعظم المترجمين فى القرن الثانى عشر الذين نقلوا العلوم العربية إلى اللغات اللاتينية أثناء النهضة العربية الإسلامية فى القرون الوسطى حين كانت أوروبا تعيش القرون (المظلمة). لا يعرف الكثير عن «جيرار الكريمونى» سوى أنه إيطالى ولد عام ١١١٤م فى كريمونا وإليها ينتسب اسمه. وربما اهتم بدراسة اللاهوت مثل قليلين غيره آنذاك فلم يكن العلم ولا المعرفة متاحة لأى إنسان سوى لرجال الدين وللقلة منهم أيضا.

انتقل إلى مدينة طليطلة فى الأندلس وعمره يقارب ٣٠ عاما وتعلم العربية. كانت المدينة قد استردها الإسبان من المسلمين الأندلسيين بقيادة ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ وكان مولعا بالثقافة العربية الاسلامية، التى ضمت تحت جناحها فى الأندلس اليهود الذين ساهموا أيضا بشكل ما فى هذه الحضارة التى أعطتهم الدافع والإمكانيات ليصنعوا الإنجازات. (طليطلة) كانت المركز العلمى والحضارى والثقافى حتى بعد أن غزاها الإسبان.

عرفت بالعاصمة (متعددة الثقافات)! لجأ إليها راغبو العلم من أوروبا من رجال الدين بالطبع. فكان فيها مدرسة دينية منهجية علم فيها «جيرار دى كريمونا» اللاهوت. لكن مجده بدأ حين عثر فى مكتباتها على ترجمة عربية لكتاب بطليموس اليونانى فى أسس علم الفلك والذى يسمى

(الماجست) وعرفه العرب بكتاب (المجسطى) وقد نقله العرب فى الشرق إلى العربية وضاعت نسخته اليونانية.

لكن علماء العرب أجروا تعديلات جوهرية على بعض نظريات بطليموس وأثبتوا خطأها وكتبوا الهوامش. ترجم «جيرار دى كريمونا» كتاب المجسطى وانتهى منه عام ١١٧٥ فعرفه الغرب وكان فاتحة لقدوم عدد من الباحثين الأوروبيين إلى طليطلة للاطلاع على مؤلفات العرب. ترجم (ألواح طليطلة) وكانت عن الأزياج والحسابات الفلكية التى أنجزها العرب المسلمون فأدهشت أوروبا كلها وكانت جزءا من مؤلفات العالم (الزرقالى) الذى عرفه الغرب بـ (ارزاكل) واعتبر أعظم علماء الحسابات الفلكية وظلت مناهجه التى ترجمها جيرار تدرس فى الجامعات حتى عصر النهضة الأوروبية.

ترجم جيرار للفارابى (كتاب الإحصاء والعلوم) والذى شكل أساس العلوم فى أوروبا آنذاك فى المعادلات الحسابية. وترجم كتاب الهندسة لإقليدس المترجم بالعربية عن اليونانية، وترجم كتب الرازى فى الطب، وابن الهيثم فى البصريات وللزهراوى فى الجراحة كما ترجم مقياس الدوائر لأرخميدس المترجم للعربية أيضا.. وربما اختلط الأمر مع اسم جيرار آخر كان مترجما أيضا فلا يمكن أن تكون كل هذه الترجمات له.

لكن هذه الترجمات التى كانت تنقل إلى أوروبا، أزعجت بعض الأندلسيين ومنهم (ابن عبدون) ورفضوا أن يستفيد (المسيحيون) الصليبيون، الذين يعادونهم فى أوروبا، من علومهم، ثم قد ينسبونها إليهم وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك. وحتى حين بدأت النهضة فى أروبا ظلت كتب جيرار دى كريمونا تدرس فى الجامعات فى باريس وبولونيا. ومهما يكن من أمر فهو قد عرّف أوروبا بالإبداع العربى والنهضة الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية التى كانت السبب فى نهضة أوروبا مهما قيل الآن. توفى جيرار دى كريمونا عام ١١٨٧.

جوزيف جيوتان

اشتهر اسمه وعرف بالمقصلة التى استخدمت أيام إعدامات الثورة الفرنسية التى ما يزال يطلق اسمه عليها حتى اليوم «جيوتان». هو «جوزيف إجناس جيوتان» ولد عام ١٧٨٩ وكان فى البداية مهتما بالآداب وعمل أستاذا جامعيا للآداب والفنون فى (بوردو) ثم درس الطب حيث تخرج عام ١٧٦٨ فى رايم ثم فى باريس بعد عامين. فى عام ١٧٨٤ عين فى اللجنة الحكومية لفحص عروض الخاصية الحيوانية، التى كانت تعتبر تحديا للأخلاق العامة.

كان أحد الأعضاء العشرة فى الجمعية الدستورية فى باريس وسكرتيرا للجنة من عام ١٧٨٩ حتى عام ١٧٩١.

وكان ينتمى إلى حركة إصلاحية تهدف إلى إلغاء عقوبة الإعدام نهائيا فى أكتوبر عام ١٧٨٩، لكنه كان يعرف استحالة إلغاء تنفيذ أحكام الإعدام فتقدم بلائحة من ستة بنود إلى اللجنة التشريعية، جاء فى إحداها (أن المحكوم عليهم، لابد وأن تستخدم لهم آلات لا تسبب لهم ألما). وكان يهدف إلى استبدال الطريقة القاسية التى تستخدم آنذاك بطريقة أكثر رحمة. فقد كان الإعدام يتم بالحرق أحيانا أو بالضرب العنيف.

كان الأرستقراطيون والأغنياء فقط هم الذين يحصلون على نعمة الموت السريع إما بالسيف الطويل وإما بالفأس! وحتى هذه الطريقة كانت تتسبب فى التعذيب للمحكوم عليه. فقد كان الأمر يتطلب عدة ضربات متتالية قبل أن يقطع العنق. وطالب «جيوتان» أن يكون مشهد الإعدام خاصا وكريما ولايشهده الجمهور العريض.

كان الإعدام يتم علنا وسط صيحات الغوغاء فى الميادين العامة. وكان الجناة يشنقون أو تربط أطرافهم إلى أربعة ثيران تطلق فى كل الإتجاهات فيتمزق جسد المحكوم عليه مما يتسبب فى آلام فظيعة.

كان «فرانس ميسمر» قد نشر عام ١٧٨٤ نظريته فى (خاصية المغناطيسية الحيوية) وكان الملك لويس السادس عشر، قد شكل لجنة لفحص النظرية وعين «جيوتان» على رأسها مع «بنجامين فرانكلين» وغيرهم.

فى ديسمبر ١٧٨٨ نشر «جيوتان» مخطوطا بعنوان (استعطاف من مواطنى باريس)يتعلق بدستور الدولة. ولأن كثيرين أيدوه، فقد عين فى لجنة الدستور.

استلفت «جيوتان» الانتباه إلى ضرورة الإصلاحات الطبية أثناء الجدل حول العقوبات والتى تقدم بشأنها بضرورة (تسهيل عملية الإعدام إلى أقصى حد ممكن)! و(إيجاد آلية تخفف العذاب وتقطع الرأس بأقصى سرعة ودون ألم)! وقد استعان لشرح نظريته بالابتكار الذى قدمه طبيب الأسنان الإنجليزى «إدوارد جينر»، الذى عاش بين ١٧٤٩ و١٨٢٣ وعرف باختراعه لمصل التطعيم من الجدرى وكان رئيس لجنة التطعيم فى باريس. فكان «جيوتان» أول طبيب فرنسى يدخل آلة المقصلة التى ابتكرها «جينر» إلى فرنسا. ولا تذكر الموسوعات كثيرا عن ابتكار «جينر» لآلة المقصلة وإن كان المؤكد أن «جوزيف جيوتان» هو الذى أدخلها إلى حيز التنفيذ بموافقة الحكومة الفرنسية، فعرفت فى الغرب باسمه.

قام «روبسبيير»، أحد رجال الثورة الفرنسية بسجن «جيوتان» بسبب رسالة من الكونت مير، الذى كان على وشك تنفيذ الإعدام فيه، يطلب فيها أن يتولى «جيوتان» رعاية أسرته. وأفرج عنه بعد إعدام روبسبيير نفسه.

توفى «جوزيف جيوتان» فى باريس عام ١٨١٤ وطالبت أسرته بعد وفاته بتغيير اسم المقصلة المعروفة باسم (جيوتان) لكن الحكومة رفضت فاضطرت الأسرة إلى تغيير لقبها، حتى لا يظل مرتبطا بتنفيذ أحكام الإعدام بالآلة التى اشتهرت كثيرا أيام الثورة الفرنسية لكثرة ما أعدم عليها.



جيوم التاسع التروبادور

(ويليام التاسع) أول (تروبادور) وصل إلينا خبره فى التاريخ العربى الإسبانى.

و«تروبادور» هو نوع من الشعراء الإسبان الذين نشروا أشعارهم الخفيفة الغزلية غالبا والمصاحبة بالموسيقى أحيانا، وهم يتجولون بين المدن ويعزفون ويلقى الناس قصائدهم ويتناقلونها حتى تنتشر فى كل مكان. ومن إسبانيا انطلق التروبادوريون إلى فرنسا وإيطاليا ثم باقى أوروبا اللاتينية فلم يعرفوا فى انجلترا.

ولد «جيوم التاسع» عام (١٠٧١ فى جنوب ما يسمى اليوم فرنسا. وإليه ينسب ابتداع الشكل الجديد الغنائى باللغة الأوكيتانية، والذى يتخذ من شكل الموشحة العربية قالبا ينظم فيه أشعاره وقد اقتبس من العرب الأندلسيين أشعاره، فكان أول من تغنى بالمرأة.

كان «جيوم التاسع» دوق أوكيتان، وأصبح كونت بواتييه منذ عام ١٠٨٦ وحتى وفاته. وكان بين قادة الحملة الصليبية عام ١١٠١ وأقام فى الشام حقبة من الزمن وجاء إلى الأندلس عام ١١٢٠م ليساعد الملك «ألفونسو» فى معركة «كتندا» ضد مسلمى الأندلس، ويرجح أنه كان يعرف اللغة العربية، وقرأ الأشعار العربية وفهم الموشحات الأندلسية.

تزوج «دوق جيوم التاسع» من أرملة ملك أراغون، فى شمال إسبانيا، واطلع على الشعر العربى الأندلسى. فكان أول من نظم شعر الغزل الذى كانت تحرمه الكنيسة، ولا يجرؤ الشعراء على ذكر جمال المراة والتغزل بها. بالرغم من أن الأندلسيين كانوا فى الغالب يتغزلون بحبيبة ليست موجودة أحيانا أو ببعيدة فى بلد آخر ولم يكن الغزل محرما على شعراء المسلمين فى الأندلس. بل كان الغزل جزءا من القصيدة العربية.

قلد «جيوم التاسع» شعراء وزجالى الأندلس فى شعر الشطرة الواحدة والقوافى المتعددة. والذى لم يعرفه تاريخ الأدب الأوروبى قبل القرن الثانى عشر وهو تاريخ ظهور شعر التروبادور الطربى. وذلك حين انتشر الشعر الأندلسى وتأثر به «جيوم التاسع» فى البروفانس.

غزل التروبادور يعكس حالة من الحب المتأجج للمرأة، لكنها فى الغالب ليست حسية، فهى شديدة الرومانسية وهو ما كان غريبا على الأوروبيين. واستطاع «جيوم التاسع» باعتباره منهم،

تقريبه إليهم بحكم اتصاله المباشر بهم فى شمال إسبانيا. فكانت حياته صورة من مجتمعه المنفتح على الحضارة الأندلسية الجديدة تماما على أوروبا.

وقد ترك لنا إحدى عشرة قصيدة تعكس مدى تأثره بالموشحات الأندلسية، التى شكلت العناصر الأساسية لشعره ومضمونه وكان بينها خمسة قصائد كتبت بعد عام ١١٠٢ وتتألف من ثلاثة أشطار أبيات متحدة القافية ثم أشطار بيت من قافية واحدة مختلفة.

على أن بعض المستعربين الإسبان ولا نقول المستشرقين (فهم يرفضون كلمة المستشرق)، يقول إن الأندلسيين هم الذين تأثروا بهذا النوع من الشعر والموسيقى الذى كان سائدا فى الجنوب الفرنسى والإسبانى.لكن رواد هذه النظرية، قلة. بينما يؤكد أغلبهم أن الإسبان أو أهالى البيرينيه وبواتييه هم الذين تأثروا بهم فنتج التروبادور الجوال!

فالمستعرب الإسبانى «خوليان ريبيرا»، الذى درس الموسيقى الإسبانية المختلفة تماما عن الموسيقى الأوروبية، كما درس دواوين شعر التروبادوريين، اكتشف وجود (تماثل فى تراكيب الأبيات وتعاقب القوافى فيما يسمى بـ (الشعر الجوال)، الذى ساد فى إقليم بروفانس فى جنوب فرنسا وكانت لغتها البروفانسية أشهر اللغات الرومانية اللاتينية وشهدت أول ازدهار أدبى استمر لمدة قرنين كاملين بفضل شعراء (التروبادور) وخرج منها كل القوالب الجديدة الشعرية والموسيقية! وانتهى «ريبيرا» إلى أن شعراء التروبادور فى البروفانس (استخدموا أقدم القوالب الأندلسية).

وهو يعتبر «جيوم التاسع» أول شاعر فى اللغات الأوروبية الحديثة جاء بقالب جديد. توفى «جيوم التاسع» عام ١١٢٦م.

حسن الرماح

قائد عسكرى سورى فى القرن الثالث عشر والرابع عشر. أول من وصف البارود كمتفجر مصنع علميا مدروس المقادير فى القاذفات وأول من وصف الصواريخ بشكل مفصل. وأول من صنع واستخدم الطوربيد. وأفضل من مارس وكتب عن الفروسية (الحرب فوق الخيل) والآلات العسكرية! ذكره عدد كبير من كبار العلماء والمؤرخين للعسكرية فى الغرب منذ القرن الثالث عشر وحتى اليوم. وهناك مئات المواقع الإلكترونية على الإنترنت بمختلف اللغات الأوروبية والصينية واليابانية التى تعيد له الفضل فى استخدام البارود بشكله الكيميائى وصنع واستخدام الصواريخ المتطورة!

هو «نجم الدين حسن» الملقب بالأحدب. ويعرف بـ (الرماح) لمهارته الفائقة فى رمى الرمح. لا يعرف تاريخ مولده بالضبط لكن المعروف أنه عاش فى سوريا، فى بلاد الشام بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر. عرف بأساليبه العسكرية المذهلة وابتكاره وتطويره للأدوات الحربية وقد نقل منه العالم الكيميائى الانجليزى «روجر بيكون» الذى ينسب إليه اختراع البارود وهو ما يؤكده «سارتون».

فأقدم إشارة أوروبية للبارود كانت عام ١٣٠٠م فى كتاب «ماركوس الإغريقى» بما يؤكد أن العرب كانوا أسبق.

وصف الرماح لأول مرة تنقية (نترات البوتاسيوم) وهو- بحسب بعض المصادر- ملح البارود، المادة الأساسية فى تكوين مسحوق البارود، وحدد النسب اللازمة من مسحوق البارود للوصول إلى البارود المتفجر واستخدامه فى المدافع. ورد فى كتبه أول وصف مفصل للصواريخ النارية واستخداماتها، وترسيم الرماح والأسهم بالقذائف النارية، وكيفية الرمى بالمنجنيق (كرات اللهب المقذوفة)، و(علم الحيل) وهو العلم المعروف اليوم بالهندسة الميكانيكية. يقال إن «حسن نجم الدين الرماح» شارك فى الحرب ضد الحملة الصليبية السابعة والقوات الفرنسية التى كان يقودها «لويس السادس عشر» عام ١٢٤٢م وإنه استخدم فى هذه الحرب المدافع التى تطلق قذائف البارود وإن الملك الفرنسى استغاث بالرب من هذا (الجحيم)!

أشهر كتب الرماح التى نقل عنها علماء وعسكريو أوروبا فى القرون الوسطى، كان: (كتاب الفروسية والمكائد الحربية) الذى يقال إنه ألفه بين عامى ١٢٧٠م و١٢٨٠م، وفيه شرح مفصل لصناعة البارود باستخلاص ملح البارود من الطبيعة وتفتيته فى المختبرات (نترات البوتاسيوم) وقد جاء فيه ذكر ١٠٧ مراحل لصنع البارود المشتعل و٢٢ مرحلة لصناعة عدة أنواع من الصواريخ وكان الرماح يسمى الصاروخ (الطيار) والصواريخ (الطيارات)! وفى مصادر أخرى كان يسميه (الرمح الصينى) واختلفت الصواريخ لديه حسب حجمها وسرعتها. ومن المتعارف عليه أن الصينيين استخدموا البارود منذ القديم لكنها كانت للألعاب النارية فقط، فلم يتوصلوا إلى التقنية اللازمة للتفجير العسكرى. وتذكر الكتب العديدة أنه كان أول من اخترع قنبلة (منومة) وأول من ابتكر قنبلة مسيلة للدموع، وكان أول من ابتكر فكرة الطوربيدات لتصطدم بالسفن فى البحار وتغرقها. وفى معرض (الطيران القومى ومتحف الفضاء) عن (الأدوات الحربية) فى واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، يعرض نموذج لما سمى بـ «طوربيد الرماح».

لا ينكر «الرماح» فضل من سبقوه فى هذه الصناعة بل يذكر أباه وأستاذين له تعلم على أيديهم صناعة البارود والمتفجرات. من أهم كتبه: (غاية المقصود من العلم والعمل به). كما ألف: (كتاب نهاية السؤل والأمنية فى تعلم الفروسية). وله كتاب (البنود فى معرفة الفروسية) وكتاب

(الفروسية فى رسم الجهاد) وهو مخطوط يوجد حاليا فى باريس. وأشهر كتبه هو (الفروسية والمكائد الحربية) ويوجد منه مخطوط فى (معهد المخطوطات العربية) بالقاهرة. توفى «نجم الدين حسن الرماح» عام ١٢٩٤م/ ٦٩٥ هجرية.

حمزة الفنصورى

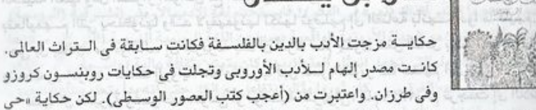
أول من نظم الشعر الصوفى فى بلاد الملايو شرق آسيا فى القرن السادس عشر الميلادى ويعتبر من أوائل الكتاب الصوفيين الذين أدخلوا مفهوم (الصوفية) وإشاراتها وتعبيراتها فى اللغة الملاوية. والمعروف أن أرخبيل (الملايو) مصطلح جغرافى قديم يطلق على مجموعة ضخمة من الجزر وأشباه الجزر فى منطقة جنوب شرق آسيا وكانت تتكون من منطقة ما يسمى اليوم (الفيليبين واتحاد ماليزيا واندونيسيا) تجمعهم لغة الملاوية والتى كانت تتداول فى التعاملات الرسمية وينظم بها الشعراء دواوينهم.

عاش «حمزة الفنصورى» فى النصف الثانى من القرن السادس عشر دون معرفة تاريخ مولده بالتحديد. وكان هو الذى قام بالتعريف بالصوفى «عبد القادر الجيلانى» مؤسس الطريقة القادرية. وكان مثقفا متعلما وقام برحلات كثيرة إلى الخارج للبحث عن المعرفة والحقيقة وقد جاء ذكر مكة المكرمة فى أشعاره وكذلك القدس الشريف لكن السلفيين والنصيين فى معظم أنحاء آسيا رفضوه فانحصرت كتاباته ومقالاته فى دائرة ضيقة من تلاميذه ومازالت موضع جدل حتى اليوم.

اعتنق الفنصورى التصوف القائل بوحدة الوجود، بمعنى تجلى الله فى الكائنات والحلول فى الإنسان حتى يصبح الكل واحدا. كما أدخل مذهب (ألوهية الكون). ويعتقد بعض المؤرخين أن «حمزة الفنصورى» قد ترقى إلى منصب الخليفة فى الطريقة القادرية وكان يشار إليه بأنه (وجد الوجود) وهى تجربة اختص بها وحده ومعروفة خلال مكوثه فى (شهرناو) التى لها مكانة خاصة اليوم لدى الفرس ومسلمى شرق آسيا. ويشير بعض المؤرخين المحدثين إلى أن «الفنصورى» زار ضريح الجيلانى فى بغداد وبذلك أصبح خليفة القادرية فى ملايو.

نظم «الفنصورى» ما يسمى بـ (رباعيات حمزة الفنصورى) وتأثر عموما، مثل كل الأدباء الملاويين، بأساليب الأدب ونهج المثنوى الشعرى والغزل الفارسية.

تأثر «الفنصورى» بمؤلفات الصوفية الكبار الذين يثور حولهم الجدل الشديد مثل «ابن عربى» و«البسطامى» و الحلاج» وربما ذى النون المصرى أيضا. توفى «حمزة الفنصورى» حوالى عام ١٥٩٥م.



حى بن يقظان

حكاية مزجت الأدب بالدين بالفلسفة فكانت سابقة فى التراث العالمى. كانت مصدر إلهام للأدب الأوروبى وتجلت فى حكايات روبنسون كروزو وفى طرزان. واعتبرت من (أعجب كتب العصور الوسطى). لكن حكاية «حى ابن يقظان» تختلف فى فلسفتها العميقة التى تتحدث عن وحدة الإنسان ووحدانية الخالق وتربط بينهما. كتبها ابن سينا واستعادها السهروردى الفارسى المتصوف كما حاول صياغتها ابن النفيس، مكتشف الدورة الدموية الشهير، والفيلسوف والطبيب. ثم تجلت على يد «ابن طفيل». هو «أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسى الأندلسى» ويقال له «الإشبيلى» أو «القرطبى». ولد فى بدايات القرن الثانى عشر الميلادى بمدينة (وادى آش) قرب غرناطة بالأندلس ويعتبر أحد أهم فلاسفتها.

كان عالما فى الرياضيات والطب وكان له آراء مبتكرة فى علم الفلك وعلم النجوم وبرع فى الشعر. قد يكون تولى منصب الوزارة فى عهد السلطان أبى يعقوب يوسف فى دولة الموحدين لكن المؤكد أنه كان طبيبه الخاص. عاصر ابن رشد وكانت بينهما مراسلات. وكانت له نظريات جديدة فى الدوائر الفلكية. ترك ذخيرة من الكتب أشهرها «حى بن يقظان» التى نقلها عن ابن سينا ثم السهروردى. لكن «ابن طفيل» وضع فيها رؤيته الخاصة فى الكون وفى المعرفة الداخلية للوصول إلى المعرفة الكلية والحقيقة العليا.

القصة عن «حى» الذى يولد بلا أم أو أب يعرفهما. قد يكون ولد من الطين (!) الجزيرة من جزر الهند البعيدة المعزولة. تلتقطه ظبية فقدت وليدها فترضعه وتحنو عليه. عرف مسالك الغابة وبدأ يعى (الوجود) حوله. وحين يصل إلى سن الصبا ويجد نفسه عاريا بينما الحيوانات مكسوة بالشعر أو بالوبر، يصنع ما يستره من الجلود لكنه لا يأكل اللحم. أخذ يشرّح الحيوانات ليعرف.

حين ماتت الظبية تعرف إلى الفرق بين الحياة والموت. تأمل فى كل الكائنات حوله. اكتشف كيفية إشعال النار ورصد حركة الرياح ودرس حركة النجوم ومواعيد طلوع الشمس وغروبها. عرف التربة التى يعيش عليها فتوصل دون معلم ولا لغة يتكلم بها ولا معرفة سابقة يعتمد عليها، إلى أنه لابد من (خالق واحد) يهيمن على هذا كله فى نظام واحد. انتقل إلى الفلسفة وعاش زاهدا. ارتبط عقله بقلبه وروحه فأدرك الأشياء بمعناها الطبيعى. أحس أنه يريد أن يتصل بالقوة العليا التى تحرك هذا الكون. وتصادف نزول إنسان على الجزيرة هو «واسال» قادما من جزيرة سلامان. علمه «آسال» أو «واسال» لغة الكلام ليعبر عن نفسه، ونقل إليه علوم الدنيا والنصوص الدينية التى يعرفها العامة ليتعبدوا بها، والتى يستخدمونها طمعا فى الجنة وخشية من النار.

حاول «حى بن يقظان» هداية الناس فى جزيرة سلامان التى انتقل إليها مع واسال. حدثهم عن الحقيقة العليا وعن أسرار التواصل مع الكون وخالقه وعن فطرة المعرفة. لكن الناس كانوا مشغولين بتعاليمهم التى يحفظونها وقد لايفهمونها لكنها توصلهم إلى القناعة بأنهم أدوا ما عليهم. عاد «حى بن يقظان» مع «واسال» إلى جزيرته بعد أن أدرك عدم جدوى شغل الناس بأكثر مما يفهمون أو يستطيعون إدراكه. شغلت الرواية علماء الغرب قبل عصر التنوير كما شغلهم ابن رشد.

نقلها الى العبرية وشرحها «موسى أو موشيه النربونى» عام ١٣٤٩م ثم ترجمت إلى اللاتينية فعرفها فلاسفة أوروبا وعلى رأسهم لايبنتز ثم جاءت ترجمتها إلى الإنجليزية فطبعت لأول مرة عام ١٦٧١ والثانية فى اكسفورد عام ١٧٠٠ ثم نقلت إلى الألمانية فالفرنسية والإسبانية والروسية وأخيرا جدا ظهرت طبعات جديدة لها بالعربية.

وفى منتصف عام ٢٠٠٤ قام الفنان العراقى «تامر الزيدى» لمجلس تعاون دول الخليج العربى، بصنع فيلم بالرسوم المتحركة باسم (ابن الغابة) عن كتاب (حى بن يقظان) لابن طفيل، الذى توفى فى مراكش عام ١١٨٥.

خاشاتور أبوفيان

أبو الأدب الأرمنى الحديث. أول من كتب رواية باللغة الأرمنية وأول من ألف أدبا للطفل فى تاريخ الأدب الأرمنى. تؤرخ روايته (جراح أرمينيا) لفن القصص الأرمنى. ولد «خاشاتور أبوفيان» فى قرية كاناكر بالقرب من مدينة بيريفان (عاصمة دولة أرمينياالآن). وكانت عائلته إحدى العائلات الخمس التى كانت تحكم مقاطعات ما يسمى اليوم (ناجورنو- قره باخ) فى آسيا الوسطى. حياته درامية مثل قصصه. فى سن الثامنة أدخله والده التعليم الكاثوليكى. انتقل إلى مدينة (تفليسى) (فى أذربيجان اليوم) عام ١٨٢٢ لدراسة الأدب واللغة الأرمنية. فشلت محاولة سفره إلى إيطاليا بسبب الحرب الروسية الإيرانية.نقطة التحول فى حياته كانت مع تعرفه إلى «د.فريدريك باروت» أستاذ الفلسفة من استونيا والذى كان أول من وصل إلى قمة جبل أرارات بمساعدة «أبوفيان» بتمويل من القيصر (نقولا الأول). درس «أبوفيان» الفلسفة والموسيقى والتاريخ والعلوم وأتقن اللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية ودرس اللاتينية ثم تفرغ تماما للتأليف وترجم هوميروس الإغريقى وجوته وشيللرالألمانيين.حين مارس التدريس فى تفليسى، لاحظ عزوف الطلبة عن قراءة الأدب الأرمنى الكلاسيكى الذى كان يدور حول الملوك والكهنة والأمراء والذى كان يكتب عادة باللغة الكلاسيكية الأرمنية أو باللغة الفصحى (كرابار)!فتحمس لدراسة اللغة الدارجة

الحديثة المستخدمة فى كتب الخيال العلمى. وقضى لياليه يتعلمها حتى كتب بها روايته الشهيرة (جراح أرمينيا) الذى كان بطلها من الفلاحين المحبين للأرض والوطن أكثر من اهتمامه بالسلطة والأسياد. وهو ما اعتبر آنذاك (ثورة فى الفكر)! فاستخدم لغة الأدب الأرمنى الشرقية (الروسية) التى كانت أكثر تفاعلا مع الحياة الأرمنية الواقعية بعيدا عن اللغة الرسمية الغربية (التى كان مركزها الأستانة أو استانبول التى تحمل اندثار العثمانيين).كان يتمتع بثقافة عالية وواسعة. تأثر بالفكر الغربى خاصة «روسو» الفرنسى. كان ثوريا مثاليا يتفاعل مع الكل حتى أنه بدأ يتعلم صناعة الخبز. اهتم بالتربية وتطوير التعليم. اختفى فجأة فى صباح يوم من عام ١٨٤٨ ولم يعد. ويعتقد أنه مات منتحرا أومقتولا. لم تنشر مؤلفاته فى حياته لكنه لقى تكريما غير مسبوق بعد مماته.

خاشادوريان



من أهم المؤلفين الموسيقيين الأرمن. ذاع صيته فى العالم كله وكان على رأس الموسيقيين السوفييت أيام ستالين. ولد «آرام خاشادوريان» عام ١٩٠٣م لأسرة فقيرة أرمنية فى مدينة تفليسى فى جورجيا التى كانت جزءا من الإمبراطورية الروسية.

انتقل إلى موسكو ولم يكن يعرف كلمة روسية واحدة ولم يتعلم جملة موسيقية بطريقة علمية لكنه كان مولعا بالموسيقى منذ طفولته فأبدى موهبة فذة شجعته على الالتحاق بمعهد «جنيسين» حيث درس التشيللو ثم التحق بالكونسيرفاتوار بموسكو عام ١٩٢٩ حيث أصبح أستاذا فيه وفى معهد التربية الموسيقية. كان مبهورا بالشيوعية الوليدة آنذاك وحين أصبحت أرمينيا جمهورية سوفيتية التحق بالحزب عام ١٩٤٣ وشارك فى قطار الفنانين الذى قام بالدعاية.

مبادئه الشيوعية امتزجت بالقومية الأرمنية فأعطت أعماله نكهة مختلفة. وبالرغم من أنه كتب سيمفونيته الثالثة خصيصا للحزب فقد صدر قرار باتهامه بالميل إلى الغرب وبالبرجوازية مع الموسيقى البارع «شوستاكوفيتش» و «بروكوفييف» مما أضر بسمعته. وبعد موت ستالين انتقم من كل من شارك فى اتهامه وعزله: (كانت أياما مأساوية - كنت مدمرا ومحطما). توفى فى موسكو عام ١٩٧٨ ودفن فى بيريفان بأرمينيا وتم تكريمه بظهوره على عملة ورقية أرمنية عام ١٩٩٨ كما حملت أكاديمية بيرفان اسمه.

«خاشادوريان» استطاع التعريف بالموسيقى الشعبية الأرمنية الشرقية عن طريق مزجها بالموسيقى الكلاسيكية الغربية التى تأثرت بها أعماله فى البداية. وقد حافظ «خاشودريان»

على أصالة الموسيقى الأرمنية التى تعود جذورها إلى نحو ٣ آلاف سنة وقد تأثرت بالموسيقى السورية القديمة وبالأذربيجانية ثم بالتركية بينما تأثرت بالغرب فى القرن التاسع عشر. كتب السيمفونيات والكونشرتات لمختلف الآلات خاصة التشيللو والبيانو. كتب موسيقى للأفلام والمسرحيات وأشهرها «السيمفونية الجميلة» ١٩٣٤ و«ماسكيرادا» عام ١٩٤١ والفانتازيا الروسية ١٩٤٤. وأشهر اعماله «سبارتاكوس» عام ١٩٥٣. عرف بجمله القوية الصارخة الشرقية. وكان يحب آلة «الدودوك» وهى الناى المزدوج. ومازالت أعماله تعتبر درة الحفلات الموسيقية فى كل مكان فى العالم.

الشيخ خزعل



أمير عربستان المساة (الأحواز) جنوب إيران التى كانت أول بلد ظهر فيه النفط فطمع فيه الغرب، هو أحد أهم الأمراء فى تاريخ العرب الحديث. ساهم فى أحداث الخليج العربى فى أول القرن العشرين وعاصر رسم خريطة المنطقة بما سمى باتفاقية (سايكس بيكو) لتقسيمها.

هو «خزعل بن جابر بن مرداو الكعبى العامرى» ولد سنة ١٨٦٢م ونشأ فى بلدة (المحمرة) (خور مشهر حاليا)، التى كانت مركز إمارة المحمرة العربية أيام الحكم العثمانى، وتعلم على يد شيوخ النجف الشرف وتدرب على الفروسية وتولى الإمارة بعد مقتل أخيه الشيخ «مزعل» سنة ١٨٩٧م. شهدت إمارته ظهور النفط فى الجزيرة العربية وتداخل المصالح الأجنبية فى المنطقة خاصة حول إمارته لموقعها الاستراتيجى جنوب إيران وحدود الجزيرة العربية وقيام الحرب العالمية الأولى وكما شهد انهيار حكم سلالة القاجار فى إيران، حيث تمتع باستقلالية شديدة أيامهم لكن تسلم أسرة البهلوى السلطة عجلت بنهايته.

فقد كانت إمارته أول إمارة عربية على الخليج ظهر فيها النفط عام ١٩٠٨م على بعد ١٥٠كم من رأس الخليج ففتح البريطانيون المفاوضات معه برغم اعتراض شاه إيران ويبدو أن لقاء تم فى بخارى بآسيا الوسطى الإسلامية مع السير «كوكس» الوكيل البريطانى المسئول عن المناطق المحيطة بالخليج العربى ووقع معه اتفاقية تقضى بدفع إيجار للشيخ خزعل لموقع تكرير ومرور أنابيب للنفط عبر أراضيه مقابل تأييد استقلاله عن إيران والدفاع عنه إذا لزم الأمر.

كان يمكن أن يكون الشيخ «خزعل» ملك العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فقد كان اسمه بين المرشحين وهم الأمير برهان الدين ابن السلطان عبد الحميد الثانى، والآغاخان،

شخصيات صنعت التاريخ

زعيم الطائفة الاسماعيلية فى الهند والأمير فيصل والشيخ خزعل وساند ترشيحه علماء النجف وكربلاء. لكن البريطانيين أسقطوا اسمه فى مؤتمر القاهرة خشية أن يوحد بين عربستان والعراق مما سيترتب عليه مشاكل سياسية لهم ورشح الزعيم البريطانى «تشرشل» اسم «الأمير فيصل» باعتباره الشخص الأنسب.

كان وصول رضا خان بهلوى إلى رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع فى إيران أيام الحكم القاجارى نكسة للشيخ خزعل، حيث جرد حملة عسكرية قادها بنفسه فى ١٩٢٤ للقضاء على خزعل، وتمكن الجيش الفارسى من احتلال عربستان وتشكلت محكمة عسكرية خاصة وأعدمت عددا من العرب بتهمة (المقاومة). وغادر الشيخ خزعل الأحواز متوجها إلى قصره فى البصرة بالعراق وبدأ تنظيم عشائره وحين عاد لمقابلة المعتمد السياسى البريطانى، أبلغه بوجوب انسحابه لصالح البهلوية.

جاءت نهاية الشيخ «خزعل» حين أقام حفل الوداع على يخته الخاص الراسى فى شط العرب مقابل قصره وحضره عدد محدود من أصدقائه يوم ٢٧ رمضان وبعد المغرب صعدت مجموعة من جيش الاحتلال الفارسى إلى اليخت وألقى القبض عليه وسيق إلى المحمرة ومنها إلى مدينة الأحواز وأرسل فى اليوم التالى إلى طهران على البغال فى أبريل عام ١٩٢٥. وفرضت الحكومة الإيرانية غرامة ضخمة على أملاكه لاستنزاف ثروته وظل تحت الإقامة الجبرية فى طهران حتى عام ١٩٣٦ حيث يقال إنه قتل خنقا وقيل بالسم عن طريق الطبيب المسئول عنه الذى قيل إنه صرح بأن البهلوى أمره بوضع السم القاتل فى الطعام مع منع الماء عنه حتى لا يفسد مفعول السم فكان الشيخ يضرب رأسه بجدران الزنزانة ويصرخ العطش حتى نزف ومات.

كان الشيخ خزعل شيعى المذهب يكرمه علماء الدين وقال عنه معاصره «أمين الريحانى» فى (تاريخ ملوك العرب) إنه: (كريم غنى حكيم يساعد فى بناء كنائس مهدمة فى بلاده لمنكوبى الكلدان المسيحين). وكتب عنه المؤرخ «عبد المسيح الأنطاكى» فى كتابه (رحلة فى وادى النيل): أنه كان (بشوشا طلق المحيا فصيح اللهجة شريفا حليما تقيا ورعا مسلما يصلى الأوقات الخمسة، بطلا باسلا، متفائلا مرحا، كسب احترام أكابر الرجال ونال أوسمتهم) ويعنى علاقاته مع شيوخ العرب المجاورين لإمارته. عرف بالقوة والصلابة وعدم التعصب لأى مذهب، ويروى أن مفتى القدس الشهير «أمين الحسينى» زاره للحصول على هبة لترميم المسجد الأقصى فتبرع بمبلغ ضخم. عرض قضية «الأحواز» على (عصبة الأمم) وفشل فقد كان البريطانيون يساندون أسرة البهلوى.

وصف بأنه عالم ونصير للعلماء وشاعر، يناصر الشعراء وله قصائد كثيرة.

لويس جاك داجير

مخترع أول كاميرا تصوير شمسية متكاملة. هو «لويس جاك داجير» ولد عام ١٧٨٧ بالقرب من باريس بفرنسا. اهتم منذ صغره بتصميمات العمارة ورسم الطبيعة. برع في فن تصميم المسارح. تعرف إلى عالم الفيزياء «جوزيف نيبيس» الذي سبقه إلى اختراع أول صورة ثابتة تعتمد على طريقة تعريض صفحة فلزية لضوء الشمس لمدة ٨ ساعات يمكن بعدها تثبيت صورة عليها. أحدث اكتشاف «نيبيس» دويا هائلا حين عرض مجموعة الصور التي التقطها (فكان الناس يدوسون بعضهم لشدة الزحام) بالرغم من أنها كانت مهزوزة ومشوشة. وصفت الصور بأنها منافية للدين والأخلاق، وأنه (لايجوز أن يسجن الإنسان بصورته داخل صندوق مظلم)!!

عرضت الصور بين عامي ١٨٢٢ و١٨٢٧. توفي نيبيس فجأة عام ١٨٣٣ وكان يعمل في الطباعة وتسريع عمليتها وهو ما ساعد «داجير» على ابتكار (الديوراما) فيما بعد بمشاركة مساعده «بولتون»، وكانت عبارة عن لوحة تمثل منظرا بانوراميا طبيعيا ورسومات على جانب اللوحة تظهرها ثلاثية الأبعاد. الصدفة هي التي قادت إلى ابتكاره ما عرف بالصورة الداجيرية. فقد حدث أن عالج لوحا معدنيا باليود ونسي فوق سطحه ملعقة فضية وعندما رفع الملعقة كانت صورة باهتة لها قد طبعت على السطح. لكنها لم تثبت طويلا. في عام ١٨٣٥ عرض لوحا فضيا للضوء وتركه داخل خزانة الكيمياويات لحفظه لكنه في اليوم التالي رأى الصورة واضحة على اللوح واتضح أن ما يسمى ببخار الزئبق هو الذي أظهر الصورة لكنها كانت تسود بعد تعرضها للضوء الشديد. بعد سنوات اكتشف مادة قادرة على تثبيت الصورة على اللوح الحساس وهو ما أدى إلى (استكمال عملية التصوير) لأول مرة وابتكر بعدها أول آلة تصوير عرفت بـ (داجير- تيب).

في نفس الوقت كان العالم الإنجليزي «فوكس تالبوت» قد ابتكر طريقة للتصوير الشمسي وعرض أول صور للملكة فيكتوريا مع أطفالها عام ١٨٤٤. وبينما لم يتلق «داجير» إلا معاشا ضئيلا وبعد جهد، فإن «تالبوت» كرم بسخاء. ويقال إن «داجير» استولى على اكتشافات «نيبيس» ونسبها لنفسه. استغل «داجير» المسارح التي كان يقوم بتصميمها في (تصوير) بانورامي لها. وتعود تجارب التصوير الشمسي للقرن السابع عشر على يد «جورج براندر» وفي القرن الثامن عشر للكيميائي «جون هاينريش شولز» وفي أول القرن التاسع عشر كان «توماس ودجود» قد سبق بأول صورة (فوتوجرافية) صنعها بوضع أوراق شجر على ورق مشبع بكلوريد الفضة وتعريضه لأشعة الشمس. توفي «داجير» عام ١٨٥١م.

لكن الواقع هو أن العالم العربي (الحسن بن الهيثم) في كتابه (البصريات) هو الذي اكتشف في القرن الحادي عشر الميلادي إمكانية اختراع كاميرا، بالتركيز على غرفة مظلمة ذات ثقب ينفذ منه الضوء فتنعكس الصورة عليه مقلوبة. وكان «ابن الهيثم» هو الذي اكتشف مسار الضوء وانعكاساته على العين.

جوستاف دالمان

مستشرق ألماني من القرن التاسع عشر وأول مدير للمعهد البروتستانتي الألماني في القدس بفلسطين لدراسة العصور القديمة بخاصة اليهودية في الأراضي المقدسة والذي افتتح عام ١٩٠٣ في شارع الأنبياء في القدس وما يزال يعمل حتى اليوم. هو «جوستاف هيرمان دالمان». ولد عام ١٨٥٥ لأب كان يعمل مفتشا تجاريا. التحق بقسم اللاهوت عام ١٨٧٤ وعمل مدرسا. ثم محاضرا للاهوت عام ١٨٨١ ثم أستاذا في (معهد الدراسات اليهودية) عام ١٨٨٧ في مدينة «لايبزيج» شرق ألمانيا. سافر عام ١٨٩٩ إلى فلسطين وسوريا الكبرى (آنذاك) بما يعرف ببلاد الشام.

تعود فكرة تأسيس المعهد إلى زمن زيارة القيصر الألماني «غليوم الثاني» الشهيرة لفلسطين حين كان يدشن الكنيسة الإنجيلية الألمانية في محاولة لسيطرة ألمانيا (ثقافيا) على الشرق وبالذات على الأراضي المقدسة. وتمت الموافقة لتنفيذ الفكرة عام ١٩٠٠. أسس «جوستاف دالمان» مكتبة المعهد عام ١٩٠٣ وكانت نواتها «المكتبة الملكية» التي أسسها الملك «فريدريك فيلهلم الرابع» عام ١٨٤٧ في القدس، وتحتوي حاليا على نخبة من المطبوعات باللغة الألمانية، ومجموعة باللغة اللاتينية تعود إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ومجموعة خرائط لفلسطين والأردن وسوريا.

كان في ألمانيا حين اندلعت الحرب العالمية الأولى فاضطر للبقاء فيها وترك المعهد وعين أثناءها في جامعة «جرافسفالد» عام ١٩١٧ أستاذا للدراسات اللاهوتية (للعهد القديم والدراسات الفلسطينية). ترك المعهد بعد أن نقل مخطوطاته وكنوزه إلى جرافسفالد. تولى بعدها منصب مدير (معهد الدراسات الفلسطينية) عام ١٩٢٥ (لمعرفة الأراضي المقدسة). تعلم اللغة الآرامية القديمة ولهجاتها المحلية التي شاعت في فلسطين (لغة المسيح عليه السلام).

وضع في فلسطين برنامجا متطورا أكاديميا وأسس دورات تدريبية. نشر في مجلد ضخم كل ما يتعلق بحياة الفلسطينيين في الأراضي المقدسة وعاداتهم وأساليبهمْ بعنوان (العمل والعادات لدى الفلسطينيين) وضمنه كل شئ عنهم حتى أناشيدهم وأهازيجهم. وكان ينشر في كل عام جزءا بدون توقف بدءا من عام ١٩٠٥ حتى مات عام ١٩٤١ ويضم كتابه الذي تركه ٨ مجلدات ضخمة ويعتبر مرجعا شديد الأهمية عن الفلسطينيين العرب آنذاك. ويحتمل ألا يكون هذا الكتاب الضخم قد ترجم بعد إلى أية لغة أخرى. كان يتقن اللغة العربية وأجرى حفريات في مدينة البتراء الأردنية وكتب عنها وحدد مواقع للحفريات في طبرية شمال فلسطين عام ١٩٢٢. كان من المهتمين بالبحث عن مواقع الأماكن التي ذكرتها التوراة وربما عمل أيضا مع (صندوق استكشاف فلسطين) الذي تأسس في بريطانيا بتمويل أثرياء اليهود والبروتستانت المسيحيين من أجل اعادة بناء مملكة اسرائيل

القديمة تمهيدا لعودة المسيح. أسس منهجا لاهوتيا مسيحيا فريدا فى طريقة البحث فى اليهودية القديمة التوراتية. له أعمال عديدة عن المسيح عليه السلام، كما ترك كتابا يجله اليهود عن (المسيح فى التلمود). مات عام ١٩٤١ فى ألمانيا.

الدايُ حسين بن الحسن

آخر داى فى الجزائر. وكان حاكم الجزائر يسمى (داى) تحت سلطة اسمية للعثمانيين. والدايات فى الجزائر هى سلالة تولت ما بين ١٦٧١ - ١٨٣٠م وكان حاكم الجزائر قبل ذلك يسمى (آغا). أنهى الفرنسيون حكمهم حين احتلوا الجزائر عام ١٨٣٠م. أول (داى) كان «الحاج محمد» وقد حكم منذ ١٦٧١ وحتى ١٦٨١م.

آخر داى فى الجزائر كان «حسين بن الحسن» باشا. ولد فى مدينة أزمير التركية حوالى عام ١٧٧٣ كان أبوه ضابطا فى سلاح المدفعية فتلقى الابن تعليما عسكريا ثم رحل إلى القسطنطينية ليلتحق بمدرسة خاصة ليتخرج جنديا. عمل بتجارة التبغ فى شبابه الأول واستكمل دراسته العسكرية وتخصص كأبيه فى المدفعية وأتقن فنون القتال. كان ملتزما بالشرع ونال قدرا كافيا من الثقافة الإسلامية وحفظ القرآن الكريم. انتقل إلى الجزائر وانخرط فى الميلشيا كجندى تابع للحامية العثمانية هناك. ولم يكن هذا متاحا للجميع. فالالتحاق بالحامية يمكن أن يوصل إلى الحكم، ذلك أن كل داى كان ملتحقا بالجيش العثمانى ثم بالحامية العثمانية فى الجزائر.

وكانت البلاد تقسم إلى ثلاث مناطق تسمى (باى ليك) يحكم كلا منها حاكم يسمى (باى) وله سلطة جبى الأموال والضرائب.

كان تدين «الحسين بن الحسن» والتزامه الشرعى محل تقدير من السكان المحليين الذين نصبوه إماما ثم ولاه داى الجزائر آنذاك «عمر باشا»، على أمانة الأموال وإدارة كل أملاك الدولة باعتباره عضوا فى الديوان (الوزارة)! وقد أوصى الداى عمر بأن يكون الحسين هو الداى بعده. وحين توفى الداى عمر عام ١٨١٨ عرض الوصية، صهر الداى عمر، أمام جمع من كبار الأعيان والعلماء، الذين وافقوا على بيعته حاكما للجزائر.

وافق الباب العالى العثمانى أيام السلطان «محمود الثانى» على تسمية الحاكم الجديد بإصدار (فرمان) عثمانى. وبدأ «الداى حسين» ممارسة مهامه. وعرف عصره بالإصلاحات وإعادة تنظيم الإدارة والنهوض بالجيش وتقوية الأسطول البحرى، الذى كانت الجزائر والدولة العثمانية عموما تعطيه أهمية خاصة. فالقرصنة والتجارة فى البحر المتوسط كله من شرقه إلى غربه، كان لها

أهمية كبيرة. والسيطرة على البحر تعطى مركزا متفوقا وهيمنة خاصة. وقد اشتهر قراصنة البحار الجزائريون. ولم تكن القرصنة بالمعنى المفهوم اليوم من سرقة وقتل. بل كانت تعنى الهيمنة الكاملة على البحر بأساليب حربية وعسكرية لضمان التفوق والسيطرة. لتحمى البلاد من القوى الخارجية كما تسهل التجارة والتعاملات الإقتصادية.

بنى «الداى الحسين» كما عرف اسمه، مؤسسة لصناعة السفن، بكل كمالياتها ولوازمها الحديثة، واهتم بشكل خاص بالحياة الثقافية والاجتماعية، وازدهرت الجزائر فى عهده وقويت حتى أصبحت ركنا شديد المراس أمام القوى الأجنبية التى انتبهت لها فقررت تحطيمها والتخلص منها.

وبسبب قربها من فرنسا، كانت هدفا سهلا لها. فاحتلتها عام ١٨٣٠. وهزمت قوات «الداى الحسين»، الذى اختار المنفى وارتحل إلى إيطاليا وظل فيها حتى عام ١٨٣٣ ثم استقر فى الاسكندرية بمصر حتى وفاته عام ١٨٣٨.

دون جوان



«دون خوان» بالنص الإسبانى الأصلى، أو «دون جيوفانى» باللغة الإيطالية. الشخصية الأسطورية التى جعلها عشرات المؤلفين بطلة لقصصهم. هى شخصية الرجل بهى الطلعة، ذو المغامرات النسائية التى لا تحصى، والذى يجد متعة فى الفرجة على صراع النساء من أجله.

شخصية دون جوان أو «دون خوان» بالإسبانية، من أشهر أبطال حكايات الفولكلور الإسبانى. وبداية انتشارها وتعرف العالم إليها، كان مسرحية نشرت عام ١٦٣٠ للمؤلف الإسبانى «تيرسو دى مولينا» بعنوان (رجل الإغواء فى إشبيلية). وأشهر اقتباس لها هو للفرنسى «موليير»، عام ١٦٦٥ والمسرحية الشعرية للشاعر الإنجليزى «لورد بايرون» عام ١٨٢١ والسيمفونية الشعرية لريتشارد شتراوس عام ١٨٨٨ بينما تأتى أوبرا «دون جيوفانى» للموسيقى النمسوى «موتسارت» والتى أداها لأول مرة على المسرح «جياكومو كازانوفا» عام ١٧٨٧، هى أحلى وأشهر ما كتب حول «دون جوان»!

كما أنها ألهمت الروسى «الكسندر بوشكين» و«الفيلسوف كيركيجارد» والكاتب الآيرلندى «جورج برنارد شو» والفرنسى «ألبرت كامو».

«دون خوان» فى الإسبانية، يقابله (زير النساء) باللغة العربية. وهو تعبير شديد التداول فى إسبانيا بين العامة. وتقول الحكاية أن «دون خوان» كان عاشقا دائما، وأنه أغوى أكثر من ألف امرأة دون أى مشاكل. لكنه حين حاول إغواء فتاة أرستقراطية جميلة ابنة قائد الجيش وتدعى «دونيا

أناء، يكتشف والدها الأمر فيدعوه للمبارزة كما كانت العادة، ويتمكن «دون خوان» من قتل القائد فى المبارزة والهرب مما يدفع الفتاة للإيقاع به مع خطيبها «دون أوتافيو» ولكن بلا جدوى.

أثناء مرور «دون خوان» بضريح القائد العسكرى، الذى أقيم فوقه نصب تذكارى له، عبارة عن تمثال بحجمه، يسمع «دون خوان» صوتا من داخل التمثال يحذره من عاقبة ما يفعله بالفتيات وينذره بالعقاب، فيسخر «دون خوان» منه، ويدعوه ساخرا للعشاء معه، لو يستطيع! ويفاجأ بأن الحياة تدب فى التمثال، ويصبح الميت الحى، الذى يفلسف سخرية «دون خوان» منه، لينتقم لكل الفتيات والنساء اللاتى استطاع إغراءهن!

دبت فى التمثال الحياة وأبدى سعادته بمشاركته العشاء ووصلت روح الأب بالفعل فى الموعد المحدد فى منزل «دون خوان» ودعاه بالمقابل لقبول دعوته فى المقبرة. ولأن «دون خوان» يحب التحدى والاستهتار بكل شئ، فقد قبل الدعوة الغريبة وذهب إلى قبر القائد العسكرى صاحب النصب التذكارى وهناك طلب منه الأب- الروح مصافحته فمد دون خوان يده، لكن التمثال- الحى جذب يد دون خوان جذبة سريعة وقوية إلى حفرة القبر حيث تنتظره جهنم فيلقى فيها.

هى حكاية شعبية قديمة لكنها اكتست بعباءة المسيحية فيما بعد. (فالعقاب فى انتظار هذا المستهتر بأعراض الفتيات). وإن كانت (التيمة) الأصلية للحكاية تحدث فيما قبل المسيحية بزمن طويل. فهى أسطورة متوارثة انتقلت عبر الأجيال فى اسبانيا وما حولها. ثم انتشرت فى أوروبا ومنها إلى كل العالم بكل أطيافه ومعتقداته وأجناسه وأصبح لقب (دون خوان) أو (دون جوان) كما عرف فيما بعد، نسبة إلى النص الإنجليزى، وبخاصة نص الشاعر «لورد بايرون».

وما تزال هذه الحكاية حتى اليوم تقدم فنيا، سواء بالرسم أم بالمسرح أم بالسينما أم بالأدب. ويظل (الدون جوان)رمز الإغواء الرجالى للنساء على وجه الأرض!

آرثر كونان دويل

عرف بابتكاره لشخصية المفتش شرلوك هولمز كما عرف بقصصه فى مجال الجريمة والمغامرات والروايات التاريخية والخيال العلمى. هو كاتب متنوع كتب الشعر والمقال والقصة الرومانسية.

ولد باسم «آرثر أجناتيوس كونان دويل» فى مايو من عام ١٨٥٩ فى ايدينبورج باسكوتلاندا لأب رسام كان مدمنا للخمر ومصابا بالإحباط والاكتئاب الحاد وبعد أن قضى وقتا طويلا فى مؤسسات الصحة العقلية مات عام ١٨٩٣. تولى أحد الأعمام تعليم الصبى آرثر. فدخل مدرسة الجزويت

المتشددة عام ١٩٦٨ فى انجلترا ثم سافر إلى النمسا للدراسة فى كلية للجزويت. عاد ليدرس الطب فى جامعة ايدنبورج والتقى بأستاذه برفسور جوزيف بل الذى كان له كبير الأثر على أعماله.

عمل مساعد طبيب على السفينة المغادرة إلى السواحل الغربية لإفريقيا وكان يكتب أثناء ذلك عددا من المقالات والقصص فى المجلات والصحف.

استقر فى انجلترا وافتتح عيادته الخاصة التى لم تكن ناجحة فوجد الوقت الكافى ليكتب وهو ينتظر المرضى(لم يطرق بابى مريض واحد) كان يسافر كثيرا إلى لندن. فى عام ١٨٨٥ تزوج واستمر يكتب قصصه الخيالية. أول ما نشر كان (دراسة عن اللون القرمزى) فى ١٨٨٨ وكانت بدايات ظهور شخصية المفتش «شرلوك هولمز» والتى استوحاها من شخصية أستاذه «جوزيف بل» وقد كتب «دويل» إليه يقول: (من المؤكد أننى أدين لك بشرلوك هولمز) فقد كان لأستاذه قدرة فائقة على التحليل والاستنتاج! ثم نشر (علامة الأربعة) عام ١٨٩٠ و(شركة جيردلستون) عام ١٨٩٠.

(مغامرات شرلوك هولمز) نشرت عام ١٨٩١ وانتقلت الأسرة كلها إلى لندن وأصيبت زوجته بالسل ١٨٩٢ وعرض عليه فى ١٨٩٤ إلقاء محاضرات فى كندا وأمريكا.

فى عام ١٩٠٠ عمل طبيبا فى مستشفى لونجمان أثناء الحرب فى (جنوب إفريقيا). وبدأت سلسلة أعماله التى تتعلق بالحرب فكتب (حرب البوير الكبرى) ١٩٠٠ ثم (الحرب فى جنوب أفريقيا) عام ١٩٠٢ والتى جعلت الملك ادوارد السابع يمنحه لقب الفارس عام ١٩٠٢م .وبعد عمله الطويل كمراسل عسكرى أثناء الحرب العالمية الأولى، كتب (الحملة الإنجليزية على فرنسا) ١٩٢٠.

استمر فى كتابة القصص الخيالية (عودة شرلوك هولمز) ١٩٠٥ ونشر (مستر نايجل) فى ١٩٠٦ وماتت زوجته فى نفس العام. تزوج فى العام التالى وأنجب ثلاثة أطفال آخرين حتى عام ١٩١٢.

كان «دويل» قد ترك (المسيحية) منذ أيام الدراسة فى الجامعة، لكنه ظل متأثرا بنشأته الدينية، والتى ظهرت فى العشرينات من القرن العشرين حيث بدا الاهتمام بالغيبيات والأمور الروحية، فقرأ للفيلسوف والصوفى السويدى «ايمانويل سويدنبورج» وغيره، مما أوحى إليه أنه يمكن التخاطب مع الموتى. وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى حياته. بدأ تجربته فى الكتابة فى هذا المجال برواية (التجول فى عالم الأرواح) ١٩٢١ و(قصة إنسان روحانى) عام ١٩٢٦ و(فينياس يتكلم- اتصال روحى مباشر مع عائلة سيركل) فى عام ١٩٢٧. ثم كان أحد آخر أعماله (حالة شرلوك هولمز ١٩٢٧) وفيها حاول أن يجعل الشخصية تموت، فقد أدرك أن شخصية شرلوك هولمز، أصبحت أكثر شهرة منه! لكنه واجه اعتراضا شديدا من القراء فأعادها إلى الحياة!!

توفى فى بيته فى يوليه من عام ١٩٣٠ ودفن فى البداية فى حديقة ويندلسهام وحين ماتت زوجته الثانية ١٩٤٠ نقلت رفاته إليها فى كنيسة هامشاير بانجلترا وكتب على قبره (آرثر كونان دويل، فارس، ووطنى، وطبيب، ورجل قلم)!

تميز «دويل» بقدرة على فك الألغاز، وكان يتمتع بخيال واسع وخبرة طبية ونفسية واجتماعية! اكتسبها لطول السفر والتعامل مع المرضى والجنود والجرائم. ويروى أنه استطاع إنقاذ رجلين

كانا متهمين فى قضايا قتل، لم يرتكباها. فلجأ إليه! وتمكن بالفعل من كشف الجناة الحقيقيين وتبرئتهما! وحتى لو كانت هذه الحكاية مجرد شائعة عنه، فهى دليل على أن الناس كانوا يثقون فى قدراته التحليلية للجريمة أكثر من ثقتهم بالمحامين.

ابتكر شفرة سرية للتواصل مع السجناء البريطانيين. كما دعا لتزويد البحارة بسترات إنقاذ. وكان معروفا بميله لأخلاق الفروسية والشهامة والقيم النبيلة وكان يحب لعب كرة القدم والكريكيت.

ترك «آرثر كونان دويل» أكثر من ٦٨ قصة ورواية!

دينيس ديدرو

فيلسوف فرنسى وأول من وضع (دائرة معارف) فى الغرب بمعناها المتداول اليوم ومن أهم قادة عصر (التنوير) الذين مهدوا للثورة الفرنسية وكان بين قليلين جدا ممن جاهروا بإلحادهم فى ذلك الوقت وتمسكهم بالتفسير المادى. وقد سمى دائرة المعارف (بالانسيكلوبيديا) وأرادها بديلا عن الإنجيل الذى كان فى العصور الوسطى الأوروبية هو مصدر المعرفة، ودرج الاسم فيما بعد فأطلق على كل عمل موسوعى. وكان العرب والمسلمون أول من وضعوا (دوائر المعارف) فى شتى المجالات. لكن اسم (انسيكلوبيديا) ظل محصورا بما قدمه الإنجليز ثم الفرنسيون ويذهب بعض المحللين إلى أنه من المؤكد أن «ديدرو» وأمثاله قد اطلعوا على دوائر المعارف العربية وانتهجوا نهجها.

ولد «دينيس ديدرو» فى عام ١٧١٣ فى لانجريه بفرنسا، وتعلم فى مدارس الجزويت (اليسوعيين) الصارمة المتعصبة، وكان أبوه يعمل تاجرا للسكاكين ووهبه للكنيسة لكنه اختار دراسة الحقوق واشتغل بائعا للكتب كما كان يرتزق من كتابة العظات الدينية للقساوسة (!) وتعلم اللاتينية والانجليزية والايطالية والرياضيات التى ساعدته فى اتباع منهج تجريبى. ونقل عنه أنه حين طلب من أبيه السماح له بالزواج، حبسه وألحقه بأحد الأديره لكنه هرب ووصل باريس ماشيا، وهى رواية لم تثبت صحتها. تزوج «ديدرو» وعمره ٣٠ سنة من فتاة تعتنق الكاثوليكية لكنه لم يكن مخلصا لها. كتب روايتين لم يوفق بهما وكانت إحداهما بعنوان (الراهبة أو المتدينة) ويحكى فيها عن راهبة أرادت خلع الحجاب الكنائسى فتعرضت للاضطهاد!

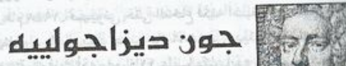
سطعت شهرته مع ماسمى بـ (الانسيكلوبيديا) والتى استغرقت أكثر من عشرين سنة من حياته. وكانت البداية مع ثلاثة ناشرين فرنسيين اتفقوا على اسناد ترجمة موسوعة انجليزية أصدرها «أفرايم تشمبرس» (Chambesr) الانجليزى عام ١٧٢٨ فى العلوم والفنون إلى أحد القساوسة وكانت أشبه بالقاموس، لكنهم كلفوا «ديدرو» بالمهمة.

وجد دينيس ديدرو مؤلفات الكاتب الانجليزى «تشيمبرس» محافظة وجامدة أكثر مما يطيق، فبدأ كتابتها بتصنيف جديد وأفكار اعتبرت إلحادية آنذاك، واستعان بمجموعة نادرة من الكتّاب كان بينهم دى مارسيه وجان جاك روسو وفولتير، وانفرد هو بالمواد الخاصة بالدين والسياسة! وصاغ أثناء ذلك أيضا ثلاث رسائل فلسفية حول الإدراك والطبيعة والتشكيك فاعتقل وسجن عام ١٧٤٩ وتعرض المشروع الموسوعى للتوقف حتى تدخل الوزير «دى أرجانسون» الذى أطلق سراحه بعد ١٠٠ يوم سجن واستغل الناشرون الحدث فى الدعاية للموسوعة التى نفذت أعداد جزئها الأول فور صدوره فى عام ١٧٥١ وتوالى صدور الأجزاء فى الأعوام التالية محدثا كل مرة صراعا بين الجزويت اليسوعيين وقادة التنوير وانشغلت باريس كلها بالموسوعة حتى الملك لويس الخامس عشر.

عرضت عليه كاثرين الثانية قيصرة روسيا المساعدة بشراء مكتبته عام ١٧٦٥ ليستعين بثمنها على استكمال الموسوعة وسمحت له باستخدامها طيلة حياته واعتمدت له مرتبا سنويا وحين قبض على ديدرو قام ناشر سويسرى صديق هو «صموئيل نوش» بنقلها سرا من بيت ديدرو وتم توزيعها بين عامى ١٧٦٦ و١٧٧٢ ووصل عددها إلى ١٧ مجلدا بالإضافة إلى ١٤ مجلدا تحتوى على ألف لوحة فى العلوم والفنون والميكانيكا. وفى عام ١٧٧٣ أرسلت القيصرة إليه ليقيم فى سانت بطرسبرج وبعدها كتب موسوعته الشهيرة فى (تاريخ الفلسفة).

كان ديدرو مبهورا بالاكتشافات فى علوم الطبيعة والبيولوجيا فى أربعينات وخمسينات القرن الثامن عشر فكتب (تحليل الطبيعة) و(عناصر الفيزيولوجيا). كان مؤمنا بالشخصية الفردية، وكتب ملحقا لرحلة «بوجينفيل» حول العالم فند فيه الرموز الأخلاقية المسيطرة وتخيل رحلة إلى تاهيتى حيث الإباحية الجنسية! ورد فى (رسالة إلى العمى) على فولتير معلنا الإلحاد علانية فسجن. وكتب للمسرح وزار معارض أوروبا وحاول هناك الترويج لعقيدته الالحادية وكان يقول، أنا مؤمن لكنى أكثر سعادة مع الملحدين. ونشر ما رأى فى (رحلة إلى هولندا) لكنها كانت فاشلة أدبيا.

توفى دينيس ديدرو فى يوليه من عام ١٧٨٤.



جون ديزاجولييه

الأب الروحى للماسونية الحديثة والمنسق الفعلى لدساتيرها وواضع الكتاب المقدس الجديد لها. ولد عام ١٦٨٣ فى لاروشيل بفرنسا ابنا لكاهن. انتقل إلى لندن لأسباب سياسية ودينية. حائز على دكتوراه فى الحقوق وكان عالم فيزياء ورياضيات وعضوا فى الجمعية الملكية البريطانية وصديقا لعالم الفيزياء نيوتن. عرف

عنه فكره المرن وإطلاعه على تاريخ الحضارات والشعوب. كان ملما بتاريخ الحركة الماسونية منذ بداياتها الأولى حين كانت تعرف بأسماء عديدة مثل فرسان الهيكل التى انبثقت عنها جماعة (إخوة الصليب الوردى روزاكرويشن).

وبالرغم من أنه كان وراء كتابة دستورها لكن اسم د.جيمس أندرسون هو الذى عرف به. وكان ليفى أحد أحفاد واحد من المؤسسين التسعة لجماعة ما كان يسمى بالقوة الخفية التى عرفت فيما بعد بالماسونية، قد احتفظ بمخطوط قديم يعود إلى عهد المؤسسين الأوائل لمحفل أورشليم فى القرن الأول الميلادى فى القدس. وأراد إصلاح الجماعة بإعادة إنشائها من جديد وتغيير اسمها ولوائحها.

فى عام ١٧١٧ تم دمج محافل انجلترا الأربعة وكانت لها أسماء غريبة مثل (الوزة والمشواة) و(التاج وشجرة التفاح). وتقرر عقد اجتماع مع جورج باين وجيمس اندرسون القس الاسكتلندى وراعى محفل القديس بولس. وعهد إلى أندرسون كتابة الدستور الجديد فجاء تحت اسم (كتاب الأخلاق) وتم تنقيح القوانين بمعرفة «ديزاجوليبه».

صدر قانون الأخلاق ليصبح دستورا لكل من ينتمى للمحفل الذى أصبح اسمه (الماسونى). واشترط على العضو نبذ كل دين قديم وكل انتماء آخر و(الإخاء) لأخيه الماسونى وحفظ العهد والسرية. حدث خلاف أثناء وضع الدستور، هل يلتزم بالطقوس الاسكتلندى صاحبة الهدف الإنسانى فقط أو تكون له علاقة بالسياسة كالطقس الإنجليزى. لكن الهدف كان بناء الكون من جديد والطاعة للمهندس الأعظم!! الذى لا نعرف من هو. جاء فى القانون العام الاسكتلندى (إننا نعتبر كل ذى مبادئ عالية ونفس طيبة ماسونيا يبنى الكون وسيصبح العالم محفلا كبيرا لهؤلاء الناس). مات عام ١٧٤٤.

ديفيد بن جوريون

أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل وهو الذى قاد حروبها ضد العرب وهو الذى أعلن قيامها عام ١٩٤٨. صهيونى حتى النخاع لكنه اشتراكى علمانى وليس يهوديا متدينا. ولد باسم ديفيد جرين عام ١٨٨٦ فى مدينة بلونسك فى بولندا وكانت ضمن الامبراطورية الروسية. توفيت أمه وعمره ١١ عاما وكان أبوه رئيس حركة (أحباء صهيون). درس التلمود والتوراة فى سنى عمره الأولى فى المدارس الحاخامية. وقرأ كتاب (حب صهيون) فى أوائل حياته. قاد وهو صبى منظمة شبابية صهيونية تسمى (عيزرا) وكان كل أعضائها يتكلمون العبرية فيما بينهم. أصبح مدرسا وعمره ١٨ سنة فى مدرسة وارسو اليهودية ويقال إن والده قد أسسها. ثم انضم إلى جماعة الصهيونيين الاشتراكيين (عمال صهيون).

بدأ حياته السياسية فى جماعة (تنظيم الصهيونية) فى بولندا وغادرها إلى فلسطين عام ١٩٠٦م وتبنى اسم (بن جوريون) حيث عمل فى عامه الأول فى مزارع البرتقال ينقل السباخ فى مستعمرة بتاح كفا قرب يافا. واشتغل فى معصرة للخمور وخفيرا زراعيا. أسس (جماعة شومر) لحراسة مستعمرات اليهود الزراعية.

سافر إلى استانبول عام ١٩١٢ لدراسة الحقوق وكان يريد أن يصبح عضوا فى البرلمان العثمانى كممثل لطائفة اليهود ويقال إنه حصل بالفعل على الجنسية التركية لكنه طرد من البلاد بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بسبب نشاطاته الصهيونية الاستيطانية مع «يتسحاق بن تسفى» الذى أصبح رئيسا لإسرائيل فيما بعد. رحل «بن جوريون» إلى مصر ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أسس جماعة الرائد وساهم فى تكوين الفيلق اليهودى التابع للجيش البريطانى والذى أسسه «جابوتنسكى» وعاد معه إلى فلسطين عام ١٩١٨.

أنشأ الاتحاد العام للعمال اليهود «الهيستدروت» عام ١٩١٩م وشغل منصب سكرتيره العام. وفى عام ١٩٣٠ أصبح زعيم حزب العمال (ماباى) كما تولى رئاسة الوكالة اليهودية عام ١٩٣٥. كان همه زيادة أعداد المهاجرين إلى إسرائيل فاقترح ما يسمى بعملية (البساط السحرى) لجلب اليهود من الدول العربية كما خطط للتنمية وكان الحصول على موارد المياه شغله الأول لتطوير المجتمعات الزراعية بعد إنشاء الكيبوتس كما اهتم بتأسيس المدن والقرى فبدأ ببناء المستوطنات التى ساهم فيها إلى حد كبير البارون الفرنسى اليهودى «روتشيلد».

عمل جاهدا لتحقيق حلم إنشاء دولة يهودية (عبرية) فى إسرائيل. ويعتبر أحد مؤسسيها إلى جانب «هيرتسل» و«حاييم فايتسمان(وايزمان)» وكان «بن جوريون» هو الذى أعلن بيان قيامها عام ١٩٤٨ وحل جميع منظماتها المسلحة والتى كان يعمل معها من قبل كالهاجاناه وشتيرن وأسس (جيش الدفاع الإسرائيلى) وتولى منصب وزير الدفاع. مر بن جوريون بأكثر من مرحلة فكرية صهيونية. فقد كان فى البداية مثالى النظرية يعتقد أن العرب داخل فلسطين وبجوارها سيستفيدون من قيامها فيرحبون باليهود المهاجرين ويتعاونون معهم كما كان يعتقد أنه لا توجد قومية فلسطينية وبالتالى لن يكون هناك صراع وسيرحل الفلسطينيون إلى الدول المجاورة من تلقاء أنفسهم وسيأتى كل اليهود من كل أنحاء العالم إلى الدولة الجديدة التى ستضم كل اليهود فى مساواة مثالية.

تغير فكره فى المرحلة بعد الثلاثينات من القرن العشرين حين اكتشف صعوبة أن يترك اليهود مواطنهم الأصلية خاصة بعد قيام الثورة الفلسطينية الأولى عام ١٩٣٦ فتأكد أن هناك ما يسمى (القومية العربية الفلسطينية)!! وأنه لن تقوم الدولة إلا على انتهاك حقوق الفلسطينيين دون اختيار منه. وهنا بدأ يناصر أفكار جابوتنسكى فى خطة ما يسمى بـ(الجدار الحديدى) كما اعتنق فكر «مناحم بيجين» و«شتيرن» بضرورة استخدام الإبادة الجماعية للفلسطينيين على نهج مذبحة (دير ياسين). ووافق على دعم منظمات الهاجاناه فى هجماتها على الفلسطينيين وأصبح فى هذه المرحلة من الصقور الجارحة.

كان «بن جوريون» من أوائل من رفضوا فكرة (رسم حدود) للدولة الجديدة حين إعلان قيامها وترك المهمة للجيش الذى سيستطيع توسيع رقعة الدولة وبالتالى وضع حدودها فيما بعد. وحتى اليوم لا توجد حدود مرسومة لدولة إسرائيل معتمدة من المجتمع الدولى ولا من الأمم المتحدة.

ساهم «بن جوريون» قبل قيام الدولة بتطوير حزب عمال اليهود فتكون (حزب العمال) الذى شكل الحكومة فترات طويلة على مدى السنين منذ إنشاء إسرائيل.

استقال عام ١٩٥٣ وأعيد توليه رئاسة الوزارة مرات عديدة آخرها كان عام ١٩٦٣ لكنه ظل يمارس السياسة وشكل حزبا جديدا حتى اعتزل نهائيا عام ١٩٦٦ وانسحب إلى مزرعته حتى توفى عام ١٩٧٣.

كان يجيد حوالى عشر لغات بينها التركية والعربية واليونانية والروسية. ومن أقواله فى رد على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين: (عقارب الساعة لا تعود إلى الوراء). وكان يقول (بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستقوم من جديد). كما نقل عنه قوله: (أخشى ما أخشاه أن يظهر بين العرب محمد جديد)!!



رينيه ديكارت

أبو الفلسفة الحديثة الغربية القائمة على الشك المنهجى. واحدى أهم الشخصيات الرئيسية التى أعدت للثورة العلمية فى أوروبا باستخدام العقل وحده فى الوصول إلى الحقيقة. فيلسوف فرنسى وعالم رياضيات وعالم فيزياء وكاتب. عرف بمقولته الشهيرة التى تجسد منهجه وهى (أنا أفكر، إذن أنا موجود) وتعرف باللاتينية (Cogito ergo sum). ولد رينيه ديكارت فى ٣١ مارس عام ١٥٩٦ فى مدينة «لاهى» فى تورين بفرنسا. ماتت أمه بالسل وعمره عام واحد وعام واحد. انخرط فى مدرسة اليسوعيين (الجزويت) الدينية وعمره ١١ سنة فتكون كيانه الدينى وقضى السنوات الخمس الأولى فى دراسة اللغات القديمة، والثلاثة الأخيرة فى دراسة المنطق والأخلاق والرياضيات والطبيعيات والميتافيزيقيا. حاز البكالوريا ثم أجيز فى القانون من جامعة بواتييه عام ١٦١٦ بناء على رغبة والده المستشار فى أن يصبح محاميا.

انتقل إلى هولندا لتعلم صنعة الحرب كجندى وبين ١٦١٦ و١٦٢٩ عمل ضابطا وكتب أثناء إقامته بهولندا رسالة فى الموسيقى عام ١٦١٨ يشرح فيها الموسيقى قائمة على حسابات رياضية. تغيرت حياته فى عام حين التقى عام ١٦١٨ بالعالم الرياضى «اسحق بيكمان» فى بريدا بهولندا والذى

أشعل فيه أول شرارة لفهم الرياضيات والفيزياء الحديثة وبالذات (نظرية الجاذبية وسقوط الأشياء الثقيلة). عاد إلى باريس بفرنسا عام ١٦٢٢ وتنقل بين البلاد الأوروبية ثم استقر فى لاهى لبيع ممتلكاته عام ١٦٢٣ والتفرغ لأبحاثه من عائد ودائعها.

حاول الانعزال عن معارفه فى هولندا بين امستردام ولايدن وفرانيكر بين عامى ١٦٢٨ و١٦٤٣ أنجز خلالها أهم أعماله وكتب أهم نظرياته. فأحدث ثورة فى علم الرياضيات الذى ربطه بالفلسفة. لكنه تردد فى نشر أحد أهم أبحاثه وهو (مقالة العالم) بعد المحنة التى تعرض لها العالم جاليليو حين اتهمته الكنيسة الكاثوليكية بالهرطقة. وكان ديكارت قد نشر كتابه (خطاب الطريقة) عام ١٦٣٧ وفيه محاولة مبكرة لشرح (آلية الانعكاسات). منعت عام ١٦٤٣ نظريته الفلسفية الرياضية (Cartesian)! لعبت أميرة بوهيميا دورا فى حياته مع مراسلاته العلمية معها وحصل على إجازة تفرغ عام ١٦٤٧ من ملك فرنسا. دعته ملكة السويد إلى استوكهولم لتعليمها. مات ديكارت عام ١٦٥٠ مريضا حيث قيل إن دروس الملكة كانت فى الخامسة صباحا فى البرد القارس وقيل إن العدوى انتقلت إليه من قنصل فرنسا بالسويد. ولأنه كان كاثوليكيا ودفن فى بلد بروتستناتى فقد نقلت رفاته إلى فرنسا.

أنا أفكر إذن أنا موجود هو خلاصة المنهج الفلسفى والرياضى الذى أوجده ديكارت فى الفلسفة الغربية. فأثر فى جميع الفلاسفة سلبا وايجابا بعده. كان القرن السابع عشر الذى مجد فيه ديكارت قد عرف بقرن البحث والمعرفة فظهر بيكون الانجليزى ولايبنيتز الألمانى ابتكر (الشك المنهجى) الذى يستوجب الشك فى كل المعارف والحقائق وحتى المسلمات والبديهيات حتى يتم الانتقال إلى مرحلة اليقين والتأكد من الحقيقة، بدءا من معرفة الخالق وحتى الأشياء المادية التى حولنا. كان يقول من أين لى أن أعرف أن هذه يدى أو قدمى فالحواس يمكن أن تخدعنا فهى ليست مقياسا للمعرفة. كان ديكارت يعتقد أن الفلسفة التى توصل إلى الايمان بالطبيعة والإنسان والله يجب ألاً تقوم على أساس الإيمان بل على أساس الفكر الذى يمكنه الوصل إلى الحقيقة بالشك أولا.

وضع ديكارت نظرية جديدة فى نشأة الكون وتطور النظام الشمسى وحركة وماهية المادة الكونية. عرف ديكارت بما يسمى بـ (الهندسة الديكارتية) القائمة على برهنة أشكال دوائر رياضية محددة بما يسمى بالنظام (الكارتيزيانى). وفيها يفسر ديكارت الأشكال الهندسية بمعادلات الجبر الرياضية. وقد تأثر بفلاسفة اليونان أمثال أرسطوطاليس لكنه طورها. وفى علوم اللاهوت اتبع منهج الشك أيضا فوجود الخالق ليس تلقائيا يقوم على العواطف كما جاء فى كتابه (عاطفة الروح) بل لابد أن يقوم على منهج عقلى وفكرى بحيث نصل إلى الله عن طريق إعمال العقل وليس بالعاطفة أو بمجرد الإحساس الإيمانى. وحين نصل إلى الحقيقة بعد تفنيد كل الشكوك فإن إيماننا يكون حقيقيا ومطلقا ولا يهزه شك جديد.

وربما تأثر ديكارت بفلسفة (حجة الإسلام أبو حامد الغزالى) الذى يقوم منهجه على استخدام الفكر للوصول إلى الله. نشر باللاتينية (تأملات فى الفلسفة الأولى) عام ١٦٤٤ حيث نسف كل معارفه

القديمة القائمة على مجرد التلقى. وقال (أنا أفكر إذن أنا موجود) ووضع أربع قواعد للوصول إلى المعرفة. فالمادة ليست هى سبب المعرفة. فنحن نتخيل الأشياء كما نريدها لا كما هى. وتجميع الأجزاء البسيطة هى التى توصلنا للكل. ومعرفة الإنسان لنفسه عن (يقين) ستوصله إلى الخالق (الكلى) على أساس واضح لا لبس فيه.

دعا ديكارت لفكرة (الحرية المطلقة للخالق فى خلقه وتصريف شئونهم) وقد أحدث بهذا (ثورة) فى الأخلاق العامة وفى الإيمان. فألغى الوساطة (الكنسية) بين الإنسان المسيحى وبين الكنيسة) فى طريقة الإيمان والتفكير ليقترب أكثر من فكر الفلاسفة المسلمين فى ذلك الوقت. لكنه كان مسيحيا ملتزما وكاثوليكيا متدينا و(مبدعا فكريا) ساعده عليه الاستقرار السياسى والإجتماعى النسبى فى البيئة التى عاش فيها.

ميلفيل ديوى

مبتكر أول نظام لتصنيف الكتب بالمعنى الحديث وواضع تهجئة اللغة الإنجليزية الأمريكية. هو «ملفيل لويس ديوى» ولد لعائلة فقيرة عام ١٨٥١ بالقرب من نيويورك الأمريكية. لم يلتحق بالجامعة بسبب فقره إلا حين بلغ ١٩ سنة. عمل فى المكتبة الجامعية لكسب عيشه وكان مولعا بالأعداد والأرقام والحساب فابتكر فيها نظامه التصنيفى المعروف دوليا بـ (النظام العشرى) وعمره ٢١ سنة. انتقل إلى مدينة بوسطن حيث أنشأ الهيئة الأمريكية للكتاب بمساعدة زميله «تشارلز كاتر». فى عام ١٨٧٦ نظم أول مؤتمر للمكتبيين فى فيلاديلفيا حيث أعلن نظامه العشرى الذى أصبح أشهر التصنيفات فى العالم. وفى نفس العام أسس أول صحيفة أمريكية للمكتبات ثم نادى نيويورك للمكتبات ١٨٨٥.

أسس المكتبة الإقتصادية الأمريكية وأعاد تأسيس مكتبة جامعة ولاية نيويورك عام ١٨٩٠ وأصبح مديرها حتى عام ١٩٠٦. تولى منصب سكرتارية الجامعة وأشرف على معظم المكتبات الجامعية الأمريكية وتصنيف كتبها وصورها. كان داعيا لتطوير اللغة الإنجليزية وتسهيلها للناطقين بها فى القارة الأمريكية وأعاد (تهجئة) كلماتها وحذف الحروف التى لا تنطق وأوجد كاتالوج ما يسمى باللغة الإنجليزية الأمريكية وبدأ بنفسه حيث كتب إسمه Melvil بدلا من Melville.

ساهم فى إنشاء منتجع رياضى صحى لأصدقائه الأغنياء فى (ليك بلاسيد) الذى اشتهر كثيرا، حين اكتشف ملاءمة المكان للرياضات الشتوية فكان من أول المساهمين فى إقامة الدورات الأولمبية الشتوية. فى عام ١٨٩٧ كان المبعوث الرسمى للحكومة الأمريكية لدى الحكومة البريطانية فى

مؤتمر المكتبات الدولى فى لندن. كان «ميلفيل ديوى» من أشد المعادين للسامية (اليهود) واعتبر (عنصريا) بامتياز. كان يناصر النساء بشدة. مات عام ١٩٣١.

لكن نظامه ظل حتى اليوم يطبق فى أكثر من ١٣٥ بلدا بحوالى ٣٠ لغة بينها العربية والتركية والفارسية واليونانية واليابانية. يستخدم هذا النظام حاليا فى أمريكا فى ٩٥ ٪ من مكتبات المدارس وفى ٢٥ ٪ من مكتبات الكليات وفى ٢٠٪ من المكتبات المتخصصة. وتجرى تحسينات عليه باستمرار بما يوافق التطور الطبيعى للعلوم المعرفية.

وقد ظهر مؤخرا على أقراص الكومبيوتر المغنطة (سى- دى). النظام العشرى يقوم على تقسيم الكتب حسب نظام (عشرى) هرمى. فالمعارف العامة تحصل على (ثلاثة أصفار) ثم يوجد صفران وواحد (١..) للفلسفة وعلم النفس وصفران واثنان (٢..) و٣ للأديان وهكذا. ثم يتفرع كل قسم إلى عشرة شعب والشعبة إلى عشرة فروع والفرع إلى عشرة أجزاء وهكذا إلى ما لانهاية. لابد أن نذكر أن أول من وضع فهارس العلوم المعرفية كان العرب الذين اشتهرت فهارسهم منذ القرون الوسطى وأشهرها فهرس ابن النديم.

رضا بهلوى

مؤسس السلالة البهلوية الحاكمة فى إيران حتى عام ١٩٧٩. هو الذى غير اسم فارس إلى إيران لمحو التأثير الإسلامى عليها. هو رضا عباس قلى خان. ولد عام ١٨٧٨ فى بلدة سوادكوه فى إقليم مازندران بإيران لأب يعتقد أنه مات مقتولا ولأم قوقازية انتقلت للعيش فى طهران سيرا على الأقدام. يقال إنه عمل راعيا للحمير فى صغره. تزوجت أمه فكفله خاله الذى أودعه لدى أسرة ضابط فى الجيش فالتحق بفرقة القوزاق العسكرية القوية وعمره خمسة عشرة عاما بعد أن تعلم القراءة والكتابة. انضم لحرس بوابات السفارات الأجنبية وكان يشارك فى قمع مظاهرات المتمردين والثوار ضد الحكم القاجارى فى خراسان وكردستان وأثبت قسوته وجديته وولائه للسلطة ورفضه لأى محاولات للخروج عليها، فدخل خدمة تحت السلاح وأصبح قائدا لفرقة القوزاق فى عهد دولة ملوك القاجار وترأس وزارة الدفاع عام ١٩٢١ حيث قام بإسقاط الحكومة وتولى منصب نائب رئاسة الوزراء وخلع آخر شاهات (ملوك) القاجار عام ١٩٢٥ وأجبر البرلمان على انتخابه ملكا للبلاد بدعم الإنجليز الذين طالبوه فيما بعد بالحصول على امتيازات واسعة فى التنقيب عن البترول وغطوا البلاد بشبكة من الجواسيس مما أثار رضا خان الذى تسمى باسم (شاهنشاه) واتخذ لقب بهلوى. وكان يميل للألمان الذين كانوا

يسيطرون على الجهات العلمية فـى البلاد ويقدمون الخبرة وحين قامت الحـرب العالمية الثانية هاجمتـه القوات الروسـية والإنجليزية معا بعد رفضـه فتح بلاده لتزويد جيوشـهما ضد القوات الألمانية وطالبوا بخلعه عن العرش وأجبر على الاستقالة لصالح ابنه محمد رضا فى سبتمبر من عام ١٩٤١ ونفى رضا بهلوى إلى مومباى فى الهند. ومنها إلى جزيرة موريشـيوس ثم إلى جوهانسبيرج فى جنوب إفريقيا حتى توفى عام ١٩٤٤.

كان «رضا خان» شخصية فذة صارمة، عارم السيطرة، فكان يأمر المهندسين بالمبيت تحت الكبارى التى يبنونها للتأكد من سلامتها. عمل على تطوير مرافق البلاد فبنى شبكات الطرق والسكك الحديدية وأوجد فرص عمل للعاطلين وطور التعليم وفرض الخدمة العسكرية الإجبارية وأزاح المعارضة وألغى كل الاتفاقيات التى تعطى امتيازات للبلاد الأجنبية وزاد الضرائب التى تدفعها. وفى ٣١ ديسـمبر عام ١٩٣٤ ألغى بمرسوم خاص اسم فارس وجعله (إيران) أى بلاد الآريين متأثرا بدعوة أتاتورك فى تركيا للإصلاح وإلغاء الظواهر الدينية وحاول إعلان الجمهورية الإيرانية لكنه فشـل، ويروى أنه ظهـر عام ١٩٢٧ فى حفل عام ومعه نسـاؤه الثلاث وهن يرتدين الملابـس الأوروبية ويضعن القبعات وكانت النساء الايرانيات يرتدين فى العادة الشادور المعروف. مما اثار الملالى، رجال الدين، عليه.

ويـروى أن والد الخمينى، وكان شـخصية دينيـة معروفة ونافذة، رفـض الانصياع لأمر خلع حجاب النسـاء فتوجه الشـاه إليه فى مدينة (قم) المقدسـة وصفعه على وجهه. فكان أن انتقم ابنه الخمينى فيما بعد من ابن الشـاه وخلعه عن عرش إيران نهائيا عام ١٩٧٩ وقام بالثورة الإسـلامية التى استمرت حتى اليوم.

البارون روتشيلد

أبو المسـتوطنات اليهودية فى فلسطين (آفى هاـ ييشوف). راعيها ومؤسسها وممولها. ناشط فى المجال الإنسانى والشئون اليهودية حسبما تصفه المصادر الغربية. هو «إدمون جيمس (دى) روتشـيلد». تاريخه معقد وانتهازى لكنه مبجل لدى الإسـرائيليين. ولد فى ضاحية بولونيا بالقرب من باريس عام ١٨٤٥م وهو الابن الثالث لـ «يعقوب دى روتشيلد» مؤسس الفرع الفرنسى للعائلة. انخرط فى الجندية أيام الحرب الفرنسية الروسـية. تزوج عـام ١٨٧٧ فى نابولى بإيطاليا من إحـدى بنات العائلة فلم يكن يسـمح بالتزاوج مـن خارجها. ورث قصر «روتشـيلد» بما فيه من تاريخ ونفوذ. لكنـه لم يهتم كثيرا بالمجال المالى والمصرفى حسـب تقاليد العائلة، وأبدى ميلا أكبر للفنون. زار ما يسـمى فى الأدبيات الإسـرائيلية

(أرض إسرائيل) لكنه لم يبد اهتماما بها فى البداية. دفعه إليها فيما بعد اهتمامه بالاستثمار وإن كانت الأدبيات الإسـرائيلية تحيل هذا الانخراط فى القضية اليهوديـة إلى تأثره بملاحقة اليهود واضطهادهم فى روسيا فى ثمانينات القرن التاسع عشر.

ظل بعيدا عن السياسة حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى فشارك فى المنظمة الصهيونية العالمية بدعم من «حاييم فايتسمان» الذى كان يرتبط بأكثر من فرد فى عائلة روتشيلد وبالحكومة البريطانية. استثماراته المتتالية فى مجال المسـتوطنات دعته للتردد على (أرض إسرائيل) كثيرا. فكان يشترى (أراضيا) أملاك الأتراك فى فلسـطين، المقيمين فـى تركيا أيام الدولة العثمانيـة واعتبرها (أملاك الغائبين). فى عام ١٨٦٨ كان هناك ١٣ ألف يهودى فى فلسـطين جاء أغلبهم مدعوما من مؤسسـات أشرف عليها «البارون روتشـيلد». وتقبلهم العرب بينهم دون مشاكل. فى عام ١٨٨٢ بدأ بإحضار اليهود من أوروبا الشرقية التى كانوا يعانون فيها من الملاحقة، ليبنى أول نظام زراعى (الكيبوتس) كما فعل المستعمر الفرنسى فى الجزائر. ولم تكن العبرية بين اللغات العديدة التى يتكلمونها.

شجع الهجرة للاسـتغناء عن اليد العاملة العربية فى الزراعة والنقل. المشروع أدى إلى قانون (امتلاك الأراضى) بواسـطة شركات وليس أفرادا. وأنشـئ لهذا الغرض (الصندوق القومى لليهود) ليمتلك اليهود الأراضى بحيث لا يسـمح لهم ببيعها أو تأجيرها. امتد المشـروع للصناعة فتأسـس (الهستدروت) كنوع من العمل النقابى لتنظيم العمل وتأمين العمال واستبعاد العرب من أى مشروع. وفى عام ١٨٨٧ خطط «البارون روتشـيلد» لشـراء (حى المغاربة) بأكمله حيث تفتح بوابته المعروفة على حائط البراق الذى يسميه اليهود حائط المبكى ويعتبرونه من بقايا هيكل سليمان المدمر.

عارض الوالى العثمانى مشروع شراء الأراضى على ساحل البحر المتوسط بفلسطين فاشتراها نائب قنصل بريطانيا فى يافا باسمه لصالح روتشـيلد، فأنشـئت مسـتعمرة «ريشون ليتسيون» وهو تعبير عبرانى يعنى بما معناه (الطليعة فى صهيون). ساعد روتشيلد فى الشراء «إميل فرانك» وكيل الموانئ السورية لشركة سفن بريطانية وكان أيضا نائب قنصل ألمانيا والنمسا فى الاسكندرية. تبعها مستوطنة «زخرون يعقوب» تخليدا لذكرى والد روتشيلد. اصطدم مع جماعة «أحباء صهيون» التى كانت منتشرة فى أوروبا، لكنها كانت ضعيفة الموارد فلم تتمكن من شراء أراض فى فلسطين فلجأت إلى «روتشيلد» الذى مولها لكنه فرض هيمنته على الأراضى فتحول أعضاء الجماعة إلى مرتزقة مما دعا كثيرا منهم لتحويـل هجرتهم إلى الولايات المتحدة (العالم الجديد). وكانوا من أنصار تأسـيس دولة اليهود فى شرق أفريقيا وهو ما نادى به فى البداية «تيودورهيرتسل»، الذى اصطدم أيضا بروتشيلد، الذى أنفق على مشروع الاستيطان اليهودى حوالى ٩١،٦٠٠,٠٠٠ استرلينى خلال عشرين عاما.

طور البارون روتشـيلد صناعة النبيـذ فى أرض إسـرائيل، وفى عام ١٩٢٣ أسـس (الجمعية اليهودية للاسـتيطان فى إسرائيل) لإدارة الأراضى. عين رئيسا للوكالة اليهودية عام ١٩٢٩. يعتبر البارون روتشيلد كما يقول «د.عبد الوهاب المسيرى»: (الرابطة العضوية بين اليهودية والصهيونية

والرأسمالية). توفى عام ١٩٣٤ بعد أن ترك ٣٠ مستوطنة ونقلت رفاته مع زوجته عام ١٩٥٤ إلى إسرائيل حيث دفنت بالقرب من مستعمرة «زيخرون يعقوف».

كان وعد بلفور وزير الخارجية البريطانى مجاملة لعائلة «روتشيلد». فلا يمكن كتابة تاريخ اليهود فى أوروبا دون ذكر العائلة، التى كان كبيرها «ناتان ماير» فى لندن ممولا للحروب البريطانية وتسيير السفن الحربية إلى البرتغال واسبانيا ودفع المساعدات لحلفاء بريطانيا فى الخارج. حصلت العائلة على لقب (النبلاء) ولم يكن يمنح ليهودى من قبل. عاشوا وبسطوا نفوذهم بسهولة من بيترسبيرج بروسيا إلى فيينا بالنمسا وباريس بفرنسا ثم لندن ومن لندن إلى واشنطن. لم يكونوا مخلصين للتعاليم اليهودية. لكن «إدمون» هو الذى لقب بـ (أسد قبيلة يهودا) وتروى أدبياتهم أنه كان (أقوى من الملك النبى داوود وأكثر حكمة من النبى سليمان). اتهمت العائلة بعبادة الشيطان (ساتانيزم) واعتمدوا الرمز السحرى عام ١٨٢٢ على ملابسهم. وكان عميدهم «ماير أمشيل» يعلق (خاتم سليمان أو ختم سليمان) على بيته لتمييزه فى القرن السابع عشر، وهو كما تقول المصادر التاريخية (نجمة داوود السداسية). ثم قرر استخدام (الدرع الأحمر) ويعنى بالألمانية (روت-شيلد) وعرفوا به، وهو درع النبى داوود ولم يكن له رمز دينى لدى اليهود إلا فى وقت متأخر واعتمد سياسيا مع دولة إسرائيل، كما جاء فى تحليلات لمؤرخين معاصرين.

رومانوف



آخر أسرة قيصرية حكمت روسيا قبل الثورة البلشفية الشيوعية. تم تنفيذ حكم الإعدام فى آخر قياصرتها وهو «نقولا الثانى» مع أولاده فى ١٧ يوليو من عام ١٩١٨ من قبل البلاشفة فى قبو بمنزل فى مدينة ايكاترينبيرج على بعد ١٥٠٠كم من موسكو مع عدد من الحاشية والخدم. ووجدت بقايا العظام بعد أكثر من ٧٠ سنة فى مدافن العائلة الموقتة خارج المدينة. وقد تم إجراء تحاليل الحامض النووى على من يشتبه إنهم من بقايا العائلة الأحياء وبينهم طفلان كان يعتقد أنه تم تهريبهما لكن التحاليل والوثائق أثبتت أن الثوار قتلوا جميع أفراد العائلة وأن الطفلة الهاربة المسماة أنستاسيا كانت مزيفة. بدأ حكم الأسرة منذ عام ١٦١٣ حين اتخذ «ميخائيل رومانوف» لقب امبراطور كل روسيا وكان أول من لقب نفسه بالقيصر وكان عمره حين تولى الحكم ١٦ سنة. كان ميخائيل رومانوف ضعيفا وبعد وفاته عام ١٦٣٣ تسلم ابنه اليكسى الحكم من عام ١٦٤٥حتى ١٦٧٦ شهدت البلاد خلالها ثورة القوزاق والتجار والتى حدثت من عام ١٦٤٨ و١٦٦٢ ثم ١٦٧٠ و١٦٧١.

كان ألكسندر الثالث هو القيصر السابع عشر لآل رومانوف والذى رفض تقليص صلاحياته التى نادى بها أسلافه. ولاحق الاصلاحيين كما اضطهد اليهود الذين اتهمهم بإثارة الفتن وتمير النظام المالى للبلاد. كما رفض مطالب الأقليات. خلفه آخر القياصرة «نقولا الثانى» الذى كان أضعف من الصمود أمام عوامل الثورة. واضطر للموافقة على إعطاء الحريات وتكوين مجلس لنواب الشعب. توجه نقولا الثانى إلى جبهة الحرب بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ليساند بجيشه القوات الصربية التى أعلنت النمسا الحرب عليها. لكن قواته الروسية كانت مشتتة ينقصها العتاد اللازم الحديث والقيادة العسكرية المدربة بينما كان الثوار يستعدون للاستيلاء على السلطة تحت شعار الاشتراكية وهدم الملكية.

وبالرغم من أن «نقولا الثانى» وافق على توسيع الحريات المدنية وإنشاء مجلس لنواب الشعب فقد شهدت سنوات حكمه تطورا اقتصاديا ملحوظا. شهد عهده نشوب الحرب الروسية- اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥). وكان «نقولا الثانى» قد تخلى عن العرش لصالح شقيقه ميخائيل رومانوف تحت ضغط أحداث ثورة فبراير/ شباط عام ١٩١٧ التى تشكل على أثرها ما يسمى بالحكومة المؤقتة. وقد وضع القيصر وأفراد أسرته تحت الإقامة الجبرية ثم أبعد عن العاصمة بتروجراد (بطرسبورغ). وبعد وصول البلاشفة إلى السلطة فى أكتوبر عام ١٩١٧ نقلت الأسرة القيصرية إلى الأورال حيث تم فيها بعد القضاء عليها بأبشع صورة وحشية. ففى ليلة ١٧ يوليو/ تموز عام ١٩١٨ تم إعدام القيصر الروسى الأخير نيكولاى (نقولا) الثانى وأفراد عائلته وخدمه وطبيبه الخاص. وغرزت الحراب فى أجسامهم. كما قتل جميع أفراد العائلة الذين فضلوا البقاء فى وطنهم روسيا. وقد تم مؤخرا تشييد كنيسة فى هذا الموقع وأطلق عليها تسمية «كنيسة جميع القديسين».

وفى أواخر الثمانينات من القرن العشرين تم العثور على بقايا جثة القيصر نفسه وزوجته وبناته أناستاسيا وتاتيانا وأولغا.

وفى أغسطس من عام ٢٠٠٠ أعلنت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تطويب القيصر نقولا الثانى قديسا مع أفراد أسرته.

فيلهلم كونراد رونتجن

عالم ألمانى. مكتشف الأشعة السينية أو أشعة اكس بما أحدث تطورا هائلا فى مجال الطب والعلوم الأخرى. ولد عام ١٨٤٥ فى (ريمشايد) فيما كان يسمى (بروسيا) التى كانت تضم ألمانيا وأجزاء من النمسا ومن أوروبا الشرقية. كان أبوه يعمل بتجارة وصناعة الملابس وكانت أمه هولندية فقضى طفولته فى هولندا.

طرد من المدرسة بسبب رسمه كاريكاتير ساخر لأحد المدرسين ومنع من الالتحاق بأية مدرسة أخرى هولندية أو ألمانية. التحق بمعهد (البولى تكنيك) فى زيوريخ بسويسرا (اليوم). درس الهندسة الميكانيكية وحاز الدكتوراه عام ١٨٦٩ وعمل محاضرا فى جامعة استراسبورج عام ١٨٧٤ ثم أستاذا (بروفسور) فى جامعات فورتمبرج واستراسبورج وأصبح (أستاذ كرسى للفيزياء) فى جامعة جيسين بألمانيا ثم فى جامعة ميونيخ بناء على طلب خاص من حكومة بافاريا.

كان على وشك الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل فى جامعة كولومبيا لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أفشلت خططه.

بداية اكتشافاته كانت عام ١٨٩٥ وقد تمت بالصدفة مثل كثيرين غيره من العلماء. فقد كان يحاول طيلة العام تقصى التأثيرات الخارجية فى أنابيب مفرغة الهواء حين تشحن بتيار كهربائى قوى. وقد قام بإرسال إشعاع الكترونى ذى طاقة حركية عالية فى أنبوبة من هذا النوع(أنبوبة تأين غازى). وعند اصطدام الالكترونات المرسلة بزجاج الأنبوبة أخذت ترسل (شعاعا متوهجا) كان يظهر على شاشة فوسفورية.

وحين لاحظ هذا لأول مرة اعتقد أنه (انعكاس) للإشعاع، فأحاط الأنبوبة بألواح سوداء كما وضع عوازل خشبية بين الأنبوبة والشاشة لكن التوهج استمر. وحين مد يده لالتقاط العوازل، فوجئ بصورة لعظام يده تتكون ببطء على الشاشة الفوسفورية.

أدرك «رونتجن» أن أشعة جديدة اخترقت الجسم لكنه لم يكن يعرف ما هى فقد كانت مجهولة بالنسبة له فأطلق عليها اسم (أشعة اكس) والمعروف أن حرف X يعنى (شيئا بلا اسم محدد) وظلت التسمية سارية حتى اليوم وإن كانت قد استبدلت أحيانا بأشعة «رونتجن» نسبة إليه. وتعرف بالعربية بالأشعة السينية.

كانت أول صورة التقطها ليتأكد من اكتشافه هى صورة يد زوجته التى فزعت وقالت (إنى أرى اليوم عظامى بعد موتى)! واتضح أن هذه الأشعة تخترق الأجسام اللينة والعضلات والأوعية الدموية لكنها لا تخترق العظم. وبدأ عصر اكتشاف الكسور فى العظام والأورام والأجسام الغريبة داخل الجسم دون الحاجة إلى فتح أو شق أو إجراء جراحة. فأشعة اكس هى جزء من الطيف الكهرومغناطيسى وتنتج من الانتقال الالكترونى بين مستويات الطاقة فى الذرة، لكنها لا ترى مثل الأشعة المرئية، وطاقتها أكبر منها بكثير. فترددها كبير وطول موجاتها قصير.

نال «رونتجن» جائزة نوبل عام ١٩٠١ وكانت أول جائزة فى الفيزياء تعطى لعالم. فى العام التالى بدأ الجدل يثار حول مدى (سلامة) استخدام أشعة اكس، بعد ظهور حالات إصابات بالسرطان ومشاكل صحية عديدة بعد التعرض لها. وثبت فى الخمسينات من القرن العشرين (خطورة) التعرض لها بكميات كبيرة أو متكررة. لكنها مازالت الوسيلة الوحيدة تقريبا التى تستخدم حتى اليوم فى الكشف عن حالات العظام وغيرها.

توفى «فيلهلم كونراد رونتجن» عام ١٩٢٣ بسرطان الأمعاء واعتقد كثيرون أنه أصيب به بسبب تعرضه المكثف للأشعة السينية لكن العلماء أكدوا أن مرضه لا علاقة له بالأشعة التى حملت اسمه حتى اليوم.



ساحرات سالم

الساحرات اللاتى نصبت لهن محاكمات عاصفة فى القرن السابع عشر وأصبحت جزءا من التراث الثقافى الأمريكى ورمزا للهيستيريا الجماعية والانقياد القضائى وغياب العدالة وتنفيذ أحكام الاعدام برغم الثقة فى البراءة.

وقد عرفت آنذاك طائفة دينية شديدة التزمت والتعصب تسمى (الأنقياء) أو (البيوريتاريون) كان أفرادها هاجروا من أوروبا إلى أمريكا (العالم الجديد آنذاك)! فى أوائل القرن السابع عشر هربا بدينهم الذى يعتقدون أنه ينادى بالعودة للمسيحية بصورتها الأولى النقية وبالتزام الحرفى بالنص الإنجيلى والخوف من الخطيئة! وعرف عنهم العزلة والاهتمام بالعمل والجدية ومواجهة الحياة القاسية فى العالم الجديد! واعتنقوا مبدأ (من ليس معنا فهو ضدنا)! وعاشوا فى ولاية «ماسوشيشتس» التى كانت ما تزال مستعمرة للبيض آنذاك بعد أن استولوا عليها من سكان البلاد الأصليين (أو ما يسمى بالهنود الحمر).

بدأت الحكاية حين فاجأ قس قرية تسمى «سالم» مجموعة من المراهقات الصغيرات وهن يرقصن سرا فى الغابة ويلعبن لعبة السحر الأسود والاتصال بالشيطان لتحقيق أحلامهن فى جو لهو خالص. وكان بينهن ابنة القس نفسه وكان عمرها ٩ سنوات التى وقعت مغشيا عليها لشدة الفزع حينما رأته، وطالت فترة اغمائها حتى شك القس فى الأمر فبدأ استجواب الخادمة « تيبوا» التى كانت من الهنود الحمر! وإحدى الفتيات من قريبات ابنته (يرجح أنها كانت ابنة عمها) وتسمى «أباجيل» وعمرها حوالى ١١ سنة. والتى كانت ماكرة لدرجة أنها أنكرت حكاية الرقص واللعب ورجحت أن إصابة «بيتى» ابنة القس كانت من المس الشيطانى والسحر الأسود. واتفقت الفتيات على التمادى فى هذه القصة وحين استدعى طبيب القرية لم يقف على أى داء فقرر أن تكرر حالات إغماء الفتاة نتيجة لقوة غير عادية ربما (شيطانية)!

واستغلالا للصراع الذى كان على أشده آنذاك بين المستعمرين البيض الجدد والسكان الأصليين (الهنود الحمر) رأت الفتاتان أن تتهما الخادمة «تيبوا» بممارسة السحر وبدأت موجة الاتهامات والمحاكمات وساد القرية ما يشبه الجنون!

بدأت الهيستيريا الجماعية حين خافت الفتاتان من عائلة قس القرية، من انكشاف كذبهما فاتهمتا الخادمة (الهندية الحمراء) «تيبوا» بممارسة السحر وزعمتا أنها تطير فى الهواء وأنها تذهب للقاء الشيطان! وصدق أهل القرية سالم الرواية، وكان السحر يعتبر لدى طائفة (الأنقياء) من الكبائر! وانتشر الخبر وقام القس بتعذيب الخادمة فاضطرت للاعتراف بأنها تلتقى بالشيطان وأنها تحضر اجتماعات السحرة ليلا فى مكان سرى بالغابة! والقى القبض على المتسولة «سارة جود» التى اتهمت معها طفلتها التى لا تتجاوز الرابعة من عمرها بممارسة السحر الأسود وسجنت الطفلة ٨ شهور وشهدت اعدام أمها! وبدأ الناس الاعترافات على بعضهم بشهادات زور، وتورط الصغار بالشهادات بتحريض من الكبار، خاصة مع وجود صراع شديد بين عائلتين كبيرتين كانتا تتنازعان الزعامة فى القرية، وساد القرية ما يشبه الجنون!

وشهدت الفترة بين يونية وسبتمبر من عام ١٦٩٢ اعدام ١٩ رجلا وامرأة على تلة «جالوز» فى «سالم» وهناك سيق رجل فى الثمانين لمعارضته هذه الأحكام الغريبة وجرد من ملابسه والقيت عليه أحجار ضخمة سحق تحتها بين صراخ الناس الهيستيرى!

وانتهى الأمر بأن قامت إحدى الفتاتين، وهى «اباجيل»، بسرقة عمها القس وهربت لتعمل فى الدعارة فى نيويورك، فأدركت المحكمة أنها فى أزمة وفى أكتوبر قام حاكم الولاية بحل المحكمة واستبدالها بمحكمة العدل العليا التى حظرت الشهادات التى لا تبنى على أدلة فعلية! وأطلق سراح باقى المتهمين واعترف القضاة بالخطأ وببراءة معظم من تم شنقهم!

هناك أكثر من ٥٥٢ وثيقة أصلية سجلت عن محاكم الساحرات ومازالت موجودة فى متحف (ساحرات سالم) كما أن عددا كبيرا من أدباء أمريكا حولها إلى أعمال أدبية ومسرحية. وأشهر من كتب عنها «آرثر ميللر» فى مسرحيته الشهيرة (المحنة)! والتى أسقطها على فترة المكارثية وهوجة مطاردة المتحالفين مع الشيوعية! كما يمكن اسقاطها اليوم على ما يحدث تجاه العرب والمسلمين!

جان بول سارتر

أبو الفلسفة الوجودية المعاصرة. مفكر وروائى ومسرحى وناقد. ينتمى لليسار السياسى. أثر بشكل عنيف ومباشر فى شباب النصف الثانى من القرن العشرين وعلى المفكرين عموما. ترجمت أعماله إلى اللغة العربية فأحدثت ضجة هائلة فى الوسط السياسى والاجتماعى. هو «جان- بول شارل إيمارد سارتر». ولد فى باريس التى قضى فيها معظم عمره. التحق بمدارس الصفوة الباريسية وعرف بالتألق الدراسى وبالغطرسة والعجرفة معا.

مات عنه والده وكان قد تخطى العام الأول ببضعة أشهر فأكثر من ذكر أمه فى كتاباته والتى تأثر بها لثقافتها. عمل بالتدريس بعد التخرج بين عامى ١٩٣١ و١٩٤٥ سافر أثناءها إلى مصر واليونان وإيطاليا. درس فى برلين بألمانيا عام ١٩٣٢ فتعرف إلى فلسفة هاسيرل والوجودى الألمانى «هايديجر».

تأثر بأفكار كارل ماركس الاشتراكية وبفلسفة الفرنسى ديكارت. جسد تأثره بهايديجر فى روايته (الوجود والعدم) عام ١٩٤٣. قام بتدريس الفلسفة فى جامعة لاهافر وليون وكان عمره ٢٤ عاما فقط. لم يلمع اسمه فى البداية حين شكل جماعة المثقفين فى الحى اللاتينى بباريس بل إن روايته الأولى (الغثيان) رفضتها دور النشر فأصيب بالإحباط الشديد واضطر لتغييرها بنصيحة من «سيمون دى بوفوار» فكانت بداية شهرته. طغت الحرب العالمية الثانية على تفكيره فامتزج فكره الفلسفى بالتعبير الأدبى والتوجه السياسى حيث تفرغ بعد الحرب للكتابة.

أصدر كتابه الشهير (الوجودية والإنسان) عام ١٩٤٦ وينقل عنه أنه لم يندم فى حياته كما ندم على نشر هذا الكتاب. اعتقل لمدة عام فى السجون الألمانية أيام النازية فانخرط بعد الافراج عنه فى صفوف المقاومة الفرنسية ضدها. ناصر السود فى الولايات المتحدة الامريكية وتعاطف مع ثورة كوبا وفيدل كاسترو كما انتقد الاحتلال الفرنسى للجزائر فى كتابه (عارنا فى الجزائر)! لكنه أبدى ميلا نحو دولة إسرائيل الوليدة بتأثير من رفيقة دربه «سيمون دو بوفوار» التى يقال إنها يهودية، وبصديقه «كلود لانيزمان» حيث دافع «سارتر» عنها أيام حرب يونيو ١٩٦٧. وظهرت آراؤه فى (تأملات فى المسألة اليهودية).

منح جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٦٤. مزج بين الفلسفة وبين الأدب فى العمل الروائى. يقول ناقدوه إنه كان يفتقر إلى التعبير الأدبى وجاءت الفلسفة طاغية على الأدب خاصة فى مسرحياته التى لم تكن على نفس مستوى رواياته. وكانت مسرحية (الذباب) أولها. كان يفتقد الربط بينه وبين الأبطال. أصبحت مفرداته (العبث والوجود والحرية) على كل لسان حتى بدون التدبر فى معانيها التى كان يقصدها.

الوجود عند سارتر (ذاتى الخلق) بمعنى أن الإنسان يولد بالصدفة. وقد شغلت سارتر مسألة (ولادته) كثيرا. وكان يناقش كثيرا مسألة (مجئ الإنسان) التى يعتبر أنها (ذات طابع عرضى واحتمالى) فقد (يكون أو لايكون) فـ (وجوده طارئ على الكون). وهو (زائد وغير ضرورى) ما دام كان يمكن ألا يكون. (حقيقة وجودى بولادتى غير مفهومة وغير معقولة). (أنا مهمل فى هذا العالم وهذا ليس معناه أن أظل مهملا، ولكنى وجدت نفسى وحدى بلا مساعدة متورطا فى هذا العالم الذى يتحتم على أن أعيش فيه وأن أتحمل مسئولية وجودى فيه وحدى)، فهو (محكوم بالحرية، يحمل عبء العالم على كتفيه، فهو مسئول عن العالم وعن نفسه كطريقة للوجود) (والإنسان هو الذى يصنع كينونة نفسه) و(المسئولية تكمن فى أن يتحمل محنة هذا الوجود) و(كل شئ يحدث هو ملكى أنا، وأنا أساوى ما يحدث لى). وأنا (المسئول عن رغبتى فى الهروب من هذه المسئولية) و(الانتحار هو أحد طرق رفض الوجود فى هذ العالم). الحرية عند سارتر شديدة الأهمية وهى ليست مطلقة (حريتى تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين).

الغريب أنه كما انطلقت الوجودية السارترية، انطلقت بنفس السرعة. وقد قيل إنه تراجع كثيرا عن معظم أفكاره قبل موته عام ١٩٨٠ ومشـى فى جنازته ٥٠ ألفا! ترك عددا كبيرا من المقالات والدراسات والكتب وربما كان آخر ما كتب، مسرحيتين هما (نكيرازوف) عام ١٩٥٦ وسجناء التونا عام ١٩٥٩.

ست الشام بنت أيوب

أخت صلاح الدين الأيوبى ومن أعظم النساء الكرديات فى التاريخ الإسلامى. هى «زمـرد خاتون» بنت الأمير «أيوب بن شـاذى بن مروان»، من تكريت بالعراق.

لقبها خاتون ويعنى السيدة المحترمة الفاضلة ومازال اللقب متداولا بين الأكراد خاصة فى العراق وهو ما يوازى لقب الهانم فى مصر والخانم فى تركيا وبلاد الشـام. ذكر المؤرخ «ابن كثير» أنها (أخت الملوك وعمة أولادهم وأنها أم الملوك وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا وكان لها إخوتها السلاطين بينهم الناصر صلاح الدين الأيوبى والملك العادل وسيف الدين).

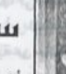
كان والدها يعمل مع أخيه «أسـد الدين شـيركوه» فى خدمة «نور الدين الزنكى» بالشام. وبفضل تدينه وكرمه اكتسبت مع إخوتها صفات الأفاضل. تزوجت «عمر بن لاجين» وأنجبت ابنها «حسام» الذى أوقفت نفسـها على تربيته. مات زوجها مبكرا فتزوجت من ابن عمها «ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى» والى حمص.

كان بيتها الكبير بالقرب من البيمارسـتان (المستشفى) ملاذا للخائفين والجرحى والهاربين من بطش الصليبيين والفرنجة رجالا ونساء. كانت تقدم الصدقات لكل محتاج. ألف المؤرخ المعروف «ابن قاضى شـهبة» كتابا عنها وهو الذى لقبها باسم (سـت الشام). قال عنها ابن الجوزى (كانت سيدة الخواتين، عاقلة كثيرة البر والإحسـان والصدقات وكان يعمل فى دارها من يعد الأشربة والمعاجين والعقاقير كل سنة بآلاف الدنانير وأصبحت جديرة باسم ست الشام).

سافرت برفقة ابنها محمد بن لاجين الملقب بحسام الدين للحج وتعرضت لهجوم من قبل «أرناط» صاحب مدينة الكرك وكان صليبيا فأقسـم صلاح الديـن أن يقتله وقد فعلها حين انتصر بعد معركة طبرية وكان أرناط أسيرا فلم يشاركه صلاح الدين الشراب والطعام حتى لا يضطر لإطلاق سراحه.

توفيت سـت الشـام بدارها بدمشـق عام ٦١٦ هجرية/ ١٢١٧م (تقريبا) وخرج الناس وراءها بـالآلاف وهـم يرددون الأدعية لها! وقيل إنه لم تشـيع امرأة قبلها بمثل ما شـيعت به الخاتون. اهتمـت بـالأدب والأدباء وتحفيظ القرآن الكريم وبالمستشـفى وأنشـأت مدرسـتين كبيرتين كانت إحداهما بمثابة الجامعة.

ست الملك



أخـت الخليفة الفاطمـى الحاكم بأمر الله والتى حكمت مـن بعده على خلفية حكم ابنه «الظاهر». هى «ست الملك» ابنة الخليفة «العزيز بالله» وحفيدة «المعز لديـن الله» الفاطمى، الذى بنى القاهرة. ولدت عـام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠ م، أى قبل أخيها الحاكم بحوالى سـتة عشـر عاما. أمها كانت جارية رومية فى قصر العزيز بالله، أعتقها بعد ولادتها ست الملك، التى كان أبوها يحبها ويدللها لما كانت عليه من جمال وذكاء وحزم.

أغدق عليها أبوها الكثير من الأموال وبنى لها قصرا تعيش فيه وحدها مع أربعة آلاف من الخدم (١) كمـا كانـت تمتلك ثروة كبيرة من التحـف والمجوهرات والأراضى والبسـاتين، كما يقول بعض المؤرخين مثل «المقريزى»، وإن كان مؤرخون أكثر حداثة، يرون فى هذا مبالغة شـديدة من المؤرخين القدامى الذين كانوا يميلون إلى تضخيم الحدث لجلب انتباه الناس. لكن المعروف أن «ست الملك» كان لها مكانتها لدى أبيها بالمقارنة مع أخيها الحاكم الذى كان لا يبدو عليه الكثير من الحكمة وهو صغير.

حين مات «العزيز بالله» عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م. تولى ابنه «الحاكم بأمر الله» العرش، وكان صغير السن فى الحادية عشرة من عمره. وكان يعتمد كليا على أخته «ست الملك»، التى ربته فكان يستشيرها فى أمور الحكم والدولة ثم جعل من مولى أبيه «برجوان» مستشـاره الخاص، حتى كاد «برجوان» يكون هو الحاكم الفعلى للدولة الفاطمية التى كانت ممتدة حتى حلب بالشام وحتى شمال إفريقية.

لكـن الحاكم بأمر الله ضاق بالمستشـار «برجوان» فأمر بقتله عـام ٩٩٩م وأصبح هو الحاكم. لكن أخته «ست الملك» كانت وراءه تصلح أخطاءه وتتدخل فى شئون الحكم وتحاول السيطرة على الأمور، فقرر «الحاكم بأمر الله» إبعادها عن ملكه، فأمرها بالاعتزال فى قصرها وعدم الخروج منه، كما فعل مع نساء مصر، حين قرر لفترة ألا يخرجن إلا للضرورة. كما حظر عليهن التبرج والتزين.

لكن «سـت الملك» اسـتطاعت أن تتصل بالقصر وبمن فيه. فقد كانت أكثر من أخيها شعبية لدى الناس. وزاد الأمر سوءا حين وصله تردد بعض أهل البلاط على قصرها فبدأ يشك فى سلوكها، وحين استمرت فى مقابلة أعضاء من القصر، بدأ يشـيع عنها سوء السـلوك واتهمها بأسوأ ما يمكن حتى ضاقت به وغضبت لسمعتها، فقد كانت قد قاربت الخمسين من عمرها.

حتـى كان يـوم خروجه من القصر فى عام ٤١١هــ/ ١٠٢١م ولم يعد. فقد ركب حماره وخرج إلى المقطم يمارس استطلاعه المحبب للنجوم وصرف الخدم الذين كانوا معه. ولم يره أحد منذ ذلك اليوم. وظهرت جثة الحمار لكن جثته لم يظهر لها أثر حتى اعتقد بعض أتباع مذهبه الجديد بأنه ارتفع إلى السماء وسيظهر من جديد!! فقد كان بداية ظهور «نتشكين» الدرزى، الذى نشر فى مصر مذهب التوحيد بعد تحريفه والذى أقنع الحاكم بأمر الله بأن روح الله ستحل فيه. وهو ما أغضب أخته «ست

الملك» بشدة. وقد اشيع أنها كانت ترى السيدة «فاطمة الزهراء» رضى الله عنها فى الحلم وهى توصيها بما تفعله لوقف الفتنة التى عمت بسبب المذهب الذى أراد أخوها الحاكم بأمر الله اعتناقه.

ومهما كان صدق ما أشيع من عدمه، فالمؤكد أن «ست الملك» لم تكن راضية عن حكم أخيها، وحين اختفى فى ذلك اليوم أو مات، أشيع أنها هى التى قتلته، بيد «الحسين بن دواس» من قبيلة (كتامة) التى اضطهدها الخليفة الحاكم وعانت منه الكثير.

ومهما يكن. وسواء كانت هى وراء اختفاء أو مقتل أخيها أم لم تكن، فإنه قد نودى لتنصيب ابنه على العرش مكانه فى نفس اليوم. وكان عمره سبعة عشر عاما. ولقبته «ست الملك» بالخليفة (الظاهر لأمر الله) ويذكر «المقريزى» أنها (أخرجت على بن الحاكم بأمر الله، ولقبته بالظاهر لإعزاز دين الله، وألبسته تاج جدها وهو تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وجعلت على رأسه مظلة مرصعة واركبته فرسا رائعة... وضربت البوقات والطبول وعلا الصياح بالتكبير والتهليل..).

وقد ألغى «الظاهر» بايعاز منها، كل المراسيم التى كان قد أصدرها أبوه والتى أشاعت الفوضى فى البلاد، كما ساعدته على توطيد أركان الحكم والدولة. وحين حاول والى حلب الخروج على طاعة الخليفة، أرسلت إليه الهدايا والأموال لتطمينه ثم أمرت بقتله. كما هادنت الدولة البيزنطية فى القسطنطينية والتى كانت قرب حدودها. وأرسلت إلى القيصر البيزنطى سفيرا لعقد اتفاقيات تعاون وصداقة. وقد ذكر المؤرخ «المقريزى»: (أنها قامت بتدبير مملكته أحسن قيام وبذلت العطاء للجند وساست الناس أحسن سياسة)!

استمرت فى الحكم (وصية على ابن أخيها) أكثر من ثلاث سنوات، حتى توفيت عام ١٠٢٣ وكان عمرها ٥٥ سنة!

جوزيف ستالين

لقب بـ (ستالين) وتعنى الرجل الفولاذى. أهم وأشهر قادة الاتحاد السوفييتى والذى حوله إلى قوة عظمى ثانية مع الولايات المتحدة الأمريكية.هو «جوزيف فيساريونوفيتش» ولد فى ١٨ ديسمبر من عام ١٨٧٩ فى مدينة جورى فى جورجيا وكان رابع إخوته ماتوا جميعا وهم صغار ونشأ جوزيف معتل الصحة فاعتنت به أمه الغسالة، خاصة بعد هروب أبيه بيسو الاسكافى ويقال إنه كان صانع قوارب وكان يضربه بقسوة. أرسلته أمه إلى المدرسة الروسية الأرثوذكسية ليتخرج راهبا. عاش الفقر المدقع الذى كان معظم الفلاحين يعانونه. أصيب بالجدرى وعمره ٧ سنين فترك ندوبا فى وجهه وكان رفاقه الصغار

يسخرون منه بسببه. حقق نجاحا فى المدرسة الدينية فحصل على منحة دراسية فى المعهد الصناعى فى تفليسى عاصمة جورجيا. انضم أثناء الدراسة إلى جماعة سرية سياسية يطالب أعضاؤها باستقلال جورجيا عن روسيا. وهناك تعرف إلى أفكار كارل ماركس الشيوعية. طرد من المعهد لعدم احترامه للمسئولين ولقراءته كتبا ممنوعة عن الماركسية. اضطر لإعطاء دروس خصوصية لأبناء الطبقة الوسطى لكسب العيش. بدأ يكتب مقالات فى (المجلة الجورجية الاشتراكية). فى عام ١٩٠١ انضم إلى حزب العمل الاشتراكى الديمقراطى وكان معظم قادته فى المنفى وظل جوزيف فى روسيا لمقاومة القيصرية. فى عام ١٩٠٢ اعتقل لأول مرة لمشاركته فى تنظيم إضراب فى مزرعة روتشيلد الواسعة ونفى إلى سيبيريا لمدة ١٨ شهرا.

أصبح من أنصار قائد المقاومة «لينين» المقيم فى المنفى فى لندن بعد صراعه مع مارتوف فشكل (البلشفية). هرب جوزيف ستالين من منفاه وشارك فى مظاهرات العمال فى تفليسى. فقدر له لينين هذا النشاط ودعاه للقائه فى فنلندا عام ١٩٠٥. عاد ستالين إلى روسيا واعتقل ٤ مرات خلال ٨ سنين وكان يهرب كل مرة. انتقل إلى سان بطرسبيرج ليعمل فى صحيفة (البرافدا) بعد إعلان رئيس الوزراء الجديد «كيرنيسكى» السماح بعودة المعتقلين. وجد ستالين نفسه فى موقف حرج بعد عودة لينين إلى روسيا عام ١٩١٧ والذى هاجم البلشفيين الذين يرضخون لأمر الحكومة الصورية بعد سقوط القيصر «نقولا الثانى». وحرض الفلاحين على الاستيلاء على الأراضى كما حرض العمال على السيطرة على المصانع وأن يتولى الشعب السلطة. وكان لابد لستالين من تغيير اتجاهه فكتب مقالا يدين فيه التعامل مع الحكومة وحرض على الثورة بالرغم من أنه كان مقتنعا مثل كثيرين غيره من الثوار بأن الشعب ليس جاهزا بعد للثورة فقربه لينين إليه أكثر ومنحه سلطة المستشار. اختير عام ١٩٢٢ لمنصب الأمين العام للحزب الشيوعى بعد سقوط القيصرية وتسلم الشيوعيين البلاشفة السلطة بعد موت لينين عام ١٩٢٤.

نادى ستالين بالإشتراكية المحلية القومية وألغى فكرة نشر الشيوعية العالمية التى كان لينين ينادى بها وتروتسكى من بعده مما أوقع خلافا حادا بين ستالين وتروتسكى الذى طرده ستالين أيضا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فأصبح القائد الأوحد عام ١٩٢٨ حيث بدأ فترات حكمه الدموية بالاعتقال والطرد والنفى والقتل والسجن والتصفيات الجسدية لكل معارض من الرفاق أو من الشعب. رفض كل مظاهر التدين وقضى على كل الطوائف التى تجاهر بالدين، أيا كان، وحظر الإيقونات المسيحية فى البيوت وهدم الكنائس والمساجد وكل دور العبادة. فسمى (ستالين) أى الرجل الفولاذى. فرض الزراعة التعاونية واستبدال الأدوات البدائية القديمة بآلات وتجهيزات حديثة. قاوم ستالين الاحتجاجات بالقوة المفرطة فقتل مئات الآلاف وأجبر ملايين المزارعين على العمل بالقوة فى الحقول التعاونية بعد مصادرة ممتلكاتهم من الحيوانات والتى فضل المزارعون نحرها حتى لا تتسلمها التعاونيات مما سبب أزمة خانقة فى عملية الانتاج الزراعى والحيوانى

والغذائى واستمرت المواجهات العنيفة حتى أنه أمر بإطلاق الرصاص على كل من يحتج. سادت المجاعة بين عامى ١٩٣٢ و١٩٣٣ وراح ضحية القمع حوالى ٥ ملايين فلاح. وتوقف تصدير القمح الروسى إلى الخارج.

اعتنق ستالين سياسة الإحلال والإبدال للقوميات الكثيرة الموجودة فى روسياوذلك بنقل أكثر من مليونين من مواطنهم فى شاحنات غير آدمية. حين اندلعت الحرب العالمية الثانية تمكن الألمان النازيون بقيادة هتلر من تحقيق انتصارات على جيوش ستالين الذى لم يتوقع الغزو بعد أن وقع مع هتلر معاهدة عدم اعتداء. وقدرت خسائر الروس البشرية بقيادة ستالين بأكثر من ٢٥ مليون روسى عدا حرق القرى والمدن. لكن الكفة رجحت لصالح ستالين الذى تصرف بقدر كبير من الفطنة العسكرية وسياسة فرض المقاومة وحشد الشعب للدفاع عن البلاد وتجهيز الجيش الأحمر بجنرالات جدد بعد تصفية القدامى وتوفير السلاح مما أدى إلى انتصار الروس على جيوش هتلر تسانده قوى الحلفاء الغربيين فى مايو ١٩٤٥. تدهورت صحة ستالين فى مارس ١٩٥٣ وقيل بالسم أو بجلطة دماغية ومات يوم٥ مارس من نفس العام.ودفن الى جانب لينين بعد تحنيطه،ونقلت جثته عام ١٩٦١ إلى الكرملين.



ماريا ستوارت

عرفت بملكة اسكوتلاندا فى القرن السادس عشر. جسدت الصراع على السلطة بين الشرعية والقوة. اشتهرت حياتها بمأساوية الأحداث حتى تحولت إلى مادة شبه أسطورية تناولتها السينما والمسارح أكثر من مرة.

ولدت فى عام ١٥٤٣ فى قصر ملكى باسكوتلاندا، ابنة للملك جيمس الخامس، ملك اسكوتلاندا. كان عمرها ٦ أيام فقط حين توفى والدها فى سن الثلاثين بالكوليرا أو بمرض السيفلس (الزهرى) المؤلم وقيل إنه مات حزنا بسبب هزيمته أمام انجلترا فى معركة «سولووى موس»! كان عمرها ستة شهور فقط حين عقدت اتفاقية «جرينتش» بأن تتزوج ماريا ابن الملك هنرى الثامن ملك انجلترا، لكن أمها هربت بها إلى قلعة «استيرلنج» لتقيم بين أنصار الملكة وتوجت ماريا الطفلة ملكة على اسكوتلاندا وأصبح الحفل حديث العالم ويحكى أنها فزعت من الموسيقى ومراسم التتويج فبكت وبسبب ثقل ملابسها المطرزة بالمجوهرات حملها «لورد ليفنجستون» إلى (هيكل الكنيسة) ووضع التاج على رأسها وهى تبكى فزعا.

حاول ملك انجلترا هنرى الثامن تنفيذ الاتفاقية بالقوة للاستيلاء على كل ملكها قبل أعوام من حلول موعد الاتفاقية وكسر التحالف مع فرنسا لكن البرلمان الاسكتلندى ألغاها وخسر الاسكتلنديون

معركة «بينكى كلوف» فتم إخفاء «ماريا»، وسارع الفرنسيون لنجدتهم ضد انجلترا واشترط ملك فرنسا تزويج ابنه البالغ من العمر ٣ سنوات للملكة الطفلة. وصلت المساعدات عام ١٥٤٨ ووقعت اتفاقية الزواج على أن يتكفل الملك الفرنسى بتربيتها حتى يبلغ الموعد.

تلقت ماريا بالفعل تعليما متميزا وأتقنت الفرنسية والإيطالية والإسبانية واللاتينية واليونانية وتزوجت عام ١٥٥٨ وحين مات هنرى الثانى كانت الملكة القادمة لإنجلترا بعد إليزابث الأولى، والتى كانت تعتبر فى نظر الكاثوليك غير شرعية لأن الكنيسة لم تعترف بطلاق وزواج والدها هنرى الثامن ولم تتزوج أو تنجب. أعلنت فرنسا مساندتها لماريا. وحين مات زوجها عام ١٥٦٠ تولت حماتها الوصاية لصالح ابنها الأصغر «شارل الحادى عشر». وبمعاهدة «ايدنبورج» سحبت فرنسا قواتها من اسكوتلاندة واعترفت بالملكة اليزابث الأولى ملكة على إنجلترا واسكوتلاندا! وهو ما رفضته ماريا التى كان عمرها ١٧ سنة.

عادت إلى اسكوتلاندا وأصبحت كاثوليكية فى الوقت الذى أعلنت فيه إليزابث المذهب البروتستانتى مذهبا للدولة وبدأ الصراع التاريخى بين الملكتين وعلى رغم محاولات كثيرة رتبت للقاء الملكتين وجها لوجه إلا إنهما لم تلتقيا أبدا. أصبحت ماريا أرملة وعمرها ١٨ سنة. وتحول الصراع إلى صراع دينى، وحسما للموقف عرضت اليزابث عليها تزويجها من أحد النبلاء الانجليز فرفضت وتزوجت من اللورد الانجليزى هنرى استوارت، الذى أنجبت منه فزاد إحساس إليزابث باحتمال ضياع العرش منها مما أدى فيما بعد إلى التآمر على ماريا بثورة ضدها واتهامها بجرائم قتل سجنت على أثرها فى انجلترا وقالت جملتها المشهورة: (فى نهايتى، بدايتى) وأعدمت بالمقصلة فى فبراير ١٥٨٧.



سعيد بن سلطان وابنه برغش

حاكمان عُمانيان عربيان على جزيرة زنجبار على السواحل الشرقية الإفريقية. كان لهما الفضل فى تطوير الجزيرة مما جعلها مطمعا للمستعمرين الأوروبيين. كان العرب العمانيون قد بسطوا سلطانهم على شرق إفريقيا منذ القرن الثامن الميلادى، كما يقول بعض المؤرخين. وحين حاول الحجاج بن يوسف الثقفى إخضاعهم بقوة جيش ضخم، انتقل الإمامان سليمان وسعيد إلى شرق إفريقيا ويقال إنه كانت توجد هناك جالية عمانية عربية كبيرة. ويقول المؤرخ الأمريكى «ويندل فيليبس» إن جزيرة زنجبار «حكمها سلاطين عُمان من اليعاربة ومن آل سُعيد».

وتذكر بعض كتب التاريخ أن العرب العمانيين وصلوا إلى زنجبار وسواحل شرق إفريقيا منذ عام ١٦٩٠م واستطاع «سيف بن سلطان» طرد البرتغاليين الذين كانوا يتحكمون فى معظم سواحل إفريقيا والبحر المتوسط وآسيا وكانوا قد احتلوا مسقط (عاصمة عمان اليوم) بين عام ١٥٠٨ و١٦٤٨م حتى طردتهم القبائل منها.

ولد «سعيد بن سلطان» فى إمامة مسقط حوالى عام ١٧٧٦/ ١٢٠٤هـ. وتولى الحكم عام ١٨٠٦م ويقال إنه قام فى عام ١٨٢٨م بزيارة لزنجبار وكانت تحت الحكم العمانى، فأعجب بجوها وجمال طبيعتها فجعلها مقر حكمه وتقل عاصمته إليها ليحكم منها عمان وباقى سواحل إفريقيا.

اتسع فى عهده نفوذ السلطنة العمانية فامتد من بندر عباس فى إيران وحتى ميناء زنجبار غربا شاملة ممباسا ومقديشيو حتى وسط إفريقيا. وازدهرت الحياة الاقتصادية التى كانت تعيش على تعايش الأجناس من عرب وأفارقة وآسيويين وتعتمد على التجارة البحرية مع معظم الشعوب فكان الأسطول التجارى العمانى من أكبر الأساطيل فى البحار تسانده قوة عسكرية.

أرسل «سعيد بن سلطان» سفينته العُمانية المسماة بالسلطانة، إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكانت تقل (أول) مبعوث عربى إلى هناك وهو «أحمد بن النعمان الكلبى». عقد اتفاقيات مع ٢٢ دولة على الأقل وراسل حكام ٣٣ دولة، لكنه ابتعد تمامًا عن التورط فى المشاكل الدولية فرفض طلب خديوى مصر مشاركته فى منازعاته خاصة ومع السلطة العثمانية.

حافظ «سعيد بن سلطان» على استقرار دولته مستخدما الدبلوماسية، فى وقت اشتد فيه التنافس بين بريطانيا وفرنسا على المستعمرات فى إفريقيا وعلى كسب جانب السلطنة العمانية بالذات. وبينما دعمت فرنسا علاقاتها التجارية مع سلطنة عُمان، رفضت بريطانيا ذلك بادئ الأمر ثم أبدت مرونة عالية فى التفاهم معها. وكانت اكتشافات المغامرين والجغرافيين الأوروبيين قد فتحت باب الطمع فى إفريقيا حتى زنجبار التى دار حولها الصراع بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا انتهى بتوقيع اتفاقيات لتحديد مناطق نفوذ كل منها.

وقع السلطان سعيد اتفاقية صداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية. لكن بريطانيا عقدت معه اتفاقية تجارية. فقد كانت المملكة واسعة الثراء. وكانت تشترط وضع يدها على السفن التى تتاجر بالرقيق! وبدأت إحكام سيطرتها على تجارته البحرية بمساعدة (شركة الهند الشرقية) التى أسستها واحتلت بها الهند.

كان «سعيد بن سلطان» أول من زرع القرنفل فى جزيرة زنجبار، بالرغم من رفض الأهالى، لكن الجزيرة اليوم تأتى على رأس الدول المصدرة لأرقى أنواع القرنفل فى العالم. كما افتتح الطرق وبنى القصور والمساجد وجعل الجزيرة من أجمل المناطق على الساحل الإفريقى.

ويذكر المؤرخ «فيليبس» أن (إنتاج الذهب كان يعادل نصف مليون جنيه استرلينى بحساب ذلك الوقت) بالإضافة إلى تجارة جوز الهند وجوز الطيب وتجارة الرقيق. ويقال إنه كان يعيش فى قصره

ألف خادم، وكان أسطوله البحرى يتكون فى ذلك الوقت من خمس وسبعين سفينة فى كل سفينة ٥٦ مدفعا! ويقول المؤرخ الأمريكى «فيليبس» عن فترة حكم «سعيد بن سلطان» (إنه كان صاحب أقوى أسطول فى المنطقة بين الرجاء الصالح بإفريقيا حتى اليابان) و(أنه أهدى فرقاطة بحرية مسلحة إلى ملك بريطانيا، وفرقاطة أخرى إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية)!!

توفى «سعيد بن سلطان» عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وكان على سفينته (فيكتوريا) فى رحلة من عُمان إلى زنجبار ودفن فى زنجبار. وترك ٣٦ من أبنائه بينهم ٢٦ من الذكور، تصارعوا على الحكم من بعد خاصة «ماجد» و«بُرغش» وكاد الصراع أن يؤدى إلى حرب دامية فاستعان «ماجد» بالبريطانيين، الذين شكلوا لجنة تحكيم يرأسها المندوب السامى فى الهند. فقسموا سلطنة عمان إلى عمان وكانت من نصيب السلطان توينى بن سعيد، وإلى زنجبار وأعطيت لماجد بن سعيد. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت زنجبار عن عمان.

وكان «برغش بن سعيد» هو السلطان الثانى بعد وفاة أخيه «ماجد بن سعيد» وكان من أم عبدة للسلطان أعتقها بعد ولادتها لبرغش والذى ولد عام ١٨٣٧. استلم الحكم عام ١٨٧٠ بعد أن سجن أخاه الأصغر «خليفة» حتى لا ينازعه على الحكم. لكن فترة حكمه شهدت ازدهارا لجزيرة زنجبار وسواحل إفريقيا الشرقية والتى أولاها عناية خاصة.

طور البنى التحتية للبلاد وشبكات المياه والحمامات العمومية (!!) وأجهزة الشرطة لبسط الأمن كما فتح الطرق والحدائق العامة والمستشفيات والمبانى الحكومية الضخمة التى كانت من أرقى ما ترك العرب العمانيون فى بلاد سواحل إفريقيا وزنجبار. اهتم بالتعليم وكان يحب العلماء ويجلهم. عمل بقوة على نشر الثقافة العربية فى شرق إفريقيا، ونشر الإسلام واللغة العربية وبنى المساجد وتدريس العلوم وأسس المطبعة السلطانية فى زنجبار.

لكن أهم ما قام به هو إلغاء الرق وتجارة العبيد، وفتح البلاد على العالم الخارجى بدهاء دبلوماسى فتعامل مع كل القوى الاستعمارية فى ذلك الوقت. وكان يستطيع التلاعب بها بمهارة ويعد آخر سلاطين عمان فى إفريقيا الذى حافظ على الاستقلال الفعلى عن الأوروبيين، بالرغم من أنه كان يستشيرهم جميعا، حتى نال وسام القديس مايكل والقديس جورج ووسام البرج والسيف العسكرى من بريطانيا.

أمام صراع القوى الاستعمارية قسمت زنجبار عام ١٨٨٦م ونشطت الحملات التبشيرية البريطانية والتفرقة بين العرب والأفارقة وتوفى «برغش بن سعيد» بعدها بعامين فى ١٨٨٨م. وسلم ابنه «خالد» الصلاحيات لبريطانيا بعد أن خسر الحرب القصيرة معها.

خرجت زنجبار من الوصاية البريطانية وحصلت على استقلالها عام ١٩٦٣م. وانضمت فى كيان مع تنجانيقا وسميت (تنزانيا)!!

سنجور

سياسي وشاعر إفريقي. هو سياسي شاعر وشاعر سياسي. حمل جذوره الزنجية إلى عالم الرجل الأبيض الفرنسي فأثر وتأثر حتى أصبح يعد ظاهرة فريدة. كتب باللغة الفرنسية فكان شاعر (الفرانكفونية) بلا منازع. هو «ليوبولد سيدار سنجور» أراد أن يصبح راهبا كاثوليكيا لكن طبعه المتمرد منعه. ولد في مدينة «جوال» على ضفاف المحيط الأطلنطي في السنغال الواقعة في الغرب الإفريقي. أسرته التي تنتمي إلى قبيلة (سيراي) كانت بسيطة لكن محيطه الاجتماعي كان راقيا. تلقى تعليما فرنسيا خالصا في الإرساليات الدينية وبسبب نبوغه أرسلته فرنسا ليكمل تعليمه في ثانوية «سان لويس» بفرنسا ثم في السوربون حيث تخرج عام ١٩٣١ وحصل على درجة «الاجريجاسيون» التي تفوق شهادة الدكتوراه في النحو الفرنسي فعين في المعاهد الفرنسية للتدريس كأول إفريقي يحتل هذا المنصب. التقى هناك بالشاعر الإفريقي الأصل «إيميه سيزار» الذي استقى منه «سنجور» مصطلح (الزنوجة) فطوره وأعطاه بعده الثقافي والفكري.

بدأ كتابة الشعر وعمره ١٨سنة وكان ديوانه الأول «أغنيات الظل». تقول أولى قصائده: (يارب اغفر لفرنسا التي تعامل السنغاليين كمرتزقة وكأنهم كلاب الامبراطورية السود).. قرأ «ماركس وإنجلز» فاعتنق الاشتراكية لكنه رفض صراع الطبقات الشيوعي والفلسفة المادية الماركسية التي تهزأ بالأديان (بإمكاننا أن نكون اشتراكيين ونظل مؤمنين). السنغال ظلت مستعمرة فرنسية لمدة ثلاثة قرون. عشق فرنسا بالرغم من احتلالها لبلاده فولد فيه هذا الحب صراعا بلا نهاية بين انتمائه الإفريقي وثقافته الزنوجية وانغماسه في جذورها وبين ارتباطه العقلي والعاطفي واللغوي بفرنسا.

قال: (أنا عطش- عطش، لمساحات ومياه جديدة). كانت الفرنكفونية الحل أمامه لتعريف الفرنسيين بالثقافة الزنجية. كان أول إفريقي يتخرج في السوربون وأول كاتب أسود تستقبله الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٨٤ وأول رئيس للسنغال بعد استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠ وأول رئيس إفريقي يتنازل عن الرئاسة عام ١٩٨١.

انتقده كثيرون لكونه (مزدوج الانتماء). يقولون إنه نتاج سياسة ديجول الفرنسي الذي وجد أنه لابد قبل الخروج من المستعمرات الأفريقية من استقطاب المثقفين فيها. فقد كانت نتيجة استفتاء عام ١٩٥٨ في السنغال موافقة ٦٧٪ على قبول الفرانكفونية وهيمنة فرنسا الثقافية على البلاد. لكن مؤيديه يرون أنه كان يعتز بزنوجته إلى حد أنه فرض قبولها على المستعمر الغربي الأبيض. أسس «سنجور» مجلة (العالم الأسود) في بدايات حياته عام ١٩٣١ مع «إيميه سيزر» وأصدر مجلة (الأميرة الإفريقية) الثقافية، كما أسس مجلة (الطالب الأسود وراء البحار) عام ١٩٤٣.

جند في الجيش الفرنسي واضطر لخوض الحرب العالمية الثانية وأسر. لقب بـ (حكيم إفريقيا) وأثر في مفكرين كبار وأدباء مثل سارتر الفرنسي لكن تأثيره كان كبيرا في الأدباء المغاربة. كان شديد التمرس باللغة الفرنسية الرومانسية وممسكا بناصيتها فصهرها في الإرث الإفريقي حتى أصبحت أشعاره شديدة التميز وفيها الكثير من الصفاء والحضارة. حين أصبح رئيسا قرر أن يكون دستور السنغال (علمانيا) بالرغم من أن أكثر من ٩٠٪ من سكانها من المسلمين. وجمع معظم السلطات بيده لمدة ٢٠ عاما، لكنه تنازل عن الرئاسة لصالح رئيس وزرائه «عبده ضيوف». تفرغ للأدب والشعر الذي هو (أخلد من السياسة). أسس عام ١٩٨٠ (المنتدى الثقافي العربي الإفريقي) وقرر إدخال اللغة العربية في المدارس. انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية. حاز على عدد ضخم من الجوائز الدولية. أصدر في حياته ٨ دواوين شعر بينها (القرابين السوداء) و(موسم الأمطار). توفي في فرنسا في ديسمبر ٢٠٠١.

سندريلا

حكاية شعبية أسطورية اتخذت مئات الأشكال الأدبية والفنية في العصر الحديث. ولا يعرف أحد من الذي ابتكر شخصية سندريلا وإن كان كثير من مؤرخي الآداب والفنون يرجحون رد أصولها إلى الصين وبالتحديد إلى عام ٨٦٠ قبل الميلاد والمرجح أنها ظهرت أيام أسرة «تانج» الصينية للمؤلف «توان شينج شي». لكن القصة المتداولة بين أيدينا تعود ربما إلى الكاتب الفرنسي «شارل بيرو» الذي يعتقد أنه قدمها في أواخر القرن السابع عشر عام ١٦٩٧ واعتمدت على حكايات لأحد الرواة وهو «باسيل» عام ١٦٣٤، لكننا نعرف بشكل قاطع أن الرؤية الحديثة لسندريلا والتي نعرفها جميعا تعود إلى «والت ديزني» الأمريكي الذي تبنى الشخصية وقدمها في أحد أفلام الكرتون (الصور المتحركة) عام ١٩٥٠ والتي تحولت لتصبح النمط الكلاسيكي المعروف لشخصية سندريلا، الفتاة الصغيرة التي تعاني من موت أمها وقسوة زوجة أبيها وحرمانها من طفولتها حتى تظهر روح أمها على شكل ملاك أو ساحرة طيبة ومعها مساعدوها، فيعدون لها ثوبا لحفلة الأمير التي تذهب إليها في عربة جياد مطهمة (سحرية) بالطبع وتدق الساعة فتخشى انكشاف أمرها وتجري هاربة.. وباقي القصة معروف.

ولد «شارل بيرو» مؤلف القصة بنمطها الأدبي الكلاسيكي، عام ١٦٢٨ في باريس بفرنسا، ابنا لعائلة بورجوازية غنية وتعلم في أفضل المدارس مما يجعل وصفه لحياة الفقراء في كتاباته مثيرا

للدهشة. كان أخوه «كلود» من أفضل المهندسين الذين صمموا متحف اللوفر. درس «شارل بيرو» القانون وأصبح محاميا عام ١٦٥١ وعمل فى الحكومة، وهو أمر كان نادرا ووجيها، وشارك فى إنشاء (أكاديمية العلوم) وكذلك فى (ترميم أكاديمية الرسم) وحين أنشئت (أكاديمية الفنون الجميلة) أصبح سكرتيرها العام مدى الحياة.

أما كتابة (الحكايات الخرافية) فبدأت حين أخذ يسرد على طفله حكايات قديمة يعرفها ولكن بأسلوب مبتكر الشخصية التى شاع تصويرها فنيا وأدبيا حتى أصبحت رمزا. ويعتبر الكاتب الفرنسى «شارل بيرو» مبتكرها بالنمط الذى عرفت به فى عصرنا الحديث. بينما كان «والت ديزنى» الأمريكى هو مبدع الشكل الذى عرفت به بين الصغار والكبار. وقيل إن «شارل بيرو» روى الأسطورة القديمة بأسلوب مبتكر وحديث. وهذا بالتحديد ما جعل الأديب «بيرو» يتميز بمكانة خاصة بين أدباء عصره. فقد ساهم بشدة فى الصراع بين (القديم والحديث) فى الأدب والفن. وكان إلى جانب الحداثة فكتب: (قرن لويس العظيم الرابع عشر) عام ١٦٨٧، كما كتب (التوازى بين القديم والحديث) عام ١٦٨٨ إلى ١٦٩٢. وحين كان عمره ٦٩ سنة، نشر حكايات من الماضى عام ١٦٩٧ وحكايات (الأم الأوزة) وبدأت بها شهرته وشعبيته كما بدا بها عصرا أدبيا جديدا قلده فيه فيما بعد أدباء مثل «لامارتين»، ويقال أن بدايته مع (الحكايات الأسطورية أو الخرافية) كانت حين بدأ يرويها لابنه الصغير ثم أصبحت أسلوبه فى الأدب. وكان يسقط صفات من يراه من الناس على الشخصيات التى يؤلفها فيرسمها بدقة مدهشة حتى تفاصيل ملابسها وحركاتها بخاصة لباس الأمراء والأميرات.

أشهر ما ترك: (الدب الأزرق) و(الجمال النائم) و(القط المعلم) و(سندريلا) و(الإبهام الصغير) و(جلد الحمار).

توفى «شارل بيرو» صاحب أسطورة «سندريلا» فى باريس فى مايو ١٧٠٣م.

سولاقا

مؤسس الكنيسة الكلدانية الحديثة الكاثوليكية. ولد باسم «يوحنا سولاقا» فى القوش بالقرب من الموصل فى محافظة نينوى بالعراق. اعتزل العالم فى دير «هرمزد». نال درجة الكهنوتية وانتخب رئيسا للدير عام ١٥٤٠ وعمره ٢٧ سنة. ظهر اسمه حين حاول البطريرك «شمعون الرابع» الباصيدى أن يجعل البطريركية حصرا فى أسرته (الأب) أو (أبونا) وكان عرفا سائدا منذ عام ١٣١٨ لكنه لم يكن قانونا كنسيا.

اجتمع رجال الدين للوقوف فى وجه البطريرك الذى رفض، فتم تشكيل وفد من ثلاثة رهبان إلى روما لطلب المساعدة لمسيحيى الشرق من بابا الفاتيكان الكاثوليكى. وكان تيمورلنك قد غزا البلاد وأحرق الأديرة.

انتخب «يوحنا سولاقا» رئيسا للوفد على رغم اعتراضه. وصلها فى نوفمبر ١٥٥٢ واستقبل بحفاوة. كانت المشكلة أنه لم يكن لاهوتيا ولم يدرس اللاهوت. انعكس هذا على اللقاء مع رجال الدين اللاهوتيين الدارسين فى روما فظهر التباين بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية. اجتاز الامتحان لكنه لم يعترف به. فقد كانت الفلسفة اليونانية والتفسير اللاهوتى لها مبعث انشقاق بين الشرق والغرب خاصة فيما يتعلق بالدين.

فى فبراير من عام ١٥٥٣ قدم «سولاقا» (صورة إيمانه) فأعلنه البابا يوليوس الثالث (بطريركا) كاثوليكيا باسم (بطريرك كنيسة الموصل فى اثور) ثم رسمه مطرانا ومنحه فى ٢٨ إبريل درع السلطة الكنسية بحضور مجمع الكرادلة. تم إرسال سفيرين بابويين معه لتعليم الكثلكة وظلا ٣ سنوات لإبعاد المشرقيين المسيحيين عن التعاليم النسطورية.

لاحق العثمانيون مار يوحنا سولاقا حين عاد من روما خشية تغلغل المبشرين الغربيين. بينما تذكر المصادر الكلدانية المسيحية أن عودة «سولاقا» الذى تسمى باسم (شمعون الثامن) أثارت غريمه راعى الكنيسة الشرقية «شمعون برماما السابع» فلاحقه مع أتباعه وتوصل إلى سجنه ٤ شهور بدعم من العثمانيين ثم حمل إلى الجبال بعد ربطه بالحبال ووضع فى كيس وألقى حيا فى أحد الوديان حيث مات.

سيد درويش



من أعلام الموسيقى والغناء فى مصر والشرق العربى. نقل الموسيقى العربية إلى مرحلة تاريخية جديدة. هو «سيد درويش البحر»، ولد يوم ١٧ مارس عام ١٨٩٢ فى كوم الدكة بالاسكندرية لأب نجار بسيط أرسله إلى الكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن. التحق سيد بالمعهد الدينى وعمره ١٣ سنة ولبس الجبة والعمامة والقفطان لكنه لم يمكث فيه إلا عاما واحدا توفى والده على أثره فاضطر إلى العمل لإعالة أمه وأخته مما أدى إلى فصله من المعهد. عمل مساعدا لبائع دقيق ومبيضا للنحاس ومناولا لمونة بناء وكان يغنى للعمال. غنى فى المقاهى الشعبية بخمسة عشر قرشا. فى عام ١٩٠٩ وافق على السفر مع أمين وسليم عطا الله من فنانى الشام، فى أول رحلة له خارج مصر وعمره ١٧ سنة وكان تزوج قبلها بعام. عاد

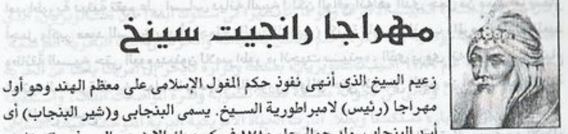
بعد ١٠ شهور بعد فشل الرحلة لكنه تعرف إلى أنماط موسيقية وغنائية جديدة عليه. التقى بالشيخ عثمان الموصلى العراقى والذى تأثر به إلى حد أن بعض النقاد فى العراق اليوم يعتقدون أنه أخذ عنه لحن (زورونى كل سنة مرة). ١٩١٢ كانت الرحلة الثانية الحاسمة للشام حيث أتقن عزف العود وتعلم كتابة النوتة الموسيقية وجمع مادة موسيقية هائلة تأثر فيها بالغناء الكنائسى خاصة التراتيل السريانية. غنى أيام الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٤ فى مقاهى الإسكندرية فقدم ألحانه الخاصة بعد أن كان يغنى لسلامة حجازى الذى عرض عليه العمل بفرقته فوافق.

لحن أول أدواره (يا فؤادى ليه بتعشق) فكتب بداية مرحلة اتساق الكلمة المغناة مع اللحن لتصويرها موسيقيا. جهز لنفسه تختا خاصا وبدأ يغنى فى سرادقات بدلا من المقاهى والبارات. غنى له بعض المطربين آنذاك وعرف بأنه كان يلحن للأحداث السياسية والإجتماعية مما أكسبه شعبية جارفة. قدم أناشيده الوطنية التى كان من بينها نشيده الأشهر بلادى بلادى التى كانت مطلع خطبة لمصطفى كامل. وكان المعتاد فى زمانه (التطريب) لمجرد التطريب والانتقال من مقام إلى مقام لإظهار براعة المطرب. كما لحن قصيدة بالفصحى لمصطفى صادق الرافعى (بنى مصر مكانكم تهيأ، فهيا) اشتهر بأدواره وموشحاته وما يسمى (الطقاطيق) التى تعتبر اليوم تراثا موسيقيا عربيا وليس مصريا فقط. من بينها (خفيف الروح) و(بطلوا ده). انتقاله إلى القاهرة عام ١٩١٧ كان كتابة مرحلة فاصلة فى حياته وفى التاريخ الغنائى العربى. كلفه نجيب الريحانى العمل لفرقته بأجر وصل إلى ١٥٠ جنيها فقدم الاسكتشات المسرحية الموسيقية الغنائية.

عمل طويلا مع بديع خيرى ولحن وغنى لزجال الشعب «الشيخ القاضى» ما يعتبر اليوم من أبدع التراث مثل (يا عزيز عينى) و(أهو ده اللى صار) و(أنا هويت). غنى للكناسين والصيادين والموظفين والحرفيين بعد أن كان الغناء مقصورا على طبقات معينة. أوجد ما يسمى (الزنجران) وهى نغمة قديمة قام «سيد درويش» على تجديدها وبعثها. عالج هموم البسطاء والفقراء والمهمشين فى أغان لها طابع شعبى مثل (يا عزيز عينى) ومس هموم الناس بالغلاء، مثل (اتعجبوا يا أفندية ليتر الكاز بروبيه). قدم فن الأوبريت المسرحى بفرقته، وتقاسم السياسة مع الشعب فى أعمال مثل العشرة الطيبة (علشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى) وكذلك (الباروكة)، و(كليوباترة وأنطونيو)، التى شاركته فيها «منيرة المهدية».

قدم فى أوبريت «شهرزاد» عام ١٩٢٠ أخلد ألحانه الوطنية، فأحدث انقلابا فى عالم الموسيقى العربية. كان أول من وضع افتتاحية موسيقية تعزف قبل رفع الستارة كما كان أول من أدخل الموسيقى التوافقية أو (البولوفونى)، بمعنى إدخال ثلاثة ألحان مختلفة بكلمات مختلفة بأصوات متعددة. كما أدخل الغناء الجماعى. تميز بأنه كان يقدم على المسرح كل شئ من الإيقاع إلى اللحن إلى النص الشعرى والصوت المتوافق وكان أول موسيقى لا يلتزم بوجود التخت الموسيقى وراء المطرب. كان عزيز النفس، مرهف الحس، شديد الإحساس بكرامته، طيبا رقيقا ينقلب إلى إنسان هائج فى

لحظة. قيل إنه حزن كثيرا حين اضطر لخلع ثوبه الأزهرى خشية أن يمتهن فى كواليس المسرح ويتعرض للسخرية. كان مبذرا مسرفا وبقدر ما كان يعيش حياته ممتلئا بكل ما فيها، كان يتوقع الموت فى كل لحظة. مات عن ٣١ عاما فقط، يوم استعداد مصر لاستقبال عودة سعد زغلول من المنفى فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٢٣، بينما كان يستعد للسفر إلى إيطاليا للتعرف إلى فن الموسيقى هناك متأثرا بالموسيقار الإيطالى «فيردى». وثار الجدل حول سبب وفاته فقيل مسموما بيد المخابرات البريطانية وقيل مقهورا لسحب رواية منه حيث اعترف ابنه (حسن درويش) بأنه (بعد إعلان سقوط رواية هدى ورواية الدرة تقرر عدم التعامل مع الشيخ سيد درويش وتكليف داوود حسنى بإعادة تلحينها). بينما قيل إنه طلب أجرا خياليا. وقيل بسبب جرعة زائدة من المخدرات ولم تثبت أى من هذه التكهنات! ويبقى الفنان الذى كانت حياته القصيرة، عصارة فن راق مبدع لكنها مليئة أيضا بالفوضى والتسكع والعشوائية والنساء، بخاصة من طبقة العوالم وأشهرهن فى حياته كانت (جليلة) التى كانت تفوقه حجما. ترك عشرات الأدوار وحوالى ٤٠ موشحا وأكثر من مائة طقطوقة و٣٠ رواية وأوبريت.



مهراجا رانجيت سينخ

زعيم السيخ الذى أنهى نفوذ حكم المغول الإسلامى على معظم الهند وهو أول مهراجا (رئيس) لامبراطورية السيخ. يسمى البنجابى و(شير البنجاب) أى أسد البنجاب. ولد حوالى عام ١٧٨٠ فى كوجرانوالا (وهى اليوم فى باكستان). عانى فى طفولته من الجدرى ففقد بسببه إحدى عينيه. وكانت معظم البنجاب يحكمها السيخ فى إطار نظام الاقطاع الفيدرالى وكان والده «ماها سينغ» يسيطر على منطقة فى غرب البنجاب تحيط بمقره فى «كوجرانوالا».

خلف أباه فى حكم الإقطاعية لكنه واجه معارضة من خصومه واستطاع انتزاع اعترافهم به بعد عدة معارك معهم. تم تتويجه فى عام ١٨٠١م وقام بوضع التاج على رأسه، أحد كبار رجال الدين السيخ من نسل الجورو الكبير، مؤسس ديانة السيخ، وهو الجورو ناناك. اتخذ «رانجيت سينغ» مدينة لاهور (فى باكستان اليوم) عاصمة له. نقل العاصمة من لاهور إلى «أمريستار» عام ١٨٠٢ ومازال حتى اليوم مدينة السيخ التى يحجون إليها.

كانت طموحاته واسعة واستطاع فى وقت قصير أن يقفز من مجرد حاكم اقطاعية إلى (امبراطور) أو مهراجا لكل البنجاب.

بعـد أن وحد إقطاعيات السـيخ فى دولـة واحدة، بدأ قتال الأفغان وطردهـم من البنجاب. كما استولى على مناطق نفوذ قبائل الباشتون القوية بما فيها بيشاور. (ويشار إليها اليوم بمناطق القبائل الموزعة بين أفغانسـتان وباكسـتان). وكانت هى المرة الأولى تحت قادة رانجيت سينج، التى يحكم فيها السـيخ مناطق بيشاور الباشتونية. واسـتولى بعدها عام ١٨١٨ على مقاطعة مولتان التى طوقت الأجزاء الجنوبية من البنجاب، ثم استولى على جامو- كشمير عام ١٨١٩. وبذلك وضع نهاية للحكم المغولى الاسلامى لمناطق عديدة فى الهند أهمها البنجاب وكان المغول الفاتحون قد اخترقوا ممر خيبر الشـهير بمناعته لارتفاعه الشـديد وبرودته القطيعة ووعورته. كما نشروا الدين الإسلامى بعد أن أسلم كبار قادتهم بعد جنكيز خان.

ويروى أنه حين التقى «فقير عزيز الدين»، وزير بلاط «رانجيت سـينج»، بالحاكم البريطانى العام على الهند وهو «لورد أوكلاند»، سأله اللورد عن عين الامبراطور «سينج» المفقودة، فرد عليه الوزير السـيخى بأن (الشمس لها عين واحدة وكذلك الإمبراطور!! وشعاع عينه الوحيدة من القوة واللمعـان بحيث لم أسـتطع يوما أن أنظر فى عينه)! ويقال إن اللـورد أوكلاند أعجب برد الوزير فأهداه ساعته.

يقول كتاب سـيرة «رانجيت سـينج» أن مملكته كانت تتسع لكل الأديان فلم يكن ينوى تأسيس امبراطورية دينية تقوم على أسـاس ديانة السيخ! لكن الواقع أنه هو الذى جعل من معبد أمريستار أجمل وأكبر معبد للسـيخ بعد أن جعله (المعبد الذهبى) لكثرة مازين بالذهب والمرمر ومازال المعبد وطائفة السـيخ حتى اليوم يدينون للامبراطور «رانجيت سـينج»، الذى يروى أنه كان من أشد أتباع الكتب العشـرة للسيخ حماسـا وإعجابا بالجورو الأوائل حتى أنه بنى اثنين من أهم المعابد المقدسة فى تاريخ السيخ.

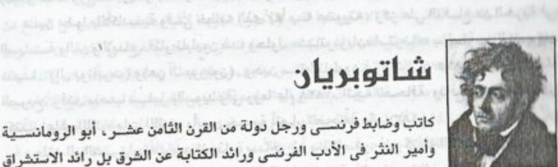
توفى «رانجيت سـينج» عام ١٨٣٩ بعد أن حكم قرابة أربعين سـنة. ترك سبعة من الآبناء مـن عدة ملكات. وقد حضر حرق جسـده رجال دين من السـيخ ومن الهنـدوس معا. كما قامت زوجته «مهتاب ديفى صاحبة» أميرة «كانجرا»، بطقوس (الساتى) وهى حرق نفسها مع زوجها المتوفى، بينما كان رأسه على حجرها. وقد أدت (بعض) من زوجاته هذه المراسم بينما امتنعت الباقيات.

خلفـه على عرش البنجاب ابنه الأكبر «كهاراك سـينج» ولم يكن كفئا لحكم هذه الإمبراطورية الشاسعة التى بدأت الانهيار والتفكك مع صراع الورثة على الحكم. حتى هزمت كليا عام ١٨٤٥ فى الحرب بين الانجليز وبين السيخ وحكمتها «شركة الهند الشرقية» البريطانية.

يظل «رانجيت سـينج» فى تاريخ الهند معروفا بتوحيده مقاطعة البنجاب والإقطاعيين السـيخ النبـلاء، وقادها لتكون امبراطورية قوية. كما يذكر التاريخ أنه كان ممن امتلكوا الماسـة الشـهيرة «كوهينور» ويقال إنه أوصى بوضعها فى معبد «جاجانات» وهو على سرير الموت.

اقام «رانجيت سينج» علاقات مع نابليون بونابرت، كما وطد علاقاته مع محمد على باشا، حاكم مصـر. وعرف أنـه لم يعاقب أبدا أى مجرم بالإعدام مهما كانت جريمته وهو ما يؤكده بعض كتاب سيرته من الإنجليز.

حيكت حوله القصص الشـعبية وبلغت فى بعضها حد الأسـاطير وأصبح بطـل روايات تراثية مازال السيخ يتداولونها حتى اليوم.



شاتوبريان

كاتب وضابط فرنسـى ورجل دولة من القرن الثامن عشـر، أبو الرومانسـية وأمير النثر فى الأدب الفرنسى ورائد الكتابة عن الشرق بل رائد الاستشراق بشـكل عام. هو «فرانسوا- رينيه دى شـاتوبريان». ولد فى سان مالو غرب فرنسـا عام ١٧٦٨ لأسرة أرستقراطية حيث جمع والده رينيه ثروة كبيرة من التجارة عبر المحيط وكان بينهـا تجـارة العبيـد الأفارقة وهو ما أثر كثيرا فى سـلوك ابنه! كان «شـاتوبريان» أبدى اهتمامات سياسية ووطنية منذ صغره وحلم بالعمل بالسياسة وانخرط فى القوة البحرية الفرنسية. بعد سقوط الملكية عام ١٧٨٩ أصيب «شاتوبريان» بصدمة ومرارة فأبحر إلى أمريكا بحثا عن الحرية فـى القارة الجديدة، وعانى فى تجواله مشـقة فعلية لصعوبة وندرة المواصلات آنذاك، واسـتقبله جورج واشنطن باعتباره مستكشفا وبطلا. أثارت الحياة الأمريكية البرية المتوحشة خياله الشعرى وتأثر بسـكان أمريكا الأصليين وسماهم (المتوحشـون النبلاء) وأعجب كثيرا (بالإنسـان الشـفاف البسيط الشاعرى).

عاد إلى فرنسـا عام ١٧٩٢ لكنـه هرب منها ثانية عام ١٧٩٣ إلى انجلترا بعد مطاردته بسـبب تعاطفه مع الملكية وعاش ٧ سـنوات مريرة فى تعاسـة شـديدة وبؤس مدقع: (كنت أمضغ العشـب والـورق لفرط معاناتى)! وبدأ هناك كتابه (مسـاهمة حول الثورات المقارنة) التى شـعت بالحس الدينى والتاريخى معا. ولم يسـتطع العودة إلى فرنسـا إلا عام ١٨٠٠ متخفيا تحت اسـم مسـتعار هو «دى لاسـان» وبحماية أخـت نابليون بونابرت، وكان مايزال ملاحقا مـن رجال الثورة فهرب إلى بلجيـكا. وقد انتقموا منه بإعدام أخيه عام ١٧٩٤ وسـجنوا أمـه وزوجته وأخته. عينه نابليون مستشـارا أول فى السـفارة الفرنسـية بروما فى إيطاليا مما أتاح له الانفتاح على الشـرق الذى كان مسحورا به منذ صغره.

اعتزل كل المناصب وبدأت متاعبه مع السلطة من جديد خاصة مع حكومة بوليناك فيما بعد والتى تورطت فى غزو الجزائر. لجأ إلى باريس وتفرغ للكتابة، وانطلق إلى الشرق عام ١٨٠٦. أحس أنه أصبح بطلا اسطوريا فشرع فى كتابة سيرته الذاتية عام ١٨٠٨. وكانت شهرته قد بدأت مع كتابه «أتالا» الذى نشره عام ١٨٠١ بينما أوصله كتابه (عبقرية المسيحية) عام ١٨٠٢ إلى المجد.

كتب (الرحلة من باريس إلى القدس) عام ١٨١١ الذى يعتبر أهم سنوات إنتاجه كما كتب (مذكرات ما وراء القبر) أو (مذكرات ما بعد الموت) ويعتبر من أهم اعماله.

عين عضوا بالأكاديمية وفى خطابه الذى بدأ به عضويته، ركز على الدفاع عن الحرية فى السياسة والفن والإبداع، فثار نابليون ضده وحاول «شاتوبريان» استرضاءه بسلسلة من الكتب كان منها: (إلى بونابرت) و(عن آل بوربون). وحين سقط نابليون فى واترلو ١٨١٥ واجهه بالعداء الصريح. رفض منصب سفير بالسويد وفى روما عام ١٨٢٨. اتجه للصحافة ودافع عن حرية النشر وكتب (عاش الملك- مات الملك). وأسس جمعية أنصار الصحافة عام ١٨٣٧م.

رحلته إلى الشرق جاءت بعد انجذاب ساحر له منذ الصغر. ففى كتابه الأشهر (المسيرة من باريس إلى القدس) مجموعة من الرؤى الشرقية التى تعرف إليها من كتاب ألف ليلة وليلة. قال عنه: (إن مسيرتى هو مسيرة رجل انطلق أصلا إلى حيث يرى السماء والأرض والماء) كتب فيه عن اليونان وتركيا ويافا وبيت لحم، وخصص فصولا للقدس ومصر وتونس. لم يأت ما فى الكتاب عن دهشة واستكشاف فقد (عرف كل الأرض التى مشى عليها قبل أن يزورها بالفعل). قال عنها: (إنها الحج على مهد الحضارات القديمة) فهى (مهد الديانات السماوية). و(كل حجر وكل نهر وكل بقعة تذكر بالأديان).

تميز بالتعصب والوطنية معا وكان مؤيدا للحروب الصليبية وحاول بكتاباته وأفكاره إحياء النموذج الصليبى فى نشر المسيحية فى الشرق والتى كما يقول: (اصطدمت بالإسلام البعيد عن التحضر).

كان أول من استخدم مصطلح (الحداثة) لكنه أراد به السخرية والتهكم وليس المعنى العلمى الذى استخدم به فيما بعد.

أصدر مجموعة شعرية فى بدايات عمره، وكتب باسم مستعار هو «شيفالييه». تميز «شاتوبريان» بأسلوبه الغنائى العاطفى المضطرم بالحب والإحساس بالجمال، وحب الطبيعة البدائية الممزوجة كلها بالكآبة، وقيل إنه مؤسس الرومانسية الفرنسية الأدبية.

أثر فى العديد من كبار الأدباء الفرنسيين بينهم «جورج صاند»، و«فلوبير» و«هوج» بينما تأثر هو بالشاعر الألمانى «جوته». كان يقول: (الكاتب الحقيقى ليس هو الذى يقلد الآخرين ولكنه الذى لا يمكن أن يقلده أحد).

توفى «شاتوبريان» فى باريس عام ١٨٤٧ عن حوالى ٨٠ سنة.



اليا شافشافادزه



هو الأمير «اليا شافشافادزه» باعث الحركة القومية الجورجية. شاعر وروائى وصحفى ومسرحى بجورجيا التى ضمت لروسيا القيصرية. حاز لقب (تافادى) وهو اللقب النبيل المرادف للقب (دوق). حصلت عائلته على الألقاب النبيلة من الملك قسطنطين الثانى عام ١٧٢٦ وبينها لقب (الأمير) تكريما لأفرادها لمساهمتهم فى الدفاع عن جورجيا. وكان جده قد حاز على لقب (فارس) حين شارك فى صد هجوم فارسى مكون من عشرين ألف عسكرى عام ١٧٥٥م. فقد والدته وعمره عشر سنين. وربته عمته وحدها بعد أن مات والده أيضا عام ١٨٥٢. انتسب إلى مدرسة القرية ثم انتقل إلى العاصمة تفليسى (تبليسى) لينخرط فى الأكاديمية العريقة للنبلاء عام ١٨٤٨. تأثر بوالديه الحاصلين على مستوى عال من التعليم وكانا شغوفين بالأدب والشعر والتاريخ والثقافة الجورجية. وكانت أمه (الأميرة مريم) تحفظ الأشعار، كما كتب بنفسه فى سيرة حياته. وهو ما ظهر واضحا فى كتاباته فيما بعد. تبدلت حياته بعد وفاة أبيه ثم مقتل أخيه فى الاجتياح الداغستانى لجورجيا. وكان شارك هو بنفسه فى القتال أيضا، مما أعطاه وحيا خاصا للكتابة فكانت أشعاره القصيرة بعنوان (حزن رجل مسكين) وأفرغ فيها حزنه القاهر ومأساته وهمومه الكثيرة. لكن إحساس الوطنية تجلى آنذاك. رعى الحقوق المدنية للجورجيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أثناء الحكم الروسى القيصرى لبلاده. يعتبر مؤسس جورجيا الحديثة. لقب بالمناضل المستقيم وطوب قديسا من قبل الكنيسة الأرثوذكسية الجورجية. ودرج بين الجورجيين لقبه (أبو الوطن). تأثر بالحركات القومية التحررية فى أوروبا فى تلك الفترة فوجه اهتمامه كله لتحرير بلاده وإقامة مجتمع عادل وقوى وشريف. أهم أعماله الأدبية (هل هذا الانسان بشر؟) و(الشبح) و(الناسك). حاول جاهدا الحفاظ على اللغة الجورجية القومية وحمايتها من الثقافة الروسية. عمل رئيسا لتحرير عدد من الدوريات وكتب المقالات فى المجلات وكان معظمها عن وطنه وأهله. كان يشغله وطنه هويته إلى حد الهوس بالرغم من تربيته الأرستقراطية.

حاول الابتعاد عن الثقافة الروسية لكنه اضطر إلى الالتحاق بجامعة «سان بطرسبرج» بروسيا وألف هناك إحدى أهم وأجمل قصائده بعنوان: (إلى جبال كفاريلى) فى أبريل عام ١٨٥٧ فعبر عن حبه وافتتانه بجبال القوقاز العظمى وأسفه الشديد على فراق بلده. وكانت الثورات القومية بدأت تندلع فى أنحاء أوروبا خاصة مع حركة «جيوزيبى غاريبالدى» الشهيرة. وبسبب طقس مدينة سان بطرسبرج البارد اعتلت صحته بشدة فغادرها إلى جورجيا عام ١٨٥٩ وألف فى طريق العودة أهم أعماله وهو (مذكرات مسافر) والتى وضع فيها أولى تصوراته عن بناء القومية والوطنية الجورجية. وترسيخ المفهوم اللغوى والأدبى والثقافى والتاريخى وحتى الجغرافى الجورجى بعد

أن أصبحت ضمن الامبراطورية الروسية رسميا. لقى مساندة وترحيبا وكثر أتباعه، بينما اشتدت ضده عداوة المناصرين لفكر كارل ماركس الشيوعى الذى بدأ فى الانتشار. اعتبر «اليا شافشافادزه» أرستقراطيا (كريها) ورأسماليا (عدوا) ومنتميا للطبقة البورجوازية التى يجب أن تنقرض فى المفهوم الماركسى. ساهم فى إنشاء عدد من الجمعيات الأدبية والمؤسسات الخيرية والاجتماعية من أجل ابناء وطنه. وترجم عن الأدب الإنجليزى. ترجمت أعماله إلى الانجليزية والفرنسية والألمانية والبولندية والروسية. أصبح عضوا فى (الدوما) أو البرلمان بين عامى ١٩٠٦ و١٩٠٧ وعضوا فى اللجنة القوقازية للجمعية الجغرافية الروسية. كما أسس وترأس الجمعية الاستشراقية الروسية والجمعية الانجليزية- الروسية الأدبية فى لندن. قرر العودة إلى جورجيا بعد انتهاء عمله فى الدوما الروسية لكنه قتل بيد ستة من المأجورين أثناء رحلة العودة فى الطريق من تبليسى إلى ساكورامو بالقرب من «متشكيتا» وتشير المصادر اليوم إلى أن مقتله تم بإيعاز من البلاشفة الذين قاموا بالثورة الحمراء فيما بعد فى روسيا وسيطروا على جورجيا وأصبحت جزءا من الاتحاد السوفيتى الشيوعى حتى انهياره عام ١٩٩١. فى عام ٢٠٠٣ قامت (ثورة الورود) فى جورجيا واستلهم زعيمها «ميخائيل ساكاشفيلى» من «اليا شافشافادزه» الفكرة القومية الجورجية التى أطاحت بالرئيس شيفرنادزه ونصبته رئيسا لكنه ظل مواليا للغرب. وبقى «اليا شافشافادزه» الأمير والكاتب والشاعر والوطنى أسطورة فى الذاكرة الجورجية.

الشاه إسماعيل الصفوى

آخر ملوك الدولة الصفوية فى إيران وأول من فرض المذهب الشيعى الإسماعيلى ثم الاثنى عشرى عليها ففتح الصراع المسلح بين السنة والشيعة وتغير تاريخ المنطقة منذ ذلك الحين. هو أبو المظفر شاه إسماعيل الهادى الوالى، أو إسماعيل الصفوى ولد فى ٢٥رجب ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م وتوفى أبوه وهو صغير فنشأ لدى حاكم (لاهيجان) الذى كان ينتصر للصفويين، الذين يقال إنهم بدأوا حركة صوفية بقيادة شيخ متصوف هو «صفى الدين الأردبيلى» من القرن الرابع عشر فى أذربيجان كما يقول بعض المؤرخين، بينما يذهب آخرون إلى أنهم ينتسبون إلى أصل تركمانى. ثم انتقلوا من الصوفية التأملية إلى الحركة المسلحة.

عاش «اسماعيل الصفوى» فى عصر كانت البلاد تعانى فيه من صراع أفراد أسرة (قراقويونلو) التركمانية أو (أصحاب الخراف السوداء) التى كانت تسيطر على إيران مع أسرة (واق قويونلو) أو (أصحاب الخراف البيضاء) مما زاد فى تمزقها الذى عانته مع غزو المغول.

أدت تربية اسماعيل الصفوى العسكرية الصارمة إلى أن يمسك زمام الأمور الصعبة فى سن صغيرة وتروى أسطورة حول «اسماعيل الصفوى» تقول إنه اختفى وهو صغير مع عدد من أتباعه لمدة سنوات ثم ظهر فى تبريز لينشر الشيعية فيها ويخوض معارك ضد المتصارعين على البلاد، وفرض المذهب الشيعى واستولى على المدينة عاصمة (الخراف البيضاء) وأعلنها عاصمة لدولته التى سعى لتوحيدها، فاصطدم بقبائل الأوزبك (السنية) التى كانت قد أسست مملكتها بعد هزيمة أتباع تيمولنك واستولت على عاصمتهم سمرقند ووصلت إلى هراة فى (أفغانستان اليوم) وكانت تسيطر أيضا على شمال شرق فارس.

بدأ الصراع بين الصفويين والأوزبك، بين قوتين ومذهبين وتطور إلى حروب طاحنة استطاع فيها «اسماعيل» هزيمة الأوزبك فى معركة «محمود آباد» عام ١٥١٠ وكان عمره ٢٣سنة وأعلن اسماعيل الصفوى المذهب الشيعى رسميا فى هراة التى كانت سنية ففصل بذلك بين المسلمين فى وسط آسيا والهند وأفغانستان عن المسلمين فى تركيا ومصر والعراق.

لم يكن لينا فى التعامل مع رافضى المذهب الشيعى مما أثار السلطان العثمانى «بايزيد الأول» الذى كان مسالما يميل للشعر ويتحاشى الاصطدام بالصفويين. فخلعه ابنه السلطان سليم الأول الذى كان يعشق المغامرات والحروب وقرر عام٩٢٠هـ/ ١٥١٤م جمع رجال دولته لتفادى خطر الفصل الذى قام به اسماعيل الصفوى، وأقنعهم بضرورة شن الحرب عليه واتصل بالزعيم الأوزبكى الذى كان الصفوى قد قتل عمه، وتحالف سليم الأول العثمانى السنى مع عبيد الله خان زعيم الأوزبك السنى أيضا فقام الصفوى بتخريب الطرق لتعطيل القوات العثمانية لينفرد بالأوزبكيين.

لكن الجيشين، العثمانى والصفوى، التقيا فى صحراء جالديران شرق الأناضول وهُزم إسماعيل الصفوى بجدارة وفر إلى أذربيجان بعد وقوع معظم قواده فى الأسر. ودخل سليم الأول مدينة تبريز عاصمة الصفويين وعاد بالكنوز السلطانية الفارسية إلى استامبول. فشلت محاولات «إسماعيل الصفوى» إبرام معاهدة مع «سليم الأول العثمانى» الذى لقى مساندة من أهالى كردستان السنة وانضمت ٢٥ مدينة فى كردستان للحكم العثمانى الذى ضم إليه دياربكر كبرى معاقل الأكراد فأصبح فى مواجهة الصفويين تماما.

أدت الهزيمة الوحيدة فى حياة إسماعيل الصفوى إلى إصابته باحباط شديد فأدمن الخمر واستعد للانتقام لكن «سليم الأول» توفى عام ١٥٢٠ ولحقه إسماعيل الصفوى بالسل ١٥٢٤م عن ٣٧ عاما فقط ودفن فى أربيل إلى جوار أجداده.

كان الشاه «إسماعيل الصفوى» شاعرا غزير الانتاج وكان يوقع باسم مستعار هو «خطائى». كان يكتب باللغة الأذربيجانية والفارسية وترك أكثر من ٤٠٠ قصيدة فى الغزل وكان يكتب الرباعيات ولها شهرة كبيرة اليوم ومعظمها فى الحب الصوفى كما كان يتمتع بصفات رجل الدولة فى الذكاء

والحكمة والقدرة على التحمل والشجاعة والسيطرة واستطاع على رغم صغر سنه الوصول بحدود دولته إلى ماكنت عليه أيام الساسانيين، مجد الدولة الفارسية، لكن توسعاته أخافت بريطانيا وروسيا على نفوذهما فى الشرق والخليج، كما كان الصراع بين الصفويين والعثمانيين فاتحة الصراع المسلح بين السنة والشيعة عموما وحتى اليوم !

شبتاى تسفى

أو «محمد عزيز أفندى»، مساهم فى تطوير مذهب الدونمة اليهودى فى البلقان وتركيا ومؤسس مذهب السبتانية أو الشبتانية (السبطانية) الذى يعتقد حلول الألوهية فيه. له. ويتكون أفراده غالبا من يهود الأندلس الذين طردوا منها بعد سقوطها فانتشروا فى الشرق وأعلنوا إسلامهم بينما احتفظوا ضمنا بشعائرهم اليهودية وساهموا فى سقوط الإمبراطورية العثمانية. ولد فى إزمير بمنطقة الأناضول بتركيا عام ١٦٢٦ لأب سمسار ثرى يهودى كان يعرف باسم «قره منتشه». أى الأسود.

درس التناخ (الكتاب المقدس) والتلمود (مصدر الشريعة والتشريع) والمذهب الباطنى اليهودى (القبالاه) الذى يركز على التصوف والزهد والاعتقاد بمجئ المسيح المخلص وبضرورة العمل على تسريع قدومه لتخليص اليهود والبشرية من الذل والاضطهاد. فأعلن شبتاى نفسه (هاميليخ هاميشيخ) أى الملك المسوح (المسيح) المنتظر من سلالة النبى داوود فى نفس توقيت النبوءة التوراتية وتوافق ذلك مع اضطهاد اليهود فى روسيا وأوكرانيا ومذابح راح فيها العشرات حتى عام ١٦٤٨. وكان أصبح حاخاما وعمره ١٨ سنة. آمن به عدد كبير من اليهود بالرغم من تكذيب حاخام أزمير له واعتباره خارجا على الشريعة وتم جلده علنا.

ترك المدينة إلى استانبول عام ١٦٥٠ وارتحل منها إلى سالونيك باليونان ومقدونيا آنذاك. بناء على نصيحة حاخام استانبول حيث كان ينتظره أتباعه فاختار ١٢ من الحواريين المريدين يمثلون أسباط بنى إسرائيل. فى عام ١٦٦٢ غادر إلى الاسكندرية ثم فلسطين عام ١٦٦٥ حيث التقى فى غزة بالحاخام الكبير «ناثان الغزاوى» الذى (تكشف له الأسرار) فصدقه وأعلن أنه (الميشيخ). وبدأ استقبال الوفود المبايعة له من ألمانيا ومن بولندا مما أثار السلطة العثمانية التى لم تتدخل من قبل وتسامحت مع دعوته وشطحاته. ففى يونيو من عام ١٦٦٥م طاف «شبتاى تسفى» على صهوة حصانه حول مدينة القدس سبع مرات وانتشرت الروايات عن قرب جلوسه على العرش ليصبح سلطانا على العالم ويتوج عام ١٦٦٦م بحسب النبوءات التوراتية. وفى صلاة السبت امتنع الأحبار عن الدعاء للسلطان التركى ! ودعوا له.

قام (المسيح المنتظر، الملك) «شبتاى تسفى» بتوزيع ممالك الأرض على من تبعه من اليهود وعين وزراء دولته الجديدة. سجن عام ١٦٦٦ بتهمة بث الفتنة بين اليهود وإفساد الدين اليهودى وادعاء النبوة ثم نقل من سجن «زندان قابو» باستانبول إلى سجن فى جزيرة «آيدوس» النائية فى بحر إيجه لمنع انتقال اليهود إليه. وفى عهد السلطان محمد الرابع سيق إلى المحاكمة فى أدرنة حيث قصر السلطنة القديم. واضطروا لتعيين مترجم له حيث لم يكن يتقن اللغة التركية. وكان رئيس الأطباء هو الذى يترجم عنه من الإسبانية وكان يهوديا وأسلم. وحضر المحاكمة وكيل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) مصطفى باشا، وشيخ الإسلام وإمام السلطان الواعظ، بينما كان السلطان نفسه يتابع المحاكمة من وراء ستار. وحين ثبتت التهم عليه، اقترح عليه المترجم إنقاذا له أن يعلن إسلامه. واتفق معه على أن يستمر فى نشر دعوته سرا. وقد كان.

أطلق السلطان سراحه وخصص له مبلغا شهريا من المال وعينه فى وظيفة سلطانية ولقب بحامى باب القصر! واستبدل اسمه «سبطاى أوشاباتاى» باسم (محمد عزيز أفندى) ونطق الشهادتين ولبس الجبة والعمامة وأقنع الكثيرين بصدق إسلامه. وكان الأتراك يطلقون على من يعتنق الإسلام بالعائد للحق أو (دونمك). وكان بعض يهود الدونمه مخلصين فى إسلامهم بينما استمر الباقى فى الحفاظ على ممارسة شعائرهم سرا وظل المسيح المنتظر حتى بعد إسلامه. ويقال إنه كان لهم طقوس غريبة وشديدة الخصوصية. وأصبحت الدونمه سواء ممن صدق وممن نافق، مذهبا لطائفة معينة جديدة. ظل «شبتاى تسفى» أو (محمد عزيز أفندى) يمارس شعائره اليهودية سرا وانتشر مذهبه من سالونيك وغزة إلى بولندا وإيران. وشاعت فكرة الإنسان (المتأله)، المسيح الاله. وعمل الدونمة على إسقاط الإمبراطورية العثمانية بمساندة «أتاتورك» الذى كان من كبار (الماسونيين) حسب الروايات. مات «شبتاى تسفى» عام ١٦٧٥ فى ألبانيا.

برنارد شو

كاتب ايرلندى، مسرحى ساخر، ومفكر اجتماعى سياسى. استهوته الاشتراكية فأخذته بعيدا عن الدين. عرف بنقده اللاذع الساخر من التناقضات والأحوال البشرية والسياسية معا. كان يرى أنك إذا أضحكت إنسانا يمكن أن يقبل أى شئ منك بعد ذلك. أشهر أعماله «بيجماليون» التى تحولت إلى أعمال فنية وأدبية أجملها «سيدتى الجميلة».

ولد «جورج برنارد شو» فى دبلن عام ١٨٥٦م، ولم يستخدم اسم «جورج» لأنه كان يمقته. كان أبوه تاجر غلال سكيرا لكنه ميال إلى السخرية والنكتة، وأمه مغنية فوضوية تركت زوجها الذى

كان يكبرها بـ ١٦ سنة. كان يكره المدرسة فتركها وكتب فيما بعد: (المدارس سجون ومعتقلات). توفى أبوه عام ١٨٨٥ ولم يحضر أبناؤه الجنازة. عاد إلى بلده بعد ٣٠ سنة. عمل ناقدا مسرحيا فى صحيفة (ريفيو يوم السبت) وقد جمعت هذه المقالات تحت اسم (مسارحنا فى تسعينيات القرن التاسع عشر) عام ١٩٣٢.. أثناء علاج أصبع قدمه امتنع بسببه ١٨ شهرا عن المشى، كتب (الإنسان الكامل) عام ١٨٩٨ ثم (قيصر وكليوباترة) عام ١٩٠١.

تأثر بالكاتب المسرحى النرويجى «إبسن» ومنهجه الواقعى فكتب للمسرح بدءا من عام ١٨٨٤. وعرض أولى أعماله (بيوت الأرامل) على مسرح صغير عام ١٨٩٢ وكانت ضد الرأسمالية ونشر (ثلاث مسرحيات غير سارة) وأخرج بعضا منها. ماتت أمه عام ١٩١٣ فكتب (لايوجد من لا يكرهها، ومن لم يكن يكرهها، كان يكره أولادها).

كانت مرحلة التحول فى حياته حين التحق بـ (جماعة فابيه) عام ١٩١١ التى تشكلت من مجموعة من المفكرين البريطانيين وكانت تمهد للاشتراكية (وليس للماركسية). وظل لمدة ١٢ سنة يتحدث على قارعات الطرق بلا مقابل، وأصبح أشهر من اعتلى المنابر فى لندن برغم أنه كان خجولا بطبعه لكن صوته كان موسيقيا جميلا. تجلى تقديسه للإنسان الخلاق (دون الله) فى مسرحية (الإنسان والسوبرمان) وهى أفضل أعماله من الناحية الفنية، لا الأخلاقية. ويقال إنه تزوج على رغم اشتراكيته من سيدة غنية وأقام علاقات نسائية متعددة.

الحرب العالمية الأولى غيرت حياته تماما. كان يرى فى الحرب (إفلاسا للنظام الرأسمالى ونهاية الامبراطورية وخسارة فادحة من أرواح الشباب باسم الوطنية و(البطولة) فاعتبر خائنا وكتب آنذاك مسرحية (منزل القلب الكسير) عبر فيها عن مرارته من السياسة البريطانية والمجتمع البريطانى الذى رفضه. استعاد سمعته ككاتب مسرحى متميز بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فأصدر سلسلة من التمثيليات والمسرحيات، وقابل هـ. ج. ويلز وكانا يتبادلان إرسال نسخ أعمالهما حال صدورها.

صحيفة الأهرام القاهرية نقلت أن «شو» زار مصر عام ١٩٢٣ وروت أنه حين رأى أهرامات الجيزة اقترح هدمها وبناء مساكن للفلاحين التعساء بحجارتها (حسب تعبيره). كتب «برنارد شو» عام ١٩٣٢ مسرحية (القديسة جوان) ونال جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٢٥ وقبلها بعد تردد، وبرر قبوله بأن (وطنى ايرلندا سيسعد بها) لكنه تنازل عن قيمتها المادية للكاتب المسرحى السويدى «أوجست ستريند بيرج» ولصالح مؤسسة تشجع نشر ترجمة أعمال كبار مؤلفى بلاد الشمال الاسكندنافية إلى الإنجليزية فاهتمت به مسارح السويد وتأسس فى لندن مهرجان مسرحى باسمه فى أواخر العشرينات عاش بعدها يحيطه احتفاء دول العالم وكان يتدخل فى السياسة الدولية والمحلية وزار الاتحاد السوفيتى بدعوة من ستالين كما زار أمريكا لالقاء محاضرات وظل يكتب بغزارة.

فى عام ١٩٥٠ وقع من أعلى سلم بينما كان يتسلق شجرة فى مزرعته خارج لندن ومات بعدها بقليل إثر عملية جراحية فى نوفمبر من نفس العام عن ٩٤ سنة بينما كان يكتب تمثيلية بعنوان

(لماذا لا تريد) وأوصى بأن يستثمر جزءا من المزرعة فى تمويل مشروع الأبجدية الانجليزية التى سميت (أبجدية شو) وفشل المشروع وتقاسم الورثة ما تركه.

كان «جورج برنارد شو» نباتيا يشرب الكحول ويدخن التبغ.

ظل يكتب ٤٦ سنة وترك ٣٢ مسرحية و٢٠ رواية شبه مسرحية وبعض الروايات والقصص، من أهم أعماله: (عدم النضج) عام ١٨٧٩ و(الحب بين الفنانين) ١٨٨١ و(مهنة كاشل بايرون) ١٨٨٢ و(رواية الاشتراكى واللااشتراكى) ١٨٨٤ و(العابث) ١٨٩٣ و(مهنة السيد وارن) ثم (السلاح والانسان) ١٨٩٤ و(كانديدا) عام ١٨٩٥ ومسرحية (لن تستطيع أن تتنبأ) عام ١٨٩٩ ومسرحية (ثلاث مسرحيات للمتطهرين أو الأنقياء بيوريتان) و(حوارى الشيطان) و(قيصر وكليوباترة)، مسرحية (تحول الكابتن براس باوند) عام ١٩٠٠ و(الانسان الخارق) عام ١٩٠٥. و(الرائد باربارا) و(عربة التفاح) عام ١٩٢٩ وحاول فيها إيجاد بديل لله! و(مسرحية القديس جوان) عام ١٩٣٢ و(أكاد لاأصدق) عام ١٩٣٢ و(على الثلج) عام ١٩٣٣ و(جنيف) عام ١٩٣٨ وهى عن هتلر!

وبرغم ما قيل حول (إلحاد) شو. فإنه نقل عنه قوله بأن (النبى محمد من أعظم شخصيات التاريخ).

شى كاى



أول رئيس لجمهورية الصين فى تاريخها وأحد أهم الشخصيات السياسية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. كان جنرالا عسكريا فى عهد أسرة «شينج» والتى انقلب عليها وأجبر آخر ملوكها «صن يات- سن» على التنازل عن العرش. حاول «شى كاى» التشبث بالملكية فأعلن نفسه آخر امبراطور للصين ولم يدم هذا إلا شهرين من أوائل عام ١٩١٦.

ولد «يوان شى كاى» عام ١٨٥٩ فى عائلة مرموقة فى هونان. وكان لأبيه وأعمامه تاريخ طويل فى قمع الثورات فى شمال الصين فى الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر. تبناه عمه الأصغر عام ١٨٦٦ وحين توفى أبوه بالتبنى عام ١٨٧٣ انتقل إلى بكين وعاش فى رعاية أعمامه حتى عام ١٨٧٨. وبالرغم من أنه درس الكونفوشية التقليدية منذ السنوات الأولى، فلم يبد أية موهبة فى التعلم. بل كان يقضى وقته فى ركوب الخيل والصيد والملاكمة واللهو مع الأصدقاء.

اشترى فى عام ١٨٨٠ لقبا بيروقراطيا من المستوى العادى وانخرط فى الجيش بتشجيع من صديق لوالده. انطلق نجمه العسكرى فى أول تجربة حياتية عسكرية له فى كوريا. ففى عام ١٨٧٦ دخلت الصين واليابان فى صراع على النفوذ على كوريا. ودام هذا الصراع حتى عام ١٨٩٥. وحاول كل

منهما اختراق العائلة الملكية الكورية كوسيلة لاختراق الدولة ذاتها، بينما كان الكوريون يحاولون التخلص من كلا القوتين.

وبينما كانت اليابان مشغولة بإخماد اضطرابات فيها، دخلت الصين مدينة سيئول، مما مهد لها السيطرة المبدئية على كوريا. وظهر «يوان شي كاي» كقوة سيطرة هناك استمرت ١٢ سنة! وأصبح المستشار الرئيسي للشئون الخارجية. وفي عام ١٨٨٤ عين قائدا للفرق الصينية الثلاث هناك. لكنه في نفس الوقت رضخ لطلب ملك كوريا بتحقيق إصلاحات على أن يكون هو المستشار الأول للحرس الملكي في كوريا.

وفي إحدى الغارات أنقذت القوات الصينية الوزير الياباني من الموت فكان ذلك بداية التعاون بين الصين واليابان، اللتين اتفقتا على اقتسام النفوذ على كوريا عام ١٨٨٥ وكان وسيلتهما لتحقيق هذا التعاون هو «يوان شي كاي» نفسه، الذي عمل طيلة تسع سنين على إعادة سيطرة الصين على كوريا وتقليل نفوذ القوى الأخرى كاليابان وروسيا، ومنع كوريا من إقامة علاقات دبلوماسية مع بريطانيا وحظر توريد الأرز الكورى للتجار اليابانيين.

كان يعرف كيف يعمل في جو من الدهاء والمؤامرة والمنافسة وكيفية استقطاب القوى السياسية والعسكرية.

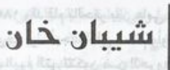
ترك كوريا قبل قيام الحرب بسببها بين الصين واليابان بوقت قصير والتي انتهت بهزيمة مخزية للصين عام ١٨٩٤. واختير للعمل في تطوير الجيش الصيني الذي تكون حديثا حيث استخدم الأسلوب الألماني، كما عمل على بث روح الولاء له بين أفراد الجيش وحاول نشر مذكراته في الوقت الذي كان نجمه يسطع بقوة.

قمع (ثورة الملاكمين) كما عرفت في التاريخ بدلا من أن يساعدهم حسب أوامر الإمبراطور. وأصبح من القوة بحيث يسيطر على أقوى قوة عسكرية في شمال الصين. وعين حاكما عاما على إقليم (شي هلي) ومستشارا للشئون العسكرية والخارجية.

اختير لقمع الثورة عام ١٩١١ بعد إلغاء اعتزاله لكنه اعتذر لمرضه فلم يكن يريد للثورة أن تهدأ. وعين رئيسا للوزراء وبدأ المفاوضات مع الثوار. وفي مارس من عام ١٩١٢ أصبح أول رئيس جمهورية الصين. وإن عمل طيلة العامين التاليين على إعادة الملكية فحل الجمعية الوطنية لكنه صادف المشاكل مع قيام الحرب العالمية الأولى.

حاول بكل الوسائل منع الحلفاء من احتلال الصين لكنه لم يستطع إيقاف زحف اليابان على الصين إلا بعد قبوله الشروط المعروفة بالشروط (الـ ٢١) عام ١٩١٥. ولم يكن يرغب في حرب مع اليابان فهو يريد مساندتها في إعلان الملكية من جديد.

لكنه وبالرغم من أنه استطاع تنصيب نفسه امبراطورا على الصين، فقد كان يواجه عداء داخليا وخارجيا وانتهت تجربته الامبراطورية وحياته السياسية كلها في مارس عام ١٩١٦ سقط بعدها مريضا ومات في يونية من نفس العام بعد أن تزوج من عشر نساء في حياته.



شيبان خان

زعيم مغولي وفاتح بلاد آسيا الوسطى وبموته انفصل أهل السنة في بلاد ما سماها العرب (ما وراء النهر) عن أهل الشيعة في بلاد فارس. هو من المغول الذين حكموا بخارى. وهم من سلالة الأوزبك من المنغوليين والتركمان التي حكمت هذه البلاد بين عام ١٥٠٠ و١٥٩٩م والتي تضم اليوم أوزبكستان وطاجكستان وأفغانستان.

كان مؤسس خانات (زعامات) ما وراء النهر. هو أخو باتوخان من أحفاد جنكيز خان. عرف باسم (أبو الفتح محمد) وكان من الخانات المغول الذين أسلموا وحولوا الهمجية التي عرفوا بها إلى حضارة شديدة الرقي في تلك البلاد. وقد كان لإسلام المغول دور فعال في إيقاف المشروع الصليبي للتحالف ضد المسلمين. وقد سبقت القبيلة الذهبية من نسل جنكيز خان إلى الإسلام. كان «خان قازان» أو «غازان» قد جعل الإسلام دين دولة (الخانات) الرسمي وقد حكم بين ١٢٩٥م و١٣٠٤م وكان سنى المذهب، لكن أخاه «أولجاتو» (١٣٠٤م- ١٣١٦م) هو الذي تحول إلى المذهب الشيعي. استولى «شيبان» على تركستان (اليوم) وقضى على التيموريين (من نسل تيمورلنك) عندما دخل سمرقند (في أوزبكستان اليوم) عام ١٤٩٧ ثم ١٥٠١م واستولى بعدها على مدينة «هراة» بأفغانستان (اليوم) وطشقند (في تركمنستان) عام ١٥٠٣م. قام خلفاؤه بتوطيد مملكته لكن الصراع المذهبي ظهر ليفصل مناطق آسيا الوسطى التي كانت تحت حكم الخانات المغول عن بلاد فارس التي سميت إيران واعتنقت المذهب الشيعي، إلا إنه بحكم سلالة شيبان استقر الدين الإسلامي بين شعوب المنطقة خاصة شعوب الأوزبك! وجاءت نهاية الشيبانيين على أيدي أقربائهم من الآستراخانات وهم من فروع الأسرة وحلوا مكانهم منذ عام ١٥٩٩م. وقد عرفت دولة (الإلخانات) المغولية مجدا ثقافيا وحضاريا وسياسيا بين عامي ١٥٥٦ و١٥٩٨م. توفي «محمد أبو الفتح شيبان» عام ١٥١٠م وقد انحدرت منه سلالة عرفت باسم (بنو شيبان)!

كلود فريدريك أرمان شيفر

أثري فرنسي مكتشف موقع (أوغاريت) الفينيقي على شمال الساحل السوري. حيث اكتشف أول الأبجديات في التاريخ. كان مشرفا على قسم عصور ما قبل التاريخ في متحف استراسبورج واختير دون سابق تجربة للتنقيب في مدينة (رأس شمرا) التي كانت تعرف باسم (أوغاريت). وقد استطاع تحديد موقعها واكتشف آثارها عام ١٩٢٩ وانبهر بها إلى حد أنه ظل يكتب عنها حتى توفي عام ١٩٨٢.

هو «كلود فريدريك- أرمان شيفر». ولد عام ١٨٩٨ وقد قام بالحفر بين عامى ١٩٣٩ و١٩٥٥. وكان اكتشافه فتح باب جديد فى التاريخ العالمى حيث وجد أول أبجدية فى العالم وأول نوتة موسيقية فى التاريخ. فأبجدية أوغاريت هى أساس أبجديات اليوم التى تتكون من الحروف الهجائية. وكانت تتكون فى اللغة الأوغاريتية الفينيقية من ٣٠ حرفا بينما كانت اللغات القديمة الأخرى كالهيروغليفية والصينية تقوم على (رموز وأشكال) قد تصل إلى عدة مئات.

كان كشف «كلود شيفر» من أهم ما وجد الأثريون عموما. وأصل الحكاية حين كان فلاح سورى من أهالى (منية البيضا) فى منطقة العلويين، على خليج يقع على بعد ١٠ كم شمال مدينة اللاذقية، يحفر ليبني بيتا أو يجد بئرا، فلاحظ أن (المحراث يصطدم بجسم صلب ومن ثم وجد هو ورفاقه مدفناً قديماً مبنيا بالحجر المصقول وفى داخله كمية من الأوانى الفخارية)، وانتشر الخبر. وكانت سوريا آنذاك تحت الانتداب الفرنسى. وبدأ تاريخ طويل من الكشف الأثرى الذى يعتبر غاية فى الأهمية.

استعان «شيفر» بحوالى ٢٥٠ من الأهالى وأنجزوهو على رأس البعثة الفرنسية إلى «رأس الشمرة»، واحداً وثلاثين موسماً خلال إحدى وأربعين سنة بين عامى (١٩٢٩ و١٩٧١م) وتوقفت عمليات التنقيب خلالها لثمانى سنوات من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٨م بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، ثم أحداث استقلال سوريا.

وفى أول موسم للتنقيب بعد الاستقلال عمل «شيفر» على استكمال أعمال التنقيب فى قصر «أوغاريت» الملكى.

وجد (ألواحا ورقيمات ممهورة بالخاتم الملكى وقطعا من العاج كانت مدفونة تحت كتل ترابية كثيفة)! وتعود كلها تقريبا إلى العصر البرونزى الحديث ومنها خامات الرصاص والبرونز موضوعاتها وعليها توثيق عهود مثل هبات الأراضى، وصكوك الملكية، والمعاهدات والعلاقات التجارية مع الممالك الأخرى.

ومن بين الـ ٣٠٠٠ رقيما، يوجد (رقيم عليه وصف لعرس بنت الملك «عمش تامرو»، بالإضافة إلى قطع وأوان نقش عليها كتابات هيروغليفية وهى إما إهداء من فراعنة «مصر» وإما أتت ضمن إطار العلاقات التجارية المصرية مع مملكة «أوغاريت»، ومما نقش على هذه الأوانى أسماء الفراعنة من الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة مثل «رمسيس الثانى وأمنحوتب الرابع»، وهى مصنوعة من خامات نادرة لمادة «الألباستر» كما يقول الأثريون السوريون.

لكن أهم ما عثر عليه هو الرقيم الحامل للأبجدية الأوغاريتية التى قال عنها عالم الآثار «شارل فيرولو»: (نعرف أن مخترع الكتابة الأبجدية كان فينيقياً، وبصورة أعم وأشمل كان سوريا. ويمكننا أن نصرّح بأن الشعب الذى أوجد هذه المعجزة يستحق إعجابنا وتقديرنا)!

(أوغاريت)، كانت فى الألف الثانى قبل الميلاد، عاصمة مملكة لها شأنها وأهميتها الثقافية والتجارية حيث كانت مركزا بحريا مهما للتجارة بين الشرق والغرب وقد وجد فيها عدد كبير من المراسى.. وحين عثر على المدينة تحت الأرض اكتشفوا عدة طبقات يعود أقدمها إلى الألف السابعة

قبل الميلاد، وأحدثها وهى الطبقة العليا التى تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد. وعاشت عصرها الذهبى فى القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد حتى تعرضت لغزو خارجي أيام آخر ملوك المدينة الملك عمورابى، الذى خُربت المدينة فى عهده عندما غزتها شعوب البحر سنة ١١٨٢ق. م وقضت على مدن الساحل السورى مما أدى إلى انقراضها فى مطلع القرن الثانى عشر قبل الميلاد.

لم يكن «شيفير» عالما لغويا، فطلب العون من العالم اللغوى لمنطقة الشرق، وهو «شارل فيرولو»، الذى استطاع أن يثبت أن «أوغاريت» قدمت أول أبجدية للعالم، فقد كان العالم يستخدم قبل الأبجدية الأوغاريتية الفينيقية، الأسلوب الهيروغليفى الذى يستخدم الإشارات والأصوات، والأسلوب المسمارى، الذى يستخدم الإشارات الدالة على الأصوات. بينما تستخدم الأوغاريتية رمزا مسماريا ولكن كل رمز إشارة إلى حرف ساكن واحد وليس إلى مقطع أو كلمة.

ومن أجمل ما وجد فى القصر الملكى، الذى يعتبر الأكمل من الناحية المعمارية، رسومات ولوحات جدارية تعكس الحضارة الأوغاريتية. ووجد فيها عدد من المعابد والقصور ومجارى مياه تحت البيوت. كما عثر فيها على مكتبتين تحويان على وثائق شخصية.

كان من أهم ما ترك «شيفر» هى التوضيحات الدقيقة للمكتشفات. وحتى عام ١٩٧٨ لم يكتشف من المدينة إلا ثلث كنوزها التى قال عنها «شيفر» (إنها تضاهى ما وجده كارتر فى وادى الملوك بمصر) فقد كانت المدينة مدفونة تحت التراب وكان باب القصر الملكى الذى يحوى الكنوز الأثرية، مختفيا وراء كم من التراب والمخلفات، تماما كما كان عليه حال باب مقبرة توت عنخ آمون.

كما أنه من أجمل وأثمن ما قدم اكتشاف «كلود شيفر» فى (أوغاريت) هى أقدم (نوتة موسيقية)، بحيث أمكن الاستماع إلى قطعة موسيقية كاملة، وهى عبارة عن قطعة دينية وقد سجلت فى أمريكا فى لوس انجليس مؤخرا، ويمكن الاستماع إليها اليوم على موقع (فيس بوك) على الإنترنت! وهو ما كان قد أثبته العالم الموسيقى «جيدون كريمر» فقال إنها أقدم من موسيقى اليونان بألف عام على الأقل. كما وجد فى (أوغاريت) أقدم ملاحم وأساطير متكاملة بعد الملاحم السومرية، ووجد فيها آلات صب البرونز وهو ما لم يكن معروفا من قبل كما يقول الأثريون السوريون من البعثة الفرنسية السورية والباحثون.

توفى «كلود فريدريك- أرمان شيفر» عام ١٩٨٢.



فريدريش شيللر

من أهم وأعظم الشعراء وأدباء الدراما المسرحية الألمان. قامته تطاول الأديب «جوته» بلا منازع. مفكر سياسى وفيلسوف وكاتب مقالات سياسية ودراسات فلسفية. اهتم بالتاريخ وفلسفة الجمال والحرية. عاش فى القرن الثامن عشر.

ولد فريدريش شيللر فى ١٠ نوفمبر من عام ١٧٥٩ فى ماربـاخ بألمانيا، ابنا لضابط فى الجيش حتى عام ١٧٧٣ حين أسـس دوق فورتمبرج «كارل اويجين» أكاديمية عسـكرية للأيتام والفتيان، فسلمه والده للدوق وكان عمره ١٤ سـنة فقضى سـبع سـنوات دون عطلات أو نزهات أو استمتاع برفقة الآباء. اضطر لوضع بودرة بيضاء على شـعره لتغيير لونه الأحمر الذى لم يعجب الدوق. فى الأكاديمية العسكرية قرأ «شكسـبير» الإنجليزى و«روسو» الفرنسى برغم حظر قراءة الأدب فيها. بـدأ كتابة الدراما المسـرحية الشـعرية (اللصوص) مدفوعا بكرهه للـدوق وانتهى منها عام ١٧٨١ وعمره ٢٢سنة، وطبعها على نفقته الخاصة وعرضت على (مسرح مانهايم) باسم مستعار بعد تعرفه إلى مديره « فون دالبرج»، واعتقل لمدة ١٤ يوما لعدم حصوله على تصريح بالعرض. ومنعه الدوق من كتابة الكوميديات، فهرب مع صديقه الموسيقى «اندرياس شترايخر» واستقرا فى فرانكفورت. كتب آنذاك (مؤامرة فيسـكو) التى مثلها «يوسـف وهبى» فيما بعد على مسـرح رمسـيس فى الثلاثينات من القرن العشـرين عن ترجمة صدرت عام ١٩٣٢. استقر عند صديقة لوالدته فى مدينة «تورينجن» حيث وضع هناك مسودة مسرحيتى «دون كارلوس» و«ماريا ستيوارت» الشعريتين. وهما من أروع ما كتب شـيللر من دراما شعرية تاريخية. كما بدأ كتابة «حب ودسيسة» التى تعد شكوى واحتجاجا صارخا على سلوك طبقة النبلاء.

فى عام ١٧٨٣ أصيب بحمى شـديدة بسـبب إقامته قريبا من مقابر القلعة الباردة، وتلقى دعوة مـن أربعة من كبـار مثقفى ومفكرى وأغنياء مدينة «لايبزيج» التـى انتقل إليها فى رعايتهم حيث تكفلوا بنفقات إقامته وعلاجه. بدأ هناك (دراسـاته التاريخية) وكتابة (المسرح التاريخى) وأصبح محاضرا فى جامعة «يينا» فى شـرق ألمانيا. اهتم «شيللر» بفلسفة المفكر الألمانى «كانت»، وبالتربية الجمالية للانسان والنزعات الفنية.

فى صيف عام ١٧٨٨ جمعته الظروف بالشاعر «جوته» الذى كان عائدا لتوه من رحلته لايطاليا وكان منتشيا بعظمته فلم يعر شيللر اهتماما وقال عنه آنذاك (لقد كرهت شيللر هذا)! لكنهما تقابلا ثانية عام ١٧٩٤ فنشأت بينهما صداقة تبادلا فيها رسائل أدبية وأثمرت تنافسا أدبيا شديد الروعة وكتبا معا (الحوريات) كما كتب شيللر (الأغانى) التى كان منها (الغطاس) و(القفاز) و(الأرنب)، وبدأ العمل بمسرحيته الشعرية الضخمة «البطل فالنشتاين» التى أنهاها عام ١٧٩٩.

اشـتد عليـه المرض والآلام عام ١٧٩١ وكان عمره ٣٢ سـنة وكان ينزف صديـدا ودما من رئتيه وبطنه وتوقعوا له الموت لكنه عاش! وأنهى كتابة «ماريا ستيورات» (ملكة اسكوتلاندة) عام ١٨٠٠ و(عذراء أورليانز) عن (جان دارك) عام ١٨٠١ وعروس مسينا (عن الزلزال فيها) وكان آخر أعماله «فيلهيلـم تل» عـام ١٨٠٤ التى تحكى عن صراع بين ديكتاتور وثائر. وفى عام ١٨٠٤ ولدت ابنته الثانية وعاودته آلام المرض حتى مات يوم ٩ مايو من عام ١٨٠٥ عن ٤٦ سنة فقط!

ترجمت أعمال «شيللر» إلى العربية منذ أوائل القرن العشرين ولكن بلغة وسيطة هى الانجليزية أو الفرنسية حتى ترجم له «د. عبد الرحمن بدوى» معظم أعماله عن الألمانية.

طرزان



من أهم الشخصيات الروائية التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين. ظهرفى مئات الكتب والروايات والأفلام والرسـم التشكيلى ولكثرة ظهورها أصبحت شـخصية تاريخية يمكن اقتباسـها دون رجوع إلى المؤلـف الذى قد لا يعرفه الكثيرون وهو «إدغار رايس بورروس» الأمريكى، الذى ولد عام ١٨٧٥ فى شـيكاجو وبسبب استفحال وباء الأنفلونزا عام ١٨٩١ أمضى سـتة شهور فى مزرعة أخيه فى أيداهو، وربما كانت هنا البداية. فقد تنقل بعدها فى مجالات عمل عديدة بعد أن فشـل فى التخرج فى الأكاديمية العسـكرية بسبب مرض فى القلب.

بدأ كتابة القصص الخيالية فى مجلة دورية لمجرد كسـب المال واعتبر ما يكتبه (هراء). نشـر قصـة طرزان لأول مرة فى أكتوبر عام ١٩١٢م. بعنوان (طرزان القردة) ولاقت– لدهشـته– ترحيبا غير عادى. فتوالت سلسـلة قصصه عن (طرزان) وظهرت لأول مـرة فى كتاب عام ١٩١٤ وأصبحت واحدة من أشهر الشخصيات الخيالية التى تحمل النجاح فيها على أى شكل كانت.

ثار الجدل حول شـخصية طرزان واعتقد البعض أنها شـخصية حقيقية قام المؤلف بتحويرها. ودافـع آنذاك أحـد الروائيين المهتمـين بالخيال العلمى عن هـذه النظرية، وهـو «فيليب فارمر» باستخدام حادث سقوط نيزك على مدينة (وولد نيوتن) فى بريطانيا فى ديسمبر عام ١٧٩٥ وقال إن (هذا الحادث أدى إلى طفرات وراثية لدى البشر، مما ولد لدى بعضهم قدرات خارقة وما نراه اليوم من هذه الخوارق هو نتاج نسلهم)!! لكن جميع النقاد والعلماء آنذاك رفضوا هذه النظرية.

الذى لم يقله أحد آنذاك هو أن قصة طرزان مسـتوحاة من قصة (حى بن يقظان) للمؤلف والعالم والطبيـب الأندلسـى «ابن طفيل» وكانـت ترجمتها الإنجليزية قد ظهرت فى القرن الثامن عشـر، والفرنسـية فى آخر القرن التاسع عشـر !! ويعتقد النقاد اليوم أن «بورروس» قد اطلع على الترجمة واسـتوحى منها قصته، تماما كما فعل «دانيال ديفو» الانجليزى، حين اسـتوحى منها عام ١٧١٩ قصته الشهيرة «روبنسون كروزو» بالرغم من بعض الاختلاف فى الأحداث لكن الفكرة الأصلية التى تتركز الرواية حولها هو (إنسان معزول يستكشف نفسه وما حوله) فى جزيرة نائية.

تـدور أحداث قصـة «بورروس» عن (طرزان القردة) حول ابن نبيـل بريطانى يفقد والديه على متن سفينة بسـبب أعمال شغب البحارة وثورتهم على القبطان مما يؤدى إلى انحراف السفينة واستقرارها على شاطئ إفريقى، فتقوم القردة بتربيته وهى من فصيلة مانجانى وهى فصيلة خيالية غير موجودة فى الواقع. وكانت القردة هى التى أطلقت عليه اسـم (طرزان) ومعناها (ذو البشـرة البيضاء)! وينشـأ طرزان فى الجزيرة ويتعلم قتل الأسود والحيوانت المفترسة وحين يبلغ مرحلة الشباب يحب فتاة تأتى

إلى الجزيرة لفترة وحين تغادرها يذهب وراءها باحثا عنها لكنه لا يستطيع التأقلم مع الناس فيعودان معا إلى حيث النقاء والطبيعة والفطرة! ويتحولان إلى شخصين (خالدين) لا يلحق بهما الموت.

ظهرت الرواية فى أكثر من تسعين عملا فنيا وتحولت أحداثها مع الوقت، ليسبغ القائمون الجدد على تنفيذها، تصوراتهم العقائدية عليها أو الفلسفية أو الدينية أو العنصرية. ففى الستينات من القرن العشرين بدأت مناقشة فكرة الرواية بشكل محايد مع ظهور حركات النضال والقومية ومحاربة العنصرية خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ضد السود.

انتقدت رواية (طرزان) الأصلية حين جعلت اسمه (ذو البشرة البيضاء) وقيامه بأعمال خارقة لطبيعة البشر العاديين! مما يجعل من (الإنسان الأبيض) تفوقا ملحوظا على الأفارقة الذين يظهرون فى العمل (أشخاصا متوحشين همجيين)!

المدهش أن القصة استخدمت بقوة فى الصراع العربى الإسرائيلى. ففى إسرائيل تم تحوير القصة إلى (طرزان إسرائيلى) يرحل إلى الكواكب الأخرى. ليمنع هجوم سكانها على سكان الأرض كما ظهر (طرزان) صهيونى يساعد اليهود فى هجراتهم غير الشرعية إلى اسرائيل أثناء الانتداب البريطانى الأول. كما حارب (طرزان) ضد المصريين والعرب فى حرب السويس عام ١٩٥٦. بينما نشطت على الجانب الآخر أعمال فنية عربية فظهرت سلسلة أعمال لطرزان فى لبنان فى الثلاثينات ثم فى مصر وسوريا واليمن.

شاركت «شركة ديزنى» فى إنتاج أفلام طرزان، وحاز فيلمها بالصور المتحركة على جائزة الأوسكار لعام ٢٠٠٠. بالرغم من تغيير كبير قامت به الشركة فى الأحداث والشخصيات.

الريس طرغوت بك

أسد وأمير البحار العثمانى الذى طارد الإسبان الغزاة وتنظيم (فرسان مالطة) حتى انهزموا واستسلموا واكتفوا بالإقامة فى مالطة بعد أن دان لهم البحر الأبيض المتوسط. هو «طرغوت بك» كما عرف فى المصادر القديمة بينما يعرف فى الموسوعات وكتب التاريخ الغربية باسم «دراغوت» القرصان. ولد فى بلدة صغيرة فى الأناضول عام ١٥١٤ واختطف وعمل عبدا على إحدى السفن فاشتراه ملك البحار «خير الدين بارباروسا» وعينه عام ١٥٤٦ قائدا لأسطول من ٢٤ سفينة حربية وجاب بها ما يسمى اليوم سواحل إيطاليا. وسيطر على معظم سواحل تونس بعد أن استولى عليها من الإسبان وغادرها إلى جربة. ثم إلى القسطنطينية.

أكبر معاركه كانت عام ١٥٥١ حين كلفه السلطان سليمان بمهاجمة مالطا التى تمركزت فيها قوات (فرسان القديس يوحنا) أو فرسان مالطة، بعد أن استطاع طردهم من جزيرة (رودس) فى البحر المتوسط عام ١٥٢٢، ليأمن غزواتهم المتكررة. وكان سقوطهم فاجعة لأوروبا المسيحية، لكنهم عادوا إلى مهاجمة السفن الإسلامية والموانئ انطلاقا من جزيرة مالطة التى لجئوا إليها بعد خروجهم من رودس. وكان البابا تدخل لدى ملك إسبانيا (شارل الخامس) الذى كان يسيطر على معظم المواقع، لمنحهم جزيرة مالطة تقديرا لجهودهم فى دحر المسلمين خاصة العثمانيين. وقد تنازل الإسبان لهم بالفعل رسميا عنها عام ١٥٣٠، وعرفوا بعدها بفرسان مالطة.

أسر «طورغوت» لمدة ٤ سنين من قبل أسطول جنوة، لكنه أعاد تجميع قواته بعد تحرره، وانطلق مهاجما السفن الاسبانية والايطالية وصد هجوم الأسطول الضخم الذى أرسله «شارل الخامس» الإسبانى فنشر الرعب فى البحر الأبيض المتوسط. قاد «طورغوت» هجوما ضاريا على سواحل تونس وميناء المهدية وأسر الآلاف من الأوروبيين، وأرسلهم إلى ليبيا التى كان فرسان مالطة يرابطون فيها عند مدينة طرابلس فهزمهم وسيطر على المدينة وما حولها وظل يحكم مدينة طرابلس (الليبية اليوم) لمدة ١٢ سنة وجعلها ميناء اقتصاديا وقاعدة عسكرية، ولقب بـ (الريس) وحصل على لقب (بيلزبى) أى بك البكوات بما يعادل رتبة (أدميرال) واجتاح بعدها سواحل إيطاليا وطارد فرسان مالطة عام ١٥٥٣ حين استنجد ملك فرنسا بالسلطان العثمانى ضد الإسبان وتمكن «طورغوت» من الاستيلاء على عدد من القلاع والحصون الإسبانية فى الشمال الإفريقى وخلص حوالى ٧ آلاف أسير من يد الإسبان لكنه اختلف مع قائد الاسطول الفرنسى فعاد إلى تركيا.

صد فى عام ١٥٥٩ هجوما مفاجئا للإسبان على الجزائر كما تحرك مع الأساطيل العثمانية عام ١٥٦٠ نحو جزيرة جربة وكانت الأساطيل الأوروبية قد أقامت استعداداتها هناك بطلب من تنظيم فرسان مالطة للهجوم على طرابلس بعد شهور تمكن خلالها العثمانيون من بناء أسطول ضخم وأطلقوا مدافعهم الشهيرة بالسرعة والدقة، فشطرت السفن وهرب الأدميرال «أندريا دوريا» تاركا عددا كبيرا من أمراء أوروبا فى قبضة العثمانيين. وظلت الأساطيل العثمانية تهاجم وتصد الأساطيل الأوروبية ومعها «الريس طورغوت بك» حتى دحرت فرسان مالطة تماما عام ١٥٦٥م وفروا تاركين عددا كبيرا من القتلى والجرحى ووصل من بقى منهم على قيد الحياة إلى مالطة ليعتصموا فيها على مضض لكن «الريس طورغوت بك» أصيب بشظية مدفع مات على أثرها فى مكان يعرف حتى اليوم بـ (رأس طرغوت) وهو بالقرب من مدينة سليما الحالية.

طلعت حرب

أحد أهم الاقتصاديين الوطنيين فى الشرق العربى ومن رجالات الاقتصاد فى العالم. هو «محمد طلعت بن حسن محمد حرب»، ولد فى حى الجمالية بالقاهرة عام ١٨٦٧ لأب كان موظفا فى مصلحة السكك الحديدة الحكومية. ويعود نسب أسرته إلى عائلة حرب فى الشرقية. كان كاتبا ومؤرخا وخطيبا ووطنيا.

التحق بمدرسة الحقوق الخديوية وتخرج عام ١٨٨٩ وعايش ثورة أحمد عرابى ضد الإنجليز مما جسد لديه الوعى الوطنى مبكرا. عمل مترجما بقلم القضايا بالدائرة المدنية ثم رئيسا لإدارة المحاسبات ثم مديرا لمكتب المنازعات خلفا للزعيم المصرى «محمد فريد» عام ١٨٩١ وأصبح مديرا لقلم القضايا فيما بعد.

أسندت إليه إدارة الشركة العقارية المصرية بعد أن طرح معظم أسهمها للمصريين. فكانت بداية عمله الاقتصادى الوطنى كأداة لمحاربة الانجليز. درس العلوم الاقتصادية واللغة الفرنسية وتعرف على أهم الشخصيات المصرية البارزة فى مجالات العلوم والآداب والثقافة والمال والأعمال. كان يهتم كثيرا بالأدب والفنون وعمل بالصحافة وكان محافظا على التقاليد مع الانفتاح على العلم القادم من أوروبا.

كانت أقسى معاركه مع الاستعمار الإنجليزى وطالب بأن تكون (مصر للمصريين)، وأن يكون منهم أطباؤهم ومهندسوهم وعلماؤهم وأدباؤهم وصناعهم. كان يعتبر أنه بدون أن يكون لهم بنك وشركات ومؤسسات صناعية وزراعية فلن يكونوا مستقلين، فالمال (هو أساس كل الأعمال فى هذا العصر)!

نادى «طلعت حرب» بثورة حقيقية تحافظ على هوية الوطن وثوابت الأمة وكان يؤمن بأن (الاستقلال الاقتصادى هو أساس الإستقلال السياسى) وأن (الاستقلال يأتى عن طريق مداخن المصانع وليس دخان المدافع). فى عام ١٩١١ أصدر كتابه (علاج مصر الاقتصادى وانشاء بنك للمصريين) وانعقد المؤتمر الوطنى عام ١٩١١ لتقييم مشكلات مصر ووافق المجتمعون على إقرار فكرة «طلعت حرب» لكن قيام الحرب العالمية الأولى عطل المشروع إلى حين.

فى عام ١٩١٢ قدم كتابه (قناة السويس) الذى حارب فيه الاقتراح الغربى بمد عقد احتكار قناة السويس أربعين عاما أخرى بعد الفترة المقررة وهى ٩٩ سنة والتى تنتهى عام ١٩٦٨ واستطاع بحملته أن يوقف مشروع المد الاحتكارى. قام بتصفية (الدائرة السنية) فباع الأراضى للفلاحين الذين يزرعونها على أن يمدهم بكل ما يحتاجون إليه. وحين اشتعلت ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول، عادت فكرة البنك المصرى للحياة من جديد.

نجح «طلعت حرب» فى إنشاء البنك عام ١٩٢٠على أن يكون بنكا للتصنيع وليس للتجارة والإقراض فقط، وتم الاحتفال بتأسيسه فى دار الأوبرا التى كانت تسمى (دار الأوبرا السلطانية) وأقنع مائة وستين من رجال الأعمال للاكتتاب برأسمال بلغ ١٨٠ ألف جنيه وارتفع إلى نصف مليون عام ١٩٢٥ ثم إلى مليون جنيه عام ١٩٣٠.

كان «طلعت حرب» شخصية شديدة الحيوية والنشاط وتعرف إلى الحركة الوطنية أيام الخديوى «عباس حلمى الثانى». وتكمن عبقريته فى اكتشافه أن للمصريين قدرة على العمل الصناعى وليس الزراعى فقط كما كان الإنجليز يروجون. فقد ساهم البنك فى تجميع أموال المصريين واستثمارها فى أكثر من عشرين شركة مصرية تماما. وحفز الأطفال والتلاميذ على الادخار فيه وكان شديد الصرامة فيما يتعلق بنشاط البنك التجارى والصناعى وتعاملاته.

رفض رئاسة البنك واكتفى بمنصب نائب الرئيس واستدعى خبيرا ألمانيا لوضع النظم الداخلية فيه. واهتم بنمطه المعمارى الراقى. أنشأ «طلعت حرب» أول مطبعة مصرية بعد عامين فقط من إنشاء البنك ليدعم الآداب والفنون كما أنشا خلال مدة قصيرة شركات عديدة من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٣٨ ومنها أول شركة لحافلات النقل العام والنقل النهرى والغزل والنسيج وحلج القطن ومخازن تشوين القمح فى كل أنحاء مصر.

اهتم بالملاحة البحرية والاسمنت المسلح والصباغة والمناجم بجهود شركات مصرية خالصة وكان وراء إنشاء أول شركة مصرية للطيران وكانت أول شركة فى الشرق الأوسط. وقد أرسل البنك البعثات الفنية للخارج وكان وراء إذاعة نشرة الأخبار المرئية قبل بداية عرض الأفلام فى دور السينما، التى ازدهرت فى عهده لشدة ما صرف إليها من اهتمام، حتى إنه أنشا (استوديو مصر للانتاج السينمائى).

تعرض البنك بالطبع لأزمة افتعلها الإحتلال البريطانى والبنك الأهلى المصرى حين رفض أن يقرض البنك بضمان محفظة الأوراق المالية وتركت الحكومة هيئة البريد تسحب ودائعها من بنك مصر، فطلب «طلعت حرب باشا» من وزير المالية آنذاك «حسين سرى باشا» التدخل لدى البنك الأهلى، لضمان حقوق المودعين، فاشترط «سرى باشا» استقالة «طلعت حرب باشا» فوافق على ترك البنك، شريطة ألا يمس أحد إنجازاته.

توفيت زوجته فى سن مبكرة ولم يتزوج بعدها كما فقد ابنه الأكبر وكان فى مطلع شبابه. ترك «طلعت حرب باشا» أربع بنات عملن جميعا فى المجالات الاجتماعية. ترك كتبا فى الآداب والعلوم، منها (كلمة حق عن الإسلام والدولة العثمانية) وكتاب (تربية المرأة والحجاب) ردا على كتاب (تحرير المرأة) لـ «قاسم امين». وكتاب (فصل الخطاب فى المرأة والحجاب) ردا على كتاب «قاسم امين» (المرأة الجديدة) قائلا إن (الحرية التى تقتل العصمة هى شر من الحجاب).

توفى طلعت حرب عام ١٩٤١.

طومان باى



آخر سلطان مملوكى قبل وقوع مصر والشام فى أيدى العثمانيين. السلطان الوحيد الذى شنق على (باب زويلة) بالقاهرة. هو «السلطان العادل طومان باى الثانى» كان مملوكا ترقى إلى رتبة أمير على (مائة)، وهى رتبة فى الجيش. أصبح وزيرا فى عهد عمه السلطان «قانصوه الغورى» الذى عهد إليه بإدارة البلاد، حين خرج لمحاربة السلطان العثمانى «سليم الأول» فهزم فى معركة (مرج دابق) عام ١٥١٦م، التى سجلت دخول العثمانيين إلى بلاد الشام ومصر.

بعد وقوع الخليفة العباسى «المتوكل على الله الثالث» فى الأسر المغولى، أجمع أمراء المماليك على تنصيبه سلطانا بعد مقتل «الغورى» وقد رفض فى البداية لما كان عليه الأمراء من تشتت، والبلاد من فوضى. فلما أقسم المماليك على طاعته وافق، لكنهم تخاذلوا حين طلب منهم قتال العثمانيين الغزاة.

أرسل إليه السلطان العثمانى «سليم الأول» يعرض عليه أن يكون تابعا للدولة العثمانية مقابل إبقائه على عرش مصر. فرفض وكان يريد مقاتلتهم فى الشام لكن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى غزة، وخرج إليه بجيشه إلى «الريدانية» وحفر خندقا وتحصن فيه، لكن العثمانيين غيروا خطتهم واتجهوا إلى القاهرة فورا مما أجهض خطة «طومان باى»، الذى تبعهم وخاض معركة قوية قتل فيها الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) العثمانى «سنان باشا الخادم»، ظنا منه أنه السلطان، وغلبت قوة العثمانيين جيش المماليك، الذى عانى من الضعف حين هرب الجنود تاركين «طومان باى» فاضطر إلى الهرب أيضا واختفى لفترة.

حين دخل السلطان العثمانى القاهرة فى ٣ محرم سنة ٩٢٣ هجرية (٢٦ يناير ١٥١٧م)، فى موكب النصر الحافل يتقدمه الخليفة العباسى الذى أطلقوا سراحه، وكان الجند يحملون الرايات العثمانية الحمراء، ظهر «طومان باى» فجأة بجيشه، بعد يومين فى (بولاق) فى ضواحى القاهرة، وجرت معركة حامية، شارك فيها الأهالى حتى النساء والأطفال، واستمرت أكثر من ثلاثة أيام وبلغ من يقين المصريين بالنصر، أن دعوا للسلطان «طومان باى» فى خطبة الجمعة، ووقع الكثير من القتلى على الجانبين، لكن العثمانيين حولوا المعركة لصالحهم حين استخدموا البنادق فوق رءوس الأهالى من على المآذن فهرب جند المماليك وهجر الناس الشوارع إلى البيوت، وهرب «طومان باى» من جديد وكانت هذه المرة إلى (بنها) خارج القاهرة.

كان بعض الهاربين قد وقفوا إلى جانب العثمانيين ومنهم الأمير المملوكى «جانبردى الغزالى» الذى استسلم للقوات العثمانية فاستسلمت معه القاهرة، وأعلن الأمان والعفو عن الأهالى الذين يبادرون بالاستسلام! لكن «طومان باى» لم يستسلم، وعاد لتجميع قواته من جديد، وجرت مناوشات

عسكرية مع العثمانيين وكاد يقتل السلطان العثمانى نفسه، لولا أن المعركة الأخيرة كانت فاصلة فى (وردان) وهى (إمبابة حاليا)! ولم تستطع قوة مقاومة «طومان باى»، الصمود طويلا وحاول الاختباء لكن أعوانه وشوا به، وسلموه إلى السلطان العثمانى، الذى كاد يعفو عنه لشدة إعجابه بقوته ووطنيته وصموده، لكنه خشى أن ينقلب عليه فأمر بشنقه، فى سابقة فى التاريخ المملوكى!

يروى المؤرخون ومنهم «ابن إياس» فى كتابه الرائع(بدائع الزهور فى تاريخ الدهور) أن (طومان باى) اقتيد بحراسة ٤٠٠ جندى وهو مكبل فوق فرسه! واحتشد الناس لرؤيته حول (باب زويلة) قرب الغورية، التى أنشأها عمه، وطلب من الناس قراءة الفاتحة له ثلاث مرات، قبل أن يشنق. وظل لمدة ثلاثة أيام معلق الجثة، حتى دفن فى قبة السلطان الغورى.

وبموت «طومان باى» انتهت دولة المماليك وسقطت الخلافة العثمانية وأصبحت مصر والشام ولاية عثمانية!

الشيخ ظاهر العمر الزيدانى



بانى مدينة حيفا الحديثة ومن أهم الأمراء المحليين الذين حكموا جزءا كبيرا من فلسطين فى القرن الثامن عشر وعاصر محمد على باشا بمصر وملحم الشهابى فى لبنان وسليمان باشا العثمانى فى دمشق، وهو الذى طور مدينة حيفا الفلسطينية وبنى ميناءها وأسوارها وحدائقها وبسط نفوذه على شمال فلسطين وعكا وطبرية وصفد والناصرة أيضا وامتد حكمه لأكثر من خمسين عاما وحكم منطقة امتدت من جبل عامر فى الشمال إلى جبال القدس فى الجنوب ومن البحر فى عكا وحيفا إلى جبال عجلون شرقا.

ينتسب «ظاهر العمر» إلى أسرة الزيادية التى تعود بنسبها إلى «زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب»، رضى الله عنهم، ويرجح أنه ولد حوالى عام ١٦٨٩ فى قرية «عرابة» الفلسطينية ويقال إن أسرته انتقلت إلى الجليل ثم طبرية.. اتخذ مهنة (الالتزام) أى جباية الضرائب كوالده. كان داهية طموحا اتخذ من مصادقته لمشايخ قبيلة عرب الصقر دعما لشن حملات على عكا بعد أن كان الملك الأشرف «خليل المملوك» قد هدمها وتركها خرائب منذ عام ١٢٩١ وطلب الظاهر من والى صيدا أن يوليه عليها فرفض.

أسس الظاهر سلطانه فيها واتخذها عاصمة من عام ١٧٤٤ وحتى ١٧٧٠ وأمر ببناء سورها العظيم الذى لم يستطع نابليون فيما بعد اقتحامه فعاد إلى فرنسا لينهى أحلامه فى الشرق. سيطر الظاهر على طبرية وصفد والناصرة.

دخلت حيفا تحت حكم «ظاهر العمر» قبل أن يتمكن من السيطرة على عكا فجعل حيفا منافسة لها وكانت قرية صيادين تطل على البحر. وكان شمال فلسطين يشكل أهمية استراتيجية واقتصادية

فى القرن الثامن عشر وكان «ظاهر العمر» قد سيطر على طبرية عام ١٧٢٥. نقل مركزه إلى عكا عام ١٧٤٦ ووزع طبرية وصفد وصفورية وشفاعمرو على أبنائه عام ١٧٦٢ وتحالف مع على بك الكبير فى حملته من مصر على فلسطين واحتلا دمشق معا. وكان من أهم ملامح حكمه هو تمرده على السلطة المركزية العثمانية فى استامبول حيث رفض الانضواء تحتها فتحالف مع روسيا التى أرسلت أسطولها إلى ميناء بيروت بلبنان لتسانده دعما له ضد العثمانيين.

قاوم «ظاهر العمر» بريطانيا التى كانت تعد لترث السيادة على أملاك الامبراطورية العثمانية بعد انهيارها وفرضت الحصار البحرى عليه حتى لا تصله المؤن وهو ما عجل بنهاية حكمه ومحاولة الهرب من «أحمد باشا الجزار» الذى أرسله السلطان العثمانى للقضاء على ظاهر العمر. وتم اغتياله بالفعل على يد «أحمد دنكزلى»، أكبر قادته وأقرب معاونيه.. توفى عام ١٧٧٥ بعد حوالى ٥٠ سنة من الحكم وحكم أولاده بعده حتى امتدت فترة حكم الزيدانية ٨٠ سنة.

قيل عنه إنه كان داهية حكيما وكان يتمتع بفكر سياسى وكان رجل دولة ومحاربا من الطراز الأول. كما كان محبا للحدائق التى كانت تحيط بقصوره فى حيفا وعكا. اهتم بالإدارة وأسس مجلس شورى وقسم الجيش إلى نظامى واحتياطى وهو ما كان أمرا غير مألوف.

كتب عن «ظاهر العمر الزيدانى» كثير من كبار المؤرخين القدامى والمحدثين بينهم، «محمد كرد على» فى موسوعته الضخمة (مخطوطات الشام) و«إلياس شوفانى».



عائشة الباعونية

شاعرة وفقيهه من العصر المملوكى

بنت يوسف بن أحمد الباعونية، ولدت عام ١٤٥٠م فى دمشق بسوريا وقيل إنها من بلدة باعون بشرق الأردن. وكلاهما يتنافس على أصولها. حفظت القرآن الكريم وعمرها ثمانى سنوات. تلقب بصاحبة الشرف والنسب. درست الفقه والنحو على مشايخ عصرها كما تتلمذ على يديها عدد من أعلام العلماء بعد أن (أجيزت) فى الإفتاء والتدريس. عاشت معظم حياتها فى دمشق ورحلت إلى مصر مع ابنها حيث درست فى الأزهر وأجيزت بالافتاء والتدريس فى مساجد القاهرة.

كانت شاعرة من أكابر الشعراء حتى إن البعض يعدها أفضل من الخنساء! عاصرت السلطان برقوق وحين بنى (جسر الشريعة) قالت فيه: (بنى سلطاننا برقوق جسرا/ بأمر والأنام له مطيعة/ مجازا فى الحقيقة للبرايا/ وامرا بالمرور على الشريعة).

لها دواوين شعر: (فى المدائح النبوية) و(الملامح الشريفة فى الآثار اللطيفة) و(فيض الفضل) وهو موجود فى دار الكتب المصرية. بينما توجد معظم مؤلفاتها فى دور الكتب السورية والأردنية. من أفضل ما تركت: (البديعية) وهى فى علم البديع، مع شرحها المسمى (الفتح المبين فى كدح الأمين) وتضم ١٣١ بيتا وتوجد فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى تقول فى مطلعها: (فى حسن مطلع أقمار بذى سلم/ أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم)! ومن أشهر موشحاتها (موشح الدوبيت)، كما تركت كتابين فى النظم والنثر وشرح القصائد. تميز شعرها بالألفاظ البديعية والمحسنات اللفظية وكثرة السجع، والصناعة اللفظية وبقدرة هائلة على التحكم باللغة كما كانت تجيد الخط العربى وتكتب أشعارها بخطوط متنوعة.. توفيت عام ١٥٠٦م (فى القرن العاشر الهجرى) عن ٥٩ عاما ودفنت فى دمشق.

أقيم لها عام ٢٠٠٠م مهرجان شعرى حافل فى الأردن بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على وفاتها احتفاء بمكانتها فى الأدب العربى و(فى الحياة الثقافية والدينية وتمكنها فى الفقه والمذاهب الأربعة وفى إبداعها الشعرى) كما جاء فى بيان (اللجنة الوطنية الأردنية للتربية والثقافة)!

شاعرة وعالمة بالفقه والنحو والعروض لقبت بـ (فاضلة الزمان) وعاشت فى أواخر عهد المماليك.

الاختلاف حول انتمائها شديد. فالبعض يصر على أنها سورية الأصل دمشقية الولادة، حتى إنهم أطلقوا اسمها على أحد شوارع دمشق وعلى إحدى مدارسها الإبتدائية، بينما يصر الأردنيون على أنها ولدت فى باعون وهو ما يفسر انتساب اسمها إلى البلدة التى توجد فى عجلون الأردنية حيث كانت (باعون) مكانا للعلماء وحفظة القرآن وكانت منبرا علميا وملتقى ثقافيا كما يقول البعض.

لكن معظم المؤرخين يرجعون نسب اسمها إلى جدها الأكبر من الجيل الخامس الذى انتقل أحفاده إلى القدس التى ولد فيها والد «عائشة» ثم انتقل الى دمشق وعاش فيها وولدت له ابنته.

وأيا ما كان فقد كانت هذه البلاد كلها تحت مسمى بلاد الشام وكان التنقل بين أقطارها يعتبر تنقلا داخل البلد الواحد خاصة أيام الدولة العثمانية. وقد ترجم لها وكتب سيرتها عدد من كبار المؤرخين بينهم المحدثين أمثال «خير الدين الزركلى» فى (الأعلام) أو القدماء أمثال «نجم الدين الغزى» فى كتابه (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) حيث وصفها بـ (الأديبة العالمة الصوفيةالدمشقية بنت الباعونى).



الشيخ عبد الله بن ياسين

مؤسس أول رباط إسلامى عسكرى فى إفريقيا وداعية من المغرب وواضع أساس دولة المرابطين القوية فى المغرب والأندلس. هو منشئ حركة المرابطين الإسلامية القوية فى القرن الحادى عشر الميلادى والتى كانت حركة إصلاحية للدين فى

البداية ثم تحولت إلى حركة جهادية حتى أصبحت دولة اتسعت بعده حتى شملت المغرب ووسط وغرب إفريقيا وأطالت عمر دول الأندلس لأكثر من قرنين.

هو «الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولى». أحد كبار علماء المذهب المالكى. ولد فى القيروان بتونس فى القرن الخامس الهجرى- الحادى عشر الميلادى. كان فقيها شديد الورع غزير العلم والغيرة على الإسلام. كان خطيبا مفوها قوى التأثير مسيطرا على مقاليد اللغة العربية والبربرية معا. لجأ إليه «يحيى بن إبراهيم الجدالى»، زعيم قبيلة «جدالة» أو «كدالة» الصنهاجية البربرية فى الصحراء الغربية فى موريتانيا، بلاد الشنقيط، لإصلاح حال البربر المسلمين هناك، حيث كانوا يستحلون بعض المحرمات عن جهل بالدين، كالزنا والزواج بأكثر من أربع نساء وغيرها من الأمور الحياتية.

رحل الشيخ عبد الله عن القيروان التى كانت آنذاك مركزا للحضارة والجمال وذهب إلى الصحراء القاحلة الترابية وبدأ دعوته لتفقيه الناس بالدين فقاومه زعماء القبائل وخيروه بين الطرد أو القتل فخرج بعد أربعة أعوام متجها إلى الجنوب عند نهر السنغال ونصب لنفسه أول رباط دينى فى إفريقيا مصمما على عدم العودة إلى القيروان قبل إتمام المهمة فكان يعترض القوافل التجارية والفتيان الذاهبين للصيد حتى استنفر عددا منهم استطاعوا استقطاب شباب آخرين حتى كثر العدد فضربوا خياما حول رباط الشيخ وسموا (بالمرابطين) وعرفوا أيضا بالملثمين!

قاد الشيخ «عبد الله بن ياسين» حركة الإصلاح الدينى ثم الجهادى ضد المتمردين من القبائل القوية حتى قبيلة جدالة نفسها التى استدعاه زعيمها وكذلك قبيلة لمتونة التى صلح حال كثير من أفرادها فكونوا جيشا قاد عدة معارك ضد الوثنيين من مملكة غانا القوية واستسلمت الملكة فيما بعد وأسلم ملوكها وأسسوا لحضارة إسلامية فى غرب إفريقيا ووسطها. وقويت دولة المرابطين بانضمام قبائل أخرى كانت تعاديه. وكان المجاهدون يرابطون فى خيامهم حول الرباط بعد كل حملة ويكملون تعلمهم الدينى وينشرون الدعوة وتعليم اللغة العربية لغة القرآن. وأصبح للشيخ نفوذ قوى على قبائل بربر الصحراء.

كان أشد ما قام به، قتاله لقبائل «برغواطة» فى أقصى المغرب الإفريقى عند ساحل الأطلسى والتى كانت تدين بمذهب أسسه يهودى هو «صالح بن طريف» الأندلسى فى القرن الثانى الهجرى والذى ادعى النبوة وكان له كثير من الأتباع وأصيب الشيخ فى هذه المعارك واستشهد ودفن فى مكان يعرف حتى اليوم باسم «كريفلة» فى عام ٤٥١ هجرية بعد ١١ عاما من خروجه من القيروان. وما يزال رباطه اليوم من أهم المعالم الأثرية التى يبحث عنها الأثريون الأجانب والمهتمون بأفريقيا الإسلامية.

ويعتبر رباط الشيخ «عبد الله بن ياسين» أول هذه المعالم ذات الطابع الحربى التى أقامها المرابطون بالصحراء الموريتانية قبل توسعهم إلى الشمال. وقد ذكره ابن خلدون بقوله: (إنه شبه جزيرة يرتبط باليابسة بواسطة معبر أرضى تغمره المياه فى الشتاء فتعزله فى البحر ليكون خلوة دينية. ويعتقد أن هذا المكان هو شبه جزيرة «تيدرة» حاليا. وقد ذكره الباحث البرازيلى «باولو فرناندو مورياس»

والذى قام برحلات استكشافية وكذلك «ريمون مونى» الذى اكتشف المكان عام ١٩٥٣ واعتبره بقايا الحصن الحربى الذى اتخذه الشيخ قلعة ورباطا دينيا وحربيا. كما يرى بعض الباحثين أن المنطقة التى تأسس فيها أول رباط للمرابطين كان فى منطقة «شمامة» ومنها انطلقوا لنشر الدعوة.

وقد تأسست دولة المرابطين من هذه النواة. من قبائل صنهاجة وأهمها لمتونة. ويقال إن قبائل صنهاجة كانت تتكون من ٧٠ قبيلة وكانت لمتونة ثم جدالة عصب دولة المرابطين التى اتخذت عاصمة لها فى مدينة أودغست الموريتانية وتعاقب عليها ٣٠ من ملكها كان منهم يوسف بن تاشفين.



عبيد الله النهرى

عالم دينى يتبع الطريق النقشبندية وأول من أعلن مبدأ الدعوة إلى توحيد الكرد وانشاء كردستان المستقلة بضم أجزاء كردستان الواقعة فى تركيا وفى إيران. وقاد ثورة ضد العثمانيين والإيرانيين القاجاريين فى القرن التاسع عشر.

هو «عبيد الله الشمزينى» من كردستان الشمالية التى أصبحت تابعة لتركيا بعد ذلك، لقب بـ (النهرى) نسبة إلى منطقة نهرى التى ينتسب إليها. وقد سمى بـ (الشمزينى) نسبة الى المدينة التى نشأ ومارس السياسة فيها.

بدأ «عبيد الله» عام ١٨٧٧م الإعداد العلنى لثورته فعقد فى (شمزينان) عام ١٨٨٠ مؤتمرا حضره حوالى ٢٢٠ زعيما كرديا، وطلب من المؤتمر إقامة اتحاد بين العشائرالكردية، والإعداد للثورة ضد الدولة العثمانية والإيرانية، وطلب من بريطانيا عن طريق القنصل فى الأناضول الدعم الدولى لقضية كردستان مع إعطاء ضمانات للحقوق المسيحية.

حين اندلعت الحرب الروسية التركية العثمانية عام ١٨٧٧ انتهزها فرصة لتكوين دولة كردية تحت حماية الدولة العثمانية. وقد ساند الباب العالى العثمانى هذه الثورة، وشجعها ردا على محاولات استقلال دولة أرمينيا عن الدولة العثمانيية ووضعها تحت الحماية الروسية. لكن محاولته فشلت بدخول إيران على خط المواجهة معه.

وكان العداء بين الأكراد والأرمن قد بدأ يزحف بالتدريج بعد الحرب الروسية التركية الأولى عام ١٨٢٨ والذى ربما سعت إليه السلطات التركية، لكنهم استطاعوا التعايش فيما بعد بدءا من عام ١٨٧٧ و١٨٧٨، حين أدرك «عبيد الله» أنه لابد من الاتفاق مع الأرمن لإنجاح ثورته! فعين أحد الأرمن مستشارا له. وكان من دوافع الثورة تردى الحالة الاقتصادية للبلاد التى تحمها الدولة العثمانية خاصة فى مناطق مثل كردستان حيث يجرى تهميش أهلها أصلا. كما كانت الثورة كامنة

بين الفلاحين الذين كانت السلطة العثمانية قد بدأت تفرض عليهم ضرائب باهظة وتجمعها بطريقة عنيفة بالقوة.

بدأت ثورته المسلحة عام ١٨٨٠ فى كردستان الشمالية الغربية على الحدود التركية الإيرانية واستطاعت قواته التى وصل عددها إلى حوالى ٨٠ ألفا كما تقول بعض المصادر، السيطرة على أغلب مناطق ومدن كردستان (الإيرانية) حيث كان يحكم ملوك القاجار، وأنشأ فيها دوائر كردية رسمية للإدارة المحلية. فاتفقت تركيا مع إيران على إخماد ثورته الكردية، لكن قوات النهرى استمرت فى تقدمها، وعندما اقتربت من مدينة تبريز طلبت إيران مساعدة الحكومتين الروسية والإنجليزية بعد أن توصلت السلطات الايرانية إلى أن معاونيه يقومون بتهريب التبغ داخل إيران وكان ممنوعا هناك. كما مارسوا تجارة الأسلحة المهربة بمساعدة أمير الكويت آنذاك «الشيخ مبارك آل الصباح» للوقوف فى وجه الدولة العثمانية. (كما تذكر بعض المصادر).

وكان أن حاصرت الجيوش الإيرانية والتركية والروسية القوات الكردية من جميع الجهات، واستطاعت السلطات التركية اعتقاله وأسره فى إسطنبول حيث عاش فيها (أسيرا شرفيا) ثم نفى عام ١٨٨٣ مع مائة عائلة كردية إلى المدينة المنورة وتوفى فيها عام ١٨٨٨!

ويعتبر بعض المؤرخين ثورة «عبيد الله» (نموذجا فريدا فى تاريخ الحركة القومية الكردية) حيث استطاع جمع قادة الفصائل والطوائف الكردية للتوفيق بينهم ومعهم. كما أنها اكتسبت بعدا دوليا بتدخل القوى الخارجية فيها خاصة روسيا وبريطانيا. ويقال إن «عبيد الله الشمزينانى» كان يتمتع بشخصية قوية وتأثير مذهل فى الأتباع. وعلى رغم أن ثورته اعتبرت (من أكبر الثورات الكردية) لكنه كان يفتقر إلى تنظيم الوحدات المقاتلة وإلى السلاح، حيث لم يجد من يمده به لا فى الداخل- خاصة بعد تخلى بعض الزعماء الأكراد عنه بعد أول هزيمة لحقت به- ولا فى الخارج حين خشيت الدول الكبرى آنذاك من تهديد مصالحها بقيام دولة كردية على حدود إيران وتركيا!

عثمان بن فوديو

أحد أعظم الأمراء المسلمين الأفارقة ورائد حركات التجديد والإصلاح الدينى فى غرب ووسط إفريقيا قامت على يديه دولة إسلامية قوية ناطقة باللغة العربية ومتميزة بالتراث التقليدى للعرب وللمسلمين وهو الذى وحد وحول شعوب وسط وغرب أفريقيا إلى قوة غالبة وقاهرة للقبائل الوثنية وعبادة الطبيعة وهو يذكر فى بعض المناطق الإفريقية بعد الرسول الكريم ﷺ وله تقديس من نوع خاص.

ولد «عثمان» حوالى العام ١١٦٨هجرى (١٧٥٤)م فى بلدة «طغل» فى إقليم (جوبير) الواقع شمال دولة نيجيريا حاليا.. كان أبوه يعلم القرآن الكريم على طريقة المذهب المالكى! تتلمذ عثمان على يده وعلى أمه «حواء» وجدته بما يعنى أن للنساء فى هذه المناطق الإفريقية باعا راسخا فى العلم ومعرفة الدين.

تتلمذ على يد أحد كبار الشيوخ وهو «جبريل» الذى بدأ معه الدعوة إلى الله فى عصر كانت الديانات الوثنية فى إفريقيا سائدة وهى ما يعرف بديانات عبادة الطبيعة وتعدد الآلهة للقبائل. وبالرغم من أن الإسلام دخل أفريقيا من الشرق فإن بعض الملوك وأمراء القبائل ظلوا على وثنيتهم، وفى أحسن الأحوال عرفوا الإسلام ولكنه إسلام متأثر بالكثير من العقائد المحلية مما شوه المفاهيم العقائدية خاصة مع انتشار بعض الطرق الصوفية فكان لابد من نشر دعوة التوحيد وتنقية العقائد والدين. وكانت مهمة شديدة الصعوبة.

كان «عثمان بن فوديو» من قبائل الفولانى التى أسلمت منذ القرن الخامس الهجرى على يد المرابطين الذين كانوا من البربر والخليط العربى البربرى، وكان موطن الفولانيين الأصلى فى حوض السنغال ثم انتشروا حوله فى هجرات متتالية معروفة. وأسسوا ممالك إسلامية بالقبائل التى أسلمت أيضا ومنها قبائل (الهاوسا) القوية، التى لها تاريخ طويل ومتميز فى إفريقيا حتى اليوم.

قام «عثمان بن فوديو» برحلة حج غيرت حياته حيث تعرف إلى كبار العلماء فى المملكة السعودية والتقى بمحمد بن عبد الوهاب الذى كانت دعوته فى أوج انتشارها وقد وجد فيها الطريق لمواجهة الانحرافات بين أبناء القبائل الإفريقية. أسس بعد عودته ما سمى (بالجماعة)! وكان أفرادها من شعوب الهاوسا والطوارق والزنوج والفولانى وقوبل بالحرب من قبل أمراء القبائل فأعلن (الجهاد) عام ١٨٠٤م/ ١٢١٨هجرية، وانتصر وأصبح أميرا على المنطقة الواقعة فى شمال غرب نيجيريا ولقب بالشيخ حتى عرف حتى اليوم باسم (شيخو)! واتخذ من مدينة (سوكوتو) فى أقصى الشمال الغربى النيجيرى مركزا لدعوته عام ١٨٠٩م/ ١٢٢٣هجرية، حيث ضم القبائل ووحدها ووصل إلى قبائل (اليوروبا) الواسعة القوية التى يقال إنها أصل الشعوب فى النيجر ونيجيريا وانشأ دولة كانت الأقوى بين ممالك أفريقيا.

وزع القيادات بين الكوادر والمشايخ فى الكاميرون ثم مالى (اليوم) وخاض عدة حروب ومعارك شرسة واكتمل عمله عام ١٨١٠م حين ضمت دولته كل ولايات الهوسا والنوبة وأداماكو التى ظلت تحكم فى بعضها سلالة الفولانيين حتى اليوم. وظلت تحت الراية الإسلامية لكن خلفاءه اختلفوا كثيرا وخاضوا معارك بينهم حتى استعمرها الإنجليز عام ١٩٠٢م.

عاش «عثمان بن فوديو» حياة بسيطة بالرغم من كل إغراءات السلطة والنفوذ وكان شديد التواضع وكان شاعرا، كتب الكثير من القصائد واستخدم الشعر والموشحات فى شرح دعوته. وسمى جهاده (الجهاد القولى) أى بالقول، فقد كانت الوسيلة للتعليم شفاهية فكان منذ بداية حياته وحتى النهاية يعتمد على السرد الشفهى ورواية السير الشعبية باللغات واللهجات المحلية وكان عالما متفرع المعرفة. كما كان متميزا فى وضع الخطط العسكرية لمعاركه. كان كثير الشفقة والتعاطف مع الناس.

ترك مؤلفات يتجاوز عددها ١٥٠ عملا! ومعظمها فى الفقه والتاريخ ومن بينها: (اتباع السنة وترك البدعة) و(إرشاد أهل التفريط) و(أصول الولاية وشروطها) و(تحذير الإخوان من المهدية) و(تنبيه الإخوان على أحوال أهل السودان) و(حكم جهاد أهل الهوسا). ظل «عثمان بن فوديو» يعلم ويتعلم حتى توفى فى سوكوتو عام ١٨١٧ تقريبا ومازال قبره مزارا.

عدى بن مسافر

مجدد الديانة الإيزيدية فى القرن الحادى عشر. وهى الديانة المختلف عليها والتى تجمع ما بين الإسلام والزرادشتية المجوسية معا. وتتلو من آيات المصحف بينما تؤمن بتناسخ الأرواح والنزاع بين الخير والشر على الطريقة الزرادشتية. كان لها أصول بعيدة لكن «عدى بن مسافر» هو الأكثر حضورا بين شخصياتها التاريخية الدينية. هو «عدى بن صخر الشامى». يقول عنه الأيزيديون أنه «عدى بن مسافر بن إسماعيل» منتهيا بالنسب إلى الخليفة الأموى مروان بن الحكم. لكن المؤرخين يستبعدون هذا. لقب بـ (شرف الدين أبو الفضائل). حتى وفاته مختلفا عليها فهناك لبس بين تاريخها وتاريخ وفاة ابن أخيه المسمى عدى أيضا.

لكن المتفق عليه بين المؤرخين، هو أنه رجل متدين وفيلسوف متصوف صالح زاهد متعبد. ولد فى قرية (خربة قنا فار) بالقرب من بعلبك فى سهل البقاع اللبنانى وعاش فى بدايات حياته زاهدا على تلة صغيرة سنين يتعبد، وكان يزرع بيده ما يأكله ولا يقبل من أحد شيئا. وقد تحول هذا المكان بعده إلى مزار يحج إليه الإيزيديون السوريون والسواح وهو عبارة عن غرفة صغيرة متواضعة تعلوها قبة. ويقدمون النذور هناك مرتين فى العام ويعقدون حلقات رقص كوردية شعبية ودبكة ويذبحون الأضاحى.

تذكر بعض المصادر الإيزيدية أن «عدى بن مسافر» لجأ إلى «لاليش» فى مناطق كردستان بالعراق هربا من سلطة الدولة العباسية لكن المؤرخين يرون فى هذا خلطا تاريخيا وإن كان انتقاله ربما ليكون قريبا من مدينة (يزد) الواقعة قرب أصفهان الإيرانية والتى كانت مهد مؤسس الديانة الزرادشتية. والثابت أنه ذهب لدعوة الناس هناك حيث تنتشر عبادة الشمس سواء بين الزرادشتيين أم سواهم. وقيل إنه دعا إلى الإسلام وانه اتخذ طريق صوفية باطنية بعيدة عن الإسلام تسمى (العدوية) وتولى زعامة بعض القبائل الكردية هناك على طريقته. كان يلبس هو وأتباعه ومريدوه الزى الأسود ويزهدون فى كل متع الحياة ويرفضون الأكل الذى لا يعرفونه.

كان العثمانيون يسمونهم (عبدة إبليس) بينما تخيل «عدى بن مسافر» أنه تلبس شخص (طاووس ملك) وهو لقب إبليس، الذى يعده من أكابر الذين يعبدون الله على طريقتهم. وقد قام حاكم الموصل بنبش قبره وإحراق عظامه عقابا له على ما قال. تروى بعض المصادر التاريخية أنه كان مسلما لكنه مزج بين عقيدته وبين عقائد وطقوس الديانات (الشمسانية) وبينها (الدين الأيزيدى) الكوردى القديم هناك بعد انبهاره بها فكون المذهب «الأيزيدى» الجديد. ومهما يكن فإن التاريخ يقول عنه إنه كان ورعا صالحا ذكيا متبحرا فى الفقه وعلوم الأديان وإنه صحبه بعض الأتباع الصالحين. وقد ظلت الرئاسة الدينية فى سلالته التى حاربها العثمانيون بقسوة بعد ما قيل عن انحراف خلفائه عن جوهر الدين.

من كلماته التى تركها (أنا عدى الشامى ابن مسافر- أعطانى الرحمن الرحيم الأسماء والعرش السماوى والكرسى والسبعة والأرض).

ويقول: (الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا يغير الأمد، ليس له والد ولا ولد لا تجرى ماهيته فى مقال ولا تخطر كيفيته ببال جل عن الأنداد والأمثال والأشكال. صفاته كذاته ليس بجسم فى صفاته جل أن يشبه بمبتدعاته أو يضاف إلى مصنوعاته. (لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). أراد ما أهل العالم فاعلوه ولو عصمهم جميعا لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه خلق الخلائق وآجالهم وقدّر أرزاقهم وأفعالهم. لا سمى له فى أرضه وسماواته ولا عديل له فى حكمه وإراداته. على العرش استوى وعلى المُلك احتوى. وعلمه محيط بالأشياء).

ترك كتاب (الجلوة) وكتاب (مصحف رش) أى الكتاب الأسود، وهو الكتاب المقدس.

يعتقد البعض أنه مدفون فى لاليش بينما يصر كثير من الإيزيديين على أنه لم يدفن بل صعد إلى السماء. بينما تؤكد مصادر تاريخية أنه قتل على يد المغول أو على يد النصارى حيث أقام على دير له باسم مار يوحنا. وقيل إنه عاش ٩٠ سنة وإنه مات أو قتل عام ٥٥٨ هجرية أو ٦١٩ هجرية (أواخر القرن الحادى عشر الميلادى).

الشيخ على الدرويش الحلبى

أول عالم موسيقى عربى فى العصر الحديث وأول من عرّب السلم الموسيقى التركى وساهم فى إحياء التراث الموسيقى الأندلسى. هو سورى المولد لكن بعض المؤرخين يعتقد أنه من أصل مصرى وأن جده كان جنديا فى جيش إبراهيم باشا بن محمد على باشا أثناء حملته على سوريا عام ١٨٣١ وأنه فضل البقاء هناك بعد انتهاء الحملة وتزوج.

ولد «على الدرويش» فى حى قرب القلعة بحلب بسوريا حوالى العام ١٨٧٢. وكان والده الحاج إبراهيم المصرى يقيم فى التكية فلقب بـ (الدرويش). وكان يتردد على التكية مع والده حيث كانت تقام حلقات الذكر (المولوية) التى نشأت فى تركيا والبلاد العربية نسبة إلى طريقة الصوفى (مولانا) جلال الدين الرومى، وكان «على الدرويش» يستمع إلى الموسيقى المصاحبة لطقوس الدوران المعروف للمولوية بخاصة الناى.

عين مؤذنا فى التكية لجمال صوته، وأتقن تجويد القرآن. تعلم عزف الكمان على أستاذه التركى «كجك عثمان بك» الذى كان مؤذن السلطان العثمانى «عبد العزيز» وكان من أبرز المنشدين الأتراك، لكنه اضطر إلى مغادرة تركيا بناء على أمر من السلطان الجديد عبد الحميد.

تخرج «على» فى المدرسة العثمانية المتوسطة لعلوم الفقه الإسلامى فعين فى التكية المولوية الدرويش مشرفا على الفرقة الموسيقية الخاصة بالتكية ثم رئيسا لجماعة الموسيقيين والمنشدين الذين كانوا يقيمون طقوس السماع الخاصة بالمولوية، بعد أن تعلم القواعد الموسيقية والتدوين على يد موسيقى يونانى هو «مهران السالونيكى» كما درس المقامات والنغمات والدرجات التى يمكن البدء بها والتنقل بين المقامات والإيقاع وكيفية الضرب باليد الواحدة وباليدين معا.

تعلم فن الموشحات وموسيقى رقص السماح الأندلسى على الفنانين الحلبيين المعروفين آنذاك. ورأى أنه لابد من تدوين هذا العلم النظرى فتعلم النوتة خصيصا لتدوين الموشحات الأندلسية والذى بدأ به بعد خمس سنين من الدراسة. فحفظ هذا التراث من الضياع، خاصة وأنه كان يتم تناقله شفهيا على الأغلب مما يجعله عرضة للتحريف على الأقل.

استدعى للتدريس فى (المدرسة السلطانية) فى بلدة (قسطمونى) بتركيا مع أوائل الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فدون هناك بالنوتة كل ما وجده من تراث موسيقى، سواء أغنيات أم مقطوعات أم سماعيات أم بشارف. وكان الأتراك هم الذين أطلقوا أسماء تركية على المقامات الموسيقية العربية الأصل فعرفت بهذه الأسماء التركية أو الفارسية. وكان العرب يدونون مقاماتهم الموسيقية بالأرقام التى كتبها الفرس بلغتهم، مثل (السيكاه) وتعنى ثلاثة أو (جهار) وتعنى أربعة وكلمة (جهار كار) تعنى الصوت الرابع.

مكث «الشيخ على» فى قسطمونى تسع سنوات انتقل بعدها إلى استانبول للدراسة فى أشهر معاهدها (دار الألحان) حيث تزود بإمكانيات علمية موسيقية متقدمة، مكنته من أن يبدأ بتأليف كتابه (النظريات الحقيقية فى علم القراءة الموسيقية) وقد استغرق تأليفه أربع سنين ويقع فى ستة أجزاء، هى علم قواعد النوتة وعلم الأصوات وعلم الإيقاع وآلة الناى والعود والقانون وتدوين الموشحات! لكن الكتاب لم يطبع حتى الآن وتم الاحتفاظ به كمخطوطة شديدة الأهمية.

زار العراق مع فرقة موسيقية حلبية متخصصة وأنشأ فرقة موسيقية فى بلدة المحمرة جنوب البصرة بدعوة من أميرها الشيخ الأمير خزعل حيث أمضى عامين عاد بعدها إلى التدريس فى معهد الفنون الجميلة بحلب.

استدعاه «مصطفى رضا بك»، رئيس المعهد الملكى المصرى، لحضور أول مؤتمر للموسيقى العربية عام ١٩٣٢وكان المستشرق الفرنسى، الرسام وخبير الموسيقى العربية «رودولف ديرلنجى» قد اقترحه على الملك فؤاد الأول ملك مصر، لبحث الحالة الموسيقية فيها، لكنه كان مريضا فلم يستطع تنسيق المؤتمر كما اراد. ومات بعد ذلك بقليل فى نفس العام.

وكان «ديرلنجه» قد طلب من «على الدرويش» مصاحبته إلى تونس لمساعدته فى استكمال عمله الشاق والشيق فى دراسة وتدوين الموسيقى العربية وتاريخها. وكان يقيم آنذاك فى بلدة (بوسعيد) فى شمال تونس فى قصر بناه بنفسه. وهناك أقام «على الدرويش»فى ضيافة البارون واطلع على كتابه الضخم فى الموسيقى العربية وعلى مكتبته القيمة المليئة بالمخطوطات الموسيقية النادرة التى جمعها من كل مكان فنسخ الكثير منها.

وفى تونس قام بأحد أجل أعماله، وهو تحليل المقامات المستخدمة فى شمال إفريقيا وفى تونس بالتحديد، ورتبها حسب السلم الموسيقى مع بيان النغمات وأطوارها. وقام بكتابة (١٤) نوبة أندلسية بينها (يا ساكنا) و(نشيد الأيتام). وقد تعاقدت وزارة المعارف التونسية معه على تدريس قراءة (الصولفاج) أى النوتة الموسيقية والمقامات فى المعهد الرشيدى وتدريب الفرق على الغناء التراثى.

فى مصر اطلع على الموشحات والأدوار القديمة المستخدمة فى مصر، وعين عضوا فى لجنة المقامات الموسيقية والإيقاع والتأليف. وتعاقد المعهد الملكى معه على تدريس آلة الناى ونظريات المقامات الموسيقية والموشحات بعد أن أقرت لجنة مكونة من كبار الموسيقيين خبرته العلمية. وكان من تلاميذه فى المعهد «رياض السنباطى» و«محمد عبد الوهاب» ويقال إن «أم كلثوم» تدربت على يديه على فن الإلقاء الغنائى.

زار طهران وبومباى وتعرف إلى الموسيقى الفارسية والهندية كما زار بعض البلاد الأوروبية. عمل بعدها فى دمشق وتوفى فيها عام ١٩٥٢م.

السلطان علىّ دينار

آخر سلاطين قبائل «الفور» فى (دار فور) بالسودان. ولد فى قرية «شوية» بدارفور، وليس لولادته تاريخ محدد ويمكن تقديره بين عام ١٨٥٦ أو ١٨٧٠.

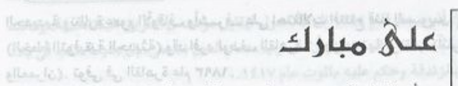
هو «على بن زكريا بن محمد فضل». لا يعرف شئ عن طفولته أو شبابه. وبداية التاريخ المعروف عنه كان حين ساند عمه السلطان «أبو الخيرات» فى قمع تمرد عليه أيام سيطرة الأسرة المهدية. وعلى رغم تعدد المصادر فإن الكلام عنه يبدو ملتبسا تماما ومن الصعب

الوقوف على توافق فى سيرته. وبعض المؤرخين يؤكد أنه رفض الامتثال للمهدية حين طلب إليه لقاؤهم وآخرون يؤكدون أنه التقى بخليفة المهدى «التعايشى» عام ١٨٩٢. لكن المؤكد أنه حين هُزم المهديون أمام الإنجليز عام ١٨٩٨، هرب «على دينار» مع عدة مئات من أتباعه عائدا إلى (دارفور) وعاصمتها (الفاشر) التى كان السلطان «ابو كودة» نصب نفسه سلطانا عليها أثناء المعارك الدائرة، لكنه تنازل لعلى دينار طواعية بالرغم من أن «دارفور» أيامها كانت مطمع الطامحين إلى الحكم.

قام ابن عمه «إبراهيم على» بطلب مساندة الانجليز ضد «على دينار» فى أيام السردار الانجليزى «كتشنر» الذى خشى من الصراع فى إقليم متشابك المصالح مثل (دارفور) فوقف على الحياد مما أدى إلى تقوية موقف «على دينار» الذى انتصر وسعى بعدها لاسترضاء الانجليز، الذين استبقوه بالرغم من أنهم كانوا يفضلون حاكما مصريا أو انجليزيا على الإقليم فقد كانت السودان ومصر تحت الحماية البريطانية. واعترفوا به اتباعا للسياسة البريطانية فى توطيد سلطة الحكام المحليين وإبقائهم تحت نفوذهم. انقلب الوضع عام ١٩٠٠ حين عين البارون النمساوى «سلاتين باشا» مفتشا عاما للسودان والذى أصدر كتابه المعروف بعنوان «السيف والنار فى السودان».

اغتنم المعتمد البريطانى «اللورد كرومر» وجود مفتش السودان الجديد «البارون سلاتين باشا» ليتولى مسألة إقناع «على دينار» بعدم إعلان استقلال دارفور وأن الإقليم يقع فى منطقة النفوذ البريطانى بموجب معاهدة عام ١٨٩٤ مع الإنجليز واتفاق عام ١٨٩٩ مع الفرنسيين لكن دينار رفض المعاهدتين وتهرب من مواجهة المفتش النمسوى، وحرص على منع دخول أى أجنبى أو موظف حكومى رسمى. كما رفض طلب الزعيم السنوسى «محمد المهدى» عام ١٩٠٠ عبور دارفور فى الطريق إلى الحج متعللا بفقر إمكانياته. وكانت الحركة السنوسية آنذاك فى أوج تقبل الشمال الإفريقى لها. تعرض السلطان على دينار لأزمة جديدة حين سيطر الفرنسيون على منطقة حدودية بين دارفور وتشاد فى سلطنة «واداى» الإسلامية وأزاحوا سلطانها «رابح الزبير» عام ١٩٠٠ وأكملوا سيطرتهم عام ١٩٠٨ ووصلوا إلى حدود دارفور.

رفضت حكومة السودان الواقعة تحت النفوذ البريطانى التدخل. تعرض «دينار» لأزمة أخرى بتمرد فى جنوب وغرب دارفور، قام به بعض أتباع بقايا الدولة المهدية السودانية التى قضى عليها الانجليز وتلقى ضربات موجعة من فلول جيش المهدية بقيادة أحد رجال الدين لكن السلطان على دينار استمر فى إنهاكه حتى قضى عليه عام ١٩٠٩. ظل التوتر بينه وبين باقى القبائل فى (دارفور) خاصة قبائل المساليت والرزيقات والزيادية، حتى النهاية. حاول على دينار الانفتاح على الخارج بالرغم من الحصار الانجليزى المفروض عليه وخاصة اتصالاته مع صحيفة (العمران) القاهرية، بينما كانت صحيفة «اللواء» التى كان يصدرها «مصطفى كامل» تشيد به وتعتبره نموذجا للمقاومة. تنسب إليه (آبار على) فى المدينة المنورة والتى أوقفها على الحجاج. ساند العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى وألمانيا ضد الحلفاء مما أدى إلى الإسراع بنهايته. اغتيل أثناء صلاة الصبح فى محرم ١٣٣٥ (نوفمبر ١٩١٦).



علىّ مبارك



هو أبو التعليم فى مصر بلا منازع وهو قائد حملة التحديث والتنوير المدرسى والمعرفى فيها. واضع أحد أهم المراجع الموسوعية وهو كتابه «الخطط التوفيقية الحديثة» فى ٢٠ جزءا وموسوعته «كتاب علم الدين» فى ٤ أجزاء، وهو مخطط القاهرة الحديثة ومؤسس دار العلوم ودار الكتب. هو «على بن الشيخ مبارك بن إبراهيم الروجى». ولد عام ١٨٢٣م فى دكرنس بالدقهلية بمصر لأسرة متواضعة فكان تعليمه فى كتاب القرية لكنه هرب منها وعمره ١٢ سنة ليلتحق بمدرسة (الجهادية) الداخلية.

اختير مع المتفوقين للالتحاق بمدرسة المهندس خانه فى بولاق عام ١٨٣٩م ودرس فيها لمدة ٥ سنوات الجبر والهندسة والكيمياء والمعادن والجيولوجيا والميكانيكا والفلك ومساحات الأراضى (الطوبوغرافيا) وتخرج عام ١٨٤٤ وكان أول دفعته فاختير لمرافقة أبناء وأحفاد محمد على باشا فيما عرف بـ (بعثة الأنجال) لفرنسا وكان بينهم «إسماعيل بك» الذى أصبح فيما بعد خديوى مصر. تعلم الفرنسية هناك والتحق بالمدرسة الحربية المصرية بباريس ثم بكلية المدفعية والهندسة الحربية الفرنسية ثم بالجيش الفرنسى للتدريب.

عينه الخديوى عباس باشا معلما بمدرسة المدفعية فى طره ثم مراقبا على امتحانات الهندسة بالأقاليم. فى عهد الخديوى «إسماعيل باشا» عين عام ١٨٦٣ مشرفا على القناطر الخيرية وتنظيم مياه النيل من فرع رشيد. عين ناظرا للمعارف عام ١٨٦٨ وناظرا للأشغال العامة معا ثم ناظرا للأوقاف أيضا. كلف بتنظيم (ديوان المدارس) وتخفيض النفقات فعمل على جمع المدارس كلها فى مكان واحد لناظر واحد. كان يختار ويشارك فى تأليف الكتب الدرسية وأنشأ لذلك مطبعتين. عزله الخديوى سعيد باشا عام ١٨٥٤م وألحقه بالقوات المصرية للمشاركة فى حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية فتعلم اللغة التركية فى استانبول وشارك بعدها فى المفاوضات بين الدولتين.

أشرف فى الأناضول على الشئون الإدارية للقوات العثمانية وتنظيم تحركاتها. وأقام هناك مستشفى للجنود المرضى والمصابين. لكنه فوجئ بعد عودته إلى مصر بقرار سعيد باشا بتسريح الجنود العائدين وكان على مبارك منهم. وفى عهد الوزارات اعتلى منصب ٣ وزارات هى التعليم والأشغال العامة وعموم الأوقاف. عهد إليه الخديوى «إسماعيل باشا» بإعادة تنظيم القاهرة وشوارعها وميادينها وعمائرها وإمدادها بالمياه وإضاءتها بالغاز وما يزال وسط مدينة القاهرة شاهدا على إنجازاته الرائعة فى هذا.

أنشأ دار العلوم ١٨٦٨ لتخريج أساتذة فى اللغة العربية والآداب للمدارس الابتدائية! وأنشأ دار الكتب ١٨٧٠ بأمر إسماعيل باشا. أصدر لائحة إصلاح التعليم وديوان الأشغال وإدارة السكك

الحديدية ونظارة عموم الأوقاف وأشرف على احتفالات افتتاح قناة السويس. له عدة كتب أهمها (الخطط التوفيقية الحديثة) وقد افرد لوصف القاهرة ٦ أجزاء منها. وكتاب (آثار الاسلام فى المدنية والعمران). توفى فى القاهرة عام ١٨٩٣.

عماد الدين نسيمى

مفكر إسلامى عراقى من القرن الرابع عشر ورائد الشعر التركمانى. من أكبر الشعراء فى تاريخ الشعوب الناطقة بالتركية. كان مطلعا على علوم ومعارف عصره. ولد عام ١٣٧٠ فى منطقة نسيم بضواحي بغداد. لكنه عرف بأنه من الطائفة (الحروفية). وهو مذهب باطنى إسلامى التوجه- حسب اعتقادهم- يعتبر (الحروف) ظاهر الوجود المطلق. وهو من المذاهب التى تعتقد بـ (وحدة الوجود) الذى يؤمن بأن الله الخالق العظيم متوحد مع مخلوقاته.

(الحروفية) تعتمد على استخدام الحروف العربية الهجائية بأعدادها الـ ٢٨ حرفا. وقد أضافوا إليها ٤ حروف (مقدسة هى لام وحرف ألف وحرف ميم وحرف الفاء) فيصبح العدد ٣٢ حرفا هى التى ترسخ الوجود. انتقل «عماد الدين نسيمى» إلى أذربيجان فى آسيا الوسطى، تاركا العراق بعد انتشار الحروفية ووصل إلى الأناضول شرق تركيا وجاهد لنشر المذهب الجديد. وكان الحروفيون بدأوا استخدام اللغة التركية بدلا من اللغة الفارسية.. كتب «نسيمى» ديوانا باللغة التركية مع رسالة (مقدمة الحقائق) وفيه يفسر المذهب الحروفى.

كان أول عراقى يكتب باللهجة التركمانية، وهى خليط من لهجة الأناضول ومن لهجة أذربيجان، قصائد فى التصوف الحروفى لدعوة الإنسان لمعرفة ذاته التى فيها- كما يقول- أسرار الكون. كان يتحدث عن أسطورة (كأس جمشيد) التى إذا ما امتلأت ظهرت فيها أسرار الكون. وعقل الإنسان مثل هذه الكأس.

يقول: (روح الإله تكمن فيك وأنت خمرة فى كأس جمشيد). استخدم «نسيمى» أنماطا كلاسيكية معروفة فى الشعر العربى كالغزل وفى الفارسى كالرباعية وفى التركى كالمثنوى. (الحروف جميعها برهان على أنه أنت- توحد العاشق والمعشوق). ذهب «نسيمى» بعيدا فى تجلياته (أنا موسى إذ أناجى الحق دوما/ يتجلى قلبى أبدا فى طور سيناء) ويقصد الإنسان عموما. (قبلة الصادقين أنا وعاشق المعشوقين/ السماء السابعة أنا/ مجنون أنا ومتوله). بعد مقتل مؤسس الحروفية على يد ميران شاه بن تيمورلنك.

غادر «نسيمى» أذربيجان عام ١٣٩٤ إلى الأناضول ليقابل مؤسس الطريق البكتاشية. وكانت الدولة العثمانية السنية تطارد البكتاشيين، فهرب «عماد الدين نسيمى» إلى مدينة حلب فى بلاد الشام، حيث أدين بالزندقة وحكم عليه بالموت عام ١٤١٧.

عمر المختار



أسد الصحراء الذى حارب الاستعمار الإيطالى بضراوة وخاض أكثر من ألف معركة على مدى عشرين عاما بالرغم من شيخوخته. ولد عام ١٨٦٠ أو ١٨٦١ فى قرية جنزور الشرقية منطقة بئر الأشهب شرق طبرق فى بادية البطنان فى الجهات الشرقية من برقة التى تقع شرقى ليبيا بالقرب من الحدود مع مصر.

«عمر المختار» كان من السنوسيين الذين أسسوا الطريقة الصوفية السنوسية، التى سادت فى شمال إفريقيا وفى ليبيا على وجه الأخص! وينتسب إلى قبيلة المناف، إحدى أكبر قبائل المرابطين فى (برقة) بليبيا، والتى يمكن أن ترجع بنسبها إلى قبائل بنى مناف بن هلال بن عامر، أولى القبائل الهلالية التى دخلت (برقة).

عاش يتيما حيث فقد والده الذى توفى وهو فى طريقه إلى مكة المكرمة. وتلقى تعليمه الأول فى زاوية(جنزور) ثم انتقل إلى(الجغبوب) للتعلم على كبار علماء ومشايخ السنوسية فدرس علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم.

تلقفه قطب الحركة السنوسية (الإمام المهدى السنوسى) ليعلمه بنفسه، وقال عنه (لوكان عندنا مثله عشرة، لكفانا) واختاره رفيقا له إلى السودان الأوسط (تشاد حاليا) حين انتقلت قيادة الزاوية السنوسية إليها وشارك «عمر المختار» هناك فى الجهاد فى الحرب الليبية الفرنسية وعين بعدها شيخا لزاوية (عين كلكله) فمارس التعليم والدعوة للإسلام بين الأفارقة قبل أن يعود إلى (برقة) ليصبح شيخ (زاوية القصور) بعد وفاة القطب «المهدى السنوسى».

كانت إيطاليا قد أعلنت الحرب على تركيا العثمانية فى سبتمبر ١٩١١م، وكانت الجبهة الإيطالية هى موانى ليبيا من أدرنة إلى طرابلس وبنغازى وطبرق. وطالب قائد الأسطول الإيطالى «فارافيللى» الليبيين بالاستسلام وإلا تقصف مدينة (طرابلس الغرب)، وبالرغم من هروب معظم السكان فقد قصفت المدفعية الإيطالية المدينة لثلاثة أيام متواصلة مما جعل «عمر المختار» يعلن بداية الجهاد وقيادة المقاومة ضد إيطاليا وكان ينتظر عودة زعيم السنوسيين «أحمد الشريف» من (الكفرة)، مركز الدعوة السنوسية، بعد أن وصل عدد زوايا الطريقة السنوسية إلى ١٤٦ زاوية موزعة بين ليبيا ومصر والسودان وبلاد العرب.

كان «عمر المختار» قد جاوز الخمسين من عمره، لكنه يمتلك مهارة الحروب فى الصحراء وإعداد الخطط وتجهيز القوات فخاض المعارك الصعبة مع الإيطاليين عام ١٩١٢ و١٩١٣ وحاول الحاكم العسكرى الجديد «إميليو» فى برقة صد المجاهدين بقطع المؤن والإمدادات من مصر وقتالهم فى العرقوب والمخيلى وفى مسوس واجدابيا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى.

تولى «السيد إدريس السنوسى» إمارة الحركة من ابن عمه «أحمد الشريف» ودخل فى مفاوضات مع الإيطاليين لأكثر من عامين، لم تحقق شيئا فاضطر إلى الرحيل إلى مصر وعين «عمر المختار» نائبا له فى الجهاد العسكرى فى نوفمبر عام ١٩٢٢ وكان الوضع قد تغير فى إيطاليا بعد الإنقلاب الفاشى عام ١٩٢٢ وظهور «موسولينى» واستطاع الحاكم الجديد «مومبيللى» على الجبل الأخضر، إلحاق أول الهزائم بالمجاهدين عام ١٩٢٤ واحتل الإيطاليون الجغبوب ١٩٢٦ الاستراتيجية. لكن «عمر المختار» فاجأ حاكم «الجغبوب» الإيطالى «تيروسى» القوى، بهجوم صاعق سحق القوات الإيطالية هناك.

فى عام ١٩٢٩ قام الزعيم الإيطالى «موسولينى» بتغيير القيادة العسكرية بعد هزائم القوات الإيطالية، فعين الرجل الثانى فى إيطاليا «بادليو» على ليبيا وبدأت بذلك مرحلة حاسمة فى الصراع الليبى الإيطالى، حين طلب من «عمر المختار» التفاوض ليكسب الوقت قبل أن يعيد تنظيم قواته، وقد قبل عمر المختار التفاوض للحفاظ على قواته.

اشترط الإيطاليون رحيل عمر المختار إلى الحجاز أو مصر، أو البقاء فى برقة وإعلان الاستسلام مقابل أموال تدفع له. ورفض عمر المختار ليبدأ جولة جديدة من المعارك بهزائم متتالية للإيطاليين فاضطر «موسولينى» إلى إرسال أحد أكثر قادته دموية. فعين «جراتسيانى» لتنفيذ خطة إبادة عمر المختار ورفاقه.

اتفق «جراتسيانى» و«بادليو» على احتلال أكبر عدد من المدن وجاء احتلال (الكفرة)، مركز الحركة الجهادية السنوسية، ضربة موجعة لعمر المختار ومن معه وانقطعت الإمدادات عنه بإقفال الحدود مع مصر بالأسلاك الشائكة ونصبت محكمة طارئة لمحاكمته، وزج الكثيرون فى سجون أنشت لهم فى كل البلاد. وفتحت المعتقلات فى الصحراء وحوصر المجاهدون فى (الجبل الأخضر).

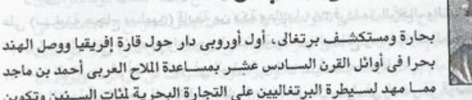
(ويروى أن نظارة «عمر المختار» وقعت منه فى معركة، فأخذها «جراتسيانى» قائلا (الآن لدينا النظارة وغدا سيكون لدينا الرأس) وعرفت الحاميات الايطالية مكانه لأول مرة ولم يكن أحد من الايطاليين يعرف شكله، فقامت معركة حامية أخيرة وسقطت فرس عمر المختار فاعتقل وأرسل على طراد إلى بنغازى حيث أودع السجن الكبير فى سيدى اخريبيش وكان جراتسيانى يومها فى روما حين تلقى برقية اعتقاله. وسافر إلى بنغازى فى ١٤ سبتمبر فورا ليرى عمر المختار بنفسه. وأعلن انعقاد محاكمة عمر المختار فى اليوم التالى والتى روى تفاصيلها فى كتابه (برقة المهداة):

(حين حضر إلى مكتبى أحسست أنى أرى آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامى بالحروب الصحراوية).. (كان يجر نفسه بصعوبة لتعبه من السفر بالبحر..).. (كان الذى يقف أمامى رجل ليس كالرجال، رجل له هيبة لكنه يشعر بمرارة الأسر..) واستطرد (عندما وقف ليتهيأ للانصراف

كان جبينه يضئ كأن هالة من النور تحيط به فارتعش قلبى لجلال الموقف، أنا الذى خضت معارك الحروب العالمية والصحراوية.. كانت شفتاى ترتعشان ولم أستطع أن أنطق بحرف واحد)!

عقدت لـ «عمر المختار» محكمة صورية فى مركز إدارة الحزب الفاشى فى (بنغازى) وبعد ساعة صدر الحكم بإعدامه شنقا حتى الموت فقال (الحكم لله وإنا لله وإنا إليه راجعون) وأعدم يوم ١٦ سبتمبر أمام ٢٠ ألف من الأهالى، وكان يؤذن بصوت خافت للصلاة بينما كان حبل المشتقة يلتف حول رقبته ويداه مكبلتان بالسلاسل الطويلة وكان عمره ٧٣ سنة!!

فى نفس الشهر، سبتمبر من عام ٢٠٠٨، وقف رئيس الوزراء الإيطالى «بيرلسكونى» يعتذر لابن «عمر المختار» عن المآسى التى سببتها إيطاليا لليبيين!



فاسكو داجاما

بحارة ومستكشف برتغالى، أول أوروبى دار حول قارة إفريقيا ووصل الهند بحرا فى أوائل القرن السادس عشر بمساعدة الملاح العربى أحمد بن ماجد مما مهد لسيطرة البرتغاليين على التجارة البحرية لمئات السنين وتكوين امبراطورية دامت ٤٥٠ سنة. هو «فاسكو دا جاما» ولد بالبرتغال عام ١٤٦٩ لعائلة حاكمة وفى عام ١٤٩٧ تولى قيادة السفن بعد وفاة أبيه. يصفه المؤرخون بأنه كان يتمتع بقسوة غير عادية اكتسبها من تاريخه الطويل فى النخاسة فقد كان يعمل فى شبابه الأول فى (اصطياد) الأفارقة لبيعهم فى البرتغال. وكان شديد الطمع والتعصب الدينى.

بدأ مغامراته بقيادة حملة لفتح طريق بحرى إلى آسيا لمنافسة المسلمين التجار الذين كانوا يسيطرون تماما على التجارة وطريق الحرير بين الشرق والغرب فقام بثلاث رحلات بحرية كبيرة بتكليف من ملك البرتغال «عمانوئيل الأول» لفتح سوق على سواحل شرق آسيا وإخضاعها للنفوذ البرتغالى.

فى عام ١٤٩٧ غادر ليشبونة بأسطول مكون من ٤ سفن وعبر جنوب إفريقيا حول رأس الرجاء الصالح ووصل موزامبيق وحدث أول احتكاك له مع المسلمين والعرب الذين كانوا يسيطرون على السواحل الشرقية الإفريقية. وكان نشأ على كرههم، وتاه هناك حين حاول تفاديهم فاتخذ وسيلة للنجاة، بالقرصنة والنهب والإغارة على سفن التجار العرب فى منطقة ما يعرف اليوم باسم «كينيا» مستغلا عدم وجود أسلحة ثقيلة معهم لكنه تسبب فى كره ومعاداة السكان هناك للبرتغاليين.

حين يئس من الوصول إلى سواحل الهند ساوم بعض القبائل على عدم الإغارة عليهم مقابل إرشاده إلى العالم البحرى «أحمد بن ماجد»، الذى كان من أعظم البحارة والجغرافيين العرب الذين

يعرفون طرق البحار ومسالكها ومواسم هبوب رياح «المونسون» على المحيطات، ووصل معه إلى الهند فى عام ١٤٩٨ وفوجئ بأن التجار الهندوس يعملون فى خدمة الملاح العربى. كما غضب حين اكتشف وجود ديانة هندوسية ووجود عدد كبير من التجار المسلمين لهم نفوذ قوى هناك. واستطاع بالفعل إيجاد طريق بديل لطريق الحرير لكنه فشل فى نقل البضائع عبره لشدة خطورته وحين عاد إلى البرتغال عام ١٤٩٩ كان قد فقد سفينتين ولم يبق معه سوى ٥٣ ملاحا من أصل ١٠٧ ملاحا.

استغل صراع الممالك فى الهند للقضاء على نفوذ المسلمين فيها، بعد أن وصلها مع الملاح العربى «أحمد بن ماجد» ١٤٩٨ لكن الهنود برغم خلافاتهم رفضوا القضاء على الوجود الإسلامى الذى كان ينعش الهند اقتصاديا. فانتقم «فاسكو دا جاما» بإحراق مدينة كالكوتا لإرهابهم عام ١٥٠٢ ونشرت الواقعة لأول مرة عام ١٩٠٥ بعد اكتشاف مخطوط لأحد الملاحين الجرمانيين المرافقين له فى رحلته الثانية قال فيه: (حشدنا جنودنا ضد الهنود وخضنا معهم حربا شرسة وأسرنا عددا كبيرا وشنقناهم داخل السفن وقطعنا أيديهم ورؤوسهم واستولينا على سفنهم).

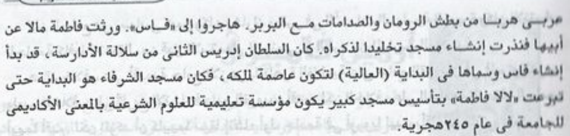
وفى كتاب بعنوان (الطريق البحرى إلى الهند) الذى يوثق رحلة «داجاما» جاء فيه كيف أغار على (سفينة حجاج مسلمين) قادمة من مكة وعليها ٣٨٠ فردا من الرجال والنساء والأطفال وكمية كبيرة من البضائع فطاردهم واحتجز السفينة وصادر البضائع وممتلكات الحجاج الثمينة وقذف ببعضهم إلى البحر ثم أشعل النار فى السفينة ومات من فيها محترقا.

حق الملاحة آنذاك أجاز للبرتغاليين مصادرة بضائع كل من يجول فى البحار فى قرصنة صريحة. وربما كان ما يميز البحارة العرب الذين وصلوا إلى شواطئ الشرق الأقصى هو حرصهم على التعامل التجارى والتبادل المعرفى مع أهل البلاد دون قتلهم مثل ما فعل كولومبس أو فاسكوداجاما، وهو ما جعل معظم جزر اندونيسيا وبلاد سواحل إفريقيا الشرقية تدين بالإسلام. قام «داجاما» بثلاث رحلات بحرية ولم يكن يزيد أسطوله فى الأولى على ٤ سفن. ارتفع فى الثانية إلى ٢٠ سفينة وكانت الثالثة عام ١٥٢٤. وحين عاد إلى البرتغال عام ١٤٩٩ بعد الحملة الأولى استقبل كالفاتحين ولقب بـ (كونت). نصب حاكما على كالكوتا فى الهند ومات فيها بعد ذلك بقليل عام ١٥٢٤ ونقلت رفاته إلى البرتغال عام ١٥٣٩ فى احتفال رسمى.



فاطمة الفهرية

مغربية تونسية، أنشأت أول جامعة أكاديمية فى العالم وهى جامع وجامعة القيروانيين أو القرويين. هى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى. وتلقب بـأم البنين. ابنة لعربى من القيروان بتونس تركها مع أكثر من ٣ آلاف



عربى هربا من بطش الرومان والصدامات مع البربر. هاجروا إلى «فاس». ورثت فاطمة مالا عن أبيها فنذرت إنشاء مسجد تخليدا لذكراه. كان السلطان إدريس الثانى من سلالة الأدارسة، قد بدأ إنشاء فاس وسماها فى البداية (العالية) لتكون عاصمة لملكه، فكان مسجد الشرفاء هو البداية حتى تبرعت «لالا فاطمة» بتأسيس مسجد كبير يكون مؤسسة تعليمية للعلوم الشرعية بالمعنى الأكاديمى للجامعة فى عام ٢٤٥هجرية.

ويروى أنها نذرت الصيام طيلة فترة البناء التى امتدت لأكثر من عامين. وبالرغم من أن بعض المؤرخين يشكك فى الفترة التى بدأ بناء المسجد فيها فيعيدها إلى عهد الدولة اليرينية وليس الأدارسة، فإن معظم الدارسين يؤكدون إنشاء الجامع- الجامعة فى عصر الأدارسة الذين بلغت المغرب فى عهدهم أقصى مجدها الدينى والحضارى والثقافى والعلمى.

كان الجامع فى البداية يتكون من بيت الصلاة ومن صحن الجامع، وبنيت المئذنة المبهرة بزخارفها بارتفاع شامخ. وظل الجامع على ما بنته «فاطمة الفهرية» حتى زوال دولة الأدارسة وقيام دولة الزناتية التى أضاف حكامها الكثير لمساحة وتزيين وجمال الجامع بينما أضافت دولة المرابطين الأقواس والأبواب والمصابيح والأبنية حتى تحولت إلى واحدة من أجمل الجوامع- الجامعات فى العالم. وقد روعى فى التصميم أن يكون على نسق قصر الحمراء فى غرناطة. لكن فترة دولة الموحدين شهدت تراجعا فى الاهتمام بزخرفة المسجد حيث كانوا يرفضون الإسراف فى الزخرفة ويرون أن الإسلام نهى عنه. وقد قام أهل فاس بتغطية الزخارف والزينة بطبقة من الجبس بحيث أخفتها عن بصر سلاطين الموحدين. والغريب بأن هذه الطبقة ظلت حتى عام ١٩٤٩ حيث أزيلت وظهرت الزخارف الذهبية والنحاسية بكامل تألقها.

أنشئ فى الجامع- الجامعة (كراسى العلم) وخصص لها أوقاف فكان حول حيطان الجامع كراسى منصوبة مختلفة الأشكال يجلس عليها العلماء المدرسون، واعتبر كرسى العلم فى الجامعة شديد الأهمية كالوزارة أو أكثر. ويتولى الشيخ أو الأستاذ منصب كرسى متخصص وقد يجمع الأستاذ بين أكثر من كرسى. وعن (كرسى العلم) هذا أخذ الغرب تسمية الأستاذ أو (أستاذ كرسى)!! بالمعنى الحرفى للكلمة.

كان لجامع القرويين طرق تدريس أكاديمية بالمعنى المفهوم للكلمة الآن. ولم يكن قاصرا على المسلمين كما هو حال الأزهر بالقاهرة بل كان لكل الطوائف ومدرسة لكل العلوم فأصبح جامعة حضارية علمية تخرج منها فقهاء وقضاة وحرفيون وموسيقيون رجالا ونساء فكان بين الدارسين فيها «سيلفستر الثانى» الذى شغل منصب البابا من عام ٩٩٩م حتى١٠٠٣م ويقال إنه أول من أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا. قام بالتدريس فى الجامع- الجامعة «موسى بن ميمون» الفيلسوف الأندلسى اليهودى المعروف «ومحمد بن إدريس» العراقى إمام النحو وزارها «لشريف الإدريسى» صاحب أول كرة أرضية مجسمة، وكذلك ابن خلدون وابن الخطيب وابن مرزوق وغيرهم كثير.

كان للجامع دور سياسى كبير وكان يشارك ويقرر فى الأحداث السياسية الكبيرة وكان الانتساب للجامعة كافيا للاعتقال من قبل الاستعمار الفرنسى أو الطرد من المدارس الفرنسية.

هناك خلاف على أقدمية جامع الازهر بالقاهرة الفاطمية على جامع القرويين فى فاس بالمغرب. وليس الخلاف على تاريخ الإنشاء فجامع القرويين أقدم، لكن الخلاف على الجامعة الملحقة بالجامع، أيهما أقدم. لكن المؤكد أن كليهما سبقا إنشاء أول جامعة فى أوروبا ليس بأقل من مائتى عام!



فاطمة سلطانة زنجبار

من أشهر من حكموا جزير زنجبار الإسلامية فى إفريقيا فى القرن السابع عشر. هى السلطانة فاطمة أو فاتيما، حسب مادرج الأوروبيون على تسميتها. اعتلت العرش بعد أخيها السلطان «بكيرى» الذى حكم الجزيرة كلها. لكن السلطان بن سيف طردها من الجزيرة. وكان مايزال للبرتغاليين اليد الطولى فأعادوها إلى الحكم فى نفس العام. جعلت أونكوجا عاصمة مملكتها وظلت حتى عام ١٦٩٧ حين استولى العرب ثانية على الجزيرة فسجنوها لتورطها السياسى مع الغزاة. وسجنت ثم نفيت إلى مسقط فى عمان وخلفها ابنها «حسن». وبعد عشر سنوات سمح لها بالعودة وماتت هناك. كان ابنها حسن هو من ساهم بإنشاء ما يسمى بمدينة الحجر أو (ستون تاون) تخليدا للمستعمر الإنجليزى «شتون» الذى قدم إلى البلاد وقرر إطلاق اسمه على أكبر جزرها وجاهد لطمس ماضيها لكنه فشل. فالبلاد كانت مزدهرة فى القرن الثامن الهجرى أو الرابع عشر الميلادى قبل أن تحكمها السلطانة فاطيما. وذكر الجغرافى المسعودى والرحالة ابن بطوطة أنها كانت من أجمل وأرقى بلاد العالم والتى ارتبط اسمها بانتاج التوابل حتى اليوم خاصة القرنفل والزنجبيل. وكان السلطان سعيد بن سلطان من أسرة بوسعيدى الحاكمة هو الذى أدخل القرنفل إلى البلاد. وهو الذى أحدث طفرة نوعية فيها. وكان البرتغاليون احتلوها فى أول القرن السادس عشر حتى طردهم العثمانيون منها فى آخر القرن السابع عشر (عام ١٦٩٨) فى عهد السلطان بن سيف اليعربى. لكن أبناء العائلة تنازلوا لايطاليا فى أول القرن العشرين عن أرض الصومال ودخلت زنجبار مع تنجانيقا فى اتحاد فيدرالى إجبارى ليشكلا دولة (تنزانيا) عام ١٩٦٤. كانت تحت سلطة أسرة البوسعيديين الذين تعود أصولهم إلى عرب عمان. وكانت زنجبار قد دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجرى وحكمها عرب عمان قرابة ألف عام. وفيها أحد أكبر المساجد وهو جامع كيزمكازى الذى يعود إلى القرن الثانى عشر.

أرمين فامبيرى

من أشهر الرحالة الجواسيس والمستشرقين فى التاريخ الحديث. يهودى هنغارى عرف باسم (رشيد أفندى) أثبت تاريخه نظرية المفكر الأمريكى- الفلسطينى «إدوارد سعيد» فى تسخير الإستشراق لصالح الغرب الاستعمارى. استخدم إمكانياته اللغوية فى العمل لصالح الإنجليز ضد روسيا القيصرية. كان من أفضل من كتب عن آسيا الصغرى وآسيا الوسطى أيام الدولة العثمانية. هو «أرمينيوس فامبيرى» ولد باسم «هيرمان بامبيرجر» فى عام ١٨٣٢. انبهر منذ بدايات حياته بعالم السحر والأساطير الشرقية. كان عمره ٥ سنوات حين فقد والده وتزوجت أمه.

كان فى طفولته يعرج على ساقه وعرف بالأعرج. عمل وهو صغير لكسب عيشه ومن مدخراته البسيطة التحق بالمدرسة ليتعلم اللاتينية وارتحل إلى فيينا وبراج وعمل ناسخا لأعمال الكتاب الرومان. فى عام ١٨٤٧ عاد إلى التعليم وكان يدرس فى أوقات فراغه القليلة اللغات السلافية والعبرية واليونانية والفرنسية والانجليزية والألمانية والسويدية وظل حبيس أساطير الشرق وألف ليلة وليلة فتعلم العربية والتركية ودرس أشعارها وآدابها فأحبها وأتقنها وظل مشدودا إليها حتى استطاع الإبحار إلى الشرق وكان ينفق على رحلته من قراءة أشعار كبار شعراء اليونان والإغريق للمسافرين عن ظهر قلب. ووصل استانبول وعمره ٢٢ سنة ومكث فيها حتى عام ١٨٦٢م ليتعلم التركية وعمل بتدريس اللغة الفرنسية للمثقفين الأتراك وصادق عددا من الشخصيات المهمة فى البلاط العثمانى وأطلق عليه اسم «رشيد أفندى». اختارته الأكاديمية الهنغارية للعلوم عضوا فيها وعمل مراسلا لها وتلقى منحة لاستكشاف أواسط آسيا. وهنا بدأ رحلاته المهمة التى كتب عنها وأصبحت سبب شهرته.

جاب تركيا وأواسط آسيا عام ١٨٦٢ قبل أن يحتلها قيصر روسيا. تنكر وانضم إلى حلقة دراويش عرف بالدرويش الأعرج. عبر الحدود إلى إيران هاربا من الأكراد ونجا من مجموعة من الذئاب ورافق الأرمن ومكث فى تبريز ليفهم المذهب الشيعى الذى بدا له غريبا عن المذهب السنى الذى درسه فى تركيا. عاصر الأعياد والأفراح المقامة بمناسبة اعتلاء ابن الشاه الأكبر «مظفر الدين ميرزا» العرش. وصل قزوين فى محرم فعايش احتفالات عاشوراء الإيرانية ووصف فى كتابه كل الغرائب التى رآها فى عاشوراء. غادر قزوين لمرافقة قافلة من الحجاج لخمسة شهور ولم يلحظ أحد أنه كان يهوديا فقد كان لا ينسى أبدا إقامة الصلوات الخمس. وشارك فى طقوس الوصول إلى قبر فاطمة المعصومة أهم معالم مدينة قم المقدسة لدى الشيعة.

وصل إلى شيراز ومدينة بخارى وسمرقند حظى بحفاوة بالغة باعتباره درويشا تركيا قادما من اسطنبول. لكنه فى مدينة هراة (فى أفغانستان اليوم)، أثار شكوك حاكمها الذى استبقاه ساعة للتأكد منه. فقد لاحظ أنه يضرب برجله مع إيقاع الموسيقى وهو أمر لم يكن مألوفا بين السكان هناك.

فغادرها «فامبيرى» فورا إلى القسطنطينية وترك جماعة الدراويش. نشر فى نفس العام (رحلاته فى آسيا الوسطى) معتمدا على مدوناته القليلة فقد كان حذرا جدا فى الكتابة وهو مع الدراويش.

عين أستاذا للغات الشرقية فى جامعة بودابست بهنغاريا ١٨٦٥ بالرغم من أنه لا يحمل شهادة جامعية. أسهم فى تأسيس الجمعية الجغرافية المجرية سنة ١٨٧٢. استقبله السلطان عبد الحميد باعتباره خبيرا فى الشئون الآسيوية عام ١٨٩٤. وهو ما لم يحدث من قبل لأحد. استطاع بصلاته الدخول للخزانة السلطانية واسترداد قطع أثرية ومصوغات ذهبية نادرة ومخطوطات أثرية مجرية، كان العثمانيون قد غنموها حين احتلوا المجر (هنغاريا) قبلها بثلاثة قرون. استخدمه المكتب السياسى للشئون الخارجية البريطانية جاسوسا مأجورا على روسيا.

هز الإمبراطورية العثمانية واستقال رئيس الوزراء سير جلادستون بعد أن وقف فامبيرى يخطب متهما الحكومة البريطانية بالتقاعس عن صد روسيا عن احتلال آسيا الوسطى. لكن الواقع أن بريطانيا رضخت لطموحات روسيا هناك مقابل موافقة روسيا أن تحتل بريطانيا أفغانستان. كتاباته شديدة الجاذبية ومفعمة بالتفاصيل الرائعة. أفرد لقبائل التركمان فصولا جميلة. تعرف وكتب عن قبائل القازاق والقيرغيز وأفراحهم وجنائزهم. له عدة كتب بينها: رحلاتى وانطباعاتى فى بلاد الفرس عام ١٨٦٤ و(تخطيطات عن آسيا الوسطى) عام ١٨٦٨ و(الإسلام فى القرن التاسع عشر) عام ١٨٧٥ والقاموس الاشتقاقى التركى ١٨٧٧ والقاموس التركى- الألمانى عام ١٨٥٨ وطبع فى اسطنبول. وغير ذلك كثير. توفى عام ١٩١٣.

آدم فايسهاوبت

أبو التنوير الأوروبى ومؤسس منظمة الأليوميناتى (المستنيرة) فى بافاريا بألمانيا عام ١٧٧٦ والتى يعتقد أنها البداية الفعلية للعلمانية. وقد عادت الأليوميناتية من جديد ويعتقد أنها تتحكم فى الشعوب اليوم. ولد «آدم فايسهاوبت» فى ١٧٤٨ وتعلم لدى الجزويت اليسوعيين الكاثوليك لكنه انشق عنها. والجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية متعصبة تنتشر فى أوروبا. دعا إلى حركة (التكميليين) بمساعدة أنصاره للوصول إلى (الأخلاق والفضيلة) وتشكيل العالم من جديد من الرجال (الأفاضل) للتصدى للشر! عمل بروفسورا للطبيعة والقانون (وكان القانون يسمى آنذاك بهذا الإسم أيضا Canon Law) وتميز بنظريته (الكونية) أو (الكوسموبوليتانية) ووقف ضد (تأليه) وتقديس رجال الدين والمبالغة فى الخضوع لهم. فكان هذا أول إرهاصات (التنوير) وبداية ما يسمى (الإليوميناتى).

لم يكن فى البداية منتميا للماسونية لكنه كان مؤمنا بمبادئها خاصة وأن المراحل الرابعة والخامسة والسادسة فى التطور التنويرى يعادل المراحل الثلاثة الأولى لدى الماسونيين. لقى التنظيم فى البداية شعبية كاسحة والتحق به أكثر من ألفى عضو من كبار الشخصيات الفكرية والسياسية، خاصة مع جهود البارون «فون كنيجه» الذى كان متدينا فاستطاع إقناع أعضاء من بلجيكا وفرنسا وهولندا والدانمارك والمجر وإيطاليا بالانضمام للتنظيم السرى. نادى «آدم فايسهاوبت» بالتحرر من سيطرة الكنيسة على العلوم والفلسفة وطالب بأن تكون هذه العلوم دنيوية ولا علاقة لها بالدين والكنيسة.

رأى أعداؤه ومناوئوه فى نظرياته تدميرا للكنيسة. كما لقيت دعوته لتنصيب (قسيس كونى) مقاومة واستنكارا وفهمت الدعوة على أنها دعوة للعلمانية بمعنى أن يكون رجل الدين (دنيويا) وقد نتج هذا بسبب ترجمة الكلمة من الألمانية وهى كلمة (فيلت) WELT التى تعنى (العالم) كما تعنى (الدنيا). نادى بالفضيلة حتى بدون اللجوء للدين وتبنى القيم الجمالية بدون ارتباطها بالكنيسة وبتحقيق السعادة عن طريق تحرير العقل من العلائق والغيبيات، وهو ما أدى فى النهاية إلى إقامة دعوى ضده وأبعد عن منصبه الجامعى وتم نفيه خارج البلاد عام ١٧٨٥ حتى مات عام ١٨١١م.

انهارت دعوة (التنوير الإليوميناتية) مع أواخر القرن الثامن عشر لكنها استنسخت من جديد عن طريق (الماسونيين) الذين أنكروها فى البداية ثم اعترفوا بها وقيل إنهم عملوا معها أيضا. وبالرغم من أن وثائق تاريخية تقلل من قدر هذه المنظمة السرية أيامها، فإن المؤرخين يعتبرونها البداية الفعلية لكل من أتى بعدها من منظمات تنويرية وعلمانية وحتى نضالية وطنية فى أوروبا. بينما تجعل منها (نظرية المؤامرة) الذراع القوى الذى يربط بين الماسونية والهيئة الثلاثية الكونية والصهيونية العالمية والشيوعية فى محاولة للسيطرة على العالم كله. ترك «آدم فايسهاوبت» كتبا بينها (صورة عن التنويرية) عام ١٧٨٦ و(تاريخ المنظمة الإليوميناتية فى بافاريا)، و(نظام الإليوميناتى) المتطور عام ١٧٨٧م بينما تحمل كل سير حياته كما كبيرا من المتناقضات بحيث يصعب تكوين فكرة واضحة عنه.

فرانشيسكو فرانكو

ديكتاتور اسبانيا لحوالى أربعين عاما وتسبب فى قيام الحرب الأهلية الإسبانية. وكان الحاكم الفعلى الأوحد لمعظم اسبانيا بعد نفى الملك. ولد فى (الـفيرول) فى ديسمبر عام ١٨٩٢. تخرج فى الأكاديمية العسكرية فى توليدو عام ١٩١٠. خدم فى الفيلق الثامن فى شمال المغرب فيما يسمى بمنطقة الريف عام ١٩١٣ وبالرغم من أنه كان ضئيل الجسم فإنه أبدى شجاعة وقوة دعت رؤساءه إلى ترقيته بسرعة.

ظل بعيدا عن السياسة حتى تم تكليفه بإخماد اضطرابات عمالية فى مناجم الفحم فى استوريا وكانوا يشكلون ما يشبه السوفيت الشيوعى وهو ما أقلق الحكومة فى أسبانيا وباقى الدول الأوروبية. أخمد «فرانكو» الاضطرابات بكثير من القوة والحزم والقسوة متعللا بأنها رغبة رؤسائه. وبدأ صيته ينتشر وحين تزوج من عائلة ثرية من تجار اسبانيا، أرسل الملك «ألفونس الثامن» مندوبا عن البلاد لتهنئته، مما عزز موقفه كثيرا.

وحين اتفقت اسبانيا وفرنسا على إرسال قوات مشتركة لقتال الثائر عبد الكريم الخطابى، كان «فرانكو» على رأس بعض القوات وكان آنذاك أصغر جنرال فى أوروبا يتولى قيادة عسكرية. وحين أصبح على رأس الأكاديمية العسكرية فى ساراجوسا، زار الأكاديميات العسكرية فى فرنسا وألمانيا فتعرف عن قرب على بدء ظهور النازيين القوميين.

كان البلاط الملكى قد وافق وللمرة الأولى منذ ستين عاما على إجراء انتخابات ديمقراطية فى اسبانيا لكن النتيجة كانت لصالح الجمهورية والجمهوريين واليساريين وحتى الشيوعيين. وكان الرأى أن يترك الملك البلاد خشية اندلاع الثورة والاضطرابات والعنف، وبعد رحيله إلى منفاه الإختيارى فى أبريل عام ١٩٣١ دعت الحكومة الصورية إلى انتخابات فكسب الاشتراكيون من جديد وتولى «زامورا» رئاسة الوزراء لكنه ضم فيها عددا من القوميين المحافظين.

أصبح «فرانكو» قائد القوميين ضد الجمهوريين والجبهة الشعبية التى تشكلت فى وجه القوميين. وحين تسلم قيادة الجيش قاد انقلابا ضدهم مع الجنرال «مولا» فى الشمال والجنرال «كيبو دى يانو» فى الأندلس وكان قد أخمد الاضطرابات فى جزر الكنارى حيث ظل حاكما لمدة ١٧ سنة. وأعلن نفسه حاكما للدولة فقامت الثورات ضده ودخلت البلاد فى حرب أهلية عرفت فى التاريخ بالحرب الأهلية الإسبانية التى ارتكبت فيها شتى أنواع الفظاعات.

أثبت «فرانكو» أنه رجل المرحلة حين حارب اليساريين والجمهوريين بمنتهى القسوة والعنف حتى راح ضحية الحرب حوالى ٨٠٠ ألف ويقال مليون من الاسبان. اعترفت به بعدها فرنسا ثم بريطانيا حاكما عاما على اسبانيا بالرغم من قسوته، لكنه كان فى نظر أوروبا (حائط الصد) ضد انتشار الشيوعية فى أوروبا ثم اعترفت به أمريكا فى أبريل عام ١٩٣٩ بعد انتهاء الحرب التى استمرت ثلاث سنوات والتى خلدها كثير من الفنانين فى أفلامهم ورسوماتهم وأشهرهم «بيكاسو» فى لوحته (الجورنيكا)..

فى يوليو من عام ١٩٤٧ صدر قانون يجعل «فرانكو» حاكما على اسبانيا مدى الحياة وقامت احتجاجات من الطلبة وجبهات المعارضة والكنيسة الكاثوليكية والانفصاليين فى إقليم الباسك الشمالى. لكن «فرانكو» استمر، بل وزاره أيام الحرب الباردة «فوستر دالاس» وزير الخارجية الأمريكى، وبالرغم من أن «فرانكو» أعلن الحياد فى الحرب العالمية الثانية ولم يقف مع هتلر الذى ساعده فى انقلابه العسكرى ولا مع موسولينى فى إيطاليا ولا مع الحلفاء، فقد كان شديد الحذر وهو ما جعله يستمر ولم يسقط نظامه كما سقط النازيون والفاشيون.

شخصيات صنعت التاريخ

شكل «فرانكو» حزب الفالانج أو الكتائب الذى حكم من خلاله. (ويقال إن بيير الجميل فى لبنان حاول تقليده فكون حزب الكتائب المعروف).

عرف عصره «فرانكو» باضطهاد الأدباء والشعراء والمفكرين والمثقفين والفنانين إلى حد كبير. بل كانت أكبر جرائمه التى لم يستطع غسل يديه منها طيلة فترة حكمه الطويلة هى قتل الشاعر الإسبانى الرائع «لوركا»!

توفى «فرانشيسكو فرانكو» عام ١٩٧٥. وعاد الأمير «خوان كارلوس» إلى عرشه ليحكم البلاد من جديد. وقد أزيل فى أول القرن الواحد والعشرين، آخر تماثيله التى كانت تملأ شوارع مدن اسبانيا.

فرسان مالطة

فرسان لدولة اعتبارية ولكن ليس لها شعب وليس لها سكان وليس لها أرض وليس لها حدود.

وهى تضم فى عضويتها كثيرا من الزعماء والرؤساء والمسئولين ومعترف بها ديبلوماسيا من أكثر من ١٤٠ دولة ولها رئيس يسمى (جراند ماستر) وهو اليوم رقم ٧٨ فى تاريخها.

وكانت فى الماضى تنظيما صليبيا مسلحا شديد الخطورة فى التاريخ ولقرون طويلة.

البداية قد تعود إلى عام ٦٠٠م حين أرسل البابا جريجورى العظيم، طبيب الكنيسة لإنشاء مستشفى فى أورشليم (بيت المقدس) عرف باسم (مستشفى القديس يوحنا الأورشليمى) وفى عام ٨٠٠ م قام الامبراطور «شارلمان» بتوسيعها وأضاف إليها مكتبة وبعد حوالى ٢٠٠ سنة قام الحاكم بأمر الله الفاطمى بهدمها بعد أن ارتاب فى استخداماتها وكانت مناطق القدس حول كنيسة القيامة تتبع الإدارة المصرية.

أنشأ بعدها تجار من (أما لفى) الإيطالية استراحة لفقراء الحجاج على حسابهم تمجيدا للرب بعد إذن من مصر وبنى البيمارستان (المستشفى) قرب كنيسة القيامة فى بيت المقدس وأطلق عليهم اسم (الهوسبيتاليين) أى المضيفين.

فى عام استيلاء الصليبيين على القدس ١٠٩٩م أنشأ رئيس المستشفى «جيرار دى مارتينيز» تنظيما منفصلا أسماه (رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا) لتقديم مساعدات خاصة للصليبيين ثم تحول إلى تنظيم عسكرى مسلح بمباركة البابا «إينوسينت الثانى» عام ١١٣٠م لمساعدة الحملات الصليبية وكان ملوك أوروبا يمولونهم.

خشى الفرسان تنامى القوى العسكرية الإسلامية فأنشأوا قلاعا وحصونا كثيرة كان بينها (كراك دى شيفالييه) المعروفة باسم (قلعة الحصن) الشهيرة شمال سوريا واعتبروها (آية فى

العبقرية المعمارية الحربية) والتى أخرجهم منها الظاهر بيبرس بعد حصارهم فخرجوا منها إلى قبرص ثم صقلية.

حاربهم صلاح الدين الأيوبى فى القرن الثانى عشر حتى أنقذهم البابا فبدأوا بناء أسطول لهم وأصبحوا القوة العسكرية المسيحية الوحيدة للدفاع عن العقيدة ضد المسلمين فى الشرق بعد أن رضخ لهم فرسان المعبد (فرسان الهيكل) وانضموا إليهم، ونشأ لقب (الجراند ماستر) أو (السيد الأعظم) الذى بنى قصرا لنفسه باعتباره الزعيم. وحين احتلوا «رودس» من المسلمين، أطلق عليهم اسم (فرسان رودس) لكن المماليك طردوهم منها.

شن العثمانيون عليهم حروبا ضارية فى البحر وهاجموهم بأسطول حديث وقراصنة بحريين متمرسين لهم شهرة فى التاريخ وجيش من ١٤٠ ألف عسكرى وهزموا رئيسهم «فيليب ليل آدم» فى عهد السلطان «سليمان الثانى» عام ١٥٢٢ الذى حفظ حياتهم وأعارهم سفنه باعتراف المؤرخين الغربيين، ليرحلوا إلى أوروبا حتى منحهم الملك الاسبانى «كارلوس الخامس» السيادة على مالطة فى مارس عام ١٥٣٠ مقابل القيام بعمليات عسكرية لصد الغارات البحرية الإسلامية العثمانية والمملوكية كما تم منحهم عدة جزر منها «جوزو» التى أخرجهم منها العثمانيون فيما بعد.

احتل الفرسان (برقة) فى ليبيا عام ١٥١٠ تقريبا فقطعوا خطوط الإمدادات عن العثمانيين فى البحر لكن المماليك أخرجوهم منها، وفى نفس العام احتلت قوة اسبانية مدينة طرابلس فظلت تحت تصرف الفرسان الذين أصبح اسمهم (فرسان مالطا). وصدق البابا «كليمنت السادس» على (النظام السيادى لفرسان مالطة) فى ٢٦ أكتوبر من عام ١٥٣٠ وأصبحت مالطة وطنهم الاعتبارى. ودافع رئيسهم «جان دى لافاليت» عنه أمام الأتراك العثمانيين وبنى مدينة «فاليتا» نسبة إلى اسمه ومازالت حتى اليوم عاصمة لمالطة. وكونوا ثروة ضخمة من أعمال القرصنة فى البحار. وفى أيام لويس الرابع عشر الفرنسى تم التنازل لهم عام ١٦٥٢ عن مجموعة جزر فى الانتيل الفرنسية لكنهم تنازلوا عنها لشركة فرنسية مقابل عدم التعرض لهم. وظلوا فى روما تحت حماية الدولة الرومانية والكرسى الرسولى وفرنسا واسبانيا وانتشر سفراؤهم فى دول عديدة.

نابليون بونابرت هو الذى طردهم من مالطة عام ١٧٩٨ أثناء إعداده لحملته على مصر. وحين استولى الأدميرال الإنجليزى نيلسون على مالطة فى حروبه مع نابليون، عادت الجزيرة للفرسان عام ١٨٠٢ لكنهم رفضوا السلطة البريطانية عليها فتفرقوا وتوجه عدد منهم إلى سان بطرسبرج فى روسيا وخضعوا (وهم الكاثوليك) للسلطة الأرثوذكسية.

ظل بعض الفرسان فى فرنسا يحاول إحياء التنظيم بينما توجه عدد منهم إلى الولايات المتحدة الاميركية التى كانت تقود حربها الأهلية بين الشمال والجنوب وتعاونوا معهم وعرفوا هناك باسم (فرسان الصليب الأبيض) وأصبح رمز (رهبان القديس يوحنا المقدسى) هو (صليب أبيض معلق بحبل أسود). وافتتحوا أول جمعية لهم فى أمريكا عام ١٩٢٦م ولهم فيها اليوم أكبر ثلاثة مؤسسات

من نوعها فى العالم ويوجد مقرهم الفيدرالى فى واشنطن فى (دى- سى) حيث يوجد البيت الأبيض كما يوجد الآن ما سمى (المنظمةالأمريكية الوطنية) فى نيويورك و(المنظمة الغربية) فى كاليفورنيا. وتعاونوا مع المنظمة العنصرية الشهيرة «كوكلوس كلان» التى كانت تدافع عن الكاثوليكية وسيادة الرجل الأبيض ومنع المساواة مع السود.

فى الكتب المتعلقة بالقانون الدولى تضاربت الآراء حول وضع هذا الكيان. فالبعض يعتبره مجرد (منظمة سيادية) والبعض يراها (دولة بلا أرض) فمقرهم فى روما لا تزيد مساحته على ٦ آلاف م٢ لكن توسعاتها شاسعة فى الخارج! ولها وضع (المراقب) فى الأمم المتحدة.

فى القرن العشرين عاد تنظيم (فرسان مالطة) إلى نشاطه الأصلى وانتشر عبر البعثات التبشيرية الإنسانية خاصة فى الحربين العالميتين، الأولى والثانية. وجاء بعدها بيان روما عام ١٩٥٣ ليؤكد على أن (التنظيم له مقومات سيادية وظيفية).

ويقول خبراء: إن نشاط «الفرسان» الخيرى المدعوم من دول عظمى مثل أمريكا أعطى لهم صفة الشرعية فى الدول الأخرى. لكن المؤرخين الجدد يؤكدون أن التنظيم يسيطر على أعضائه البالغ عددهم أكثر من نصف مليون فى أنحاء الأرض. وهناك دلائل على أن (فرسان مالطا) يمارسون عقيدتهم الصليبية بعملياتهم العسكرية اليوم بالأجر عن طريق شركات خاصة للقتال والأمن مثل (بلاك ووتر) فى العراق.

فريد الدين العطار

من كبار شعراء الفرس فى التصوف فى القرن الثانى عشر. له كتابه (منطق الطير) الذى طبقت شهرته الآفاق. هو «الشيخ محمد بن أبى بكر إبراهيم بن إسحق». ولد حوالى العام ١١٤٢م فى نيسابور أو فى همذان، على الأرجح. كان والده عطارا يمتهن الطب والصيدلة وبيع الأدوية. وقيل إن «فريد الدين» تتلمذ على يد الحكيم «مجد الدين البغدادى»، الذى كان الطبيب الخاص بالسلطان «محمد خوارزم شاه» ومن كبار رجال التصوف.

عاش «فريد الدين العطار» بعيدا عن الحاشية والسلطان وكان يكره الصخب وحياة القصور، مما أحاط شخصيته بكثير من الغموض. حيكت حوله الأساطير ولا يعرف أحد كيف اتجه إلى التصوف.

لكن المعروف أنه كان يعد نفسه من (ساكنى طريق الحقيقة)، مما دعاه إلى الاستغناء الكامل عن أى أحد سوى الله تعالى، ولم يعد به شوق إلا (لمشاهدة جمال الحق وكماله والتغنى فيه). فلم يكن يعبأ بالملوك والأمراء، وكان يقول (يكفينى مالدى من خبز، فقد أصبح غنى القلب زادى) كان يحب مهنته

ويرتزق منها، وهو ما جعله يكره التكسب من شعره، الذى أراده خالصا لله. نقلت بعض المصادر أنه كان من مريدى الشيخ «نجم الدين الكبرى»، الذى أسس الطريقة الكبروية أو الذهنية والذى اعتبرت مؤلفاته مرجعا لدراسة الحركة الفلسفية فى القرن الثالث عشر ومنها (الأصول العشرة).

لكن المؤرخين يعتقدون أن الكتاب الذى نسب إلى «فريد الدين العطار» وهو (مظهر الصفات) والذى تحدث فيه عن «الكبرى» لم يكن من تأليفه، وإنما كان كتابه (تذكرة الأولياء) هو الذى حكى فيه عن علاقته بسلطان العاشقين (مجد الدين البغدادى) والذى أخذ عنه (خرقة التصوف). حاول العطار تجنب الفلسفة ما أمكن، وقد تأثر بحجة الإسلام «أبى حامد الغزالى» لكنه اعتنق نظرية (وحدة الوجود) وفكرة (الاتحاد مع الحق والفناء فيه) وهو ما عرضه لمحاولات لقتله.

كان غزير الإنتاج بشكل مذهل وبلغ مجموع أبياته الشعرية حوالى ٤٥ ألف بيت من الشعر حتى قال (لقد جعلنى حماس الحب ثرثارا). قورن كثيرا بالشاعر مولانا (جلال الدين الرومى) وكتابه (المثنوى)، فقيل إن (الفرق بين العطار والمولوى، أن المولوى صقر وصل فى طرفة عين من الطريقة إلى الحقيقة بينما كان العطار نملة قطعت الطريق بتأن فوقفت على كل أجزاء الحقيقة).

ترك العطار كتبا شعرية كثيرة بينها: (إلهى نامه- مصيبت نامه- أسرار نامه- خسرو نامه- مختار نامه) لكن أهمها وأشهرها وأجملها (منطق الطير). وهو مثنوى خاص به، وصف بأنه (تاج المثنويات).

والمثنوى هو ما يطلق عليه (المزدوج) باللغة العربية، ويعتمد على توحيد القافية بين شطرى كل بيت من أبيات المنظومة، مختلفة عن قافية البيت الذى يليه، وبهذا يكون لكل بيت قافيته المستقلة، فتتحرر القصيدة من القافية الواحدة. وهو ما مكن الشعر الفارسى من نظم الملاحم الطويلة.

و«مثنوى العطار» منظومة رمزية من ٤٤٥٨ بيتا، يبين فيه طبيعة الوجود والوصول إلى المرشد والهادى. وفيه تجتمع الطيور لتقوم برحلة للوصول إلى (طائر الحقيقة المطلقة) وهو (سى مرغ) بالفارسية وترجمه العرب إلى (العنقاء) حيث الوصول شبه مستحيل إلا بكثير من الصبر والتعب والشوق! وترجم أيضا بطائر (الفينيق) المعروف فى الأساطير. لكن (سيمرغ) الفارسية تعنى (الثلاثين طيرا)، وهو عدد الطيور التى تابعت الرحلة بعد تراجع وانسحاب كثير منها بينها الطاووس الذى وقع ضحية كبره وتبختره كما اختارت البطة حبها للماء عن أى حب سواه. وكان البلبل هو الذى بدأ التراجع (حيث إنه غارق فى حب الأزهار ويكتفى بهذا الحب، وحاول الهدهد إقناع الطيور المنسحبة بالعدول عن تراجعها، وأن (من يريد لقاء الحبيب لابد له من الانفصال عن كل ما يحب)! فعلمها سبل الوصول إلى الملك بالحب ثم بالاستغناء فالتوحيد فالحيرة ثم الفقر إليه وحده وبعده الفناء فيه، وهى سبل المتصوفة للوصول إلى الحق تعالى. وجاء أسلوب العطار فى تعليم الطيور شديد الجمال والحنان والإقناع: (إننى غريق نارى، فلا تلمنى- إن كففت عن الكلام، أحترق).

يرى النقاد أنه كان يريد أن يعارض كتاب (رسالة الطير) التى دونها «ابن سينا» أو أنه تأثر بـ (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى. ويرجح أنه مات مقتولا بسبب هذه النظرية بعد أن عاش طويلا.

فقير إيبى

مناضل باشتونى دوخ الامبراطورية البريطانية العظمى فى منطقة القبائل شمال غرب باكستان وشرق أفغانستان المعروفة باسم وزيرستان. اسمه الحقيقى «ميرزا على خان» وكان أتباعه ينادونه بـ (حاجى صاحب) تكريما له وهو وصف يطلق على من حج البيت الحرام. لا يعرف زمن مولده على وجه الدقة ويرجح أنه بين عامى ١٨٩٢ و١٨٩٧ فى البنجال فى قبيلة شانكاى خايل شمال وزيرستان كما تقول بعض المصادر. كان أبوه رجلا متدينا يسمى «أرصلا خان».

التحق ميرزا على خان بالمدارس الدينية الواقعة على الجانب الآخر من مناطق السيطرة البريطانية فى مكان بالقرب من جلال آباد فى أفغانستان اليوم. أصبح (مريدا)، وهى رتبة فى التعليم الدينى الصوفى، لنقيب العلماء «شاهار باغ» وكان آنذاك أشهر وأكبر زعيم دينى فى أفغانستان وأكثرهم نفوذا. فى عام ١٩٢٣ حج ميرزا الذى أصبح اسمه (الفقير) وهى رتبة أعلى، ولما عاد استقر فى قرية إيبى وعرف باسمها (فقير إيبى) ورابط بالقرب من الجيش البريطانى فى طريق يربط بين بانو وبين راجماك وذاع صيته كولى له كرامات.

لم يلفت انتباه البريطانيين حتى كان مارس من عام ١٩٦٣ الذى سجل تحولا فى حياته بسبب فتاة عرفت باسم (بيبى إسلام) واسمها الحقيقى رام كورى وعمرها ١٥ سنة وهى هندوسية زفت إلى مدرس باشتونى مسلم. واتهم الحاكم المحلى والسلطات البريطانية المدرس المسلم بخطفها واغوائها.

حدثت مواجهات عنيفة حتى كان اليوم التالى حيث حملت الفتاة أمام مجلس (الجيرجا) من كلا الطرفين المتخاصمين واقرت بنفسها أنها هى التى لجأت إلى المدرس للزواج منه برغبتها. لكن المدرس لم يستطع إثبات شرعية زواجها فسجن عامين. أثار الحادث غضب المسلمين لتدخل البريطانيين فيه خاصة من قبيلة إيبى التى يرابط فيها الشيخ الفقير فصمم على تشكيل متطوعين لمقاومة البريطانيين واخراجهم.

بدأ نصب الكمائن لهم وقطع الطرق عليهم فأرسل البريطانيون قواتهم المسلحة تسليحا حديثا وبالتقنية العالية من مدافع وطائرات وأسلحة نارية وقيل إنه تجمع حوالى ٤٠ ألفا من جنودهم، بينما كان هو يقاتل بأقل من ألف رجل وبأسلحة بدائية وبنادق تقليدية ومدفع قديم وكانوا يهدمون البيوت على أصحابها وكان بيته منها، كما يقتلون ويعتقلون ولم يتمكنوا من هزيمته فكان صراعا جبارا بحق. حاول الألمان والإيطاليون استقطابه معهم ضد البريطانيين فى الحرب العالمية الثانية لكن دخول الاتحاد السوفيتى الحرب حال دون تغلغل الألمان فى منطقة القبائل وفى نوفمبر من عام ١٩٥٤ استسلم القائد ميهار لحاكم بانو مما جعل وزيرستان تقع فى قبضة الحاكم وأعلنت تابعة لباكستان.

ظل يقاوم حتى بعد تشكيل دولة باكستان وانسحاب بريطانيا فقد رفض تبعية وزيرستان لباكستان. مات عام ١٩٦٠ مريضا بالربو حتى لم يكن يستطيع الحركة فى أواخر أيامه. لكنه ظل رمزا حتى فى الكتب البريطانية والموسوعات. وحين توفى كتبت مجلة التايم الأمريكية فى ٢٠ أبريل من عام ١٩٦٠ تصفه بأنه (كان خصما شريفا) وأنه كان (رجل مبادئ وكريما وله عقلية شديدة التنظيم).

ألكسندر فلمنج

مكتشف البنسلين. عالم اسكوتلاندى. ولد فى مزرعة لوخفيد فى دارفيل باسكوتلاندا عام ١٨٨١. مات أبوه وهو فى السابعة من عمره. اضطر إلى العمل كاتبا فى مكتب سفريات. التحق بمدرسة فى لندن. وحين ورث بعض المال من أحد أعمامه اقترح عليه أخوه الفيزيائى العمل معه فى نفس المجال. أثناء خدمته فى الجيش عمل مساعدا لأحد كبار علماء الجراثيم واهتم بالتعقيم لمداواة جروح الجنود فى الحرب العالمية الأولى خشية العدو.

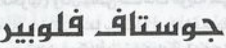
حين خدم على الجبهة الفرنسية، لاحظ وفاة عدد كبير من الجنود المصابين نتيجة التهاب الجروح، الذى كان يتفاقم بالمضادات التى كانت تقتل جهاز المناعة. عاد إلى لندن وعمل على أبحاثه فاشتق مادة سماها (ليسوزيم) من السوائل التى يفرزها الجسم وتعرف بمقاومتها للجراثيم كاللعاب والعرق والدموع وبعض فصائل الدم.

اكتشف (البنسلين) عام ١٩٢٨ أى (العقار المشتق من العفن) حين كان يعمل على فيروس الأنفلونزا، فلاحظ أن الجراثيم المعملية المعرضة للهواء أفرزت مادة حولها من العفن! نشر أبحاثه عام ١٩٢٩. وظل الاكتشاف مهملا عشر سنوات حتى اطلع عليه اثنان من الباحثين البريطانيين من أكسفورد هما «هوارد فلورى» و«إرنست تشين» وأجريا التجارب على حيوانات المعمل ثم على الإنسان عام ١٩٤١ بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث تسابقت أمريكا وبريطانيا على إنتاجه بكميات ضخمة لعلاج جنودهما. ثم طرح فى الأسواق بعد انتهاء الحرب.

لم ينجح حتى اليوم عقار آخر فى أن يحل محل البنسلين، الذى يستخدم فى معظم الأغراض الطبية. فهو يعالج الزهرى والحمى القرمزية والدفتريا والالتهاب الرئوى وتسمم الدم والسل والتهاب المفاصل. كان ألكسندرفلمنج هادئا فى حياته.

أصبح عضوا فى الجمعية الملكية البريطانية وحاز لقب الفارس عام ١٩٤٤ وفاز عام ١٩٤٥بجائزة نوبل بمشاركة العالمين «فلورى» و«تشين». حاز على جوائز عديدة ولقى الكثير من التكريم وترك أبحاثا غاية فى الأهمية فى مجال البكتريا والمناعة وتوفى عام ١٩٥٥.





جوستاف فلوبير

من أشهر الروائيين الفرنسيين فى القرن التاسع عشر وأشدهم تأثيرا. كان ينتمى إلى المدرسة الواقعية والطبيعية. عرف بروايته الأشهر (مدام بوفارى) وبرحلته إلى المشرق ومصر وتسلقه الهرم الأكبر. ولد عام ١٨٢١ فى النورماندى الفرنسية فى عائلة برجوازية غنية لأب كان من كبار الجراحين. لكن «جوستاف فلوبير» كان يمقت المجتمع البورجوازى منذ صغره. طرد من المدرسة فأتم تعليمه فى المنزل. بدأ الكتابة الأدبية وعمره ١١سنة. درس القانون فى باريس التى كان يفضل الريف عليها. سافر إلى كورسيكا وكان يقضى أيامه مع أحلام اليقظة. وكانت تغلب عليه الكآبة دائما. لم ينجح فى امتحان القانون فكرس نفسه للأدب. تعرف باكرا إلى الشاعرة «لويز كوليت» وكانت تكبره كثيرا. وقضى معها فترة تكاد تكون الفترة العاطفية الحميمة الوحيدة فى حياته. توفى والده فتعرض لإجهاد نفسى كبير وقيل إنه أصيب بمرض يرجح أنه (الصرع). وبعد مكاشفته به تغيرت حياته تماما. كتب للأديبة «جورج صاند» (كنت خائفا من الحياة ذاتها)!

ظل يعيش مع أمه وابنة أخته (كارولين) حتى بلغ الخمسين من عمره. وكان عليه التصرف كالبرجوازيين على رغم أن ذلك لم يكن يعجبه! شهد الثورة عام ١٨٤٨ ونال نوط الشرف من نابليون الثالث. فى نوفمبر من عام ١٨٤٩ بدأ رحلته الشهيرة إلى المشرق. زار سوريا وتركيا واليونان وإيطاليا. سافر إلى شمال إفريقيا وقضى فترة فى مصر وسافر عبر النيل. فى (رسائل من الشرق) وصف المراكب الشراعية على صفحة النيل والناس والطيور على الأهرامات. كما أفرد فصلا كاملا لراقصة كانت تسمى (كشك هانم). وصف جملا نافقا فى الصحراء. وقيل إنه استعان بأدلاء مصريين ليتسلق هرم خوفو! فقد كان بدينا جدا.

عاد «جوستاف فلوبير» من مصر ليكتب روايته «مدام بوفارى»، التى استهلكت منه جهدا أكثر من ست سنوات، وقد نشرت بداية فى (ريفيو دى بارى). تعرض بسببها إلى هجوم عنيف من الحكومة وهرب من تنفيذ حكم بالسجن. فقد اتهمت بتجاوزها القيم والأخلاق العامة، لكن موهبته الرائعة تجلت فيها وكذلك أسلوبه الذى يتنقل بين اللغة الصامتة واللغة الصاخبة، مع تميز بدقة العبارة وبلاغتها. وكان يتعاطف كثيرا مع بطلة الرواية حتى إنه كان يقول: (مدام بوفارى هى أنا).

فى السيتينات من القرن التاسع عشر حصل «جوستاف فلوبير» على شهرة جامحة ككاتب ومفكر فى بلاط نابليون الثالث وكان من أصدقائه «اميل زولا» والكاتبة «جورج صاند» والكاتب الروسى «تورجينييف» الذى كان يراسله وقد صدرت مراسلاتهما بالانجليزية عام ١٩٨٥ وتعتبر مع رسائله إلى الأديبة كوليت، من أجمل التراث الأدبى الفرنسى وأجمل ما ترك «فلوبير».

كان «فلوبير» مصابا بالكآبة (الملانخوليا) وكان يقضى ساعات طويلة على مكتبه مع زجاجات الحبر. وكان ميالا للمجون فى علاقاته بلا عواطف، مما سبب له أمراضا معدية. فى سبعينات القرن التاسع عشر اتجه فى أسلوبه إلى المدرسة الطبيعية الأدبية ليترك أسلوبه على سجيته دون نقد أو تحكم. وكان أهم ما كتب فى هذه الفترة «سالامبو» عام ١٨٦٢ الذى يعتبر ثانى أهم رواياته على الاطلاق. ويحكى «سقوط قرطاجة» الفينيقية فى القرن الثالث قبل الميلاد. احتلت قوات بروسيا منزله أثناء الحرب بينها وبين فرنسا عام ١٨٧٠ وعانى فيما بعد فشل مسرحيته «المرشح» عام ١٨٧٤ فأثر ذلك فيه كثيرا وسقط فى ضائقة مالية وشاخ بعدها بسرعة عام ١٨٧٠ وتوفى عام ١٨٨٠.

كان «جوستاف فلوبير» موهوبا، خجولا، حساسا بدرجة عالية كما كان متكبرا. ومن أهم ما ترك: (قاموس الأفكار القادمة) و(حكاية سانت جوليان) و(القلب البسط) و(ثلاث قصص قصيرة) لكنه كان يعتبر (بوفار وبيكوشيه) أروع أعماله وإن لم يكملها، وقد طبعت عام ١٩١١.

جول فيرن

كاتب فرنسى من القرن التاسع عشر، صاحب أهم كتب الخيال العلمى وهو (حول العالم فى ٨٠ يوما) وقد حققت آنذاك (عولمة أدبية) غير مسبوقة وألهمت عددا غير قليل من الأدباء والكتّاب فيما بعد. ولد فى فبراير عام ١٨٢٨ فى (نانت) بفرنسا لأب غنى يعمل فى المحاماة ويمتلك عددا من السفن. كان «جول» يمتلك خيالا جامحا ويروى أنه أبحر وحده إلى الهند دون علم والده الذى تمكن بصعوبة من العثور عليه وإعادته، واعترف الصغير أنه أراد أن يحضر من الهند عقدا من المرجان ليهديه إلى الفتاة الصغيرة قريبته والتى كان يحبها!!

ويحكى أن والده شدد الرقابة عليه خشية أن يكرر الرحلة! درس اللغة والفلسفة ثم التحق بمدرسة الحقوق بناء على رغبة والده، لكنه رفض العمل بالمحاماة وفضل كتابة الشعر والدراما الشعرية كما اهتم بالمسرح إعجابا بالأديب الفرنسى الكبير «ألكسندر دوماس». وكان «دوماس» قد وافق على عرض مسرحية لجول فيرن عام ١٨٥٠ مرتين. كان يحب القراءة وكان يتردد كثيرا على المكتبة الوطنية بباريس وكان مغرما بالروايات الخيالية والاكتشافات العلمية. وحين عمل سكرتيرا فى مسرح الشعر (تياتر لوريك) كتب بعضا من أهم كتبه مثل (قصور كاليفورنيا) و(مارتين باز).

كان «جول فيرن» محبا للموسيقى فكتب بمشاركة مع صديقيه «كارى ميشيل» والموسيقى «اريستيد اينارد» أوبرت عرضت عام ١٨٥٣. ولاقت نجاحا استدعى عرضها أربعين مرة.

نشر كتابه الشهير (خمسة أسابيع فى منطاد) عام ١٨٦٣ ولاقى إقبالا شديدا من قبل الفرنسيين. اعتزل عمله كعامل مصرفى وبدأ الكتابة الملتزمة فى المجلات بخاصة المجلات الشبابية، وتفرغ للرحلات الاستكشافية لفترة زادت على الأربعين عاما ونشرت فى ٥٤ كتابا فى عام ١٨٦٣. وخصص العام الذى تلاه تحقيقا لأعمال «إدجار آلان بو» ونشر بعدها (مغامرات الكابتن أتورا). و(رحلة إلى مركز الأرض) ثم أبحر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فألهمته الرحلة الطويلة كتابة (رواية المدينة العائمة) فى عام ١٨٧٠. اشترى بعدها سفينة باسم (سان ميشيل) عام ١٨٦٨.

لم يتوقف عن الكتابة حين نشبت حرب ١٨٧٠ وانتقل إلى مدينة آميان مسقط رأس زوجته عام ١٨٧٢ ونشر آنذاك (حول العالم فى ثمانين يوم) أشهر أعماله على الإطلاق واشترى بمكاسبها سفينته الثانية باسم (سان ميشيل٢) فى عام ١٨٧٤. كان صديقه «Nadar» ملهما لشخصية «ميشيل أردان»، بطلة روايتيه (من الأرض إلى القمر) و(حول القمر).

أبحر جول فيرن بعدها عام ١٨٧٨ من ليشبونة بالبرتغال إلى الجزائر على متن سفينته الثالثة باسم (سان ميشيل ٣) ومن الجزائر إلى اسكوتلاندا فالنرويج ثم آيرلندا عام ١٨٨٠. بعدها قام برحلة فى كل البحر الأبيض المتوسط ترافقه زوجته عام ١٨٨٤.

كان «جول فيرن» مطمع بعض أفراد عائلته. فقد أطلق الرصاص عليه ابن أخ له طالبا مالا، وأصيب فى ساقه مما أدى إلى عجز فى ساقه ولم يمنع هذا العجز من أن ينتخب عضوا فى المجلس البلدى كيسارى، وظل فى المجلس حوالى خمس عشرة سنة أصيب بعدها بالمياه الزرقاء فى عينيه مما خفف كثيرا من قوة إبصاره، وبالرغم من ذلك فقد ترأس جماعة (الاسبرانتو) فى (أميان)، وهى اللغة التى أرادها بعض المفكرين أن تكون لغة عالمية وكان من أشد المدافعين عنها.

توفى فى مارس من عام ١٩٠٥ بعد إصابته بمرض السكر فى منزله بقلعة (لونج فيل) وتسمى اليوم بـ (قلعة جول فيرن) نسبة إليه. ترك عددا كبيرا جدا من الكتب ولم تنشر كلها فى حياته. لكن ابنه «ميشيل فيرن» التزم بنشر المخطوطات التى تركها والده وطبع الكثير منها بعد وفاته.

من أهم أعماله: (باريس فى القرن العشرين) عام ١٨٦٠ و(عشرون فرسخا تحت البحار) عام ١٨٦٩، و(مغامرات ثلاثة رجال إنجليز وثلاثة روس فى جنوب أفريقيا) عام ١٨٧٠م. و(المدينة العائمة) عام ١٨٧١ و(الهند السوداء) عام ١٨٧٦. ومن أواخر أعماله: (مطاردة النيزك) عام ١٩٠١، و(سيد العالم) عام ١٩٠٢- ١٩٠٣م. كما كتب قصصا قصيرة منها (دكتور أوكس) عام ١٨٧٤، و(آدم الخالد) عام ١٩١٠م.

ولايزال عدد كبير من أعماله ملهما للسينما والمسرح والتليفزيون كما يعتبر (محفزا) قويا للعلماء لاختبار مدى ما يمكن أن يتحقق على أرض الواقع من هذا الخيال.. العلمى!



قانصوه الغورى

من أواخر سلاطين المماليك البرجية (الشركسية) الذين حكموا مصر والشام وتركوا آثارا فيها. هو «الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بيبردى الغورى» وهو الملك السادس والأربعون بين سلاطين وملوك المماليك بالديار المصرية وهو الملك العشرون من ملوك الجراكسة. ولد عام ١٤٤٦ من أصل جركسى وكان من مماليك «الأشرف قايتباى» الذى أعتقه وضمه إلى الحرس ثم عينه كشافا بالوجه القبلى وجعله على إمرة عشرة وخرج فى الحملات التى كانت تسمى (التجاريد) العسكرية خاصة إلى حلب بالشام.

تولى نيابة طرطوس على الساحل السورى ثم عين حاجبا بحلب. ترقى فى عهد الملك الناصر «محمد بن قايتباى» فجعله على إمرة ألف عسكرى (وهى رتبة عسكرية) ثم ترقى إلى دوادار (قائد) كبير وعين وزيرا فى زمن «الأشرف جنبلاط». وفى عام ١٥٠١/ ٩٠٦هـ أصبح ملكا على مصر وحضر القضاة والولى العباسى «المستمسك بالله» يعقوب وبايعوه بالسلطة وأجلسوه على العرش وسط دقات الطبول.

كان «قانصوه الغورى» قد أظهر رفضه لتولى الحكم قائلا إنه ليس بأفضل من باقى المماليك وكان فى الواقع يخشى تآمرهم عليه وقتله. فقد كان يدرك أنهم لا يرون فيه الأفضل لتولى العرش فاشترط عليهم أن يخلعوه إذا رفضوه وألا يقتلوه. وكان المماليك يرون فيه سلطانا ضعيفا يستطيعون تحت حكمه التصرف الكامل فى البلاد دون اعتراض منه.

لكن قانصوه الغورى استمر فى الحكم ١٥ سنة أثبت فيها أنه الأكثر دهاء وحكمة وقوة. فقد تساهل مع الأمراء المماليك حتى النهاية ثم انقض عليهم بعد أن تربص بهم واحدا بعد الآخر، فقمعهم بشدة ثم قضى عليهم وأباد معظمهم. وبقى وحده الحاكم فى البلاد دون معارضة بينما ظل الباقون القلائل فى مواقعهم فى انتظار الإطاحة به لكن عددهم لم يكن ليسمح بالانقلاب عليه.

ذكر بعض المؤرخين من خصومه أن عهده بعد ذلك كان عهد استبداد وظلم! وأن الفساد انتشر فى البلاد والنهب والسلب من قبل أعوانه.

خاض معركة «مرج دابق» شمال حلب بسوريا عام ١٥١٧م/ ٩٢٣هـ وكانت آخر المعارك بين المماليك والعثمانيين الذين كان يقودهم «سليم الأول» وقتل فيها «قانصوه الغورى» بخيانة بعض المقربين إليه. وقد قطع القتلة رأسه وأخفوها حتى لا يعثر عليها جنود سليم الأول فيدورون بها فى البلاد. وقد عثر على رأسه بعد انتهاء المعركة التى أنهت سلطة المماليك فى الشام ومصر.

وبالرغم مما نسب إلى قانصوه من ظلم وفساد، فإنه ترك ثروة فنية معمارية جميلة ومبهرة.

اهتم بتحصين مصر وحلب فأنشأ قلعة العقبة بمصر ورمم قلعة الجبل وجدد خان الخليلى على نفس طرازه وأصلح قبة الإمام الشافعى ومسجد الإمام الليث وأنشأ منارة للأزهر بالقاهرة. كما بنى

فيها وكالة الغورى الشهيرة عند تقاطع شارع المعز لدين الله التاريخى الأثرى. كما ترك ثروة فنية من قبة وحمام ونزل وسبيل وكتّاب وخانقاه وقد اعتمد لها هندسة خاصة بحيث يمكن الوصول إلى كل منها عبر سواها. وكان يداوم على إرسال الكسوة للكعبة المشرفة بمكة المكرمة وكان يراعى أن تكون من الجمال والفخامة بحيث لم يسبقه أحد بذلك. كما أنشأ البوابة المعروفة بحلب بالشام.

قراقوش

قره قوش أو النسر الأسود باللغة التركية. مملوك رومى وقائد جيوش ومهندس حربى فى عهد صلاح الدين الأيوبى. اشتهر فى التراث بالظلم والحمق معا حتى سار المثل (حكم قراقوش)! هو «بهاء الدين أبوسعيد بن عبد الله» (الأسدى) نسبة إلى «أسد الدين شيركوه» عم صلاح الدين الأيوبى. لا يعرف عن مولده سوى أنه قدم من آسيا الصغرى أو آسيا الوسطى. كان خصيا مملوكا لحاكم فهرب ووصل إلى بلاد الشام وكان يحكمها «عماد الدين الزنكى» وقائداه أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين أيوب. تقرب المملوك بهاء الدين من شيركوه الذى تنبأ بقدراته العسكرية والتنظيمية، فأعتقه من ماله الخاص ودربه على الفروسية والأعمال البحرية كغيره من المماليك الذين أنشأوا دولة المماليك بعصورها المختلفة.

وصل بهاء الدين لرتبة الإمارة ودخل مصر مع «شيركوه» وساهم معه فى إسقاط الدولة الفاطمية وعين حارسا على قصورها وكنوزها ويقال إنها كانت تضم (التحف والنفائس والبسط المنسوجة بخيوط الذهب فضلا عن العرش الذى كان يزن ذهبا وكان فيه الجوارى المنحدرات من مناطق آسيا) فلم يبهره المال ولا الجواهر ولا الجوارى ولا العرش بل أقنع السلطان ببيعها وبنى بمالها السور المحيط بالقاهرة وأوكل إليه السلطان صلاح الدين بناء بعض القلاع وكان بهاء الدين قد درس هندسة القلاع التى بناها الصليبيون فى بلاد الشام. واقترح بناء قلعة الجبل الموجودة حتى الآن. وأنشأ رباطا وسبيلا. وعندما استرد صلاح الدين مدينة عكا من الفرنجة وكانت منيعة، سلمها لبهاء الدين فبنى سورا حولها وحين عاد الفرنجة الصليبيون وقع أسيرا فى أيديهم ويقال إن السلطان افتداه.

سمى بهاء الدين بـ (قره قوش) وتكتب أحيانا بالعربية (قراقوش) لشدة بأسه وشجاعته وسرعته فى الميدان فى الانقضاض على الخصوم. كان «قره قوش» هو الذى حفر البئر المعروفة فى القلعة كما أقام الجامع. وكان هو الذى أصلح الخلاف بين ورثة صلاح الدين على الملك، فلم يترك صلاح الدين مالا ولا عقارا.

ليس فى سيرته ما يدل على ما تناقلته الشعوب عن حمقه وظلمه سوى أنها كانت شهادة أحد معاصريه وهى كتاب (الفاشوش فى أحكام قراقوش) للأسعد بن مماتة، يورد فيها من أفعال قراقوش ما لا يخطر على بال وظل ما جاء فى الكتاب متداولا حتى اليوم. وكان ابن مماته كاتبا لدى صلاح الدين ولم يجزل له «قره قوش» العطاء اتقاء لشر لسانه، فهجاه بكتاب كامل.

لكن شهادة صلاح الدين فى قره قوش هى: (ما أرى لكفاية الأمر المهم، وكف الخطب الملم، غير الشهم الماضى السهم، والمضىء الفهم، الهمام المحرب، النقاب المجرب، المهذب اللوذعى، المرجب الألمعى، الراجح الرأى، الناجح السعى، الكافى، الكافل بتذليل الجوامح). توفى بهاء الدين قراقوش (قره قوش) عام ٥٩٧ هجرية.

قطز



سلطان مصر المملوكى الذى هزم التتار فى معركة «عين جالوت» ولاحقهم حتى بلاد الشام. هو الملك (المظفر قطز بن عبد الله المعزّى). لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط لكنه عاش فى القرن الثالث عشر (السابع الهجرى). كان قائدا عسكريا بارعا وتولى الحكم لمدة عام واحد لكنه كان طيلة حياته جنديا فى جيوش المسلمين.

عينه السلطان «عز الدين أيبك» وصيا على العرش ثم أصبح وصيا على السلطان الصغير ابن أيبك وهو «المنصور نور الدين على».

شهدت البلاد اضطرابات كبيرة بتولى منصور العرش، وثار المماليك البحرية وزعيمهم «سنجر الحلبى» مطالبين بالعرش وكان الخلاف قد بدأ بعد مقتل زعيم المماليك البحرية «فارس الدين أقطاى». وتفاقم بعد مقتل «السلطان المعز عز الدين أيبك» ثم شجر الدر بعده، فلجأ المماليك البحرية ومنهم «ركن الدين بيبرس» إلى الشام حيث كان أمراؤها يعادون قطز، من المماليك المُعزّية.

شن الأيوبيون فى الشام بمساعدة المماليك الهاربين هجومين على مصر بقيادة «مغيث الدين عمر»، أمير الكرك (فى الأردن اليوم)، وصدهما قطز، الذى قرر عزل السلطان الصبى ونصب نفسه ملكا على مصر قبل وصول هولاكو إلى حلب بأيام، بعد أن استسلمت مدن وسط آسيا وآسيا الصغرى (تركيا).

تولى «قطز» الحكم فى ذى القعدة من عام ٦٥٧ هجرى (١٢٦٠م)، والبلاد فى أزمة اقتصادية طاحنة بسبب الحملات الصليبية المتلاحقة وبسبب الحروب والصراعات الأهلية على العرش وفى فزع من وصول المغول. وكان على وشك مواجهتهم لكن المماليك رفضوا الوقوف معه، فجمعهم وقال

خطبته الشهيرة (ما قصدت التولى عليكم إلا لنجتمع على قتالهم ولا يتأتى ذلك إلا بملك قوى فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر إليكم.. أقيموا فى السلطة من شئتم). فوافقوا، فعين أمراء على الجيوش من المماليك البحرية لاسترضائهم.

كان لابد من إصلاح الأوضاع بسرعة وتهيئة البلاد المصرية للهجوم التترى المقبل، فعفا «قطز» عن كل المماليك البحرية وطلب عودتهم من الشام واحتفى بعودة «بيبرس» صديقه وغريمه، وأنزله فى دار الوزارة وأعطاه (قليوب) وما حولها من القرى وعامله كأمير من الأمراء القادة وجعله على رأس الجيوش الذاهبة إلى عين جالوت.

سعى «قطز» إلى الوحدة مع أمراء الشام أو تحييدهم على الأقل فى قتاله مع المغول خاصة وأن معظمهم من سلالة صلاح الدين الأيوبى. رفض «الناصر يوسف الأيوبى» الوحدة مقابل جعله ملكا على مصر والشام معا، متشككا فى نية قطز. فكان أن سقطت حلب ودمشق فى يد التتار. وهرب الناصر إلى فلسطين وانضم إلى جيش قطز، كما استجاب له الأمير المنصور، صاحب حماة والتحق بجيشه! بينما أعلن الأمير الأشرف الأيوبى صاحب حمص وقوفه إلى جانب التتار فأعطاه هولاكو إمارة الشام كلها ليحكمها باسمهم.

احتاج «قطز» إلى فتوى شيخ الديار المصرية «العز بن عبد السلام» لفرض ضرائب لدعم الجيش فأفتاه بأنه (بإمكان الأخذ من الرعية ما يستعان به على جهاز الجيوش بشرط ألا يبقى فى بيت المال شئ، وأن تبيعوا ما لكم من الممتلكات والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه وتتساووا فى ذلك أنتم والعامة، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا...)!

فباع قطز كل ما يملك وأمر الوزراء والأمراء بذلك! وكان «هولاكو» قد أرسل لقطز (باسم إله السماء الذى سلطنا على من حل به غيظه... اتعظوا بغيركم وسلموا إلينا أمركم..) فرد عليه «قطز» بقطع رأس الرسل الأربعة وعلقهم على باب زويلة، إيذانا بالحرب. وخطب فى أمراء المماليك وهو يبكى: (من للإسلام إن لم نكن نحن..)! ونزل ساحة القتال بنفسه بعد أن كان يخطط من بعيد، وألقى بخوذته استعدادا للشهادة.

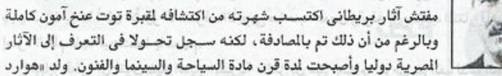
أصيب فى المعركة ورفض الفرس الذى تنازل له عنه أحد الجنود، وظل يقاتل بلا خوذة وبلا فرس. واستطاع إلحاق الهزيمة مع «بيبرس»، بالتتار فى موقعة عين جالوت التى وصفها العلامة «ابن خلدون» وصفا دقيقا. ودخل بعدها دمشق التى كان المغول قد احتلوها و(أحبه الناس) كما يروى المؤرخون القدامى، وأعاد الأمن إلى المدن الشامية وكسر شوكة الأيوبيين والأمراء الصليبيين معا. ورسخ لدولة المماليك القوية التى ظلت تحكم لمدة ٢٧٠ سنة حتى جاء العثمانيون بقيادة «سليم الأول» وهزموا «قانصوه الغورى» وبدأ الحكم العثمانى!

ارتكب «قطز» خطأ فادحا، حين تراجع عن وعده لـ «بيبرس»، بإعطائه الولاية على حلب بعد انتهاء المعركة، مما جعل «بيبرس» يعتقد أن «قطز» يدبر لإبعاده أو قتله، فاتفق مع باقى الأمراء

على قتل «قطز». وقد كان! ولكن بعض المؤرخين يعتقدون أن «بيبرس» لم يقتل «قطز»، لكنه ادعى أنه القاتل حين توانى القتلة الحقيقيون عن إعلان أنفسهم. ويعتقد بعض هؤلاء المؤرخين المحدثين، أن ادعاء «بيبرس» كان وسيلة لتمكنه من العرش بعد «قطز» فقد هابه الجميع!

قتل «قطز» فى نفس عام انتصاره. فلم يمكث فى الحكم إلا سنة واحدة. لكن معركة «عين جالوت» التى تقع بالقرب من نابلس الفلسطينية، وضعت حدا لنفوذ المغول والتتار فى البلاد الإسلامية بعد أن أسقطوا الدولة العباسية فى بغداد عام ١٢٥٨م.

هوارد كارتر



مفتش آثار بريطاني اكتسب شهرته من اكتشافه لمقبرة توت عنخ آمون كاملة وبالرغم من أن ذلك تم بالمصادفة، لكنه سجل تحولا فى التعرف إلى الآثار المصرية دوليا وأصبحت لمدة قرن مادة السياحة والسينما والفنون. ولد «هوارد كارتر» فى بلدة قرب لندن عام ١٨٧٤ وكان والده فنانا يرسم وجوه الحيوانات الأليفة فى المزارع فتعلم هوارد مبادئ وأصول الرسم وأبدى اهتماما غير عادى بالمصريات وكان عمره ١٧ سنة حين أبحر إلى الاسكندرية فى مصر فى أول رحلة له إلى الخارج وعمل هناك مع قصاص أثر فى الصحراء كان يعمل لشركات التنقيب عن الآثار المصرية.

كان «هوارد» يرسم كل ما تقع عليه عينه وبرع فى نقل الرسومات الجدارية للمعابد والأمراء فى مصر الوسطى. قيل عنه إنه كان يبيت ليلا مع الخفافيش فى المقابر الفرعونية. لم يتوقع له أى نجاح حين عمل مع «ويليام فليندر بيترى»، وكان أحد أفضل الأثريين فى ذلك الوقت، لكنه فاجأه بتقديمه اكتشافات مهمة فى تل العمارنة، وتألق أكثر حين عمل مع الأثرى الفرنسى «ماسبيرو». وأثبت فيما بعد جدارة غير عادية حين عمل تحت إشراف «إدوارد نافيل» بنقله صور الملكة (حتشبسوت) التى تعتبر من أفضل الرسومات المنقولة على الإطلاق.

أصبح «كارتر» مديرا (لفرع الأثريات المصرية) وكان (أول مفتش عام للموميات فى مصر العليا) وضم إليها (الأقصر) فيما بعد. عين مشرفا على آثار منطقة (وادى النيل القبلى) وكان أول من استخدم (الإنارة الكهربائية) فى وادى الملوك وفى معبد (أبو سمبل). أجبر على الاستقالة عام ١٩٠٥ بسبب حادث شهير وقع آنذاك بين بعض السائحين الفرنسيين السكارى، وبين الحراس المصريين حيث سمح «كارتر» لهم بالدفاع عن أنفسهم فاشتكى السائحون للقنصل العام البريطانى «لورد كرومر» الذى طلب اعتذارا رسميا من «كارتر» لكنه رفض فنقل إلى طنطا. اعتزل منصبه الرسمى وقرر العمل بمفرده. أمضى «كارتر» أربع سنوات فى الرسومات المائية التى كان ينقلها عن

الجداريات الفرعونية وبدأ يتاجر بالآثار وبالرسومات، وكانت الآثار المصرية آنذاك مباحة لكل من يعثر عليها. وبذلك استطاع تمويل اكتشافاته التى بدأها فيما بعد.

كانت نقطة التحول فى حياة «هوارد كارتر» حين أصبح «لورد كارنارفون» هو المشرف على البعثة الأثرية البريطانية، وكان يمتلك إحدى أهم وأغلى المقتنيات الأثرية المصرية القديمة بعد اكتشافه ٦ مقابر فى وادى الملوك. وبتأثير منه وجد «كارتر» نفسه مهتما بشكل خاص بالبحث عن مقبرة «توت عنخ آمون» التى كانت مجهولة المكان تماما. أمضى كارتر سنوات فى التنقيب دون جدوى مما أصاب «لورد كارنارفون» باليأس وقرر استبداله وهو ما دفع كارتر إلى العمل بجنون وفى نوفمبر من عام ١٩٢٢ ظل يحفر ٣ أيام متواصلة دون نوم، عبثا.

وبينما كان يستعد للاستسلام فى يوم ٢٤ نوفمبر وجد نفسه فجأة أمام أجمل اكتشاف أثرى فى التاريخ فقد كان مدخل المقبرة مختفيا تماما وراء أكوام الصخور التى كان العمال يلقون بها هناك وهم يحفرون مقبرة ضخمة لرمسيس السادس وهو ما حال دون سرقتها أيضا. اعتزل كارتر بعدها وجمع مقتنياته الأثرية بنفسه وعاد إلى انجلترا عام ١٩٣٩ وتوفى فى مارس من نفس العام.

الطريف أن الحديث عن (لعنة الفراعنة) شاع كثيرا بعد اكتشاف المقبرة فقد شوهد صقر كبيرغريب يحوم حولها يوم الافتتاح، وتوفى «كارنارفون» فى نفس اليوم بلدغة بعوضة. وانقطع التيار الكهربائى عن القاهرة. وحصد الموت أو الجنون كل من عمل فيها وبينهم سكرتير كارتر وقيل أنه أثناء تشييع جنازته هاج الحصان الذى كان يجر عربة التابوت فقتل طفلا.

والاس هيوم كاروثرز

كيميائى أمريكى اخترع (النايلون). ولد فى برلنجتون والتحق بكلية التجارة فى دى موان حيث كان والده يشغل منصبا مرموقا. أبدى تفوقا شديدا فى الكيمياء وتخصص عام ١٩٢٤ بالكيمياء العضوية والرياضيات والفيزياء الكيميائية وحاز على زمالة (كار) وهى أعلى المناصب الأكاديمية آنذاك.

انتقل عام ١٩٢٦ أستاذا إلى جامعة هارفارد مع توصية خاصة من رئيسها، ونال عدة جوائز وذاع صيته حتى طلبه مدير معهد الأبحاث المرموق المعروف باسم (دى بونت) ورفض «كاروثرز» فى البداية فقد كان يعانى من اضطراب نفسى منذ صغره ولا يستطيع اتخاذ قرارات بهذه الصعوبة. لكنه استقال من العمل الأكاديمى تحت ضغوط شديدة، بعد أن سافر إليه مدير المعهد «هاملتون برادشو» بنفسه إلى هارفارد لإقناعه!

بدأ العمل على ما يسمى (بوليمر) عام ١٩٢٨ واستطاع الفريق تصنيع (البوليستر)!! مما عجل بظهور (الحرير الصناعى) الذى أحدث ثورة فى فرنسا آنذاك. وفى عام ١٩٣١ انتقل مع ثلاثة من الباحثين الأكاديميين إلى منزل خاص فى ويلمنجتون وظهرت ملامح المرض واضحة هنا، حيث كان لا يشارك فى أى عمل ترفيهى أو جماعى.

(أعيش وحدى هنا..) كما كتب لأحد اصدقائه المقربين. ومنذ ذلك الحين بدأ يحتفظ بقرص (السيانيد) السام مشبوكا فى سلسلة ساعته.

فى عام ١٩٣٤ عاد إلى أبحاثه وكان الفريق يستعد لإعلان ابتكار جديد باسم (بوليياميد) وكان أكثر تماسكا وجمالا من البوليستر. لكنه فى صيف ذلك العام اختفى «كاروثرز» تماما من المعامل ومن بيته وعثر عليه بعد وقت فى مصحة نفسية صغيرة فى أطراف المدينة. ويبدو أنه هو الذى لجأ إليها.

عاد إلى المعهد بعد خروجه من المصحة بوقت قصير. وتم تكليفه بالعمل على الـ (بوليياميد ٦ – ٦) وكانت هى المادة التى سيتكون منها (النايلون) فيما بعد! وكان تشغيلها شديد الصعوبة حيث كان يجب أن تكون فى أقصى درجات السيولة. وكان «كاروثرز» هو رئيس فريق البحث.

تزوج «كاروثرز» فى فبراير من عام ١٩٣٦ من باحثة تعمل فى معهد أبحاث (دى بونت) لكنها لم تعر مرضه النفسى اهتماما يستحقه مما جعله يتفاقم. اختير عضوا فى (الأكاديمية الوطنية للعلوم) وكان «كاروثرز» أول عالم كيميائى يحظى بهذا الشرف.

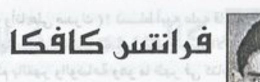
أجيز الاختراع الجديد المسمى (نايلون) عام ١٩٣٨م. ودوى اسم «كاروثرز». وقد تم اشتقاق الاسم (نايلون) من الصفة اللاصقة على الساقين للجوارب النسائية المصنوعة من النايلون. وهى مقاومتها للتمزق! وحدثت ثورة فى عالم الأزياء النسائية عام ١٩٣٨.

وكان الاقتراح فى البداية هو اسم (RUN NO) أى الذى لا يجرى أو ينسدل. ثم تغير الاسم إلى عكس الحروف وهو (اونرون) ثم تغير إلى (نايلون)! ويعتقد أنه مكون من الحرفين المعروفة مدينة نيويورك بهما وهما NY ومن أول ثلاثة حروف من كلمة لندن LON وبمجهما أصبح الاسم NY_LON!! لكن هذا ليس مؤكدا وربما كان مجرد تخمين من البعض!

لكن المهم أن أول عرض للجوارب النسائية من النايلون كان فى المعرض الدولى فى نيويورك عام ١٩٣٩ وفى معرض البوابة الذهبية فى سان فرانسيسكو. وأصبح (النايلون) تاريخا جديدا فى الصناعة!

بالرغم من النجاح الساحق عاود الاكتئاب الحاد «والاس هيوم كاروثرز» (أحس أنى بلا فكرة)، وترك عمله ودخل مصحة عقلية شهيرة فى فيلادلفيا فلم يعد يخشى افتضاح أمره! وحين خرج بعد شهر، لم ينتظم فى عمله فكان يظهر أحيانا فى معمل الأبحاث وينجز إنجازات رائعة ثم يختفى. وزاد الأمر سوءا بوفاة أحب أخواته إليه.

وفى شهر أبريل من عام ١٩٣٧ نزل فى فندق فى مدينة فيلادلفيا وشرب عصير ليمون مزجه بسم السيانيد ومات قبل أن تولد ابنته بعد سبعة شهور!!



فرانتس كافكا

من أهم الأدباء فى القرن العشرين. كان له تأثير صارخ فى نمط الكتابة بعده. جسد العبثية والسوداوية والكآبة والعجز والضآلة فى أشد معانيها قسوة. عانى طيلة حياته من سيطرة والده الطاغية عليه. ولد «فرانتس كافكا» يوم ٣ يوليه ١٨٨٣ فى ولاية بوهيميا بالنمسا اليوم. وهو ينتمى ليهود الطبقة الوسطى البرجوازية! انتقل إلى براج العاصمة عام ١٩٠١ لدراسة الكيمياء وبعد أسبوعين غيرها للقانون وحصل على إجازة تعادل الدكتوراه عام ١٩٠٦ مما مكنه من تأمين معيشته والانشغال بالكتابة.

ترك المحاماة (لم يكن يستطيع حتى الدفاع عن نفسه) عمل موظفا بسيطا مطيعا فى مؤسسة للتأمين على حياة العمال حتى عام ١٩١٧. كان يعمل نهارا ويكتب ليلا حتى اتضحت إصابته بالسل الرئوى فارتبكت حياته. لقاؤه بصديقه «ماكس برود» شكل تحولا جذريا فى حياته والذى أصبح فيما بعد كاتب سيرته ومحقق أعماله وجامعها وناشرها. أول روايات فرانتس كافكا كانت عام ١٩٠٤. بدأ كتابة مذكراته عام ١٩١٠ وقام برحلة إلى برلين وباريس. أول احتجاز له فى مصحة كان عام ١٩١١ وحينها بدأ كتابة روايته الثانية «أمريكا». كتب رواية «الحكم» فى ليلة واحدة ٢٢– ٢٣ أيلول (سبتمبر) من عام ١٩١٢ بدون توقف حتى تخشبت أطرافه. كتب فى يومياته: (بهذه الطريقة وحسب، تكون الكتابة. بهذا التماسك، بهذا الانفلات من الجسد والروح).

رحل إلى فيينا بالنمسا وفينيسيا بإيطاليا. فى عام ١٩١٤ تحرر لأول مرة من سلطة والديه فانتقل للسكن وحده. كتب (قبل القانون) ونشر (التحول). فى عام ١٩١٧ كتب (سور الصين العظيم) فى قصص قصيرة. سافر مع خطيبته فيليس باور الناشرة إلى المجر ورجع بدونها ليعود إلى السكن مع والديه. اشتد عليه المرض عام ١٩١٨. تعلم العبرية عام ١٩١٩. كتب (الاستحالة) وفسخ خطوبته وأطلع فتاته الجديدة ميلينا على مذكراته (حياتى مزدوجة رهيبة لا أظن أن هناك مخرجا منها إلا الجنون)!

بدأ كتابة (القلعة) عام ١٩٢٢. تابع دروس العبرية عام ١٩٢٣. رحل إلى بيروت ليعيش مع «دورا ديمانت» وكتب (العصفور).

نشأ فرانتس كافكا فى بيئة يهودية صرفة. الأب تاجر عاديات وملابس مستعملة، وعائلة الأم (مصدر كل غدر وجبن فى شخصيته) كما قال. علاقته بأبيه وانتماؤه اليهودى واعتلال صحته جعل منه شخصية ملولة يقتلها الضجر والخوف والياس والاحباط. كان يرى فى أبيه كما يقول روجيه جارودى (صورة مصغرة للمجتمع الذى يضغط عليه فيدفعه إلى الاحساس بالغربة ويخنق الإنسان فيه). فى كتابه (رسالة إلى أبى) التى كتبها دفعة واحدة عام ١٩١٩ قال (أنت وراء كل معاناتى)

و(قلت فيها كل ما لا أستطيع أن أقوله وأنا على صدرك)! تسلط أبيه عليه قابله بضعف إنسانى وعجز نفسى شبه كامل (وصف نفسه بالهيكل العظمى الصغير مقابل جسم الأب الهائل). كما كان ليهوديته أثر واضح فى إحساسه الدائم بالقهر والوضاعة وهو ما ظهر فى كتابه (المسخ). لم يكن قادرا على اتخاذ قرار وحين أرسل كتبه للنشر أصابه فزع مرير فطلب استردادها فى الحال.

قيل إنه كان مسكونا بجذوره اليهودية وقراءاته المتواصلة للتوراة والكاتب الروسى دويستويفسكى. شارك فى الحركة الصهيونية كما ذكر كتاب سيرته (حتى لو لم أهاجر إلى فلسطين فإنى أود أن أموت وإصبعى على الخريطة). دعا إلى قيام دولة يهودية على أرض فلسطين واعتبر النقاد دعوته (إنقاذا له من إحباطاته النفسية والاجتماعية المغرقة فى السوداوية). عام ١٩١٨ وضع مشروعات لجماعات عاملة معا غير مالكة مما اعتبره النقاد أيضا خطة (لمشروع الكيبوتس فى دولة إسرائيل المرتقبة). وبالرغم من هذا الانتماء فإنه يرى فى شعب إسرائيل (الشعب المختار) لكنه أيضا (الشعب الذى لحقت به لعنة الرب).

ظل كافكا لا يفهم معتقدات ومغزى الشعائر اليهودية فابتعد عنها مما أوجد جدلا نقديا فى التعريف به كيهودى. لكنهم اتفقوا على أن أعماله الأدبية كانت (فن) الهروب من الواقع وتعبيرا عن العزلة الشديدة التى قاساها طيلة حياته والضياع والتشتت وانعدام الإحساس بالهوية. عمق من هذا الشعور تخلى أبيه عن شعائر اليهودية والتحاقه بالنخبة التشكيكية الرأسمالية. الشرخ فى علاقته بالمجتمع وبالناس وبالوطن واضح المعالم. أعماله الأولى كانت ترجمة لأحاسيسه ومتاهته. يبدو فيها الإحساس القاهر بالمرارة والسواد. فبطل رواية القلعة يقتل وبطل رواية المحاكمة يعدم وبطل رواية المسخ يموت كحشرة مقززة. اخترع (خوذة الأمان) لعمال المناجم فحاز ميدالية عام ١٩١٢.

كتابه (تأملات) كان الوحيد الذى نشر فى حياته بينما تمت الموافقة على كتاب آخر مكون من أربع حكايات بعنوان (فنان الجوع) صدر بعد موته. عانى كثيرا من الصداع والأرق والسل والانهيارات النفسية والتردد فى الزواج والخطوبة. كان نباتيا يشمئز من أكل اللحوم ويخاف منها ربما لأن جده كان جزارا. هتلر أحرق فيما بعد معظم كتاباته كما ساهم الشيوعيون فيما بعد بتدمير معظم الباقى. أهم أعماله التى وصلت إلينا: (التحول) و(الدودة الهائلة)، (فى مستعمرة العقاب)، (أبحاث كلب)، (الجحر)، (القضية)، (القلعة)، (المحاكمة)، (المسخ).

يلاحظ أن عناوينه مبتسرة غالبا ومعظم أبطاله يعبر عن الوضاعة. كثيرون لا يقبلون تصنيفه بين أعظم الأدباء وقال عنه الفرنسى «جان جينيه» (أفهم قلق كافكا وضجره لكنى لا أقبلهما أبدا) كما دعا بعض النقاد الفرنسيين (إلى حرق مؤلفاته لشدة ما تدعو إلى اليأس).

من أشعاره غير المألوفة: (الهندى- لو كان المرء هنديا ممتطيا حصانه منحنيا فى الريح- يرتجف كلما اهتزت الأرض تحته حتى يشد على المهماز ولا مهماز هناك- ويرخى العنان ولا عنان هناك- وما يكاد يرى الأرض تحته مثل حقل محروث- حتى يضيع عنق الحصان ورأسه).

كالديرون دى لاباركا



شاعر إسبانى من صناع الأدب العالمى، يضعه النقاد فى منزلة شكسبير الانجليزى وجوته الألمانى. ولد فى مدريد بأسبانيا عام ١٦٠٠ ويعتبر واحدا من أهم كتاب الدراما الأسبان ويمكن أن يكون هو نجم الفترة الذهبية للمسرح الأسبانى مع «لوب دى فيجا». تعلم فى معهد (كوليجيو امبريال الجزويتى). درس القانون فى جامعة (ألكالا) عامى ١٦١٤ و١٦١٥. وفى جامعة سالامانكا. من عام ١٦١٥ حتى ١٦٢١ لكنه لم يتخرج.

فى عام ١٦٢٣ بدأ يكتب مسرحيات للبلاط. ويعتبر «كالديرون دى لاباركا» آخر كاتب مسرحى بارز فى العصر الذهبى، الذى تميز بمزج المأساة بالملهاة (التراجيديا بالكوميديا) لكنه برع فى تراجيدياته، التى كانت كثيرا ما تميل إلى الرمزية. كانت أسبانيا قد بدأت عهدا جديدا بعد اضمحلال دولة الأندلس التى دامت لمدة ثمانية قرون فأثرت بتقاليدها وتراثها وموسيقاها وثقافتها العامة فى الأسبان بشكل جذرى، حتى إنهم لم يستطيعوا الفكاك منها بعد رحيل معظم الموريسكيين الذين كانوا خليطا من العرب والبربر الذين بنوا الأندلس.

تأثر الأدباء الأسبان بالتراث الشرقى لكنهم استوحوا فيما بعد التراث الشمالى القادم من فرنسا وأوروبا فامتزجت الفروسية العربية بالفروسية الأوروبية. وكان «كالديرون» من أبرع من مزج بين التاريخ والجغرافيا، كما مزج بين الخيال والواقع، بين الفطرة والبيئة، بين الدين والحياة بالرغم من أنه لم يخلق أنماطا جديدة فى شكل المسرح الذى كتبه «لوب دى ميجا» وكان «كالديرون» فى الخامسة والثلاثين من عمره حين توفى «لوب». فأصبحت الساحة مفتوحة أمامه وكان قد استدعى رسميا من الملك ليكون شاعرالقصر والبلاط كما كان يكتب للكنيسة فى نفس الوقت. ولم يكن هذا غريبا فى ذلك الوقت، فقد كان ابن القرون الوسطى الأوروبية، المتأثرة بالفروسية الملكية والنبلاء كما هى واقعة تحت تأثير الكنيسة.

كان «كالديرون» محكوما بالبلاط فقد كان شاعر القصر ومؤلف المسرحيات التى تعرض للخاصة، لكنه انسحب بشكل ما من الالتزام بالبلاط، لينضم إلى (جماعة إخوانية دينية) لكنه لم يتوقف عن الكتابة للمسرح، وإن اتسمت مسرحياته بالغموض والأخلاقيات وتجسيد الشرف والانتقام كما طغا عليها التنوع الشديد والرومانسية الرقيقة فكان يلقى بأبطاله فى مواقف صعبة مأساوية مبكية للغاية، كما كان قادرا على كتابة هزليات شديدة الإضحاك.

كتب (الولاء للصليب) حين كان عمره تسعة عشر عاما. وقد عانى فى طفولته من صرامة أبيه وقسوته فظهر فى مسرحياته ذلك الخيط الرقيق اللامرئى عن متاعب الحياتية. وربما كانت أهم مسرحياته هى (الحياة حلم) وإن لم تكن أفضلها. وهو يجسم فيها الصراع بين الإرادة والقدر.

ويحكى عن ملك بولندا الذى سجن ابنه فى برج القلعة منذ ولادته ليحمى مملكته منه بعد أن كشف المنجمون أن ابنه سيغتصب العرش منه. وبعد عدة سنوات رق قلب الملك وطلب أن يحضر ابنه إلى القصر لكن الولد الأمير تصرف بفظاظة جعلت الأب الملك يعيده إلى السجن.

وحين صحا الابن من نومه فى البرج، كان مقتنعا أنه لم يترك سجنه أبدا وأن ما حدث كان مجرد حلم. لكن أحداث قلاقل واضطرابات وثورة من الفلاحين حررت الأمير الشاب الحائر بين اليقظة والحلم وأجلسه الثوار على عرش أبيه لكنه ظل يظن أنه مازال يحلم. ويرى بعض النقاد أن «كالديرون» قد تأثر بشكل ما بقصة (النائم واليقظان) من قصص ألف ليلة وليلة، وإن لم يقتبسها بالكامل.

مات فى مدريد عام ١٦٨١ وترك أكثر من ١٢٠ عملا ولم يصل إلينا سوى ٨٠ مسرحية كان منها(الحياة حلم) و(أنشد المزامير واصمت) و(السيدة اللعوب) و(زنوبيا) و(عمدة سالاميا) و(مسرح العالم الكبير) و(ابنة الهواء) التى تعتبر من أفضل ما كتب.



جون كالفين

مصلح دينى فرنسى مسيحى. أدت أفكاره إلى إنشاء النظام المالى الصارم لبنوك سويسرا اليوم. يعتبر من أكثر المصلحين الدينيين المسيحيين تأثيرا مع «مارتن لوثر». ولد فى عام ١٥٠٩ فى نوفون بفرنسا باسم «جيان» وبالرغم من أنه نشأ فى بيئة أسرية كاثوليكية فقد كان مذهبه لمحاربة الكاثوليكية. كان أبوه مستشار البطريرك فى كاتدرائية المدينة. وكان يرغب فى أن يصبح ولده قسيسا. وبسبب علاقة أسرته بالبطريرك وبكبار المدينة، فقد كان زملاء «جون كالفين» وأترابه فى (نوفون) من الطبقة الراقية الأرستقراطية والثقافية.

حين بلغ عمره ١٤سنة ارتحل إلى باريس للدراسة فى (كلية دى مارشيه) استعدادا لدخول الجامعة. وكان يدرس المواد السبعة المطلوبة وهى النحو والخطابة والمنطق والرياضيات والهندسة والفلك والموسيقى. وفى باريس اتخذ الاسم اللاتينى لاسمه الأصلى وهو «جوانيس كالفينوس» والذى أصبح بالفرنسية «جون كالفين». وبالرغم من بدء انتشار أفكار ومبادئ «مارتين لوثر» البروتستانتينية (المحتجة) وأفكار «جاك ليفيفر ديتابليه» فقد ظل «كالفين» على عقيدته الكاثوليكية الرومانية حتى حين.

لكنه بدأ علاقات مع أشخاص يؤمنون بفكر التغيير والإصلاح فى العقيدة المسيحية. وكانت المصادفة أن أباه اقترح عليه دراسة القانون بدلا من اللاهوت. انتقل عام ١٥٢٨ إلى أورليانز لدراسة القانون المدنى. وظل يتنقل بين أساتذة وأمكنة حتى تشبع بالفكر الإنسانى. وفى عام ١٥٣٢ أتم

دراسة القانون ونشر كتابه الأول حول «سينيكا»، الفيلسوف الرومانى. وينقل المؤرخون أن «جون كالفين» عاش تجربة التحول فى عام ١٥٣٣ المفاجئ والمدهش.

وفى السنوات الثلاث التالية تنقل بين عدة أمكنة واتخذ عدة أسماء مستعارة داخل فرنسا وخارجها. درس على حسابه الخاص ووعظ وبدأ كتابة أول نسخة من عمله (مبادئ الدين المسيحى) وبيع منه الكثير. وفى عام ١٥٣٦ أعلن انسحابه رسميا من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وخطط لمغادرة فرنسا والذهاب إلى استراسبورج. لكن الحرب وقعت بين «فرنسيس الأول» وبين «شارل الخامس»، فقرر الذهاب إلى جنيف فورا وكان صيته قد سبقه إليه، فطلب منه أحد المؤيدين للإصلاح، المكوث فى المدينة فكانت بداية علاقته الصعبة والمعقدة والمثمرة بالمدينة. وبعد عدة حلقات من الدروس والوعظ طلبوا منه مغادرة المدينة بسبب صراعات مذهبية.

ذهب إلى استراسبورج حتى عام ١٥٤١حيث عمل واعظا للاجئين الفرنسيين الهاربين من الحرب. وقد تعاطف معهم حتى إنه حين طلب منه مجلس مدينة جنيف العودة، أحس بالحيرة الشديدة. لكن مسئوليته تجاه أهالى جنيف المؤمنين بالإصلاح فعاد بالفعل وأسس الكنيسة الكالفينية ولبث هناك حتى مات عام ١٥٦٤.

كانت سنوات عمره فى جنيف معبأة بالدروس والخطب والوعظ والبحث كما تابع تأليف كتابه حول (مبادئ الدين المسيحى). لكن الناس كانوا قد اتبعوا مذهبه الذى أصبح يعرف بـ (الكالفينية)!

أودع «جون كالفين» أفكاره فى كتابه (المبادئ) الذى يعتبر لدى كثيرين (من أهم ما كتب فى الحركة البروتستانتية). وهو يتبع مسيرة (بولس الرسول) والقديس (أوغسطين) فى أن (الله مسيطر على كل شىء) وأن (الاختيار سابق) بمعنى أن التوبة هى للذين شاء الله من قبل العالم، أن ينالوا الخلاص.

يصر «جون كالفن» على أن (الكتاب المقدس) هو المرجعية الأولى والأخيرة والوحيدة التى تتصف بالشرعية، والتى يجب أن يخضع لسلطته كل السلطات الأرضية. وبهذا تشكلت فى جنيف حكومة (ثيوقراطية) أى (دينية- دنيوية) عرفت بنظامها المتشدد.

انتشرت الكالفينية فى القرن السابع عشر فى كل أوروبا، وتركزت فى هولندا بعد أن طرد الملك الفرنسى «لويس الرابع عشر» جميع البروتستانت، بخاصة (الكالفينيين) من فرنسا فهربوا إلى هولندا وبلجيكا. ومن هولندا واسكوتلاندا انتشرت فى أمريكا الشمالية، حين هاجر الكالفينيون إليها بعد استيطانها. كما انتشرت عن طريق هجرة البيض إلى جنوب إفريقيا.

انتشر المذهب أيضا فى بعض أجزاء من فرنسا وألمانيا والمجر وبولندا. وقد خرج منه المذهب الطهورى أو التطهرى (البيوريتانى) الذى أسسه الإنجليز الخارجون عن الكنيسة الإنجليكانية ثم هاجروا إلى أمريكا الشمالية، ويفسر الكثيرون ومنهم عالم الاجتماع «ماكس فيبر» سعى الأمريكان الشديد إلى تكوين الثروات على أساس دينى، بأن (جون كالفين) رأى أن (النجاح على الصعيد المادى يدل على الرضى الالهى وعلى اختياره المسبق للمؤمن بإسعاده ماديا)!

(الكالفينية) فى السياق الثقافى هى الالتزام الصارم بإعلاء قيمة العمل مع قدر كبير من التقشف. وفى السياق المادى المعاصر هى الاعتماد على أخلاقيات الكسب والأنشطة المصرفية والخصوصية الفردية والتصور الحديث للمؤسسات الديمقراطية والفصل الكامل بين الدين والدولة وعدم تدخل الكنيسة فى شئون الحكم. ومن هنا كانت سويسرا دولة متميزة عن جيرانها.

يعتنق المذهب الكالفينى اليوم أكثر من ٥٠ مليون شخص فى أنحاء العالم بينما يوجد حوالى ١٥ مليونا فى أمريكا الشمالية وحدها.

يختلف مذهب «جون كالفين» عن مذهب «مارتين لوثر» بالرغم من أن كليهما (بروتستانت). فكلاهما لا يقر الكهنوت المسيحى ولا الوساطة الدينية ولا طقوس الاعتراف والتدخل بين العبد وربه. وكلاهما يعتقد أن الكتاب المقدس هو المرجعية الأولى ولا يؤمن بسجود لصور المسيح عليه السلام والسيدة العذراء والإيقونات.

لكن اللوثرية تعتقد فى الالتصاق بين اليهودية والمسيحية مما أنشأ ما يسمى بـ (المسيحيين اليهود) الذين يساندون إسرائيل اليوم على اعتبار أن إرضاء إسرائيل هو إرضاء للرب.

أوليفر كرومويل



سياسى وثائر إنجليزى قلب نظام الحكم الملكى الراسخ الإنجليزى إلى جمهورية هى الوحيدة فى التاريخ البريطانى وهو الذى أعاد اليهود إلى بريطانيا بعد طردهم منها فأفرد لنفسه صفحة مهمة جدا فى التاريخ الأوروبى، الدينى والسياسى معا مما هز الحياة السياسية هزا عنيفا. ولد عام ١٥٩٩ فى أسرة تعتبر فى قاع طبقة النبلاء ولم يكن يظهر عليه أى نبوغ أو تميز من أى نوع. عمل مع المزارعين ثم عاد إلى طبقة النبلاء الوسطى بعد أن ورث من عمه ما يؤهله لها مما أصابه بعقد نفسية لم يبرأ منها طيلة حياته. فقد كان غريب الأطوار يعانى من مرض (الذهان) مع هوس دينى أحيانا محاولا أن يقنع من حوله بأنه الشخص المختار لقيادة انجلترا.

اختير عضوا فى البرلمان عن كمبردج التى درس فيها. أسر فى الحرب الأهلية الإنجليزية الأولى التى قامت عام ١٦٤٥بين الملكيين وبين البرلمانيين وحلفائهم الاسكوتلانديين، واستطاع الهروب عام ١٦٤٧. لكنه انضم إلى البرلمانيين فى الحرب الأهلية الثانية وكان الملك قد تحالف مع الاسكوتلانديين مقابل منحهم الحرية الدينية. لكن «أوليفر كرومويل» استطاع أن يحسم الموقف بصفة نهائية حين عقد جلسة للبرلمان اختار فيها أعضاءه من أنصاره الثوريين واستطاع استصدار

حكم بإعدام الملك تشارلز الأول بضرب عنقه عام ١٦٤٩ ويقال إنه غمس يده بدمه ورفعها قائلا (إن دمه أحمر مثلنا وليس أزرق كما يدعون). رفض «كرومويل» العرش وأعلن ما يشبه الجمهورية وعين (حاميا لانجلترا) أو رئيسا لها.(Lord Protector of England))لأول وآخر مرة فى تاريخ انجلترا.

جاء إعدام الملك لتأثر «كرومويل» بالعقيدة الألفية التى تقول إن المسيح سيظهر ثانية فى عام ١٦٦٦. وكان كرومويل يعتقد أنه هو الذى سيحقق النبوءة والتى لن تحدث إلا بعد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة فى فلسطين. ورأى أن عودتهم إلى بريطانيا من الشتات سيكون خطوة فى الطريق إلى أرض الميعاد تمهيدا لعودة المسيح. وكان الملك «إدوارد الأول» قد طرد جميع اليهود من انجلترا عام ١٢٩٠ (لامتصاصهم ثروات البلاد)! وأصدر مرسوما ملكيا يحرم عليهم الربا ورهن الأراضى.

فى إحدى رسائل «كرومويل» إلى الحاخام اليهودى «برات» قال(إنه سيدافع عن قبول اليهود فى انجلترا مقابل المعونة المالية له لكن ذلك مستحيل طالما ظل الملك حيا. ولا يمكن إعدام الملك دون محاكمة ولا نملك فى الوقت الحاضر سببا يجيز لنا إعدامه. لذا ننصح باغتياله وإذا هرب فلن نقف فى وجهه...) ورد الحاخام «برات» (سوف نقدم المعونة المالية حالما تتم إزاحة الملك الذى يقف فى طريق عودتنا إلى انجلترا لكن الاغتيال خطر جدا وننصح بإعطائه فرصة للهرب بأى شكل ...). أعلن كرومويل خصومته للملك وأعطى أوامره للكولونيل برايد بتصفية جميع أعضاء البرلمان الموالين للملك فى أكبر مجزرة انجليزية عرفت بتصفية برايد فصادق أعضاء المجلس الباقين على محاكمة الملك لكنهم لم يجدوا محامين للعب دور المدعى العام ضده فاختاروا محاميا يهوديا.

كان «كرومويل» بحاجة إلى المال لتمويل حروبه التجارية مع البرتغال وهولندا ثم أسبانيا حيث يتواجد اليهود بكثافة فى هذه الدول ورأى أنه يمكنه استعادة ثرواتهم بالسماح لهم بالعودة إلى انجلترا. أسس كرومويل (الكومنولث البريطانى) عام ١٦٥٣ وترأسه وشكل جيشا جديدا بموافقة البرلمان هزم به الملكيين الثائرين والقوات الايرلندية وكانت ايرلندا تدين بالكاثوليكية فكانت حربا دينية أكثر منها سياسية. وسحق المقاومة فيها بمجازر دموية عام ١٦٤٩ كان كرومويل يعتنق (البيرويتانية) أو (التطهيرية) التى تقاطعت مع البروتستانتينية وانفصلت عنها. تأسست الكنيسة الانجيلية فى كانتربرى وانتشرت فى القرنين السادس عشر والسابع عشرأيام كرومويل. أنهى الحرب الأهلية ١٦٥١ كما أنهى حروبه فى الخارج. بعد أن هزم الجيش الاسبانى عام ١٦٥٨ ومات أوليفر كرومويل فى نفس العام. وعادت انجلترا ملكية ولكن دستورية فى عهد ابنه ريتشارد الذى لم يستطع مواجهة العاصفة كأبيه.

كوسم سلطانة ميهبايكر

أهم شخصية نسائية فى التاريخ العثمانى وأشدها نفوذا ومن أهم الشخصيات النسائية عموما فى التاريخ الإسلامى. حكمت لأكثر من عشرين سنة كان منها تسع سنوات بشكل رسمى كنائبة للسلطنة وهو منصب يضاهى منصب ولى العهد وإن كان أكثر منه فاعلية ونفوذا. فهو الشخص الثانى بعد السلطان العثمانى.

هى «كوسم» يونانية الأصل وكانت تحمل اسم «أناستاسيا» وكانت من أحب الجوارى للسلطان العثمانى «أحمد الأول» وأجملهن، وكانت تتمتع بشخصية قوية وبتأثير شديد فيه. حين ولدت له أصبحت (والدة سلطانة) بمقام ملكة. بدأت تمارس سلطاتها معه وحين توفى عام ١٦١٧ أصبحت نائبة السلطنة بدلا من (والدة باشا) الرسمية وهى «خديجة تار خان» والدة السلطان القادم.

توفى السلطان «أحمد الأول» وعمره ٢٨ سنة لكنه كان خبيرا بأساليب الحكم واستعاد قوة السلاطين العثمانيين. ترك أبناء كثيرين واعتلى العرش منهم ثلاثة أبناء. عزل الإنكشارية ابنه الأول عثمان الثانى عن السلطة لصدامه معهم وكانت «كوسم سلطانة» وراء فتن الإنكشارية الذين قاموا بثورة سميت بـ (الهائلة). ثم قتل. وتولى ابنها «مراد الرابع» من السلطان أحمد الأول، العرش وكان عمره ١٢ سنة فقط فأصبحت وصية عليه بفرمان رسمى.

أصبحت الأمور كلها بيدها، وأصبحت بين عامى ١٦٢٣ و١٦٣٢ إحدى أكثر النساء قوة ونفوذا فى التاريخ.

وكانت هى التى تعقد جلسات الديوان (مجلس الوزراء) من وراء ستار! وهى التى تبرم القوانين، وهى التى تشعل الفتن والمؤامرات. وكانت تسيطر على مقاليد الدولة.

فى عهدها وعهد ابنها «مراد الرابع» حين كان لايزال قاصرا، اجتاح الصفويون الإيرانيون، العراق واستولوا على بغداد ولم يستطع الجيش العثمانى فى تلك الفترة استردادها. كما حدثت ثورة كبيرة فى شمال الأناضول، واجتاح الإنكشاريون القصر وقتلوا كبير الوزراء عام ١٦٣١. وكان «مراد الرابع» يحاول إيقاف الفتن وإخماد الفوضى لكن السلطانة كانت ترى فيها، تمكينا لها للسيطرة على القصر.

استقلت ولاية «طرابلس الشام» عن السلطة العثمانية وطرد واليها أفراد الإنكشارية منها، كما قام والى «أرضروم» بالاستيلاء على أنقرة ومصادرة إقطاعيات الإنكشارية. وحين بلغ السلطان «مراد الرابع» سن الرشد، انتهت ولاية أمه «كوسم» على القصر بعد تسع سنوات وأصبح (طليق اليد) فى التصرف بشئون السلطنة وأثبت أنه من أقدر السلاطين العثمانيين وأكثرهم قدرة وحكمة.

استطاع «مراد الرابع» فرض الأمن على البلاد بعد الفوضى العارمة، وترشيد الإنفاق الباذخ الذى كانت تتسم به أمه، التى كانت تعشق السلطة والمال والنفوذ معا! فأنعش خزانة الدولة بضخ أموال

من الأقطار إليها، كما شجع الصناعة واهتم بالجيش والسلاح وأطال عمر الدولة العثمانية لأكثر من نصف قرن قبل أن تبدأ بالوهن والضعف والاستسلام أمام القوى الأوروبية كما استعاد بغداد.

أنجب أبناء كثيرين ولكن لم يعش منهم أحد وكاد يقتل أخاه إبراهيم، الوريث الوحيد له، لكن السلطانة «كوسم» منعته، خشية انقراض حكم سلالة العثمانيين. وحين توفى ورثه أخوه «إبراهيم الأول» على العرش، وحاولت أمه السلطانة استعادة نفوذها فهددها. وأشيع أنه غير مالك لقواه العقلية فتم عزله. ويقال إنها تآمرت على قتله!

عادت «كوسم السلطانة» من جديد فنصبت ابنه «محمد الرابع»، حفيدها على العرش، وأرغمت مجلس الديوان على قبوله وكان عمره ٧ سنوات فقط، وأعلنت نفسها وصية عليه وعلى العرش عام ١٦٤٨، متجاوزة أمه السلطانة الفعلية «توركان»! وتمكنت «كوسم» من العودة إلى القصر حاكمة من جديد. ولم يتعرض لها إلا «توركان سلطانة» التى أمرت بقتل «كوسم» حين علمت بمؤامرتها على قتل «محمد الرابع» الصغير وتنصيب حفيدها الثانى، فى محاولة لكسر شوكة «توركان» القوية.

قام رجال من حرس القصر بخنق «كوسم سلطانة» بالستارة التى كانت تحكم من ورائها!!

كان تحب أن تسمى «كوسم ميهبايكر»، وعرف عنها أنها كانت تقوم بالكثير من الأعمال الخيرية وأنها كانت تطلق سراح العبيد والجوارى بعد قضاء ثلاثة أعوام فى الخدمة. وقد أعلنت مدينة (استانبول) الحداد ثلاثة أيام حزنا عليها!

صموئيل كولت

مخترع أول مسدس بالطلقات الخمسة ليكتب بذلك تاريخا جديدا لأمريكا التى كانت فى أوائل عهدها التوسعى. ولد فى هارتفورد بولاية كونيكتيكات الأمريكية عام ١٨١٤ لأب مزارع عمل فيما بعد بالصناعة النسيجية. أول الهدايا التى طلبها وهو صغير كان (طبنجة) بسيطة ألهمته اختراعه فيما بعد. قام والده بصنع نموذجين للمسدس إرضاء له وعن غير اقتناع بفائدته وكانا من مواد بسيطة. التحق بمصنع والده لاكتساب خبرة كيميائية تمكنه من تصنيع الماسورة اللازمة والذخيرة. فى عام ١٨٣٢ أرسله والده فى رحلة تجارية فأبحر من بوسطن إلى كالكوتا على سفينة فى بعثة تبشيرية لتنصير الهنود. وعلى السفينة ابتكر تصميم أول مسدس دوار بالطلقات الخمسة. وفى العام ١٨٣٦ سجل فى هارفارد براءة اختراع المسدس الذى يطلق فى عشرين ثانية خمس رصاصات وأسس أول شركة للسلاح النارى عام ١٨٣٦ لكنه لم يلق ترحيبا من السلطات الفيدرالية، وأفلست الشركة فاضطر إلى إنتاج ذخيرة غير قابلة للصدأ باعها للحكومة.

حتى كانت الحرب مع المكسيك عام ١٨٤٥ فطلب إليه الجنرال «صموئيل ووكر» إعداد مسدسات متطورة وخلال أسبوع واحد أنجز ألف قطعة باسم «ووكر» لكن أمريكا كانت تريد ضم جزء من المكسيك وهو تكساس وبحاجة إلى أسلحة فعالة وسريعة من مسدس كولت فاستعان بصديقه ابن صاحب محلات الجينز القطنية «إيلي ويتني» وشحن الطلب عام ١٨٤٧ واستخدمت الأسلحة ضد السكان الأصليين ممن يسمون بالهنود الحمر والذين روعوا منها.

فى عام ١٨٥١ كان «كولت» أول رجل أعمال أمريكى يفتتح مصنعا فى بريطانيا فحقق شهرة عالمية، لكن الحرب الأهلية الأمريكية هى التى صنعت تاريخ صموئيل كولت حين قامت عام ١٨٦٠ بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التى كان «كولت» يمدها بسلاحه ثم توقف ليواصل مد الجيش به فى حربه على الولايات التى كان معظم أهلها من السود والفقراء وقبائل الهنود فساهم فى انتصار الشمال على الجنوب. شهد العام التالى رواجا غير مسبوق لسلاحه حتى وصلت أرباحه ٢٥٠ ألف دولار سنويا لكن صحته كانت بدأت تتدهور فى ذلك العام حتى مات عام ١٨٦٢ عن ٤٨ سنة فقط.

لم يكن «صموئيل كولت» يمتلك شخصية مرنة أو متسامحة. كثيرا ما تشاجر مع عمال المصنع وكثيرا ما تورط فى أحداث كان بينها دفاعه عن أخيه جون الذى اتهم بقتل عامل المطبعة الذى كان يتولى طباعة كتابه.

حين مات كان قد صنع ٤٠٠ ألف قطعة سلاح وقدرت أصوله آنذاك بـ ١٥ مليون دولار، وهو مبلغ ضخم بالقياس إلى ذلك العهد. ظلت الصناعة فى أسرته حتى عام ١٩٠١ حيث بيعت الشركة لمجموعة من المستثمرين.

كوهينور

لعبت دورا كبيرا فى اتجاهات السياسة والحروب. هى أكبر ماسة ذكرها التاريخ. هى «نور كوه» بالفارسية و«كوه- نور» بالهندوسية. تدخلت فيها الأسطورة إلى حد كبير ويتنازع اليوم ملكيتها الهنود والسيخ والأفغان والباكستانيون. أسطورة هندية تقول إن إله الشمس قدمها هدية لإله الأرض قبل ٥ آلاف سنة وذكرت فى الكتابات السنسكريتية. أول ما ظهرت فى التاريخ أيام السلطان المغولى المسلم «بابر» الذى أسس أول وأعظم امبراطورية هندية إسلامية فى التاريخ. حصل على الماسة فى قلعة (أجرا) وكان يقدر وزنها آنذاك بـ ٧٨٩ قيراطا عام ١٥٢٦ وجاء فى مذكراته المعروفة باسم «بابر نامه» أن ثمنها يمكن أن يطعم سكان الأرض لمدة يومين! انتقلت الجوهرة إلى ابنه «همايون»

الذى صادف كثيرا من الشقاء بعد امتلاكها وكان أشيع أنها بقدر ما يمكن أن تجلب الحظ فإنها تجلب الشقاء والموت.

وصلت كوهينور إلى السلطان «شاه جاهان» الذى بنى ضريح تاج محل الشهير فرصع عرشه الطاووسى بها حيث وضعها مكان إحدى عينى الطاووس. انتقلت بعده إلى ابنه «أورانجازيب» الذى انقلب على أبيه حيث عرفها العالم حين تفاخر السلطان بها أمام الرحالة الفرنسى «تافرنييه» الذى رسمها. بعدها قتل الملك إخوته الثلاثة. تعرضت كوهينور للتشويه على يد تاجر من البندقية أوكل له السلطان صقلها فانكب عليها ثلاثة أعوام فتفتتت ونقص وزنها إلى أقل من ٣٠٠ قيراط. وبلغ الغضب بالسلطان أن كاد يقطع رأسه. نهاية وجود كوهينور فى الهند جاءت فى عهد محمد شاه الذى توج امبراطورا على دلهى وهو فى السابعة عشرة من عمره فغزاها الملك الفارسى «نادر شاه» واحتل أفغانستان سريعا وسار نحو دلهى عام ١٧٣٩ ونهبها وانتهى الأمر بالاتفاق بين محمد شاه ونادر شاه بالرجوع عن المدينة شريطة أن يتسلم نادر شاه كنز عرش الطاووس المغولى الذى بهره.

ويقال إن الملك محمد شاه خبأ الماسة فى عمامته وأخفى السر إلا عن بعض الخاصة فوشى به أحد خصيان القصر لدى الملك الفارسى الذى ادعى الحيلة قبل مغادرته عام ١٧٣٩ بالتذكير بتقليد يقضى بتبادل العمائم بين الملوك تعبيرا عن الصداقة وأسقط فى يد «محمد شاه» الذى انتزع عمامته وقدمها للضيف! وقعت الماسة بعد اغتياله فى يد أحد قواده «أحمد شاه عبدلى» الذى أصبح ملكا على أفغانستان فانتقلت كوهينور معه وتنازع أولاده عليها بعد وفاته حتى استقرت فى يد ابنه «شاه شجاع ميرزا» الذى سلمها خلسة لزوجته البيجوم وفاء بعد اعتقاله على يد أخيه محمود شاه والتى لجأت إلى حاكم البنجاب المهراجا من السيخ (رانجيت سينج) طالبة منه التدخل مقابل الماسة كوهينور! وحين نصب رانجيت نفسه حاكما على البنجاب قيل إنه أمر بصنع رباط فاخر من القماش حول ذراعه وثبت فيه «كوهينور» متباهيا بها وبقيت معه عشرين عاما حتى عام ١٨٣٩ وسلمها بعده «داليب سينج» للبريطانيين الذين دخلوا معه فى حروب طويلة وآلت إليهم عام ١٨٤٩ ونسى مدير شئون المستعمرات «جون لورنس» أمرها حتى سئل عنها فهرع إلى خادمه الذى ظنها قطعة من الزجاج!!!

رفض الحاكم العام للهند «لورد دالهاوسى» إهداءها للملكة فيكتوريا واعتبرها من غنائم الحرب وملكا للشعب وطلب إرسالها إليه فى انجلترا وأبحرت البارجة ميديا وعليها الماسة وسط إجراءات أمنية وسرية شديدة فى ١٦ إبريل من عام ١٨٥٠. وفى يوم ٣ يوليو سلمت رسميا للملكة فيكتوريا وقدر جواهرجى الملكة وزنها آنذاك بـ (١٨٦ قيراطا) وتقرر عرضها فى هايدبارك بلندن لكن الناس أصيبوا بخيبة الأمل حيث لم يعتادوا رؤية القطع المغولى المنطفئ. سلمها «الأمير البرت» إلى متخصصين لإعادة قطعها لإظهار بريقها وتم ذلك خلال ٣٨ يوما فقط مما يوحى بالسرعة غير المتزنة وتكلفت العملية ٨ آلاف جنيه استرلينى ذهب بحساب ذلك الزمن. وفقدت بذلك كوهينور كثيرا من وزنها.

لكنها لم تفقد سحرها. وكانت الملكة ألكسندرا أول من تزينت بها وفى عام ١٩٣٦ وضعت فى تاج الملكة اليزابث (الملكة الأم). وفى عام ٢٠٠٢ انتقلت «كوهينور» إلى آخر مرقد لها فى خزانة الكنوز فى برج لندن الشهير. لكن عددا من الدول يطالب بها اليوم وعلى رأسها باكستان التى طلب رئيس وزرائها الأسبق «ذو الفقار على بوتو» من رئيس وزراء بريطانيا «آنذاك جيم كالاجان» استعادتها عام ١٩٧٦ ونصحه البريطانيون بـ (نسيان الحكاية تماما)، كما تطالب بها حكومات الهند المتعاقبة ويطالب بها نظام طالبان الأفغانى وحكومة إيران كذلك حيث إن كل دولة منها امتلكتها فى فترة من التاريخ!

ومازالت «كوهينور» تلهب خيال الفنانين والروائيين وتلعب دور البطولة وكان آخرها فى مسلسل تليفزيونى عرض فى بريطانيا عام ٢٠٠٦.

سيلما لاجيروف



أول امرأة تحصل على جائزة نوبل فى الأدب. سويدية ولدت فى ولاية فيرملاند ونشأت فى مارباكا حتى عام ١٨٨١ وماتت أمها عنها وهى صغيرة وارتحلت إلى استوكهولم للالتحاق بكلية المعلمات وللعلاج من مرض فى ساقها، قيل إنه شلل وقيل إنه عيب خلقى جعل إحدى ساقيها أقصر من الأخرى بكثير. وهذا ما جعها تنطوى على نفسها وساعدتها قصص جدتها على تنمية خيالها حتى كتبت الشعر فى طفولتها خاصة وأنها كانت قارئة نهمة لمكتبة والدها الضخمة. تابعت الحركة المسرحية واهتمت بالأدب الشعبى وأحبت طبيب البلدة فى صمت وهوما تجلى فى قصصها التى تدور حول أمير الأحلام الذى لا يجىء.

أول جائزة أدبية حصلت عليها متأخرة وكان عمرها ٣٢ سنة فى عام ١٨٩٠ ولم يلق كتابها كتابها الأول «حكايات جوستا بيرلنج» عام ١٨٩١ حول شاب منحرف، الترحيب فى بلدها، السويد، حتى ترجم فى الدانمارك فتلقت دعما ماليا من الأسرة المالكة السويدية فسافرت إلى إيطاليا وكتبت «معجزة عدو المسيح» عن المسيح الدجال، ويقال إنها قصدت به الاشتراكية برغم أنها كانت ملحدة بشكل ما حتى سافرت إلى مصر والقدس وبيت لحم، فأصدرت كتابها الذى شكل تحولا فى حياتها، أدبيا ودينيا، ونشرته عامى ١٩٠١ و١٩٠٢ لكن الكتاب الذى حقق لها شهرة فائقة وكانت أعدته لطلبة المدارس الابتدائية وتحول إلى أشهر كتاب للأطفال آنذاك هو «مغامرات نيل» ونالت بعده جائزة نوبل عام ١٩٠٩ كأول امرأة فى تاريخ العالم وفى عام ١٩١٤ أصبحت عضوا فى (الأكلديمية السويدية) التى تمنح جوائز نوبل. ونشرت «ثلاثيتها» المعروفة. وتوقفت عن الكتابة

تقريبا مع الحرب العالمية الأولى. واستطاعت استعادة مزرعة «مورباكا» التى عاشت طفولتها فيها وقالت (أنها استعادت الحياة) وكانت اضطرت لبيعها بعد وفاة أبيها. وعادت للكتابة حتى ماتت عام ١٩٤٠ عن ٨١ سنة. تركت أعمالا كثيرة بينها «حوذى الموت» و«امبراطور البرتغال» و«قصص ريفية» وهى جميلة جدا.

لالا فاطمة نسومر



مناضلة جزائرية بربرية أطلق عليها الفرنسيون لقب (جان دارك جُرجُرة) نسبة إلى الجبال التى كانت تحارب فيها. ألحقت بالفرنسيين هزائم عديدة.هى «فاطمة بنت سيد أحمد» ولدت عام ١٨٣٠ فى منطقة القبائل الجبلية شرق الجزائر. (لالا تعنى السيدة). كان والدها «سيدى محمد بن عيسى»، شيخ الطريقة الرحمانية الصوفية وكان لها أربعة إخوة. زوجها أبوها وعمرها ١٦ سنة من رجل لم ترض به وقيل: إنها ادعت الجنون ليلة زفافها مما اضطره لإعادتها إلى بيت أبيها. ويروى أنها لم تطلق منه حتى مماتها.

اعتكفت بعدها للعبادة وتعلم الدين وتولت شئون الزاوية الرحمانية بعد وفاة أبيها لكنها فضلت الرحيل إلى قرية نسومر حيث يقيم أخوها الأكبر سيدى الطاهر الذى كان عارفا بالعلوم الدينية والدنيوية فتعلمت على يديه وانتسبت باسمها للقرية. ذاع صيتها فى منطقة القبائل لكنها لم تنقطع عن متابعة أخبار المحتل الفرنسى وتوغله فى بلادها الجزائر حتى وصل لمنطقة القبائل واحتل العاصمة البربرية «تيزى أوزو» عام ١٨٤٥واتخذها قاعدة له لينطلق إلى باقى القرى فانضمت «لالا فاطمة» للمقاومة وشاركت الشريف بوبغلة (محمد بن عبد الله) للدفاع عن جبال جرجرة، وتصدت للفرنسيين وقطعت عليهم طرق الإمدادات التى تعرفها جيدا، لكن قواتهما كانت أضعف من قوات الفرنسيين وأقل تجهيزا وعددا.

انضم إليها قادة (العروش) وهم زعماء القبائل بعد أن بلغهم حاجتها لمشاركتهم، كما وقف معها شيوخ الزوايا الذين جندوا المريدين والمتطوعين من كل مكان فقادت المقاومة فى الجبال الوعرة واتجهوا نحو ناحية (واضية) وواجهوا الفرنسيين الذين كانوا بقيادة ماك ماهون ومعهم الآغا الجزائرى (الحاكم هناك) وهزمتهم «لالا فاطمة» بعد أن قتلت بيدها الآغا الجودى وأنقذت شريكها فى المعركة «بوبغلة» بعد إصابته وكان عدد القتلى بين الفرنسيين ٨٠٠ جنديا بينهم ٢٥ ضابطا و٣٧٠ جريحا.

عاود الفرنسيون القتال والهجوم وأقاموا المعسكرات وتوغلوا فواجهتهم «لالا فاطمة» من جديد وانتصرت فى مواقع عديدة مما اضطرهم لطلب النجدة أكثر من مرة ولم تستطع «لالا فاطمة» الاستمرار أمام الجيش الفرنسى المجهز بالإمدادات السريعة الحديثة فاضطرت إلى الانسحاب للحفاظ على المقاتلين معها من الإبادة على يد الفرنسيين. جمعت قواتها البالغ عددها ٧ آلاف مقاتل وعملت على قطع الطرق فى الجبال لضرب مؤخرات الجيش الفرنسى. لكنها لم تستطع الصمود طويلا فانسحبت نهائيا بعد قبول الهدنة وبدء المفاوضات لكن الفرنسيين اعتقلوا الوفد الجزائرى المفاوض وأسروها ومن معها من النساء. ونفيت إلى زاوية بنى سليمان حيث مكثت سبع سنوات أصيبت أثناءها بشلل وتوفيت عن ٣٣ عاما فقط!! وقد خلدتها الجزائر بإطلاق اسمها على باخرة عملاقة لنقل الغاز كما كانت بطلة عدد من الأعمال الفنية والأدبية.

أوستن هنرى لايارد

مكتشف أطلال مدينة «نينوى» العراقية التاريخية ذات المجد القديم الآشورى وكنز نمرود الأسطورى الذى يعادل فى أهميته كنز توت عنخ آمون.

هو «أوستن هنرى لايارد». مستشرق بريطانى ورحالة ودبلوماسى ومغامر ومنقب عن الآثار وسياسى وبرلمانى ومحقق وكاتب وباحث فى الآثار والفنون وجامع تحف. عثر على (كنز نمرود) الذى يعتبر بقيمة كنز «توت عنخ آمون» المصرى لشدة جماله وقيمته التاريخية والذى سرق الكثير منه بعد الغزو الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣. شارك «لايارد» فى رسم الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية خاصة فيما يتعلق بشط العرب الذى لم يكن بهذا الاسم وأراد البريطانيون رسمه داخل الامبراطورية العثمانية ليسهل عليهم السيطرة عليه كطريق إلى الهند.

ولد فى باريس يوم ٥ مارس عام ١٨١٧ وعاش صباه فى إيطاليا وتجرى فيه دماء إسبانية من والدته ودخل المدرسة فى سويسرا وقد أنعش فيه اجتماع كل هذه الثقافات حب البحث فى الحضارات. عاد إلى بريطانيا وعمره ١٢ سنة. وتدرب فى مكتب عمه النائب العام لمدينة لندن. أرسله عمه فى رحلة إلى سيلان بدأها عام ١٨٣٩م لكنه توقف فى فارس. عاد إلى القسطنطينية (استانبول حاليا) عام ١٨٤٢ حيث قابل السفير البريطانى «ستراتفورد كانينج» الذى أوكل إليه مهام دبلوماسية غير رسمية فى الجزء الأوروبى من تركيا.

أوعز السفير إليه الارتحال إلى بلاد آشور (سوريا القديمة) حيث اكتشف (آثار نمرود) على دجلة. وظل يتابع التنقيب بالقرب من الموصل باحثا فى أصول الحضارات والشعوب هناك حتى عام١٨٤٧. عاد إلى إنجلترا فى العام التالى لينشر كتابه المهم (نينوى وأطلالها) حيث اعتبر نفسه مكتشف مدينة

نينوى الحقيقية متجاوزا من سبقوه. كتب «لايارد» أبحاثه حول (المسيحيين الكلدانيين فى كردستان) و(الإيزيديين أو عبدة الشيطان كما أطلق عليهم) كما نشر مجلدا فى حياة وفنون الآشوريين القدماء. ومعه ملحق بالرسومات لآثار نينوى عام ١٨٤٩ وحصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد. عاد إلى القسطنطينية ملحقا فى السفارة البريطانية. ليبدأ رحلة التنقيب المهمة الثانية فى بابل وبلاد الرافدين.

اكتشف فى نينوى (مكتبة آشوربانيبال) والتى وجد فيها (قصة الخلق) مكتوبة بالبابلية القديمة وتتألف من ألف سطر تقريبا على سبعة ألواح فخارية باللغة البابلية القديمة. فى كل لوح ١١٥ إلى ١٧٠ سطرا. وبنصوص كاملة تقريبا. ويقال إن «لايارد» صرخ مذهولا أمام حفرية للرسم الشهير لجسم إنسان ورأس أسد بجناحين ونقله ليكون على بوابة قصر الملكة فيكتوريا. اكتشف أن الآشوريين أول من اخترع (العجلة) فى التاريخ. نشر سلسلة ثانية من (آثار نينوى) بالرسومات أيضا. كانت المهمة شديدة الصعوبة.

أرسل «لايارد» معظم ما وجده إلى المتحف البريطانى الذى مازال يحتفظ بالكنوز حتى اليوم والتى تشكل الجزء الأكبر من تحف قسم الآشوريات فيه. عاد للسياسة وانتخب نائبا فى البرلمان عن الأحرار عام ١٨٥٢ وعمل فى الشئون الخارجية لكنه انتقد حكومته أثناء وجوده فى القرم لمشاركتها فى الحرب هناك. استقال من البرلمان عام ١٨٦٩ وأوفد فى مهمة إلى أسبانيا ثم عين سفيرا لبريطانيا فى القسطنطينية عام ١٨٧٧ حتى استقال من الحياة العامة عام ١٨٨٠. وصفت حياته السياسية بالعاصفة. قضى باقى حياته فى فينيسيا دارسا للفن الإيطالى ونشر أبحاثه عنه. آخر أعماله كان (الاكتشافات الأولية فى إيران). مات فى لندن عام ١٨٩٤. كان باحثا لامعا لكنه لم يكن لغويا جيدا فلم تأت كتاباته بمثل حرفية عمله. قال: (علينا ألا ننسى أنه إذا كانت مصر أحد الطرق إلى الهند فإن سوريا ووادى دجلة والفرات هى الطريق، والدولة التى تسيطر على هذا الطريق تتحكم فى الهند).

لبيبة هاشم

رائدة إعلامية من القرن التاسع عشر وشاعرة وروائية وكاتبة قصة وخطيبة وصحفية. بيروتية مارونية العقيدة. كانت أول سيدة تنشئ مجلة فى مصر. ولدت فى لبنان حوالى عام ١٨٨٠م تعلمت فى مدرسة الراهبات والإرساليات الأمريكية والبريطانية فى بيروت وبدأت مبكرا بمراسلة الصحف والمجلات ونشر إنتاجها الأدبى. ارتحلت إلى مصر مع أسرتها وأصدرت عام ١٩٠٦ مجلتها المعروفة (فتاة الشرق) التى ظلت تصدر دون توقف لمدة ٣٠ عاما لتسجل أطول فترة إصدار لصحيفة آنذاك.

ظلت تتنقل بين مصر ولبنان ثم سوريا وتخطب على المنابر داعية لنشر التعليم وألقت سلسلة محاضرات فى الجامعة المصرية بعد إنشائها. عينت لفترة قصيرة فى وزارة المعارف السورية سافرت بعدها إلى شيلى فى أمريكا الجنوبية وأصدرت فيها مجلة (الشرق والغرب) عام ١٩٢٣ لمدة عام عادت بعدها إلى القاهرة لتشرف على مجلتها ولتنتصر للغة العربية بشراسة، بالرغم من ثقافتها الأجنبية.

كانت من أبرز من هاجم المشروع الصهيونى فى فلسطين وشرحت أبعاده لتنوير الناس بخفاياه. أطلق عليها «مصطفى صادق الرافعى» لقب (سيدة القلم العربى). ونظم الشاعر «شبلى الملاط» قصائد فى مدح أعمالها. كما امتدحها «أنطون الجميل» والشاعر «شفيق معلوف» ولقبت (بالأديبة النابغة). واعتبرها الأمير «شكيب أرسلان» (أديبة العصر).

نشرت ٣ روايات بينها «حسناء الجسد» و«شيرين» وأهمها روايتها: (قلب الرجل) التى نشرت عام ١٩٠٤. وهى تحكى عن الحرب والفوضى التى اجتاحت الجبل اللبنانى وتشتت أهله الذين هاجروا إلى بيروت وإلى مصر طلبا للرزق. لكنها لم تغفل تعاطف الطوائف حيث تؤوى سيدة درزية فتاة مسيحية. أكدت لبيبة هاشم فى روايتها على الحدث التاريخى الذى نشأ من صراع طائفى المظهر لكنه أدى إلى التعاطف بين الأديان بين الناس. كانت رائدة فى رواية الأحداث ورسم الشخصيات بلغة توصف بأنها (ثرية). توفيت «لبيبة هاشم» عام ١٩٥٢.

بيير لوتى



كاتب وبحار فرنسى. من أهم وأعظم الذين زاروا المشرق وأحبوه وكتبوا عنه بكل الحب والانبهار. وتعتبر كتاباته عن تركيا من أهم المصادر فى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ولد باسم «لويس فيو» عام ١٨٥٠ والتحق بالمدرسة البحرية وعمره ١٧ سنة وأصبح قبطانا حتى عام ١٩١٠. ويقال إنه لشدة خجله فى بداية حياته أطلق عليه أصدقاؤه اسم «لوتى» وهى زهرة هندية تفضل الازدهار فى الخفاء. بدأت كتاباته تتألق حين نصحه زملاؤه فى البحرية عام ١٨٧٦م بكتابة مذكراته عن اسطنبول التركية على شكل رواية فجاءت روايته الرائعة «أزيادة» والتى كانت قصة رومانسية فيها الكثير من حياته. الحريم التركى والسلطانى وصفه بأجواء ألف ليلة وليلة وهو ما جعل قراؤه آنذاك يؤخذون بشدة بتلك البلاد الغامضة.

ومازال حتى اليوم يوجد مقهى باسمه فى اسطنبول فى أشد المناطق جذبا سياحيا عند القرن الذهبى. ودار جدل منذ فترة حول تغيير اسمه ولم يحدث. ذهب إلى تاهيتى فكتب (راراهو) عام ١٨٨٠ والتى أعيد طبعها باسم (زواج لوتى) وهى التى قدمته فعلا إلى الساحة الأدبية الفرنسية.

تبعها عام ١٨٨٣ كتابه الذى أحدث ضجة (أخى إيف) وسجل فيه مغامراته فى البحار واعتبرته الموسوعات العالمية درة إنتاجه حتى صدرت روايته (جزيرة الصياد) التى قالت عنها الموسوعة البريطانية إنها أجمل ما كتب. وكان على سفينته فى ميناء الجزائر حين وصله خبر اختياره عضوا فى الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٩١. أصدر كتابه (الثلاثية) عن الأراضى المقدسة فى فلسطين بين عامى ١٨٩٥- ١٨٩٦ كما كتب رواية عن الباسك فى اسبانيا عام ١٨٩٧. أصدر مجموعة مقالات جمعها بعنوان: (أشياء وشخصيات عرفتها). زار الهند مع بداية عام ١٩٠٠ أيام الاستعمار البريطانى فكتب: (الهند بدون الانجليز). وزار الصين وكتب عنها.

من بين كتبه التى ألفها فى أواخر أيامه: (الشباب الثالث للسيدة بلوم) ١٩٠٥، و(موت فيليه) عام ١٩٠٨، ومسرحية (جوديث رينودان) وهى من خمسة فصول وتحكى جانبا من تاريخ عائلته. كما أصدر ترجمة لرائعة شكسبير «الملك لير» عرضت على مسرح أنطوان أيضا عام ١٩٠٤. كما عرض تمثيلية على (مسرح القرن) فى نيويورك بأمريكا عام ١٩١٢. كان جامع تحف وعاديات وكان ينفق الكثير عليها حتى أن بيته كان أقرب إلى متحف للآثار الإسلامية والمسيحية، بينما كانت غرفة نومه أقرب إلى صومعة راهب. ترك عددا ضخما من المؤلفات بينها (أشعار اصفهان) و(فى المغرب) و(الخائبات) التى صدرت عام ١٩٠٦ التى تدور أحداثها فى الشرق وهى- كما يقول النقاد- أجمل فى تعبيراتها من «أزيادة» وإن لم تنل شهرتها، ربما لأنها جاءت بعد حوالى عشرين عاما منها، وكان جو الشرق قد اعتاد القراء على الدخول فى أجوائه.

ادعت كاتبة فرنسية أنها بطلة قصته عن الحريم التركى وأنها خدعته وربما كانت تهدف للشهرة على حسابه، فقد كان «لوتى» أهم كاتب فى ذلك العصر وكانت كتبه كثيرة التداول. وقد خلق «بيير لوتى» فى هذه الرواية جوا ساحرا شرقيا متناغما غامضا جذابا، ووصل فى عباراته من الجمال والعذوبة والبلاغة ما جعل الموسوعة البريطانية تضعه فوق الجميع. مات ودفن عام ١٩٢٣ فى نفس الجزيرة الصغيرة، التى ولد فيها فى الجنوب الغربى من فرنسا.

شيزارى لومبروزو أو (سيزر لومبروزو)

أشهر من وضع نظريات فى السلوك الإجرامى. وهو مخترع جهاز الكذب. طبيب إيطالى يهودى. ولد باسم «يتسحياء ماركو لومبروزو» فى ١٨٣٥ فى مدينة فيرونا شمال إيطاليا فى عائلة ثرية. التحق بكلية الطب فى جامعة بافيا الإيطالية. كان يتجول فى جنوب إيطاليا بالتحديد بين الفقراء والمهمشين والمجانين والذين

يعانون من سوء التغذية ومدى تأثير ذلك فى أشكالهم الخارجية لتأكيد نظريته فى اختلاف هؤلاء عن الأشخاص الطبيعيين. انضم إلى الفريق الطبى العسكرى الذى كان يلاحق المجرمين لمتابعة أبحاثه عليهم. واقترح على الحكومة إنشاء مركز للأفراد المختلين عقليا والذين ارتكبوا جرائم خطيرة.

فى عام ١٨٦٤ اهتم بتطبيق (العلم الوضعى) وإجراء التجارب الميدانية وعين بعدها بعامين محاضرا زائرا فى جامعة بافيا. وأصبح مدير (مركز لجوء المجرمين) فى عام ١٨٧١. استغل المركز لدراسة موضوعية وشاملة على الملامح الرئيسية للمجرمين الأصحاء والمجرمين المختلين عقليا، وحين عاد فى العام التالى إلى بافيا بدأ يضع نظرياته حول (الشخص المجرم). وتوصل إلى أن السلوك المنحرف والسلوك الإجرامى والجنونى كلها تعود لمسبب واحد.

كتاب (الشخص المجرم) نشر لأول مرة عام ١٨٧٦ بناء على مقالات توالى نشرها حول أسباب الجريمة ونظرية الإنسان البدائى! وركز جهوده فى أبحاث الطب الشرعى والطب الجنائى وعلم الانسان. وأجرى دراسات وفحوصات على أكثر من ٣٨٣ جمجمة لمجرمين ماتوا وعلى حوالى ٦٠٠ مجرم على قيد الحياة وأثبت وجود (فراغ) فى مؤخرة الجبهة تشبه جبهة القردة. مما دفعه إلى القول بأن الانسان البدائى مجرم، وبأن المجرم إنسان بدائى، لم يتطور حضاريا ولا ذهنيا ولا نفسيا!! وقد هوجم بشدة من قبل العلماء والمختصين بسبب هذه النظرية واعتبروها متأثرة بنظرية «داروين» فى التطور الطبيعى.

أثناء عمله فى الجيش الإيطالى وجد أن الجنود الشاكسين والصاخبين يتميزون بخصائص ليست موجودة فى الجنود الآخرين. ويقول: إنه لاحظ أن هؤلاء الجنود غير الطبيعيين، يحبون وشم أجسامهم بصور مخلة للآداب العامة وفى معظمها صور ماجنة مرفقة بكتابات ماجنة، واستدل على أن عدم الإحساس بألم الوشم دليل على عدم الإحساس عموما بالآخرين!! وهو ما رفضه باقى العلماء.

زعم أنه اكتشف فى بداية الأمر وجود (انحراف) فى جمجمة المجرم عن جمجمة الشخص العادى و(تقعرا) فى بنيته الجسدية أيضا. بما يفيد بأن المجرم لا يصبح مجرما وإنما (يولد) مجرما! وانتهى «لومبروزو» إلى أن السبب فى السلوك الإجرامى هو (الانفعال) الاندفاعى وهو يولد مع الشخص وبالتالى لا يمكن الخروج عنه فيما بعد.

ويشير «لومبروزو» إلى بعض الصفات الجسمانية للمجرم بالفطرة وهى رأس صغيرة ووجه كبير، وجبهة ضيقة ومنحدرة، أو بعظام جبهة عالية وبثور فى الوجه الذى يكون غالبا غير متسق الملامح أو عميق التجاويف، كما يتميز بحواجب غزيرة الشعر وعيون غائرة، وخط فك حاد، وشفاه ممتلئة، وذقن صغيرة وصدر واسع مع أكتاف متهدلة، وأذرع طويلة. كما يتسم وجه المجرم (القاتل) بحسب ما يراه «لومبروزو»، بنظرة عين عابسة باردة وضخامة أنف. بينما يتميز وجه (اللص) المجرم بحركة غير عادية لعينيه مع صغر شديد فيهما، مع انخفاض الحاجبين وكثافتهما.

تعرض «لومبروزو» لانتقادات واحتجاجات واسعة واتهامه بنقل كامل للمدرسة الوضعية الفرنسية والمادية الألمانية التى نجم عنها النازيون فيما بعد. كما اتهم بأنه ركز بشكل خاص على (الشكل) كما أنه لم يقم بدراسات على عدد كاف من المجرمين واكتفى بقلة منهم وبالتالى فليس لاستنتاجاته قيمة علمية.

استدرك «لومبروزو» فى أواخر حياته ما زعمه فى البدايات فقسم المجرمين إلى فئات مختلفة بين: المجرم بالفطرة والمجرم بسبب الجنون أو الاختلال العقلى وبين المجرم السياسى الذى أثبت أنه ليس بالضرورة أن يكون مختلف الملامح عن الشخص السوى العادى. كما صنف المجرمين إلى مجرم سيكوباتى (مختل نفسيا) ومجرم بالصدفة والمجرم العاطفى.

وبذلك يكاد يكون «لومبروزو» قد ألغى كل نظريته المبدئية حول ملامح الإنسان المجرم بالولادة! لكن هذه النظرية ما تزال متداولة لدى كثير من الناس لم يتابعوا تعديل نظريته!!

لكنه ما يزال يعتبر مؤسس (الأنثروبولوجيا الجنائية)!! وكان أول من استخدم جهاز كشف الكذب عام ١٨٩٥ وتوفى عام ١٩٠٩ بالذبحة الصدرية.

لويس الرابع عشر

ملك الشمس الذى جعل من فرنسا بلد النور وأرسى الفنون والآداب فيها لتصبح درة أوروبا وهو بانى قصر فرساى. جلس على العرش فى أطول مدة لحاكم أوروبى حيث امتدت فترة حكمه ٧٢ عاما. ولد عام ١٦٣٨ وكان عمره خمس سنين حين خلف أباه الملك لويس الثالث عشر عام ١٦٤٣ واستمر فى الحكم حتى عام ١٧١٥م. حكمت أمه، الملكة آن وصية عليه بمساعدة «كاردينال مازارين» كبير الوزراء، مما أشعل ثورة احتجاج من قبل النبلاء لهز هيبة العرش، بتحريض من ملك أسبانيا. وقامت الحرب الأهلية التى عرفت باسم «الفوند» والتى انتهت بالصلح عام ١٦٥٩ والتى أدت إلى تزويج الملك الصغير فى العام التالى، من «مارى تيريز»، ابنة «فيليب الخامس»، ملك اسبانيا، وكانت الفتاة على قدر ضئيل من الجمال ومن الثقافة ومن أى جاذبية من أى نوع.

حين توفى «مازارين» عام ١٦٦١، كان عمر الملك «لويس الرابع عشر» ٢٣سنة، لكنه قام بخطوة مصيرية حين ألغى منصب رئيس الوزراء واعتمد لنفسه السلطة المطلقة التى زعم أن الله أعطاه إياها مباشرة، واتخذ (الشمس) شعارا له واشتهرت كلمته التى قالها (أنا الدولة)!

انتقل من باريس إلى ضواحيها حيث بنى فى (فرساى) القصرالفخم الشهير، وانتقل إليه عام ١٦٨٢، ثم أصبح المقر الرئيسى للملوك فرنسا فيما بعد. عمل فى فترات حكم الأولى مع وزير بارع

للمالية هو «كولبرت»، ليرسخ معرفته بالاقتصاد والمال، وليحكم السيطرة على البلاد التى كانت تعانى من انهيار اقتصادى، خاصة وأنه لم يتعلم بما يكفى لإدارة البلاد. لكنه كان يملك وعيا شديدا وتفكيرا سليما، وكبرياء ملكيا، ونشاطا لامعا.

حين توفى ملك أسبانيا، طالب لويس الرابع عشر بجزء من أملاك أسبانيا فى الأراضى المنخفضة، (هولندا وبلجيكا ولوكسمبورج اليوم)، باعتباره زوج الوريثة «مارى تيريزا»، التى لم يدفع له والدها الملك، (الدوطة) التى كان قد وعده بها. فجهز جيشا عبر الجبهة الشمالية لفرنسا واحتل الأراضى الجنوبية لما يسمى بـ (الأراضى المنخفضة)! وما تزال تعرف حتى اليوم بمنطقة فلاندر الفرنسية، حيث مازال السكان الجنوبيون لبلجيكا ولوكسمبورج وموناكو، يتكلمون الفرنسية.

قام الاتحاد الثلاثى المكون من انجلترا ومجلس حكم الولايات والسويد، وأجبره عام ١٦٦٨ على التنازل عن بعض الأراضى التى احتلها، فرد بتقوية جيشه وإعادة تنظيمه بالاتفاق مع ألمانيا و(اشترى) ولاء الملك تشارلز الثانى، واستولى على منطقة (اللورين) عام ١٦٧٠ ودخل بلاد الأراضى المنخفضة من جديد، واحتل نصف مساحتها فى أقل من ستة أسابيع. وأعلن سيادته على عشر مدن فى (الألزاس).

فى عام ١٦٨٥ نقض (ميثاق نانت) بتأثير من عشيقته «ماركيزة مونتينو»، التى تزوجها فيما بعد عرفيا عام ١٦٨٥ وكانت من الجزويت المتعصبين. وكان «ميثاق نانت» يسمح بحرية ممارسة الأديان و بإقامة طقوس المذهب البروتستانتى فى فرنسا، ومارس الملك نوعا من الاضطهاد عليهم ولاحقهم وكان عدد الفرنسيين البروتستانت يقارب ٢٠٠ ألف فى فرنسا، ومعظمهم من الحرفيين المهرة فاضطروا إلى الهروب إلى هولندا وانجلترا، وهو ما يفسر اليوم سيطرة المذهب البروتستانتى، اللوثرى و «الكالفينى» فى هولندا بالذات.

عادت الحروب بعد وفاة حاكم «أورليان»عام ١٦٨٥ فطالب الملك «لويس» بحصته لدى دوقة أورليان، أخت الحاكم المتوفى، ودخل جيش لويس مناطق «بادن وفورتمبرج» (اليوم فى ألمانيا)، ووصل إلى اللوكسمبورج عام ١٦٩٣، واضطر لعقد اتفاقية صلح خسر فيها أيضا بعض الأراضى التى احتلها.

تميزت السنوات الثلاثون الأخيرة من حكم «لويس الرابع عشر» بالحملات العسكرية المتكررة وأصبحت فرنسا القوة المهيمنة على القارة الأوروبية. وتعلم شعبها الطاعة للحاكم الأوحد دون تذمر. وأصبح البلاط مع توالى السنين هو قلب الحكم، وفقد النبلاء الرغبة فى الإمساك بالسلطة.

وأدركت الأمم الأوروبية الأخرى مدى خطورة فرنسا وأحست بالتهديد فقامت الحرب بين عامى ١٦٨٨ و١٦٩٧ تبعتها الحرب الأسبانية التى سميت بحرب (الوراثة)، عام ١٧٠١ مما أثر كثيرا فى موارد فرنسا والتى عانت لأول مرة منذ أكثر من قرن، هزائم متتالية.

أحب «لويس الرابع عشر» الموسيقى والرقص والفنون وشجعها. وكان يحب أن يحيط نفسه بالموسيقيين فأنشأ (أكاديمية الرقص) عام ١٦٦١ و(أكاديمية الموسيقى) عام ١٦٦٩. وكان يشجع

الموسيقى بكل أنواعها ولم يكن يقصر اهتمامه على الموسيقى (الكنائسية)، بل تعداها إلى الموسيقى (الدنيوية)، وأصبح للباليه شعبية، وأصبح الشعب يتذوق السيمفونيات والتمثيل، وطور فرقة الأوركسترا وأدخل الكثير من الآلات التى كانت ممنوعة آنذاك.

كان يتمتع بكبرياء شديد خاصة، حين تقدم فى السن. وكان بالرغم من قسوته الشديدة، شديد الولاء لأصدقائه وخدمه!! وكان يحارب فساد البلاط ويلاحق المفسدين بكل الطرق. كان يحب هالة المجد، وكان له حضور ملكى غير عادى.

توفى لويس الرابع عشر عام ١٧١٥ بعد معاهدة «أوتريخت» للسلام والتى أنهت الحرب الإسبانية. وخلفه حفيده لويس الخامس عشر حيث كان ابنه قد توفى قبله.

ليون الإفريقى

شخصية غامضة غريبة مهمة من القرن السادس عشر هو محمد حسن الوزان. كان رحالة وشاعرا ودبلوماسيا مغربيا. اختطفه قراصنة إسبان فأعتقه بابا الفاتيكان وقام بتنصيره. حياته تعكس سرقة الهوية الإسلامية من قبل الصليبيين وفرسان مالطة والفاتيكان الذى كان يخشى التوسع العثمانى المسلم فى أوروبا ويعمل على إيقافه بأية وسيلة. هو «محمد بن الحسن الوزان الفاسى» يرجح أنه ولد فى غرناطة بالأندلس حوالى العالم ١٤٨٨م ومات حوالى العام ١٥٥٤م فى تونس أو فى المغرب حسب تضارب المصادر. كان ينتمى إلى أسرة معروفة رفيعة المستوى عاشت فى غرناطة حتى أخذها الإسبان العام ١٤٩٢م. فانتقلت إلى فاس بالمغرب. تلقى تعليما عاليا فى جامعة القرويين وعمل فى المارستان (المستشفى والملجأ) وحين بلغ السابعة عشرة من عمره لحق بعمه الذى أرسله سلطان فاس سفيرا إلى سلطان تيمبوكتو (فى مالى اليوم) وكانت آنذاك درة العالم الإسلامى ثراء وعلما وحضارة وتجارة.

اختلط بالعشائر والقبائل وتعرف إلى الجغرافيا والتاريخ فى ممالك إفريقيا بخاصة ممالك السودان الخمسة عشرة. زار القسطنطينية ومصر ويقال إنه وصل إلى الجزيرة العربية. عبر البحر الأبيض المتوسط أكثر من مرة حتى أسره قراصنة برتغاليون. كان أسره استثناء فالمسلمون من شمال افريقيا كانوا آنذاك أسياد البحار وعرف منهم قراصنة مقاتلون كانوا يحمون الثغور والموانئ. أسر بالقرب من جزيرة جربة التونسية بعد مغادرته الشواطئ المصرية وقيل إنه أسر عند جزيرة رودس من قبل فرسان رودس (فرسان مالطة) الذين كانوا آنذاك يتخذون من رودس قاعدة لهم. أخذوه إلى

البابا «ليون العاشر» بدلا من أن يبيعوه عبدا لذكائه واتساع معرفته وعلمه وأصله النبيل. أعتقه البابا ونصره وعمده عام ١٥٢٠ وأطلق عليه اسما مسيحيا هو «جيوفانى ليونى ميديتشى» لكنه ظل يعرف باسم «ليون» ثم «ليون الإفريقى».

عاش فى كنف البابا الذى لم يدعه يشارك فى الحياة العامة أو يتقلد مناصب. لم ينل حظا من التقدير والشهرة فى حياته حتى ألف كتابه الشهير (وصف إفريقيا) الذى أصبح مرجعا لمدة قرون عن أواسط إفريقيا والسودان والمغرب. وجاء الكتاب فى ٣ مجلدات التى تضمنت ٨ كتب، قسمت حسب الدول. ترجم الكتاب لعدد من اللغات الأوروبية فأشعل الخيال الأوروبى عن أفريقيا وكان له تأثير كبير فى المستشرقين فيما بعد. وكان يصدر باسم (ليون الإفريقى) حتى وجدت منه نسخة فى مكتبة الاسكوريال فى مدريد باسبانيا باسمه المسلم «حسن الوزان» بالإضافة إلى اسمه المسيحى الأوروبى.

أعيد اكتشاف كتابه من جديد فى أوائل القرن التاسع عشر مع اهتمام فرنسا باستعمار إفريقيا. وتأثر به المستشرق الفرنسى «ماسينيون» الذى وضع رسالة الدكتوراه فى السوربون عن المغرب فى القرن السادس عشر معتمدا على كتاب ليون الإفريقى. أول ترجمة بالعربية للكتاب كانت عام ١٩٨٠ على يد «محمد حجى» أستاذ التاريخ فى جامعة الرباط بالمغرب الذى رأى أن الوزان لم يكن مراوغا حسبما جاء فى ترجمة الكاتبة الأمريكية «ناتالى ديفيس» عنه فى كتابها الذى صدر باسم (رحلات مراوغ)، والتى تتحدث فيه عما سمته (سرقة الجذور والهوية) التى قام بها البابا تجاه الوزان.

«محمد حجى» بالمقابل يؤكد أن الوزان عاش ومات مسلما وأنه لم يتنصر لأهداف براجماتية وإنما لاضطراره للبقاء فى بلاط الفاتيكان تحت رعاية البابا الذى تبناه ووضعه تحت إشراف ثلاثة من كبار الفلاسفة والعلماء بينهم «ألبرت بيو» من دارسى فلسفة أرسطو، و«إيفيديو دا فيتربو» المهتم بالأفلاطونية الحديثة والقبلاه اليهودية (التصوف اليهودى). لكن الوزان أو «ليون الإفريقى» كان منتميا بقوة لأصوله المغربية العربية والإفريقية ولم يكن يذكر شيئا عن حكاية أسره وتنصيره (أنا ابن الفيافى وبلدى هو القافلة)!

لكن الكاتب اللبنانى الأصل «أمين المعلوف» أعاده إلى الأذهان قبل أعوام حين ألف رواية جميلة عنه وجعله بلا وطن محدد، متعدد الهويات والثقافات، بلا جذور، نموذجا للإنسان كما ينبغى أن يكون عليه اليوم. حين مات البابا، راعيه وحاميه عام ١٥٢١ غادر «ليون» البلاد إلى بولونيا الإيطالية وفلورنسا ونابولى. وضع تراجم لسير حياة ٣٠ من الشخصيات العربية من الأطباء والفلاسفة بينها ٢٥ من المسلمين و٥ من اليهود. ترجم للاتينية عام ١٦٦٤ وكان من أهم الكتب التى عرفت الغرب بالعرب. ساعده عالم يهودى كان هرب من الأندلس فى بدء مشروع لقاموس عبرى عربى لاتينى ولم يكتمل. رحلاته التى قام بها فى الصحراء الإفريقية والقاهرة أيام السلطان (قانصوه الغورى) تظل المرجع الأول عن تلك الفترة. ترك مجموعة من المؤلفات ضاع معظمها وكان منها كتاب (الجغرافيا

العام) و(أشعار الأضرحة حول الموت ومواعظه) وكتاب (فى الأعياد الاسلامية) وفى (الشعر العربى) و(سجل موجز للتاريخ الإسلامى). المؤكد أنه غادر إلى تونس وعاد هناك مسلما لكن الظن أنه كان ينوى المجئ إلى القاهرة وأنه قد يكون مات بالمغرب عام ١٥٥٤م.

جوجليلمو ماركونى

مخترع الراديو. عالم موجات كهربية- مغناطيسية. كان من أوائل من نالوا جائزة نوبل. ولد «جوجليلمو ماركونى» بمدينة بولونيا بإيطاليا فى أبريل عام ١٨٧٤م فى أسرة ثرية لأب إيطالى من الإقطاعيين النبلاء ولأم آيرلندية. كان مرفها لم يطق المدرسة فتلقى دروسا خاصة فى بولونيا وفلورنسا وأظهر اهتماما غير عادى منذ صغره بالفيزياء والعلوم الكهربائية. تأثر كثيرا بالعالم «هاينريش هيرتس (هيرتز)» الذى أطلق موجات قصيرة عام ١٨٨٨ بما يعرف اليوم بموجات الراديو وكانت ومازالت تعرف غالبا بموجات (هيرتز) أو الموجات الأثيرية. أول تجارب «ماركونى» المعملية كانت وهو فى حوالى العشرين من عمره عام ١٨٩٥ فى مزرعة والده حيث استطاع إرسال إشارات لاسلكية لمسافة ميل ونصف الميل. لكن بلاده ايطاليا لم تقدر اختراعه فحمله إلى انجلترا لعرضه على العالم «بريس» فى هيئة البريد والذى ابتكر أول نظام تلغرافى.

عرض ماركونى إنتاجه فى لندن وكون (الشركة المتحدة للتلغراف اللاسلكى والإشارات) عام ١٨٩٧م. أول خطوط اتصال بين فرنسا وانجلترا عبر بحر المانش قام بها «ماركونى» عام ١٨٩٩. فى ديسمبر من عام ١٩٠١ اخترع جهاز الراديو ونجح فى إجراء اتصال برموز «مورس» التلغرافية من كندا عبر المحيط الأطلنطى وإن لم تكن واضحة. فى ديسمبر من العام التالى بث بوضوح أول رسالة (لاسلكية) بين القارة الأمريكية والقارة الأوروبية. حاول أكثر من مرة إيجاد محطات دائمة لالتقاط الصوت وبثه، لكن العواصف كانت تطيح بالأعمدة، حتى نجح فى تثبيت محطات التقاط هوائية سهلت مهمة التلقى (أفقيا).

فى عام ١٩٠٩ نال جائزة نوبل بالمناصفة مع العالم «كارل براون». فقد سمع «ماركونى» بجهازه أصوات استغاثة من السفينة الشهيرة (تايتانك) قبل غرقها مما أدى إلى إنقاذ ٧٠٠ شخص على الأقل. وعلقت صحيفة «نيويورك تايمز» على اختراع «ماركونى» بأنه (أروع اكتشاف علمى فى ذلك الوقت). قام ماركونى بتطوير استخدام الموجات القصيرة والقصيرة جدا لإتاحة البث إلى مكان أبعد وأكثر دقة. ما بين عامى ١٩٠٢ و١٩١٢ طور «ماركونى» الكثير من اختراعاته فى أمريكا.

التحق بالجيش الإيطالى عام ١٩١٤ وانتقل إلى البحرية عام ١٩١٦. وكان عضوا فى الوفد الإيطالى الحكومى إلى أمريكا عام ١٩١٧ أثناء الحرب العالمية الأولى. كما كان مندوبا فى المفاوضات فى مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩. منحه الجيش الإيطالى وساما خاصا لجهوده المتميزة، كان أثناءها يتابع تجاربه العلمية. احتفلت انجلترا بافتتاح أول خط لاسلكى بالراديو بين انجلترا وكندا (التابعة للكومنولث البريطانى) فى عام ١٩٢٦.

فى عام ١٩٣٢ تم افتتاح أول خط تليفونى عن طريق الراديو (بالميكروويف) أى الموجات القصيرة جدا، وكانت بين مبنى الفاتيكان ومقر البابا الصيفى فى كاسيل جاندولفو. ألقى محاضرة حول استخدام الرادارفى عام ١٩٣٥ فى إيطاليا، والذى كان بدأ تجاربه عليه فى أمريكا عام ١٩٢٢. منح أكثر من دكتوراه فخرية وأوسمة عديدة وجوائز علمية ومادية على اختراعاته المثيرة والمهمة. كان مولعا بالصيد وتوفى فى روما عام ١٩٣٧.



توماس مالتوس

اقتصادى وباحث انجليزى وأول من ناقش بعد «ابن خلدون»، فكرة وجوب تحديد النسل فى العصر الحديث وأثر زيادة السكان فى التطور وكان صاحب فكرة إفناء الفقراء. هو «توماس روبرت مالتوس» ولد لأسرة ميسورة من ملاك الأراضى فى (سورى) جنوب لندن. وكان والده صديقا للمفكر الفرنسى «جان جاك روسو».

تلقى تعليمه فى البيت كسائر أولاد الطبقات العليا، متأثرا بأفكار «روسو». التحق بكلية يسوع فى كامبريدج عام ١٧٨٤ وتخصص فى الرياضيات وأتقن اللاتينية واليونانية. ربما يكون قد تأثر بنظرية عالم الاجتماع العربى «ابن خلدون» من القرن الرابع عشر، فى العلاقة بين السكان وبين مستوى التقدم والحضارة.

حاز على الماجستير عام ١٧٩١ وبعد عامين حصل على الزمالة لكلية يسوع. فى عام ١٧٩١ عين أستاذا (بروفسور) للاقتصاد والعلوم السياسية فى كلية الهند الشرقية فى (هاليبيرى)، فكان أول (متخصص أكاديمى فى الاقتصاد السياسى) بالمعنى المفهوم اليوم. انتخب عام ١٨١٩ عضوا فى المجتمع الملكى وبعد عامين أصبح عضوا فى النادى السياسى الاقتصادى. وكان من المؤسسين (للجمعية الاحصائية) فى لندن عام ١٨٣٤.

وضع أول بحث له بعنوان (مقالة حول السكان) ونشرعام ١٧٩٨م. فكانت نقطة التحول وأحدث جدلا سياسيا ونقاشا فى الأوساط الثقافية. واعتبر عدوا للطبقة العاملة لكن المثقفين صنفوها كأول (دراسة اقتصادية جادة) ويقال إن «كارل ماركس» تأثر بها.

عين «مالتوس» أستاذا (لتاريخ الاقتصاد السياسى الحديث) فكان أول (أكاديمى بريطانى اقتصادى)! اهتم بعد السكان بعالم المال، ونشر نظريته الجديدة القائلة بأنه على عكس ما كان يتصوره البعض، فإن (ارتفاع الأسعار يتبعه دائما زيادة فى الإنفاق)!

أعلن نظريته فى (أجور العمالة) عام ١٨١٥، كما نشر (مبادئ الإقتصاد) عام ١٨٢٠. لكن نظريته فى النسل والسكان كانت هى الأشهر وهى التى عرفت به وعرف بها. وقد فرض نظريته على علم الاقتصاد، حتى اليوم. وقال بأن (هناك ترابطا شديدا بين عدد السكان وتطور الإنتاج). وقد تشكل فيما بعد علم جديد عرف بـ (علم السكان).

ففى بحثه (فى مبدأ السكان) أثار ضجة كبيرة حين اعتبر أن (الذى ليس له من يعيله ولا يجد عملا فليس له أن يحصل حتى على لقمة العيش)! فقد أوجد (مبررا) للإبادة الجماعية للسكان الفقراء الذين لا يجدون رزقهم وليس لهم من يعيلهم.

كما أنه استتبع هذه النظرية تبرير (اضطهاد العرقيات) و(إجراءات التعقيم الإجبارى) والذى قامت به بعض النظم فيما بعد، مثل روسيا السوفيتية زمن ستالين، الذى أباد ما يقارب من ١٥ مليونا بحجة التقدم الاقتصادى. وكذلك ما قامت به رئيسة وزراء الهند «إنديرا غاندى» من تعقيم إجبارى للرجال فى الهند أو ما قام به «ماوتسى تونج» فى الصين مع الفلاحين.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية جرى (تعقيم) ما يقرب من ٦٤ ألف شخص لمدة ستين عاما منذ أوائل القرن العشرين وحتى عام، ١٩٦٤ حين أبطل نظام (ضرورة تعقيم الفقراء قسرا) كما يقول «الان تشيس» فى كتابه حول (تركة مالتوس الثقيلة) ويقول إن العدد ربما تجاوز ذلك بكثير.

يقول «توماس مالتوس»: (إن العدد الفائض من المواليد لابد أن يباد، إذا لم يحدث موت لكبار السن بنفس نسبة المواليد)! و(بدلا من أن نساعد الفقراء على حياة نظيفة صحية، لابد أن نتركهم لقدرهم)! وربما وصل به الأمر إلى تمنى (عودة الأمراض الوبائية من جديد، لتقضى على التعساء والبؤساء الذين لا ينبغى أن يوجدوا فى هذا العالم أصلا).

وقد شبه العالم بمائدة طعام فيها كم محدود من الطعام، ولا يمكن استقبال أى ضيف جديد ما لم يكن لديه الإمكانيات للحصول على هذا الطعام. فلا يمكن لأحد أن يأخذ نصيب الآخر، الذى شارك فى إعداد المائدة. ويقول: (لقد قلنا مرارا أنه لا يوجد هناك طعام يكفى كل من يدخل قاعة الطعام، وللأسف فإن الناس لم يتوقفوا عن دعوة عدد من الضيوف، أكبر مما يستطيعون إطعامه)!

وقد أدت نظرية «مالتوس» إلى أن يشعر العالم الأول الصناعى الغنى بتهديد أمنه، من قبل أولئك الذين لا يجدون الطعام والذين يحدثون الفوضى والصراخ حين لا يحصلون على ما يريدون. ومن هنا يأتى دور العالم الأول فى تحريض، بل وإجبار سكان العالم الثالث على تحديد النسل بالقوة.

واجه «مالتوس» انتقادات صارخة لنظريته التى كونها بناء على نظريات أخرى قبله أيضا. فبينما قبلها العالم الرأسمالى وتبناها، فإن العالم المقابل وجد أن المشكلة ليس فى نقص الإمكانيات المادية ولا فى نقص الغذاء ولكن فى سوء توزيع الثروة والمساحات المزروعة والموارد.

خضعت النظرية بالرغم من كل شىء إلى بحث مطول من قبل العلماء فى المجامع العلمية سواء فى أوروبا أو فى أمريكا لوضع أسس لوقف تخلف عالم الفقراء.

توفى «توماس مالتوس» فى ديسمبر من عام ١٨٣٤.

مانسا موسى (الأسود)

أو السلطان موسى . من أهم ملوك مالى المسلمين فى غرب أفريقيا فى القرن الرابع عشر ، والذى حولها إلى مملكة واسعة النفوذ والثراء والمهابة . فكانت مدينة «تيمبوكتو» أهم المراكز الثقافية والتجارية فى غرب أفريقيا .لايعرف الكثير عن حياته قبل أن يتسلم العرش بعد موت والده أبو بكر الثانى عام ١٣١٢ . عرف باسم (موسى الأسود) وأطلق المؤرخون على عهده(العصرالذهبى). جهز جيشا قويا لتوسيع مملكته التى امتدت عبر غرب السودان إلى دلتا النيجر وما حولها فسيطر على طرق التجارة بين (تيمبوكتو) وجاو شرقا ومن مناجم الملح شمالا إلى مناجم الذهب جنوبا.

عرفت مملكة «مانسا موسى» بالمكتبات الضخمة والمدارس الجامعية والمساجد العريقة التى اتخذت أسلوب بنائها من الشرق الإسلامى ممزوجا بالحضارة المحلية الأفريقية فجاءت نموذجا رائعا للعمارة الإسلامية الفريدة. اقتصاد البلاد اعتمد على الزراعة وعلى التجارة بمقايضة الملح والبضائع من الشمال الأفريقى بالذهب والفضة والعاج. انتشر سفراؤه فى مصر وأفريقيا . قام برحلته الأسطورية إلى الحج عام ١٣٢٤ والتى تركت آثارها الاقتصادية طويلا.

حكيت روايات عنها فيها الكثير من المبالغات ،فقيل : إنه أخذ معه ٥٠٠ عبد يحمل كل واحد منهم عصا من الذهب الخالص.و ٨٠ جملا تحمل صناديق الذهب التى وزعت زكاة على البلاد الإسلامية التى مر بها فى طريقه خاصة مصر ، فطارت سمعته إلى أوروبا عام ١٣٣٦. اصطحب معه فى طريق العودة فقهاء ومعماريين لتطوير مفهوم الإسلام فى مملكته ، الذي كان متأثرا بالعادات والتقاليد المحلية .اقتصر التطوير على المدن وظل باقى الأهالى يتبعون ديانة شعوب الماندينكا الوثنية السائدة التى تسامح معها. كتب ابن بطوطة عن (الأمان) الذى رآه فى بلاد مالى بينما كتب المؤرخ المغربى «الزياتى» عن سكانها بأنهم (أكثر الناس حضارة وتمدنا وذكاء ومهابة)بين شعوب غرب أفريقيا.

قال عنه المؤرخ «العمرى» الذى زار القاهرة بعد رحلة حج مانسا موسى ، إنه(الأقوى والأغنى والأكثر نفوذا وخشية من قبل أعدائه،وأكثر الحكام برا وخيرا) . توفى مانسا موسى عام ١٣٣٧.

ماوتسى تونج

أسطورة حاكمة من القرن العشرين. حول الصين إلى أكبر دولة شيوعية فى العالم. خلق حول نفسه هالة تفوق القداسة. أتى فى وقت تمكنت فيه بريطانيا من تحويل شعب الصين كله تقريبا إلى مدمنين للأفيون. وأكدت اليابان انتصاراتها بالاستيلاء على أراض صينية فى الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٤ ثم تايوان ١٨٩٧ ثم قامت بالمذبحة الشهيرة «نانكنج» عام ١٩٣٧ وقتل فيها أكثر من ٣٠٠ ألف صينى. وأجبرت الصين بمعاهدة الملاكمين المسماة (بوكسر بروتوكول) عام ١٩٠١ على دفع تعويضات بمبلغ ٤٥٠ مليون تايل من الفضة. وسمح لإمرأة القيصر الصينى باستعادة العرش. وقبل موتها تأكد لديها أن الجيش وحده هو القادر على إنقاذ الصين وأنه لابد من مملكة دستورية فأوصت بولاية العهد لابنها البالغ من العمر عامان وهو «بويى» الذى أصبح آخر قياصرة الصين. وكانت شرارة القومية قد اشتعلت ضد أسرة «مانشو» القيصرية وبدأ عهد جديد تماما.

ولد «ماو تسى تونج» فى ديسمبر من عام ١٨٩٣ ، فى قرية فى شيانج تان فى مقاطعة هونان، فى أسرة ريفية ميسورة الحال. كان أجداده هاجروا من «شيانج شى» أثناء حكم سلالة «مينج» المعروفة، أبدى اهتماما بالتعلم فألحقه أبوه بالمدرسة لكنه هرب منها وبعد أن تنقل بين عدد من المدارس رفض والده الإنفاق عليه. أجبر على الزواج وعمره ١٦ سنة من ابنة عمه وعمرها ١٨ سنة ولم يعترف هو بهذا الزواج حتى ماتت عام ١٩١٠. كان يمقت الخدمة العسكرية والتحق بجامعة بكين بناء على توصية من بروفسور «يانج تشانج جى» والذى تزوج من ابنته فيما بعد. بدأ التحول فى حياته حين تعرف إلى الفكر الماركسى أثناء حضوره ندوات ومحاضرات وورش عمل يقوم عليها مثقفون ومشاهير.

كان عمره ٢٧ سنة حين شارك فى أول جلسة للحزب الشيوعى للمجلس القومى فى شنغهاى بالصين، وبعدها انتخب كواحد من ٥ مستشارين للجنة المركزية للحزب وبدأ ت طموحاته الثورية تتجلى فعاد عام ١٩٢٧ إلى هونان حيث عرض أفكاره الثورية. أشعل «ماو» انتفاضة الخريف لكن جيشه (الجيش الثورى للعمال والفلاحين) أنهك وهزم بعد معارك طاحنة مع الحكومة فانسحب وأعد ما يسمى فى التاريخ (بالمسيرة الطويلة) وكانت شكلت من ٣٠٠ ألف صينى من أعوانه. وأعاد ماو تشكيل جيشه (الأحمر) وأسس بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٤ (الجمهورية الصينية السوفيتية) فى منطقة جيانج شى وأعطى تعليمات صارمة بإنشاء رابطة متينة بين الفلاح والجندى كنوع من الانصهار بين الجيش وبين الشعب. وقد أصبحت نظرية تنسب لماو كما جاء فى الموسوعة البريطانية. بمعاهدة دفاع مشترك مع ستالين السوفيتى عام ١٩٥٠ وقف مع كوريا الشمالية فى هجومها على كوريا الجنوبية. لكن التوتر بدأ يظهر بين الماركسية الصينية والشيوعية اللينية- الستالينية مما أدى إلى توتر العلاقات

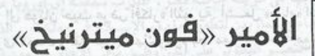
وسحب الخبراء السوفييت عام ١٩٦٩ والنزاع على الحدود وبدأ ماو تطبيق ماركسيته الخاصة وأبدى استعداده لتطبيع علاقته مع الولايات المتحدة الأمريكية لولا مساندتها لاستقلال تايوان التى كان هرب إليها الجنرال الصينى «تشيانج». لكن ماو استقبل الرئيس الأمريكى «نيكسون» عام ١٩٧٢.

اختلف عليه المؤرخون والمحللون فمنهم من يراه (منقذ شعب الصين من رجعية العصور القديمة) ومنهم من يرى أنه (هدم ثقافة الصين وتميزها القومى والوطنى وألغى تراثها لصالح الماركسية) فخلق شعبا (هلاميا) بلا ثقافات تقليدية. كان «ماو» عابدا لذاته ومفرطا فى تبجيل نفسه. وكان يصف نفسه (بالشمس التى لا تغيب)! فرضت كتاباته (التى كانت تكتب باسمه) على الشعب فى المدارس والجامعات ولم يكن يسمح بأن يخلو بيت من كتبه. كان عاشقا للنساء محبا للسباحة بصحبة عدد من الفتيات الجميلات ليلاطفنه فى الماء حتى بعد أن تقدم به العمر! وقد تزوج ثلاث مرات واعتقلت زوجته الثانية وأعدمت بعد ٣ سنوات من انفصالهما ويشاع أنه هو الذى أمر بإعدامها.

قيام الثورة الثقافية العمالية عام ١٩٦٦ وتشكيل الحرس الأحمر للشبيبة من أجل (النقاء الإيديولوجى) أدى إلى ممارسة القهر والعنف تجاه الكبار ووصل إلى ترهيب المدرسين من قبل الشبيبة الصغار. وأجبر المثقفين على العمل فى الريف بالزراعة. أنشأ نظام المعتقلات سيئة السمعة المعروف باسم (الجولاج) فقضى على المعارضة تماما.

أدت سياسة الإصلاح الزراعى إلى مجاعة مات فيها الملايين من الفلاحين كما قتل فى عهد «ماوتسى تونج» أكثر من ٢٠ مليون مواطن صينى نتيجة (الثورة الثقافية) حتى إنه أمر بإحراق جثث الموتى بعد أن ضاقت بهم المقابر عام ١٩٥٠! وأعاد كتابة الدستور وأبعد النواب عن البرلمان. بعد وفاته تم اعتقال وإعدام ما سمى بـ (عصابة الأربعة) بما فيها زوجته.

توفى ماوتسى تونج عام ١٩٧٦ عن حوالى ٨٠ عاما.



الأمير «فون ميترنيخ»

رجل الدولة السياسى الدبلوماسى الذى وضع الكثير من أسس النظم فى أوروبا وأصبحت أساس الحكم فى كثير من الدول حتى اليوم. هو الأمير «كلمنز فنزل فون ميترنيخ». ولد فى كوبلنز (فى ألمانيا اليوم) لأب من النبلاء هو كونت منطقة مترنيخ- فينيبورج فى بلشتاين وكان دبلوماسيا ترك العمل فى أبرشية مدينة (ترير)، وانتقل إلى فيينا فى النمسا (اليوم). وكانت والدته كونتيسة أيضا.

فى الفترة التى ولد فيها وما بعدها شغل والده منصب السفير النمسوى لدى ثلاث من مقاطعات منطقة الراين. ونشأ الطفل «كليمنز» تحت تأثير الأفكار التى ولدت فى البلاط الألمانى بتأثير الحركة التنويرية الفرنسية الحديثة. درس فى جامعة استراسبورج لكنه اضطر للتوقف بعد اندلاع الثورة الفرنسية. عين فى بلاط ساكسونيا فى عام ١٧٩٠ وحصل على منصب دبلوماسى فى حفل تتويج الامبراطور «ليوبولد الثانى» فى فرانكفورت ثم تتويج الملك «فرانسيس الثانى» عام ١٧٩٢ مما سهل له العمل فى المستشارية فى حكومة هولندا النمسوية.

حاصر الفرنسيون (كوبلنز) حيث كانت ملجأ للفرنسيين الهاربين من الثورة الفرنسية. وبعد إقامة طويلة فى انجلترا انتقل إلى فيينا، عاصمة الامبراطورية النمسوية- الهابسبورجية، وتزوج حفيدة مستشار نمسوى سابق هو «فون كاونيتس» الذى كان يجمع عراقة الأسرة النمسوية المالكة والأسرة الفرنسية البوربونية الحاكمة، مما مكنه من الانخراط فى مجتمع فيينا الراقى واختياره من قبل مجلس اللوردات ليمثلهم.

أتقن فنون الإتيكيت والمداهنة الدبلوماسية الخاصة بالنبلاء. وفى عام ١٨٠٣ اختير سفيرا فى برلين كما استطاع إقامة علاقات بين القوتين، الروسية والبولندية، وهو ما لفت نظر الفرنسيين حتى أن «نابليون» طلب إرساله إلى باريس سفيرا فى عام ١٨٠٦.

حين هزم جيش الإمبراطورية النمسوية فى أسبانيا، لحق «فون ميترنيخ» بالملك «فرنسيس الثانى» على الجبهة، والذى عينه وزيرا ومستشارا للإمبراطورية ومسئولا عن الشئون الخارجية، فى أكتوبر من عام ١٨٠٩ وظل فى منصبه حتى عام ١٨٤٨ أى ما يقرب من أربعين عاما. وقد بدأ تأثيره على السياسة الأوروبية يتصاعد، ونال حفاوة كبيرة فى البلاط والمجتمع الفرنسيين.

كان يدرك تماما أن تراجع دور النمسا بعد المعاهدة أصبح يشكل خطرا، وأن عليه الآن تفادى تزايد هذا التراجع بأن يبعد المسافة بين نابليون وبين القيصر الروسى وكان معجبا بنابليون وبفرنسا التى تتزايد قوتها ونفوذها. بدأ «فون ميترنيخ» يلعب دوره المعروف فى التاريخ، حين وقع معاهدة مع فرنسا عام ١٨١٢م، تقضى بمساعدتها فى حال نشبت الحرب بينها وبين روسيا، وفى نفس الوقت، أبلغ روسيا أن الجيش الإمبراطورى النمسوى على استعداد لصد أى هجوم فرنسى بالقرب من حدوده.

هزم نابليون فى روسيا فسحب «فون ميترنيخ» النمسا فورا من أية معاهدة وأوقفها على الحياد، فى محاولة لاستعادة دورها القوى السابق فى أوروبا وذلك عن طريق إنهاك فرنسا وروسيا فى الحروب. وحين زار نابليون فى مدينة «درسدن» بعدها، أبدى استعداده للوساطة حين رأى أن قوة (بروسيا) و(روسيا) تتصاعد إلى جانب بريطانيا العظمى.

أوجد «فون ميترنيخ» ما يسمى اليوم بـ (الوفاق الأوروبى)، بحيث تتقاسم الدول الأوروبية النفوذ فى العالم. وسيطر تماما على السياسة الأوروبية بكل الطرق الممكنة حتى لو لم تكن أخلاقية.

وحين قامت ثورة ١٨٤٨ فى النمسا ضد نظام ميترنيخ، الذى تشدد فى الرقابة على الصحافة وتقييد حركة الاتحادات العمالية، لم يستطع الصمود طويلا أمام نزعات الثوار الذين طالبوا بحكم دستورى. فاستقال وهرب إلى انجلترا. بينما وافق الإمبراطور على مطالب الثوار بالغاء الرقابة وانشاء مجلس تأسيسى لوضع دستور للبلاد. لكن المجلس لم يعمر طويلا. وعادت الفوضى فاستعان الامبراطور بالجيش وتنازل عن الحكم لابن أخيه «فرانسوا جوزيف» الذى حل المجلس وأعاد سيطرة الملكية المطلقة على البلاد.

كان «فون ميترنيخ» يعتبر الديبلوماسية (عملا مسرحيا يقوم به تارة الديبلوماسيون وتارة الجمهور. والمشكلة هنا ليس فيمن يلعب على خشبة المسرح ولكن فى توقيت رفع الستار وانزاله)!

عاد إلى بلاده بعد ثلاث سنوات من لجوئه إلى إنجلترا واقام فى قلعته فى «يوهانزبيرج» على شاطئ نهر الراين حتى مات عام ١٨٥٩.

محمد الفاتح



من أهم السلاطين العثمانيين وأكثرهم ثراء فى المجال العلمى والإنسانى والدينى والقتالى. هو فاتح مدينة القسطنطينية والذى وضع نهاية للامبراطورية البيزنطية القوية وحارب من كانوا يسمون بالفرنجة و(فرسان مالطة ورودس) فى أوروبا واستولى على اليونان وصربيا والبوسنة وأخضع دول القرم والبلقان وبنى الأساطيل فوصل إيطاليا وشارف حدود فرنسا والنمسا وموسكو. هو «محمد الثانى بن مراد الثانى». ولد فى «أدرنه» العاصمة العثمانية عام ١٤٣٢م. حفظ القرآن ودرس الفقه والرياضيات والفلك وأتقن فنون القتال وأجاد عددا من لغات عصره كان بينها العربية والفارسية واليونانية واللاتينية. تولى السلطنة عام ١٤٥١ وعمره عشرون سنة تقريبا. وضع القسطنطينية أمام عينيه وقاد ما سمى فى التاريخ (بالغزوات الهمايونية) وبلغ عددها ٢٥ غزوة واغتيل قبل القيام بالغزوة الكبرى السادسة والعشرين والتى كانت ستجعل أوروبا كلها تحت سلطانه. كانت أولاها عام ١٤٥١ وفى الثانية فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م. وكان الحدث تاريخيا.

أنهى السلطان محمد الثانى بناء قلعة سميت (روملى حصار) فى ثلاثة شهور بأبراج مغطاة بالرصاص ونصب المدافع الضخمة نحو الشاطئ لمنع السفن اليونانية والرومانية من المرور فى مضيق البوسفور (الذى يقسم استانبول حاليا). رفض السلطان العثمانى طلب الامبراطور البيزنطى وقف البناء فأغار البيزنطيون على القلعة ورد السلطان بإعلان الحرب رسميا. أغلق الامبراطور الرومى أبواب مدينته واعتقل جميع العثمانيين داخله. عقد السلطان معاهدات مع أعدائه لمنع التدخل خاصة مع المجر والبندقية وامارة غلطة

القوية، لكنهم غدروا به وشاركوا فى الدفاع عن القسطنطينية. طلب الامبراطور البيزنطى العون من بابا روما الكاثوليكى بالرغم من الانشقاق بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الغربية والكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية، وتعهد بتوحيد الكنيسة واستجاب البابا فى روما وأرسل مندوبه ليخطب فى كنيسة أياصوفيا داعيا لتوحيد الكنيسة مما أثار غضب رؤساء الكنيسة الأرثوذكس.

عرض الامبراطورالبيزنطى دفع الجزية والزواج بأم السلطان محمد الثانى وكانت مسيحية ورفض طلبه. ودكت المدافع الثقيلة بالقذائف الهائلة أسوار القسطنطينية وكان السلطان يراقب المعارك البحرية على حصانه عن قرب وحشد حوالى ٤٠٠ سفينة وطوق المدينة بأكثر من ٢٦٥ ألف مقاتل وبدأ حصارها فى رمضان وكاد السلطان يخسر معركته البحرية حين حاول البيزنطيون إحراق السفن فعزل القائد البحرى وأعد خطة بنقل ٧٠ سفينة برا وطويت أشرعتها وقامت البغال بجرها على ألواح من الخشب المطلى بالدهن ليسهل الانزلاق عليها وهاجموا المدينة من الجانب الآخر وطوقوا المقاتلين فيها وأصيب القائد البيزنطى «جوستنيان» إصابات بالغة ودخل السلطان المدينة فاتحا واتخذها عاصمة لدولته وأطلق عليها اسم «اسلام بول» أى مدينة الاسلام ثم اسلامبول. وحول أياصوفيا إلى جامع بعد أن أمن النصارى على دينهم واقامة شعائرهم. وكان فتحها بابا لاختراق أوروبا. لكن هذا الحدث هو الذى فتح الباب أيضا لتشويه صورة العثمانيين فى كتب التاريخ الغربى وعلى رأسهم «شيبرد كريسبى» فى كتابه (تاريخ العثمانيين) والذى وصف السلطان محمد الثانى الذى لقب بالفاتح بأبشع ما يمكن.

عقد البابا «بيوس الثانى» اجتماعا للدول المتحالفة معه لوقف حملات محمد الفاتح وبلغ عددها ٣٠ دولة فى أوروبا وآسيا وحاولوا استقطاب المماليك فى مصر وسوريا لكنهم رفضوا وقرروا محاربة الفرنجة وفرسان مالطة معا. حين قرر السلطان تأمين دولته وحماية القسطنطينية قام بحملات بينها أربعة ضد صربيا وحدها حتى أخضعها عام ١٤٥٩ وفتح أثينا عام ١٤٥٨ وأسقط حوالى ٣٠٠ من الحصون والقلاع وسيطر على كل البلقان ثم سيطر على دول البحر الأسود وجعله بحيرة عثمانية فى عدة حملات وأنهى الامبراطورية البيزنطية بعد استمرارها لمدة ٢٥٧ سنة بانتصاره على الامبراطور «دافيد كومين» فى إمارة طرابزون واحتل رومانيا والبوسنة بالكامل تقريبا عام ١٤٦٤وأسلم أهلها ودخل كرواتيا وبلغاريا وفشل ملك المجر القوى الصليبى فى استرداد البوسنة.

حارب السلطان «محمد الفاتح» المنشقين عنه وعلى رأسهم «اسكندر بك الارناؤوطى» الذى مات وانتهى عصر مجد الأرناؤوط الذين يسمون أيضا (الألبان). كان يقود الحملات أحيانا بنفسه خاصة البحرية. وقاد حملة لإخضاع ملك المجر عام ١٤٧٩ أسفرت عن معاهدة صلح. وتوغل فى أراضى النمسا عام ١٤٨٠. قاوم فرسان مالطة الذين احترفوا القرصنة ضد السفن الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط، وقضى عليهم السلطان سليمان القانونى فيما بعد.

كان الصراع عنيفا بين المقر البابوى الكاثوليكى فى روما وبين إمبراطورية محمد الفاتح العثمانية فحاول السلطان غزو إيطاليا وأرسل حملة بحرية بقيادة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) «كديك أحمد

باشا» الذى أسقط قلعة أوكرانتو فى الجنوب الايطالى وحولها إلى سنجق (ولاية) عثمانية. وجرت مفاوضات لاستسلام نابولى القوية آنذاك لكن مؤامرة دبرت لاغتياله قبل أن تسقط إمارات إيطاليا كغيرها خوفا على المقر البابوى كما سقطت القسطنطينية المقر البابوى للكنيسة الشرقية. فأرسلت قوات التحالف الطبيب اليهودى «يعقوب باشا» الذى ادعى الإسلام وتقرب من السلطان ودس السم له فتوفى محمد الفاتح عام ١٤٨١ ودفن جنوب محراب جامع الفاتح الخاص به فى استانبول. واكتشف الحرس المؤامرة فقتلوا الطبيب دهسا قبل أن يقبض المكافأة التى قيل إنها تعادل ٢٠ مليون دولار بمفهوم عملات اليوم. ودقت أجراس الكنائس فى روما وأوروبا لمدة ثلاثة أيام ابتهاجا بموته وأصدر البابا بيانا خاصا ضد العثمانيين اعتبر (مقدسا).

ترك محمد الفاتح امبراطورية تضاعفت مساحتها منذ تولاها لتصل إلى أكثر من ٢٢٠ ألف كم٢. كانت له إنجازات فى مجال العمران والتعليم والمعاهد العلمية. أنشأ المكتبات الكبيرة وقيل: إنه حين احترقت مكتبته الخاصة كان فيها أكثر من ١٢ ألف مجلد. اهتم باللغة العربية وأوصى بحركة الترجمة والتأليف ونقل التراث اليونانى واللاتينى والعربى إلى التركية. اهتم بتطوير التجارة والصناعة ودواوين الدولة والكبارى والجسور والطرق وبناء القلاع العسكرية وتطوير الجيش والانكشارية والمدفعية وأنشا وظيفة (اللغمجية) لمتابعة زرع الألغام. كان شاعرا وكان فى بلاطه ٣٠ شاعرا وزيرا. بنى المستشفيات وأمر باستقلال القضاء كما وضع دستورا للبلاد سمى باسمه (فاتح قانون نامه سى) كتب عنه الكثير فى الشرق والغرب ونظم فيه بعض شعراء الغرب قصائد بينها يمجده حتى السماء وبعضها يهوى به إلى سابع أرض!.

محمد بن عبد الوهاب

زعيم الحركة الإسلامية المعروفة بالوهابية والتى انطلقت من الجزيرة العربية إلى باقى الدول الاسلامية بخاصة الشرق الآسيوى. يعتبره أتباعه أحد المجددين والمصلحين بينما يراها خصومه انحرافا عن سماحة الدين وتفسيرا ضيقا للنصوص. هو الشيخ «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على التميمى النجدى». ولد قرابة عام ١١١٥هـ (١٧٠٣م) فى العينية بالقرب من مدينة الرياض (فى السعودية اليوم) فى أسرة تضم كبار العلماء. تلقى العلم عن أبيه القاضى الشيخ عبد الوهاب فى إقليم نجد.

حفظ القرآن وهو فى العاشرة من عمره وأم المصلين وتزوج فى سن صغيرة جدا. زار مكة المكرمة والمدينة المنورة وأخذ عن بعض علمائها قبل أن يعود لبلدته لدراسة الفقه على مذهب الإمام أبى

حنبل. سافر إلى البلدان الاسلامية فمكث فى البصرة ٤ سنوات ويقال بإنه زار همذان (فى ايران) وأقام فيها سنتين ثم ارتحل إلى اصفهان وأقام فى (قم) مركز العلوم الشيعية لفترة لكن مناصريه المؤرخين ينفون ذلك. عاد إلى بلاده ينادى بـ (التوحيد الخالص وتنقية الدين من البدع ومن الانحراف) وأطلق على دعوته اسم التوحيد وعلى أتباعه اسم الموحدين، لكن هذا الاسم اختلط بدعوة الموحدين (الدروز) فأطلق عليه خصومه اسم (المذهب الوهابى) وشاع الاسم بين الأوروبيين والتصق به بالرغم مما فيه من تكريس لاسم أبيه (عبد الوهاب) وليس لاسمه.

تأثر الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» كثيرا بأفكار الإمام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم». ويذكر كتاب سيرته أنه (تأذى كثيرا مما كان يحدث عند قبر النبى الكريم وقبور الصحابة) والتى اعتقد أنها من الشرك الكبير وينقل عنه أن قوما مروا عليه وهو فى الدرعية وبلغه أنهم زاروا قبر النبى الكريم فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الإحساء وكان هذا يعد تشهيرا وإهانة شديدة.

ويذكر كتاب سيرته أنه تعرض لهجوم شديد حين زار البصرة بالعراق من قبل الأئمة فيها فتركها إلى الإحساء وعاد إلى بلدته «حريملاء» حيث أصبح له فيها تلاميذ وألف كتابه الشهير (التوحيد حق الله على العبيد). جرت أكثر من محاولة لقتله، فانتقل إلى العينية وكان أميرها عثمان بن حمد بن معمر التميمى وتزوج من ابنته وبدأت الدعوة بقطع الاشجار وهدم بيده مع جيش ابن معمر قبة قبر زيد بن الخطاب وأقام حد الرجم بيده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فشكاه العلماء إلى حاكم الإحساء الذى طلب من ابن معمر قتل محمد بن عبد الوهاب.

اتجه الشيخ إلى الدرعية التى طلب الحماية فيها من أميرها (محمد بن سعود) وإخوته ووقعوا ما يسمى بـ (ميثاق الدرعية) لإقامة أول دولة سعودية يكون الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» زعيمها الدينى يساعده أميرها «محمد بن سعود» على نشر الدعوة الوهابية فيها بالقتال وإخضاع الامارات المنتشرة فى شبه الجزيرة العربية وكان بينها الأشد خصومة لإمارة الدرعية وللشيخ، هو أمير الرياض (دهام بن دواس)، الذى رفض الدعوة الوهابية وقام بحملة على الدرعية، قتل فيها اثنين من أبناء محمد بن سعود الذى تجددت الخلافات مع الدرعية بعد وفاته عام ١٧٦٥م وخلفه ابنه (الإمام عبد العزيز بن سعود)، الذى استكمل الحملات العسكرية لتوسيع رقعة الدولة السعودية (الأولى) ولنشر دعوة الوهابية حتى تم ضم معظم البلاد بصعوبة بالغة وإخضاع أمرائها وتثبيت الدعوة الوهابية فيها. واستمرت الدولة حتى دخول القوات العثمانية تحت قيادة ابراهيم باشا عام ١٨١٨ واستسلام عبد الله بن سعود.

وكان عمر الدولة ٧٤ سنة.

توفى الإمام محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م) عن ٩٢ سنة بعد أن رسخت دعوته بفضل الأسرة المالكة السعودية الأولى، حتى استنجد العثمانيون بمحمد على باشا والى مصر الذى أرسل ابنه إبراهيم باشا لمحاربة الوهابيين وانتصر عليهم واعتقل ابن محمد عبد الوهاب ونفاه إلى مصر. لكن الدعوة عادت من جديد لتثبت بفضل الأسرة المالكة السعودية التى أحيت الوهابية من جديد.

ترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٦ كتابا حول أصول الاسلام كما يراها وحول السيرة النبوية والكبائر وشروط الصلاة.

وتتلخص عقيدته الوهابية فى منع أى شكل من أشكال ما يراه من البدع أو التبرك أوالتوسل بالنبى الكريم أو بالأولياء أو بزيارة القبور أيا كانت وتكفير من يتبرك بها وتكفير من يعلق حرزا يشمل آيات من المصحف أو أى كتابة عليها ذكر الله، وعدم جواز مس القبر النبوى أو تقبيله وكان يمنع زيارته وكان يعاقب المؤذن الذى يدعو للرسول الكريم أو يصلى ويسلم عليه من على المئذنة، ويؤثر عنه أنه قال (من دخلَ فى دعوتنا فلهُ ما لنا وعليهِ ما علينا ومن لم يدخُل فهو كافرٌ مباحُ الدم). ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين له، أن أباه لم يكن راضيا عن دعوته وأن الشيخ محمد لم يجرؤ على نشرها إلا بعد وفاته. كما كان أخوه سليمان معارضا له فيما دعا إليه، وكتب (فصل الخطاب فى الرد على محمد بن عبد الوهاب) مستنكرا لدعوته.

محمد بن على السنوسى

مؤسس سلالة السنوسية التى حكمت المغرب العربى فترة طويلة. مجدد ومصلح الدعوة الإسلامية فى شمال أفريقيا باتباع نهج جده الرابع السنوسى الكبير. يعود نسبه إلى الإمام على بن ابى طالب رضى الله عنه. نشر الإسلام بالتصوف العامل فى شمال أفريقيا والسودان والصومال واليمن. هو «محمد بن على السنوسى» ولد فى قرية الواسطة بالقرب من مدينة مستغانم فى الجزائر فى القرن الثامن عشر عام ١٧٨٧. تعلم القراءة على يد عمته فاطمة وحفظ عنها القرآن الكريم. استكمل تعليمه فى جامع وجامعة القرويين فى مدينة فاس بالمغرب، ثم بدأ الترحال فزار الجزائر مسقط رأسه ولم يلق الترحيب فى تونس حيث كان جامع ومعهد الزيتونة (بحسب ما ذكر المؤرخ اللبنانى نقولا زيادة).

فى مصر اصطدم بشيوخ الأزهر أيام محمد على باشا. فقد رأى السنوسى أن تسريع الانفتاح على أوروبا والذى يقوم به محمد على قد يفسد الفكر الإسلامى النقى، ويبدو أن محاولات لإبعاده قد نجحت فاتجه إلى الحجاز حيث قضى عشرين سنة معظمها فى مكة المكرمة وبدأ نشر طريقته الصوفية المعروفة بالطريقة السنوسية. فأنشأ أول زاوية عام ١٨٧٣ فى مكة فى جبل أبى قبيس، لكنه ربما واجه بعض المتاعب فقرر العودة الى الجزائر التى كان الفرنسيون قد احتلوها عام ١٨٣٠ وأصبح من الصعب عليه نشر أفكاره فاتجه إلى ليبيا التى كانت فقيرة بالمراكز العلمية أو الصوفية فكانت مستقره منذ عام ١٨٤٣ والتى شكلت بدايته الحقيقية وبداية عصر السنوسية فى ليبيا.

لكن الوجود العثمانى أقلقه فاتجه إلى الأماكن النائية فى جغبوب حيث توفى بعدها بقليل عام ١٨٥٩ ودفن فيها. ترك حوالى أربعين كتابا ورسالة منها (الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية وإيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن)!

حركته الإصلاحية محيرة ومركبة فقد تأثر بابن تيمية الرافضة لأى مظهر من مظاهر التصوف الروحى. كما تأثر بمحمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة والمذهب الوهابى الصارم المتمسك بالإسلام الظاهرى والنص الواضح. لكن «السنوسى» تأثر كثيرا أيضا بالإمام أى حامد الغزالى الفيلسوف وحجة الإسلام. وأخذ عن الصوفية منهج (البيعة) ودرجات الصوفية وقسمها إلى درجة المنتسب ودرجة الإخوان ودرجة الخواص.

ينقل المؤرخون أن السنوسى بنى عقيدته على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وإن كان كتاب سيرته يقولون: إنه كان مالكى المذهب. وتقوم الطريقة على التشدد فى العبادة والطقوس والزهد فى أمور المعيشة كالأكل والملبس والبعد عن العنف بكل أشكاله فى الدعوة. والتزم الأتباع بعدم شرب أى مكيفات كالشاى والقهوة والتدخين.

كانت طريقته تقوم على العبادة والعمل واختار الزراعة والتجارة فازدهرت الواحات فى ليبيا حيث توجد مراكز الدعوة السنوسية. كما أكد على ضرورة الجهاد ومحاربة المستعمر بكل الوسائل.

ومازالت واحة «جغبوب» فى الصحراء الليبية بين مصر وليبيا أهم مراكز الدعوة السنوسية وفيها يتخرج كل عام مئات الدعاة الذين ينشرون الدعوة فى باقى شمال أفريقيا. وقد بلغ عدد الزوايا السنوسية حوالى ١٢٠ زاوية منتشرة فى كل مكان حتى أرخبيل الملايو فى الشرق الأقصى. وكان تأثيرها كبيرا لدى القبائل الوثنية فى أفريقيا.

خلفه ابنه الشيخ المهدى محمد على السنوسى فى قيادة الدعوة حتى توفى عام ١٩٠٢ وكان عمر المختار من السلالة وجاهد ضد الاستعمار الايطالى لليبيا حتى نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٣١م.

محمد حسين هيكل

مفكر وأديب مصرى وصاحب أول وأهم رواية عربية متكاملة. ولد عام ١٨٨٨/ ١٣٠٥ هجرية فى مركز السنبلاوين بالدقهلية بمصر فى أسرة غنية ومتمتعة بالجاه. حفظ القرآن الكريم كعادة الأطفال آنذاك. تعلم مبادئ القراءة والكتابة فى مدرسة الجمالية بالقاهرة ثم فى المدرسة الخديوية والتحق عام ١٩٠٥ بمدرسة (جامعة) الحقوق الخديوية. تعرف على فكر «أحمد لطفى السيد» وقرأ كتب التراث الأدبى بخاصة الأدب الإنجليزى.

سافر إلى باريس بعد تخرجه ليحصل على الدكتوراه بعد ثلاث سنوات. عمل بالمحاماة بعد عودته واشتغل بالتدريس فى الجامعة عام ١٩١٧.

كتب فى جريدة الأهرام وفى (الجريدة)، صحيفة حزب الأمة، التى كان يرأسها أحمد لطفى السيد. استقال من عمله الأكاديمي وتفرغ للعمل السياسى فرأس جريدة (السياسة) جريدة حزب الأحرار الدستوريين الجديد، الذى كان ينتمى إليه. تولى «هيكل» رئاسة تحرير (السياسة الأسبوعية) عام ١٩٢٩/ ١٣٤٥ هجرية، فنشر فيها بحوثه الأدبية والسياسية والتاريخية وكان يعمل فيها طه حسين وعبد العزيز البشرى وشهدت معارك أدبية على صفحاتها. بدأ «هيكل» فيها نشر فصول من كتابه المتميز (حياة محمد)! عمل وزيرا للمعارف فى وزارة محمد محمود ثم فى وزارة حسين سرى حتى عام ١٩٤٢ وثانية عام ١٩٤٤ وأضيفت إليه وزارة الشئون الإجتماعية عام ١٩٤٥.

فى عام ١٩٤١ تم اختياره نائبا لرئيس حزب الأحرار الدستوريين ثم رئيسا له. رأس مجلس الشيوخ المصرى خمس سنوات غير فيها الكثير. مثل مصر فى التوقيع على وثيقة جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ ومثل مصر أكثر من مرة فى الأمم المتحدة وفى المحافل الدولية حتى ألغيت الأحزاب عام ١٩٥٢. بعيدا عن السياسة كان محمد حسين هيكل أديب تلك الفترة الخصبة بالرواد فى مجال الأدب. كتب فى التاريخ والفكر الإسلامى والفكر الغربى وأدب الرحلات والنقد الأدبى والقصة والرواية.

رواية (زينب) أشهر أعماله الروائية و(حياة محمد) أشهر أعماله الأدبية الدينية. زينب كانت بداية انطلاق القصة والرواية العربية بالأصول المعروفة لكتابة القصة. كتب عن فرنسا والحضارة الغربية التى فقدت لديه تأثيرها الصارخ بعد الحرب العالمية الأولى. نقطة التحول فى حياته حين هاجم حملة التنصير التى سادت مصر عام ١٩٣٣ فاستدعى للتحقيق بتهمة إثارة الطوائف الدينية وكان أن اتجه كليا للتراث الإسلامى والتاريخ الإسلامى فقرأ الكثير (كان تأثير حملة التنصير تفكيرى بمقاومتها بالطريقة المثلى التى يجب أن تقاوم بها) فجاء كتابه الضخم (حياة محمد) الذى يعتبر درة ما كتب فى هذا المجال فى العصر الحديث. ظهر فيه النبى الكريم إنسانا قبل أن يكون نبيا وحقائق تاريخية بأسماء الأماكن والأحداث التى سردها بمنطق مذهل، والأشخاص حتى لكأن القارئ يكاد يلمسها ويعايش من عاشوا فيها وعلى رأسهم النبى الكريم. فى الكتاب فند كل الإفتراءات ودحضها بالمنطق والحقائق. تبعه كتاب (فى منزل الوحى) عن رحلته فى أرض الحجاز فجاء تأريخا للعصر وليس كتابا دينيا. كتب (الصديق أبو بكر) و(الفاروق عمر) اللذين يعتبران حتى اليوم مرجعا للباحثين.

فى السياسة كتب (مذكرات فى السياسة المصرية) عام ١٩١٢ بجزئين ليبدأ الجزء الثالث مع الثورة المصرية عام ١٩٥٢. ترك كتبا أخرى مثل (فى أوقات الفراغ) و(عشرة أيام فى السودان). كان ميالا للدعابة، حاضر البديهة، مؤدب الحديث والفعل، متواضعا على رغم كل مناصبه. كان عضوا فى الجمعية المصرية للقانون الدولى وفى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠. بدأ مشروع وضع (معجم خاص لألفاظ القرآن الكريم). توفى عام ١٩٥٦.

محمد ظاهر شاه



آخر ملوك أفغانستان قبل الانقلاب الشيوعى ودخول السوفييت وقيام الحروب الأهلية ثم سيطرة طالبان ثم الغزو الامريكى. هو «محمد ظاهر بن نادر شاه»، ولد فى كابول عام ١٩١٤ ينتمى إلى أسرة «محمد زاى» من قبيلة «أبدالى» التى ينحدر منها مؤسس أفغانستان الحديثة والتى حكمت سلالتها منذ عام ١٧٤٧. كان والده «نادر شاه» قد ولد فى الجزء الهندى الذى يسمى اليوم باكستان، حيث كان والده (جد ظاهر شاه) منفيا هناك بأمر حاكم أفغانستان. وحين عاد «نادرشاه» التحق بالجيش الأفغانى ووصل إلى أعلى رتبة فيه وهى (سبهسالار) بعد أن قضى على تمرد فى ولاية بكتيا بطرق ديبلوماسية دون إراقة دماء.

عين «نادرشاه» بعدها قائدا للقوات الأفغانية فى الجنوب وألحق هزيمة مدوية بالجيش الإنجليزى مما اضطر الحكومة البريطانية إلى الموافقة على استقلال البلاد عام ١٩١٩ وبذلك كتب لظاهر شاه الطفل أن يكون والده من أهم من قاوم الانجليز.

سافر «محمد ظاهر» مع أبيه «نادر» إلى فرنسا عام ١٩٢٤حين عين سفيرا لبلاده فيها وعاد إليها ملكا، وحاول تعليم ابنه أصول الحكم فعينه قائما بأعمال وزير الدفاع عام ١٩٣١ وكان عمره ١٧ سنة ثم عينه وكيلا بوزارة المعارف عام ١٩٣٢ وزوجه من الملكة «حميراء» ابنة أحد الوزراء وكان عمره ١٨ سنة!. اغتيل الملك «نادر شاه» عام ١٩٣٣ بيد أحد طلاب مدرسة «نجات» الدينية!! وتوج ابنه «محمد ظاهر» ملكا على أفغانستان وكان عمره ١٩ سنة فقط! وقام أحد كبار علماء الدين المعروفين بوضع التاج بيده على رأسه وهو «الشيخ فضل عمر المجددى». بايعه عمه «شاه محمود» وزير الدفاع بينما كان عمه الثانى «محمد هاشم خان» خارج البلاد مما سهل مهمة ظاهر شاه فقد كان هذا العم رافضا لتولى ظاهر شاه وهو بهذه السن الصغيرة. وكان أن حكم «محمد ظاهر» صوريا. فقد كان عماه هما الحاكمان الفعليان للبلاد لعدة سنوات حتى استطاع تولى العرش بالفعل.

حكم البلاد أربعين سنة وشهدت البلاد فى عصره انفتاحا كبيرا على القيم الغربية خاصة فيما يتعلق بالمرأة وسمح لبناته التعلم فى مدرسة خاصة للبنات وكانت الوحيدة فى كابول. وساعده على تنفيذ التغريب فى البلاد، ابن عمه «محمد داوود» الذى عينه رئيسا لوزرائه عام ١٩٥٩. لكن خلافا شديدا نشب بينهما، حين حاول السردار محمد داوود التقرب للاتحاد السوفييتى وعين اليساريين والشيوعيين فى مناصب عليا بالدولة مما أثار قلق الملك ظاهر شاه، فعزله.

أصدر الشاه دستورا جديدا للبلاد وسمح بإجراء أول انتخابات برلمانية عام ١٩٦٥ وفشل الشيوعيون فى إحراز أغلبية، لكن مظاهرات اندلعت فى البلاد فيما بعد احتجاجا على تردى الأوضاع الاقتصادية والسياسية خاصة مع تعرض أفغانستان لأسوأ مجاعات بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٢ وموت عشرات الآلاف، وتزعم (حزب الشعب) الشيوعى المظاهرات.

لم يستطع الملك «محمد ظاهر شاه» السيطرة على الوضع حتى مع تغيير رئيس الوزراء ثلاث مرات، مما جعل الطريق مفتوحا أمام انقلاب عسكرى سلمى قاده ابن عمه «محمد داوود» فى ١٧ يوليه من عام ١٩٧٣ واستولى على الحكم بمساعدة حلفائه السوفييت وألغى الملكية وأعلن قيام الجمهورية الأفغانستانية ونفى الشاه نفسه إلى إيطاليا أملا فى الوساطة الغربية التى يعتمد عليها. لكن الاتحاد السوفيتى لم يكن ليفوت الفرصة.

ففى الانقلاب العسكرى الشيوعى عام ١٩٧٨ قتل السردار «محمد داوود خان» مع أخيه وأسرتيهما، وفى العام التالى دخلت القوات السوفيتية لحماية النظام الشيوعى الجديد الحاكم فى أفغانستان، وبدأت الحرب الشرسة بين فصائل المجاهدين الذين دعمهم الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وكان بينهم «أسامة بن لادن» السعودى، الذى انقلبت عليه أمريكا وحلفاؤها بعد انتهاء المهمة وخروج القوات السوفيتية مع زوال النظام الشيوعى فى روسيا وزوال الاتحاد السوفيتى نفسه.

ظل الشاه فى المنفى حوالى ٣٠ عاما ولم يعد إلى أفغانستان إلا بعد دخول القوات الأمريكية وقوات الحلفاء البلاد عام ٢٠٠١ لاحتلالها مؤقتا بعد هجمات ١١ سبتمبر على نيويورك والتى أدين فيها «بن لادن» وحكومة طالبان، وكانت حجة الغزو تدمير نظام طالبان الإسلامى المتشدد، الذى كان قد استولى على الحكم وهزم فصائل المجاهدين التى بدأت الاقتتال فيما بينها بعد خروج السوفييت.

أبدى الملك المنفى «ظاهر شاه» تعاونه مع الأمريكيين مقابل عودته للبلاد شريطة ضمان حق الشعب الأفغانى، وعاد فعلا عام ٢٠٠٢ لكن عودة الملكية كانت مستحيلة بالرغم من الدعم الأمريكى. توفى الملك «محمد ظاهر شاه» فى يونية من عام ٢٠٠٧ عن ٩٢ سنة بعد أن سقط مريضا بالشلل.

الإمام محمد عبده

من أهم الشخصيات المصرية فى القرن التاسع عشر التى دعت إلى التنوير الفكرى الدينى وتحديث التشريعات وإصلاح الأزهر فتداخل لديه الدين بالسياسة.

ولد «محمد عبده» عام ١٨٤٩م فى قرية (محلة نصر) الصغيرة فى محافظة البحيرة المصرية لأب تركمانى الأصل وأم مصرية يعود نسبها لقبيلة بنى عدى العربية الحجازية. تعلم فى (الكتّاب) على يد شيخ القرية وتجويد القرآن فى الجامع الأحمدى (المسجد البدوى) بطنطا وتعلم فروع اللغة العربية وبعض الفقه وكان عمره ١٥ عاما لكنه هرب بعد إصرار أبيه على متابعته الدراسة التى لم يجد فى مقرراتها ما يثير اهتمامه، فالتقى بالشيخ الصوفى «درويش الخضر»،

أحد أخوال أبيه وكان ينهج طريق السنوسية المتأثرة بالوهابية التى كانت تنتشر، والتى تحاول بطريقتها تنقية الإسلام من الأمور الوافدة عليه.

عاد «محمد عبده» إلى الجامع الأحمدى وأصبح (الشيخ المعلم). انتقل إلى الجامع الأزهر عام ١٨٦٢م (١٢٨٢هجرية) فدرس الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة وباقى العلوم الشرعية واللغوية. ونال العالمية عام ١٨٧٧م وظل يتعطش للعلوم الأخرى التى لم يكن الأزهر يدرجها فى مناهجه حتى التقى بالشيخ حسن الطويل الذى كان يلم تماما بالرياضيات والفلسفة والسياسة وظل متواصلا معه حتى التقى بجمال الدين الأفغانى الذى كان شديد النقد والمعارضة ومحرك ثورات الطلبة. درس «محمد عبده» فى دار العلوم ومدرسة الألسن واعتنق الأفكار التى تتصل بالعامة كما مارس الصحافة فكتب فى جريدة الأهرام وتناول موضوعات الإصلاح الأخلاقى والاجتماعى والدينى كما كتب فى صحيفة (القلم) ودعا إلى العلوم العصرية.

اختاره رياض باشا، رئيس النظارة (رئيس الوزراء) فى عهد الخديوى توفيق لتحرير صحيفة (الوقائع المصرية) فضم محمد عبده لعضوية تحريرها الشاب (آنذاك) سعد زغلول وابراهيم الهلباوى والشيخ محمد خليل وسمح بالمقالات الأدبية والاجتماعية إلى جانب السياسة فأصبحت أهم الجرائد المصرية.

دعوته إلى الإصلاح تطلبت التغيير السريع فانضم إلى الثورة المتأججة عام ١٨٨٢ والتى كان عبد الله النديم أحد أقطابها، فسجن ٣ شهور بعد توجيه تهمة التحريض على التخلص من الخديوى توفيق ثم نفى للشام لمدة ٣ سنوات فانتقل إلى بيروت عام ١٨٨٣م (١٣٠٠هجرية) وظل فيها لمدة عام ثم لحق بالأفغانى المنفى فى باريس فأصدرا معا صحيفة (العروة الوثقى) من مقرها فوق سطح منزل فى باريس تنديدا بالاحتلال والاستعمار. أقلقت الصحيفة الانجليز فى مصر والفرنسيين الذين كانت تصدر الصحيفة من أراضيهم وتوزع فى أنحاء العالم الاسلامى فحجبت بعد صدور ١٨ عددا منها خلال ٨ شهور وظهر الخلاف فى المنهج بين الأفغانى ومحمد عبده الذى عاد إلى بيروت عام ١٨٨٥م بعد فشل الثورة العرابية واعتزل السياسة وتفرغ للتأليف وقام بتفسير القرآن الكريم فى مساجد بيروت وبالتدريس فى المدرسة السلطانية فيها. لم يستغل منفاه للتجهم على مصر والخديوى بل كان من أهم المدافعين عنها وعنه معا!

عاد إلى مصر بعد وساطات من قبل بعض الساسة بينهم الأميرة نظلى ابنة الخديوى توفيق، ومختار باشا، وصدر العفو فى ١٨٨٩ وكان الانجليز قد احتلوا مصر. لم يجد «محمد عبده» مانعا من الاستعانة بهم والاتصال باللورد كرومر نفسه لكن طلبه بشغل منصب ناظر دار العلوم رفض وعين قاضيا ثم مستشارا عام ١٨٩٥ وتعلم الفرنسية أثناء توليه القضاء ليطلع على القوانين الفرنسية. تحقق حلمه بإصلاح الأزهر فى عهد الخديوى عباس وأصبح عضوا فى مجلس إدارته التى تولاها الشيخ حسونة النواوى. عين محمد عبده مفتيا لمصر عام ١٨٨٩ واستقال مرغما من الأزهر عام ١٩٠٥ حيث مرض بعدها بسرطان الكبد ومات بالإسكندرية فى نفس العام.

ترك الأستاذ الإمام (كما يلقب) عددا كبيرا من المؤلفات بينها شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، ومقامات الهمذاني، كما ترك كتبا في البلاغة والمنطق والتفسير والتاريخ . كان له منهجه الخاص في إدارة ماسماه بمعركة التنوير العقلي وكان يرى العيب في نظرتنا التقليدية للتراث وليس في التراث نفسه كما خاض صراعا مع ماوصفه بتزمت شيوخ الأزهر وطالب بتعليم المرأة كحق ديني أساسي لها . كان منفتحا على الثقافات الأخرى وكان يصر على التعايش بين المعتقدات ويرى ضرورة التقريب بينها وبين الإسلام ولم يكن يكفر أحدا حتى البهائيين .كان يحاول ماأمكن الربط بين الإسلام والعصر . لكنه كان أيضا من التيار المحافظ الذي كان يواجه التيار المنفتح على الغرب بلا حدود .

محمد علي جناح

يلقب بـ (القائد الأعظم). مؤسس دولة باكستان بجناحيها، باكستان الشرقية (اليوم بنجلاديش) وباكستان الغربية، منفصلة عن الهند. ولد «محمد علي جناح» (بكسر الجيم وتشديد النون) عام ١٨٧٦م في مدينة كراتشي، عاصمة باكستان اليوم وكانت جزءا من شبه القارة الهندية. تعلم في بومباي بالهند وفي كلية (لنكولن إن) في لندن وكان يفخر بذلك. درس القانون وتخرج عام ١٨٩٦.

نشط في حزب المؤتمر القومي الذي كان يعمل على استقلال الهند عن إنجلترا. وكان يعمل إلى جانب الزعيم الهندي «غاندي» لكنه أبدى استياءه من سياسة غاندي تجاه الإنجليز والتي تميزت بمقاطعة البضائع الإنجليزية وتنفيذ العصيان المدني (الساتياجراها) والمقاومة السلبية تجاه المستعمر، كما استاء من لقب غاندي الجديد، الذي أطلق عليه وهو (مهاتما) وهو لقب هندوسي، بما يعني أنه فصل نفسه عن المسلمين وباقي الطوائف وأنه اختص بالهندوس وحدهم.

وجد «محمد علي جناح» أن المقاطعة غير مجدية والأفضل بناء مصانع هندية تنتج بضائع تنافس البضائع الانجليزية فلا يضطر الشعب إلى الاستغناء عن الضروريات كما أنه يجب أن تكون المقاومة إيجابية وأن تكون هناك مواجهة فعلية لردع الإنجليز.

اختلف «محمد علي جناح» مع غاندي بالرغم من تقديره الكامل له. فانسحب من حزب المؤتمر وأعلن انضمامه لـ (الرابطة الإسلامية) عام ١٩١٣م. وكانت الرابطة مجرد هيئة سياسية محدودة في نشاطها وقدرتها أمام حزب المؤتمر، فتحولت مع انضمام «محمد علي جناح» لها، إلى حركة شعبية ثورية عامة، قاومت فيما بعد، الإنجليز والهندوس معا، خاصة بعد أن أصبح زعيمها عام ١٩٢٩م.

كان التحول الحقيقي حين أصدر بيانا من ١٤ نقطة وطالب فيه بتخصيص ثلث مقاعد المجلس التشريعي المركزي للمسلمين، ووضع تشريع دستوري يتضمن حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم. لكن هذا الطلب قوبل باستياء شديد من زعماء الهند المسلمين لأنه يظهر أن المسلمين مجرد أقلية في البلاد وكأنهم لا ينتمون إلى نسيجها المجتمعي. وكانوا يفضلون أن تكون كل الطوائف في الهند (أمة واحدة) تسعى لهدف واحد هو إخراج المستعمر الإنجليزي من الهند كلها.

هاجر «محمد علي جناح» عام ١٩٣٠ إلى انجلترا بعد رفض زعماء المسلمين مطالبه بالانفصال وعاد بعد أربعة أعوام. وفي اجتماع الرابطة عاود مطالبته باستقلال المسلمين ولكن ضمن (اتحاد فيدرالي هندي) لكنه في مؤتمر الرابطة الإسلامية في (لاهور) عام ١٩٤٠ رفع مستوى دعوته إلى تكوين دولة مستقلة لمسلمي الهند تقتطع منها ويسميها باكستان. وكانت حجته كما يقول: (نحن من الجنس الآري، وهم درافدا، نحن من أهل الكتاب وهم وثنيون ويعبدون البقرة، ولا يمكن أن تزول الخلافات بيننا وبينهم ...).

قرار تقسيم الهند إلى الهند وباكستان صدر في ٢٨ رمضان ١٣٦٦/ ١٥ أغسطس ١٩٤٧. وكانت باكستان مكونة من جزء في الشرق يسمى باكستان الشرقية وجزء في غرب الهند يسمى باكستان الغربية. وكان «محمد علي جنّاح» أول رؤسائها. وقد باركت انجلترا بالطبع هذا التقسيم ليسهل عليها السيطرة على البلاد وهي بهذه الفرقة والانقسام.

تولى «جناح» رئاسة باكستان كلها تحت وطأة ظروف شديدة القسوة. فقد كانت روح الهندوسيين ضد المسلمين عدائية، وبدأ الهندوس المقيمون في الدولة الجديدة يغادرونها خاصة الذين كانوا يملكون زمام الاقتصاد فيها، في نفس الوقت الذي هاجر إليها أكثر من تسعة ملايين مسلم هندي، ومعظمهم كان يعاني الفقر والاضطهاد في محيطه.

ممّا زاد الأمور سوءا، أن التقسيم لم يكن عادلا. وكان شطرا باكستان بعيدين جدا عن بعضهما. كما رفضت السلطات الهندية الإبقاء على المؤسسات والمعدات في الدولة الجديدة، فبدت القاعدة الاجتماعية ضعيفة والإدارة هزيلة وضاعف عجزها، ضم الهند لإقليم كشمير المسلم والذي توزع بين باكستان والهند فكان سببا في حروب أربعة بين الدولتين.

توفي «محمد علي جناح» بعد عام واحد في ١٩٤٨ قبل أن يشهد انتعاش باكستان الاقتصادي والذي قام به خلفه «الخوجا نظام الدين».

بالرغم من أن كثيرا من المسلمين في الهند رأوا في خطوة «جناح» في تأسيس دولة للمسلمين، قرارا متعجلا لا داعي له، فإن الشاعر الكبير «محمد إقبال» كان يشارك «جناح» حلم إنشاء وطن مستقل للمسلمين الهنود، لكنه توفي قبل أن يرى حلمه يتحقق.

في عام ١٩٧١ استقلت باكستان الشرقية وسميت (بنجلاديش) وعاصمتها (دكا) وبقيت باكستان الغربية تسمى (باكستان)التي نعرفها اليوم بعاصمتها (إسلام آباد).



السلطان محمود الغزنوى

من أعظم شخصيات القرن الحادى عشر الميلادى الذين لم يأخذوا حقهم من بين صناع التاريخ الإسلامى فى آسيا الوسطى. هو «محمود بن سبكتكين بن البتطغين». ولد عام ٩٧١م. جده لأمه كان من المماليك الأتراك لدى الدولة السامانية الفارسية فى بلخ (فى أفغانستان اليوم) من الذين عبروا جبال هندوكوش (فى أفغانستان) للاستيلاء على غزنة فى المملكة التى كانت تتهاوى. عرفوا بالغزنويين. عينه الخليفة فى بغداد حاكما ومات عام ٩٩٧م. خلفه زوج ابنته، والد محمود الذى كانت أمه من أصل فارسى نبيل. خلف اسماعيل الغزنوى أباه لكن أخاه الأكبر محمود انقلب عليه خشية انهيار الدولة لعلمه بعدم مقدرة أخيه. كان محمود شارك أباه فى غزواته للاستيلاء على خراسان من الثوار الذين كان أمير السامانيين «نوح الثانى» يدعمهم.

ألغى اسم السامانيين من خطبه واستقل عنهم ودعا للخليفة العباسى فى خطبه. هزم فى أول حملاته ضد القاراخانات (من قبائل الأتراك المغول) فى الشمال فتحالف مع السلاجقة الأتراك فى جنوب خوارزم لتأمين الشمال عام ٩٩٨م. أعلن السامانيون عليه القتال فتحالف مع أعدائه القاراخانيين أيام نصر خان وتزوج ابنته. صمم على التصدى لحملات تشويه الاسلام الصحيح وتنقيته من العناصر الدخيلة من أقوام تلك المناطق وتراثهم الدينى والعقائدى من مجوس وزرادشتيين وهندوس وعباد الطبيعة.

حارب أيضا التشيع وأفكار المعتزلة والقرامطة والأشعرية. ووجه قواته لفتح بلاد الهند بدءا من عام ٣٩٢ هجرية/ حوالى ١٠٠٢م واستمر ٢٥ سنة متصلة يجاهد أمراء الهند الهندوس فى معارك كان أشدها مع ملك «كابولستان» «راجا جايابالا» من سلالة شاهى فى قندهار، والذين كانوا عانوا أول هزيمة لهم على يد الغزنويين بقيادة والد محمود فى أواخر عام ٩٨٠م فتنازل جايابالا عن أجزاء من مملكته. استولى محمود على بيشاور (فى باكستان اليوم) وجعلها مركزا لقواته حاز لقب السلطان الذى أنعمه عليه خليفة بغداد فكان أول من يلقب بالسلطان هناك. احتل كشمير عام ١٠١٥ وسيطر على معظم شمال الهند. طارد القرامطة (أحدى الفرق الباطنية الجانحة عن الإسلام السلفى) بقيادة أبو الفتوح داوود.

كان لانتصاراته دوى هائل فى الهند جعل أمراء الهندوس يكونون ما سموه (تحالفا مقدسا) تعهدوا فيه القضاء على المسلمين. فى عام ١٠١٠م استولى على «غور» وضم إليه بلوشستان عام ١٠١١ وكان له علاقات مصاهرة مع قادة بلخ، وفى عام ١٠٢٤ عبر محمود الغزنوى نهر أموداريا (جيحون) مما أخاف السلطان قادرخان فرحب به وقدم له ابنه ليخدم فى جيشه. قام بحملات

منظمة على الهندوس الذين تحالفوا ضد دولته الاسلامية وسجل أرقاما قياسية فى عدد الحملات العسكرية التى كانت تتم كل عام دون انقطاع حتى يقال إنها بلغت ١٢ حملة. قضى السنوات الأربعة الأخيرة من حياته فى محاربة الأتراك القادمين من الشرق الآسيوى «الأوجوز». فى عام ١٠٣٠ سقط صريع المرض ومات وعمره ٥٩ سنة فقط. صمم محمود الغزنوى أن يجعل مملكته من أقوى وأغنى الممالك الاسلامية ووصل نفوذه إلى بغداد.

لم يكن متسامحا مع المذاهب والديانات الأخرى. حطم تمثال إله الهندوس «سومنات» فى إقليم كوجارات فى الغرب بعد أن زعم الهندوس أن إلههم يحميهم من بطش محمود. اقتحم المسلمون المعبد فتوسل إليه الكهنة ألا يحطم تمثال الإله مقابل الكنوز الموجودة فى المعبد ورفض محمود ما عرض عليه. ونقل أحجاره إلى عاصمته غزنة وبنى بها مسجدا. قال عنه ابن كثير (إن ما فتحه من بلاد يعادل ما فتح أيام الخليفة عمر بن الخطاب). حيث امتدت مملكته من شرق الهند وشمالها إلى باكستان وافغانستان وكشمير وشمال إيران وبعض مناطق آسيا الوسطى الإسلامية اليوم. ضعفت الدولة الغزنوية بعده فتسلطت عليها الدولة الغورية من مركزها فى مدينة «غور». كان محمود الغزنوى قويا وسيما يتمتع بموهبة خطابية عالية وكان محاربا يجيد ركوب الخيل. كان يحب الشعر ولم يكن يتقن العربية.

أسس الجامعات لدراسة العلوم الدينية والرياضيات والعلوم الإنسانية والطب والشريعة أهداه الشاعر «الفردوسى» أعظم ملاحمه وهى شاهنامة، فكافأه السلطان بـ٦٠ ألف مثقال من الفضة بعدد أبياتها. فرض اللغة الدارية على البلاد لتكون اللغة الوحيدة والدين الإسلامى على المذهب السنى. ولقب بـ (يمين الدولة، ولى الأمة). دفن فى غزنة بأفغانستان اليوم ومازال ضريحه يزار هناك.



محمود سامى البارودى

من رواد الشعر الحديث ومجدد القصيدة العربية الوطنية. سمى فارس السيف والقلم. ولد عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م بالقاهرة لأبوين من أصل شركسى من سلالة السيفى نوروز الأتابكى. كان أجداده يعملون (ملتزمين) أى القائمين على جباية الضرائب فى البحيرة بمصر وكان منصبا مرموقا. توفى والده الضابط بالجيش وكان عمر محمود سبع سنين فاضطر لتلقى تعليمه الأولى فى البيت من حفظ القرآن الكريم والنحو والصرف وبعض الدين والتاريخ والحساب. التحق بالمدرسة الحربية وعمره ١٢ سنة. بعد تخرجه التحق بالجيش السلطانى العثمانى. ارتحل إلى الآستانة (استامبول اليوم) وكانت عاصمة العثمانيين فأتقن

التركية والفارسية، أهم لغتين فى ذلك العصر، أثناء عمله فى سكرتارية (قلم السر) الخارجية العثمانية وعاد بعد سبعة أعوام ليعمل مساعدا لأحمد خيرى باشا، الذى كان قائما على إدارة المكتبات بين مصر والآستانة.

فضل «محمود سامى البارودى» الخدمة فى الجيش فطلب تكليفه عام ١٨٦٣ وألحق بالحرس الخديوى. وشارك فى الحملة العسكرية إلى جزيرة كريت لإخماد الثورة هناك ضد الحكم العثمانى. عين بعدها (الياور الخاص) للخديوى إسماعيل لمدة ثمانى سنوات حتى وصل إلى رتبة كبير الياوران لولى العهد توفيق، الذى لم يتفق معه فعاد بعدها إلى الجيش.

كان عاشقا للشعر والفروسية معا. وكان ينظم شعره فى تلك الفترة وهو فى الاستراحات بين المعارك التى دخلها ضمن الحملة العثمانية فى الحرب التى شنتها روسيا على الدولة العثمانية وما تبعها من تحالفات الصرب والنمسا وبلغاريا عليها. كان البارودى ضمن الفرقة المصرية فلم يكن لمصر جيش خاص بها. على البحر السود فى أوكرانيا كانت هزيمة العثمانيين، الذين عقدوا معاهدة (سان ستيفانو) الشهيرة عام ١٨٧٨ وعادت فرقة البارودى لمصر. وبالرغم من الهزيمة فقد حصل البارودى على الوسام المجيدى وعلى نيشان الشرف لبسالته وعنفوانه.

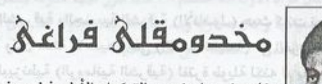
لكن الفارس الشاعر، سرعان ما شارك بعدها فى الثورة التى أطلقها الضابط أحمد عرابى باشا ضد الإحتلال الإنجليزى أيام الخديوى توفيق الذى لم يكن محبوبا مثل الخديوى إسماعيل. أسندت إلى البارودى أثناء ذلك، رئاسة (الوزارة الوطنية) من فبراير حتى مايو من عام ١٨٨٢ لكن خلافا وقع بين البارودى والخديوى حول تنفيذ الأحكام العسكرية فتدخلت فرنسا وانجلترا تطلبان استقالة وزارة البارودى وإبعاد أحمد عرابى وزير الجهادية عن مصر ورفض البارودى واستقال. ونفى بعدها مع زعماء الثورة العرابية فى ديسمبر من عام ١٨٨٢ إلى جزيرة سيريلانكا وكانت تسمى (سرنديب) وعاصمتها كولومبو وكانت تحت الاحتلال البريطانى.

عانى البارودى من النفى فكتب أحلى أشعاره لمدة ١٧ سنة هى سنوات الغربة الطويلة. تعلم اللغة الإنجليزية هناك وعمل بالترجمة للعربية. لكن المرض نال منه كثيرا فضعف بصره حتى عاد إلى مصر فى سبتمبر من عام ١٨٩٩ وتوفى بعدها بخمسة أعوام فى عام ١٩٠٤.

ترك ديوان شعر فى جزأين ومجموعة شعرية اختارها البارودى بنفسه لثلاثين شاعرا عباسيا ومختارات من النثر. ومن أجمل ما ترك قصيدة طويلة فى ٤٤٧ بيتا فى مدح الرسول الكريم، عارض فيها البوصيرى فى (البردة) الشهيرة. يقول البارودى فى مطلعها:

يا رائد البرق يمم دارة العلم   واحْدُ الغمام إلى حى بذى سلم

كتب كثيرون عن محمود سامى البارودى الفارس والشاعر. وإن كان البعض يأخذ عليه مشاركته الكاملة فى حروب وحملات الدولة العثمانية والتى لم يشارك فى الثورة عليها إلا حين اختلف مع الخديوى توفيق.



مخدومقلى فراغى

شاعر شعراء شعوب التركمان الأول. فيلسوف وصوفى ورائد الفكر الشعبى لقبائل التركمان فى القرن الثامن عشر. هو «مخدومقلى فراغى» (بالفارسية) و«مجتيمجولى براغى» (بالتركمانية). ولد عام ١٧٣٣ فى قرية (حاجي جوشان) بالقرب من مدينة (جونباد كافوز) فى إقليم (جولستان) الإيرانى. تلقى تعليمه الأولى بالفارسية والعربية من والده «أزادى دولت محمد عضدى» الذى كان معلما دينيا بارزا فى ذلك الوقت.

درس وكتب الشعر وطور أسلوبا واقعيا فى الكتابة عن التركمان فى حوالى القرن الثامن عشر، والتى لاقت شعبية واكتساحا واستحسانا وأهلته ليكون أحد أهم شعراء التركمان إن لم يكن أهمهم على الإطلاق. كان زعيما روحيا وشاعرا وفيلسوفا. كان من كبار المتصوفين وقيل: إنه سافر وارتحل عبر البلدان. يحسب له أنه حاول المزج بين تراث التركمان التقليدى وبين التركمان المعاصرين. ترك كثيرا من الأشعار والأناشيد التى تحيى تراث التركمان ماضيهم وحاضرهم، عمل كثيرا على أن ينال شعبه التركمانى استقلاله وكافح معه حتى توصل إلى منحه حكما ذاتيا وإن لم يكن أقصى طموحاته. مات عام ١٧٨٣ عن خمسين عاما. ودفن فى قرية أقتقاى شمال شرق إيران وبنت السلطات التركمانية ضريحا ومزارا حول قبره.

دعا «مخدومقلى فراغى» إلى الحفاظ على الحياة التركمانية الأصيلة وقام بترسيخ فكرة الوحدة بين شعوب التركمان وضرورة توحيدها تحت راية واحدة تكفل لها القوة. لم تثمر جهوده أثناء حياته إلا بالتخفيف من النزاعات بين القبائل التركمانية المتعددة. حين أعلنت دولة تركمنستان للتركمان فقط عام ١٩٩١، كانت كتابات زعيمها ورئيسها «نيازوف» التى سميت (روح نامه) مستمدة من أشعار «مخدومقلى فراغى» والتى بدأت منذ ذلك الحين تتجلى فى أعماق الشعب التركمانى الذى توحد. يقولون عنه (إنه الروح الأصيلة للشعب التركمانى). يقول فى إحدى أشعاره التى وجدنا القليل منها مترجما: (أنا عندليب وهذه قصيدتى الحزينة– من حديقة الورود بدأت هنا والآن– هل ترى الدموع فى عينى؟ هاك دموعى– أية متعة للحياة تكون حين يتلاشى الحب؟).



مراد الأول

المؤسس الفعلى لقوة الدولة العثمانية وأول سلطان عثمانى يدخل أوروبا فاهتزت ممالكها. ولد عام ١٣١٩ أو ١٣٢٦م من أم كانت أميرة بيزنطية تسمى «هيلين» تغير اسمها إلى «نيلوفر». تسلم الدولة بعد وفاة أبيه «أورخان»

فكان أول أهدافه ضم المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية (الأناضول) حيث كانت تعتبر (المدخل) الرئيسي للدولة الإسلامية. وكان هدفه الاستيلاء على (القسطنطينية) فى الغرب أو (استانبول) اليوم وكانت عاصمة الدولة البيزنطية (الرومانية الشرقية) لفترة طويلة لكنه لم يفلح.

عمل «مراد الأول» على مصاهرة ومعاهدة أمراء الأناضول لضمان حيادهم حتى مع الأمير القوى علاء الدين أمير (قرمان) فى أنقرة، الذى حاول مع حلفائه من أمراء الأناضول قتال «مراد الأول» وفوجئوا به يحاصر أنقرة ويتغلب عليهم فكانت البداية.

حين ضمن جبهته الداخلية استولى عام ١٣٦٢م على مدينة «أدرنه» الاستراتيجية فى البلقان بضربة خاطفة كانت كالصاعقة للإمبراطورية البيزنطية القوية، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية وبذلك نقل «مراد الأول» الحرب إلى قلب أوروبا. لكنه أيقظ الشعور العدائى الأوروبى نحو المسلمين من جديد وذهب إمبراطور القسطنطينية للبابا فى روما متوسلا إعلان الحروب الصليبية من جديد ضد المسلمين، برغم الخلاف الحاد بين بابا الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وبابا الكنيسة الكاثوليكية الغربية. ووافق البابا شريطة خضوع الكنيسة الشرقية للكنيسة الغربية. وقبل أن تتحرك الجيوش بأوامر البابا «أوربان الخامس»، كان ملك المجر «أوروك الخامس» قد اتفق مع أمراء الصرب والبوسنة ورومانيا على الهجوم على العثمانيين. وانهزم التحالف الصليبى أمام القائد العثمانى «لالا شاهين» المعروف بالدهاء العسكرى وغرق الجنود فى نهر مارتيزا عام ١٣٦٣م أثناء فرارهم ونشرت الهزيمة الرعب فى أوروبا واضطر ملك الصرب لدفع الجزية بينما قدم أمير البلغار «سيسمان» ابنته زوجة للسلطان.

استولى على مدينة «صوفيا» البلغارية بعد حصار لمدة ثلاث سنوات ثم «سالونيك» المقدونية (فى اليونان اليوم)، وكان الصليبيون قد تمكنوا أثناء غيابه محاولا إخماد الفتن فى بلاده، من استرداد بعض ما استولت عليه القوات العثمانية فى البلقان لكنه سرعان ما عاد وحاصر أمير البلغار «سيسمان» الذى وقع أسيرا وعفا عنه «مراد الأول» بعد أن ضم نصف الإمارة البلغارية لبلاده. ثم كانت موقعة «كوسوفو» الحاسمة والمفصلية والشهيرة جدا فى التاريخ الأوروبى والصربى بشكل خاص، فى ١٥ يونية عام ١٣٨٩ وانتصر فيها العثمانيون ومكنتهم من السيطرة على البلقان حتى بدايات انهيار الدولة العثمانية وقتل فيها ملك الصرب الجديد «لازار» الذى تحول إلى رمز بطولى وشعبى فى تاريخ الصرب حتى اليوم. كما قتل «مراد الأول» نفسه، بينما كان يتفقد الجرحى حيث طعنه جريح صربى من النبلاء بخنجر فى صدره انتقاما من إذلاله لأوروبا.

أدخل لقب (السلطان) لأول مرة عام ١٣٨٣ ولقبه أنصاره بـ (خليفة الله المختار). وأنشأ ما يسمى (الديوان) الحكومى و(ميزانية العسكر).، وطور نظام الانكشارية (الجيش البديل) ونظام الجباية والأموال، كما أنشأ نظام (فرق الخيالة) أو ما يسمى بـ (السباهية) لاسترضاء فرق الفرسان حيث يعطى كل فارس جزءا من الأرض إقطاعا له طيلة فترة السلم على أن يظل فيها أصحاب الأرض الأصليون أيام الحرب والسلم لكن هذا النظام حول السباهية إلى أصحاب نفوذ بلا حدود.

يذكر للسلطان مراد الأول أنه حكم ٣٠ عاما طور فيها الدولة بكل مقوماتها واعتنى ببنائها القوى وطور مؤسساتها و كان محاربا ومسلما متدينا، حاول الثأر من الحملات الصليبية الخمس الأولى واستبسل فى الحملة السادسة التى شنت عليه.

جيمس موريير

رحالة انجليزى ودبلوماسي وكاتب من القرن التاسع عشر وصاحب أحد أهم الكتب عن الشرق وبلاد فارس بالتحديد. هو «جيمس موريير» الذى ولد فى ازمير بتركيا حسب بعض الروايات عنه. وهو ابن لتاجر سويسرى بريطانى. عمل بتجارة أبيه مما مهد له السفر، وبسبب تأثره بعمه، دخل المجال الدبلوماسى وأصبح سكرتيرا للمبعوث البريطانى إلى شاه إيران. كانت أول أسفاره إلى بلاد فارس (إيران) عام ١٨٠٨ ونشر فيها ثلاث أعمال أدبية كبيرة عام ١٨١٢ حول تجاربه فى إيران. وأصبح من عام ١٨١٠ إلى ١٨١٦ الممثل البريطانى فى البلاط الفارسى.

بعد عودته إلى بريطانيا نشر كتابه (رحلة حاجى بابا الأصفهانى فى بريطانيا) لكنه لم ينل نفس نجاح روايته الأولى التى كانت بعنوان: (رحلة حاجى بابا الأصفهانى) التى صدرت عام ١٨٢٤م وكانت من أروع ما كتب عن الشرق. وقد استقبلها الأوروبيون آنذاك بدهشة وانبهار بلا حدود، حتى أنه حين ظهرت الترجمة الفارسية للكتاب ظن كثيرون أنها النسخة الأصلية وأن الرواية الإنجليزية كانت مترجمة عنها لشدة دقته فى وصف الناس والحياة اليومية والمشاعر والعواطف فى إيران فكأنه كان مجبولا بها وإن كان لم يكتم إظهاره لمساوئ أخلاق الشرقيين لكنه كان يميز بشدة بين العرب والإيرانيين.

كتب عنها معظم النقاد والكتاب المعاصرين أمثال «والتر سكوت»، والمتأخرين أمثال «ادوارد سعيد» بل اعتبرها البعض (الأوديسة الفارسية). وظلت فريدة فى نوعها خاصة وأنها تشبه المقامات وتشبه فى بنائها حكايات ألف ليلة وليلة لكنها أقرب منها إلى الواقع خاصة وأنه كان يكتبها باعتباره الراوى وبطل الأحداث الذى كان ابن حلاق بسيط يمارس عدة مهن ويتنقل بين حوارى أصفهان وأزقة بغداد وبلاط الشاه واسطنبول، وهو فى كل هذا عاشق يلهث وراء من يحب فى كل مكان. وقلده فيها كثير من الكتاب البريطانيين والأمريكيين وترجمت إلى عدة لغات أوروبية. توفى «جيمس موريير» فى برايتون بانجلترا فى ٢٣ مارس ١٨٤٩م.



لوك مونتنييه

عالم جراثيم فرنسـي، مكتشف الفيروس المسبب لمرض نقص المناعة المكتسبة المسمى علميا (بالإيدز). ولد فى فرنسا عام ١٩٣٢ وأبدى اهتماما بالعلوم منذ صغره، حين كان يراقب والده المحاسب بالمهنة، يقوم بإجراء تجارب علمية فى معمل صغير بناه فى بدروم المنزل.

قام «لوك» نفسه، بأول تجار بمعملية حين كان عمره ١٤ سنة فقط. وكانت على النتروجليسيرين. فقد كان مهموما بجده المريض الذى كان يعانى لمدة طويلة من مرض سـرطان القولون. التحق «لوك مونتنييه» بجامعة بواتييه لدراسة العلوم الطبيعية عام ١٩٥٣ وأتم دراسته فى جامعة باريس حتى حاز الليسانس فى العلوم عام ١٩٥٥. عمل مسـاعدا فى كلية العلوم بباريس وقام بتدريس الفيزياء فى السـوربون. وفى عام ١٩٦٠ اشتغل برسالة الدكتوراه فى الطب واختير لإجراء أبحاث فى المركز القومى للأبحاث العلمية فى ١٩٦٠.

فى لندن أجرى لمدة ثلاثة أعوام أبحاثا فى معهد الأبحاث الطبية. وفى جلاسـكو باسـكوتلاندا أجرى أبحاثا شـديدة الأهمية على السرطان مع «إيان ماك فيرسون» وقد مارس تجارب متطورة بعد عودته إلى فرنسا عام ١٩٦٥ حيث عمل فى معهد الراديوم، الذى سمى فيما بعد (معهد كورى). فى عام ١٩٧٢ التحق بمعهد باستور فى باريس. وعين أستاذا لعلم الفيروسات وأمراض السرطان. وأنشأ وحدة أبحاث للفيروسـات المسببة للسـرطان، إيمانا منه بأن بعض أنواع السرطان سببها فيروسات معينة. واستطاع بمساعدة «ادوارد دى ماير» و «جاكلين دى ماير» عزل الباعث «آر إن إيه» كأول صد دفاعى فى الخلية ضد الفيروس.

انشـغل «مونتنييه» بالإيدز حين استفحل الوباء فى أول الثمانينات من القرن العشرين. وأصيب به أكثر من ثلاثة ملايين إنسـان. وقد قام بالمشـاركة مع «فرانسـوا بار- سينوسى» و «جين- كلود شـيرمان» بعزل فيروس أطلقوا عليه اسـم (ال إيه فى) والذى سمى فيما بعد بموافقة دولية: (اتش آى فى) أو (فيروس نقص المناعة البشرية) وأصبح بالإمكان تشخيصه وتطوير فحوصات عليه. كما تم اكتشـاف حقيقة أن فيروس (اتش آى فى) يهاجم خلايا تى٤ التى تشكل العامل الرئيسـى فى جهاز المناعة. واسـتطاع «مونتنييه» عام أبريل ١٩٨٦مع فريقه الطبى اكتشـاف فيروس آخر مشابه للأول وسمى (اتش آى فى ٢).

ولكن إعلانا آخر عن اكتشاف فيروس الإيدز ظهر فى منتصف الثمانينات على يد العالم الأمريكى «روبرت جالو» من المعهد القومى للسـرطان فى ميريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية وقد حاز على

براءة اكتشـافه والاعتراف به. وقد أكد (معهد باسـتور) الفرنسى وعلى رأسـه «لوك مونتنييه» أن ما قام به «جالو» كان مبنيا على اكتشاف «مونتنييه» الذى ظهر من قبل!

وبالرغـم من هـذه التناقضات والإدعـاءات المعلنة، فقد واصـل «مونتنييه» أبحاثـه مع فريقه البحثـى، بل وتواصـل مع «جالو» وعقدوا مؤتمرات بحثية لتبادل الخـبرات والمعلومات. وقد أدت جهود «جوناس سـالك»، العالم الذى طور أول لقاح للإيدز، إلى التوصل إلى اتفاقية دولية للإعتراف (بالاكتشـاف المشـترك) للفيروس كما وافقت الدولتان، فرنسـا والولايات المتحدة الأمريكية، على (التعاون) فى إجراء فحوص مشتركة، لصالح المرضى فى العالم.

وما يزال العالم الفرنسى «لوك مونتنييه» يواصل أبحاثه.



الملك ماها مونجكوت

ملك سـيام (تايلاند اليوم) من القرن التاسـع عشر. ومن أهم ملوك سلالة (شـاكرى). عرف بالفيلم الشـهير «أنا والملك» والـذى قدمه كملك أراد أن يقفز ببلاده نحو المدنية الغربية. هو «ماها مونجكوت» ولد فى عام ١٨٠٤ وكان أبوه الملك البوذى لوتيلا نابهالاى (راما الثانى) وذلك تسلسـلا للإله الهندوسـى (راما) أو (رام) والذى يعتقد أنه الإله الإنسان. وكانت البوذية قد انبثقت عن الهندوسية القديمة. وحسب تقاليد سـيام اقتنى والده مئات الزوجات والجوارى وبذلـك كان لمانجكوت ٧٢ أخا وأختا ولدوا من ٣٨ أم مختلفة.

كان هو ولى العهد فتعلم الديانة البوذية والتاريخ والأدب حتى سن التاسعة وتعلم ركوب الخيل والأفيال وتدرب على اسـتخدام السـلاح حتى بلغ ١٢ سـنة فتولى قيادة الجيش السيامى. لكن أخاه غير الشـقيق «انجلاو» أو «جيتـا» اختير ملكا بعد وفاة الأب لنفوذه القوى وكان يكبره بـ١٧ سـنة فرحل «مونجكوت» مع زوجته وابنيه وأصبح كاهنا بوذيا لمدة ٢٧ سنة وكان يسافر حافيا عبر سيام وعايش حياة الناس الفقراء ونذر نفسـه للدراسات الفكرية والفلك وتعلم الرسم وأنشأ طريقة جديدة للكهنوت مازالت حتى اليوم. وحين بلغ ٤٧ سنة تولى العرش بعد أخيه وأصبح (راما الرابع) وعين أخاه نائبا له كتقليد جديد.

كان مختلفا عن باقى الملوك السـياميين وميالا إلى الغرب وكان يدعو الدبلوماسيين الأوروبيين لحفلات العرش وكان يتقن الانجليزية والفرنسـية واللاتينية والسـيامية والسنسكريتية الهندية

وكان له ٨٢ طفلا من ٣٩ زوجة وكان يعيش فى قصره ٩ آلاف امرأة. لكنه برغم تمسكه بالتقاليد، أراد تعليم زوجاته اللاتى لم يطقن صبرا مع دروس التبشير التى كانت النساء الأوروبيات المسيحيات يقمن بتعليمها فطلب الملك من قنصلية سيام فى سنغافورة مدرسة انجليزية فكانت «أنا ليونونيز» التى وصلت العاصمة بانكوك عام ١٨٦٢ وكان زوجها الضابط الانجليزى وكذلك والدها قد توفيا فامتهنت التدريس. ولها كتابان عن تجربتها فى سيام. وأصبحت قصتها معه إلهاما للسينما والمسرح.

عقد الملك «ماها مونجكوت» معاهدات تجارية وصداقة مع بريطانيا وفتح البلاد على الخارج. مات أثناء متابعة لكسوف الشمس عام ١٨٦٨.

الأميرة ميان خاتون



من أهم شخصيات الطائفة الإيزيدية النسائية. نصبت نفسها وصية على ولدها الأمير سعيد وكان عمره ١٣ سنة لكنه مات فى حياتها فتولى حفيدها «تحسين بك الأموى» الامارة وهو الأمير الحالى للأيزيديين فى العراق.

هى «ميان خاتون» ابنة جاسم بن صالح بك بن على بك. تزوجت من ابن عمها الأمير وعمرها ١٨ سنة لكنها أظهرت المقدرة على تولى شئون الإمارة فى ظروف صعبة ونفيت مع زوجها من قبل العثمانيين. ظل الشعب يحبها لكنه يهابها لشدة تسلطها وغرورها برغم كآبتها الدائمة. كانت شديدة الحرص على أموال الإمارة وكان يلجأ إليها زعماء العشائر لفض نزاعاتهم. كانت سياسية محنكة فتحالفت مع العثمانيين ثم مع الانجليز وكانت مؤثرة فى الشخصيات العربية أمثال الملك فيصل الأول ونورى السعيد. كانت ابنتها «ونسة» أول فتاة تدخل المدرسة من العشيرة. وقد شاركت الابنة فيما بعد فى تأسيس جمعيات الهلال الأحمر وانتقلت «ونسة» إلى مصر بعد اعتقال زوجها من قبل الانجليز بعد وصولهم إلى العلمين وهزيمة روميل الألمانى. وما زالت تعيش فى مصر مع أولادها.

حكمت «الأميرة ميان خاتون» أكثر من تسع سنوات وكانت الآمر الناهى فى وقت كانت المرأة الإيزيدية لا يسمح لها حتى بالتعليم ولا الخروج إلا فى المناسبات العامة وكان نظام (الرهبنة) ساريا، وما يزال حتى اليوم. فهى تنذر نفسها لخدمة (معبد لاليش) حيث ضريح (عدى بن مسافر) وتقوم على خدمته طيلة عمرها ولا تخرج منه حتى تموت.

ميرزا غلام أحمد القاديانى



هندى أسس مذهب القاديانية الباطنية. وتعرف بالطريقة الأحمدية المنتشرة فى الهند وباكستان. ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر على يد «ميرزا غلام أحمد» الذى ولد عام ١٢٦٥ هجرية/ ١٨٣٩م فى قاديان فى البنجاب بالهند. وبرز (كداعية اسلامى) أيام الاحتلال الإنجليزى.

يقال إنه ادعى النبوة وأن الله تعالى يكلمه بالإيحاء والإلهام، واتهم بأنه صنيعة الإنجليز الذين رأوا فيه ما يجسد اختلاف المسلمين حوله مما يمكن لهم السيطرة على البلاد. كما أنه مثل البهائيين، ادعى الوحى فكتب كتابه المسمى (الكتاب المبين) ويؤمن بالتناسخ والحلول كالهندوس حيث زعم أن (إبراهيم عليه السلام ولد بعد ألفين وخمسين سنة فى بيت عبد الله بن عبد المطلب متجسدا بالنبى محمد ﷺ، ثم بُعث النبى ﷺ مرتين أخريين أحدهما عندما حلت الحقيقة المحمدية فى المتبع الكامل يعنى نفسه)!.

نقل عنه أنه اعتنق الماسونية وأنه يتخذ من حيفا مركزا لدعوته، وأن إسرائيل تمده بالمال لنشر دعوته فى أنحاء الأرض.

أما أتباع (القاديانية الأحمدية)، فيؤمنون بأنه النبى محمد صلى الله عليه وسلم متجسدا، ويذكرون فى كتبهم أن: (الأحمدية جماعة إسلامية تجديدية عالمية، تأسست عام ١٨٨٩ بإحدى قرى البنجاب فى الهند ويقولون أن الذى قد أسسها (بأمر من الله تعالى سيدنا ميرزا غلام أحمد القاديانى عليه السلام)، وحسب قوله، بأنه (ذلك الموعود الذى بشّرنا سيدنا محمد المصطفى ﷺ بمجيئه فى الزمن الأخير)!

وننقل من كتابات القاديانية قولهم فى كتاب (حقيقة الوحى): (إننا سنكون من الكافرين بنعمة الله عزّ وجل إن لم نعترف بأن التوحيد الحقيقى إنما وجدناه عن طريق هذا النبى، وأن معرفة الإله الحىّ إنما حصلت لنا بواسطة هذا النبى الكامل وبنوره، ولم نتشرف بمكالمة الله ومحادثته التى نحظى من خلالها برؤيته عزّ وجل إلا بفضل هذا النبى العظيم).

ليس هناك أى لبس فى اعتقادهم الصريح بنبوة «ميرزا غلام أحمد» الذى يقول بنفسه فى (التجليات الإلهية): لقد تشرَّفتُ بها (أى بمكالمة الله تعالى) فقط نتيجة اتباعى لنبينا ﷺ)! ويقول حسبما ينقل أتباعه: (وسُمّيت نبيًّا من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة).

وكان يقول إن (خاتم الانبياء) لا يعنى آخرهم، ولكن (أفضلهم) وبذلك يكون سيدنا محمد هو أفضل الأنبياء وليس آخرهم ولم تنقطع النبوة بعده. ويقول فى كتابه (عن المسيحية): (فبسبب استمرار بركات النبى ﷺ، لم يعد ضروريًا لهذه الأمة أن يأتى المسيح من خارجها، بل إن تلقى شخص عادى تربيةً فى ظله ﷺ يمكن أن يجعل منه مسيحا كما جعلنى أنا الضعيف!).

فى كتابه الموحى إليه كما يقول، والذى سماه (الكتاب المبين) يقول (أنا على بصيرة من رب وهاب، بعثنى الله على رأس مائة العام لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفئ نار النصرانية وأقيم سنة خير البرية وأصلح ما فسد وأروج ما كسد وأنا المسيح الموعود والمهدى المعهود من الله على بالوحى والإلهام وكلمنى كما كلم الرسل الكرام!

لكنه أكد أنه النبى ﷺ نفسه: (إن الله أنزل محمدا ﷺ مرة أخرى فى قاديان لينجز وعده) ويقول (إن المسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء إلى الدنيا مرة أخرى لنشر الإسلام)!

يذكر فى (كتابه المبين) ما زعم أن الوحى السماوى نقله إليه: «(يا أحمد بارك الله فيك، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى. الرحمن علم القرآن، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين، قل إنى أمرت وأنا أول المؤمنين، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا..)

ويقول أيضا: « ووالله إنه ظل فصاحة القرآن ليكون آية لقوم يتدبرون. أتقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقة كمثلها فى التزام الحق والحكمة إن كنتم تصدقون)!

وكان يرد على موالاته للإنجليز بأن السيخ كانوا يضطهدون المسلمين فى البنجاب حتى جاء الإنجليز وأنصفوهم فلابد من طاعتهم باعتبارهم (ولى الأمر)! وقال: (ألم تروا كيف نعيش أحرارا تحت ظل سلطانهم؟).

ويقول أتباعه إنه لم يهمل العرب بل توجه إليهم بدعوته فقال فى كتابه (حمامة البشرى): (فهل ترغبون أن تلحقوا بى لله رب العالمين؟).

يعتقد القاديانية كما ذكر هو بنفسه، أن الله تعالى كالبشر يتكلم ويأكل: (قال لى الله: إنى أصلى أصوم وأصحو وأنام وقال: قال الله: إنى مع الرسول أجيب، أخطىء وأصيب إنى مع الرسول محيط).

يعتقد (القاديانية) أنهم أصحاب دين جديد مستقل، وشريعة مستقلة، وأن رفاق «ميرزا غلام» كالصحابة، كما جاء فى صحيفتهم «الفضل، عدد ٩٢»: «لم يكن فرق بين أصحاب النبى ﷺ وتلاميذ الميرزا غلام أحمد، إن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية! وأن الحج يكون لمقامه، بعد مكة والمدينة.

توفى «ميرزا غلام أحمد» القاديانى الأحمدى بالكوليرا عام ١٩٠٨، بالرغم من أنه بشّر بأن الأرض التى يحل فيها لا تأتيها الأوبئة ويقال إنه مات بالطاعون الذى انتشر فى بلدته «قاديان»!

ترك باللغة الأوردية والعربية أكثر من خمسين كتابا ومنشورا عدا (القرآن) الذى ألفه بعنوان (الكتاب المبين)! وينتشر القاديانيون بكثرة فى الهند وباكستان وبريطانيا وقليل فى الدول العربية، بينهم حوالى ألفين فى مصر، كما يوجد بضعة آلاف من المبشرين منهم فى أفريقيا.

لم يوافق إجماع المسلمين على دعوة ميرزا، فانعقد فى ١٩٧٤م مؤتمر برابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة، وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام.

كما صدرت فتاوى متعددة من عدد من المجامع والهيئات الشرعية فى العالم الإسلامى، تقضى بكفر القاديانية، منها المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم الإسلامى، ومجمع الفقه الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى فتاوى علماء من مصر والشام والمغرب والهند وغيرها.

نازو التوخية

شاعرة أفغانية من القرن السابع عشر. هى ابنة السلطان ملخى التوخى. ولدت عام ١٠٦١هجرية (١٦٥٠ م) فى مكان قريب من «تازى» الواقعة فى طريق كابول. كان أبوها حاكما وزعيم القبائل المنتشرة من «غزنه» حتى «جلدك» وكان يحكمها حكما مستقلا بشكل لم يكن له مثيل آنذاك. تعلمت القراءة والكتابة على يد النساء الأفغانيات المتعلمات وعلى يد العلماء الكبار من أفغانستان.

أصبحت شاعرة البلاط والناس فى صباها. وقيل: إنه حين توفى أبوها سلطان ملخى التوخى فى قتال بالقرب من الجبل الأحمر انطلق أخوها للأخذ بالثأر له وترك القلعة فى حماية «نازو» التى تسمى أيضا (دلا) باللغة العربية، والتى حملت السيف وانطلقت تقاتل المغيرين على القلعة مع الشبان المحاربين. تزوجت «شالم خان الهوتكى» وهو والد الزعيم الوطنى فى قندهار، الحاج «ميرويس خان» أو «مير خان» الذى غزا إيران واحتل أصفهان. قبيلة الهوتكى ما زالت حتى اليوم زعيمة فى قندهار الأفغانية وأصفهان الإيرانية.

كانت «نازو» عابدة ولدت أربعة من الأبناء اعتلى أكثرهم مناصب دينية وسياسية رفيعة وكانت شاعرة شديدة التميز. وكان معظم شعرها فى مناجاة ربها. تركت ديوانا يشتمل على ألفين من الأبيات. وقد صورت فى شعرها كثيرا من الطرف والنكات لا يقدر الرجال على محاكاتها شعريا. وبينها الرباعية التى تقول فيها:

فى وقت السحر كانت عين النرجس مبللة

قلت ماذا حدث؟

أتبكين يا زهرتى الجميلة؟

فقالت لأن حياتى ما هى إلا ضحكة على الفم

عرفت بحسن ضيافتها ورعاية المسافرين الفقراء، خاصة أبناء السبيل فى القوافل التى كانت تشهد كرمها من «خيبرط» وحتى «كوسان» عند هرات.

جاء ذكرها فى كتاب (الخزانة الخفية) لأدباء أفغانستان بين أعلام شعرائها والذى يغطى أحوال الشعراء من عام ١٠٠ إلى ١٠٠٠ عام هجرية أى من ١٧٢٨ - ١٧٢٩م وقد خصصت الخزانة الثالثة من الكتاب (بته خزانه) الصادر باللغة البشتونية، للشاعرات الأفغانيات القديمات واللاتى كتبن بالبشتونية وهى أهم لغة فى أفغانستان.

ناصر خسرو

من أوائل الرحالة المسلمين إن لم يكن رائدهم على الإطلاق. عاش فى أول الألفية الثانية للميلاد. اقتبست منه كبريات الموسوعات فى العالم جغرافية أمكنة كثيرة فى الشرق وأحوال سكانها فى القرن الحادى عشر الميلادى. عرف بكتابه «سفرنامه» الذى يتضمن معلومات شديدة الدقة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للبلاد بين فارس (إيران) ومصر قبل الحملات الصليبية وعنه أخذ كثير من الرحالة الأوروبيين فيما بعد.

هو «أبو معين الدين ناصر خسرو» القبادياني المروزى. ولد لأسرة متوسطة الحال فى خراسان (بين فارس وآسيا الوسطى اليوم) فى عام ٣٩٤ هجرية (١٠٠٣)م. كان عاشقا للمعرفة ومولعا بالفلسفة. يقال إن سبب قيامه برحلته الطويلة التى استمرت عدة سنين، كانت آيات قرآنية وبالتحديد الآية التى ذكرت فيها الشجرة التى بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ. بدأت الرحلة عام ١٠٤٥م وانتهت عام ١٠٥٢م وكان فيما دونه عنها شديد الأمانة وهو ما يختلف فيه عن رحالة مشاهير أمثال «ماركوبولو» الذى تردد أنه لم يزر كل الأماكن التى تحدث عنها.

زار «ناصر خسرو» تركيا والشام ومصر والحجاز والعراق، وركز فى وصفه على فن العمارة فيها وعلى مواقعها الأثرية والجغرافية والطبيعية ودرس أحوال شعوبها وعاداتهم وأعطى معلومات دقيقة عن القدس والمسجد الأقصى. زار مصر أيام الفاطميين ومكث فيها ثلاثة أعوام خرج أثناءها للحج مرتين ورافق فى إحداها المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة فى وقت منع فيه الحج بأمر من الخليفة الفاطمى «المستنصر» لشدة القحط الذى كان يعانى منه أهل الحجاز فحمل إليهم الأموال والهبات التى كانت ستنفق على السفر.

وصف «خسرو» الرحلة التى استغرق الركوب فيها فقط خمسين يوما ذهابا وإيابا ووصف المدينة المنورة وأزقتها ومساجد مكة المكرمة وأسواقها. ويحكى أن ٣٥ ألفا من أهل الحجاز لجئوا إلى مصر أيامها لشدة القحط فأمر الخليفة بكسوتهم والإنفاق عليهم لمدة عام. قيل إنه كان سنيا وتشيع فيما بعد. كتابه «سفر نامه» يعتبر (درة النثر الفارسى) لجمال مفرداته. توفى عام ١٠٦١ فى فارس.

ساروجيني نايدو

تعرف بكروان الهند. شاعرة من القرن التاسع عشر والقرن العشرين. تحدث الوضع الاجتماعى للمرأة الهندية. هى «ساروجينى شاتوبادهياى». ولدت فى مدينة حيدر آباد فى فبراير من عام ١٨٧٩ وكانت الكبرى فى عائلة كثيرة الأفراد وكانوا يتقنون الإنجليزية فى سن مبكرة لتواصلها مع المستعمر الانجليزى. اجتازت الامتحان المؤهل للجامعة وعمرها ١٢ سنة فأصبحت حديث الهند كلها. فى سن الخامسة عشرة حدث التحول فى حياتها. فالتقت بأحد كبار الشخصيات فى الهند وهو د. «جوفيندوراجولو نايدو» الذى كان مرموقا لكنه لم يكن براهمى العقيدة فأرسلها النظام إلى انجلترا ضد رغبتها والتحقت بجامعة كينج جورج وكان يفترض أن ترحل إلى إيطاليا.

عادت إلى حيدر آباد فى سبتمبر ١٨٩٨ وباندلاع الفضيحة بينها وبين د. نايدو تزوجا رغما عن الجميع. التقت أثناء وجودها فى انجلترا بالشاعر والناقد «آرثر سيمونس» واستمرت فى مراسلته بعد عودتها إلى بلادها. وكان قد أقنعها بنشر أشعارها التى صدرت بالفعل عام ١٩٠٥ تحت عنوان (الحافة الذهبية) ثم نشرت ديوانين لها بعنوان (الأجنحة المنكسرة) و(طائر الزمن). فى عام ١٩١٨ نشرت (مهرجان الشباب) ثم (الشجرة السحرية) وكان «جواهر لال نهرو» من أكثر قرائها إعجابا بها. كانت تكتب بالإنجليزية بروح هندية.

فى عام ١٩١٦ قابلت المهاتما غاندى وانخرطت معه فى الحركة الوطنية ضد المستعمر الإنجليزى لتحرير الهند فكانت تجول الهند كلها لتحث الهنود وبخاصة النساء على المقاومة وتبث الحماس فيهم. وأصبح استقلال الهند قلب ونبض وروح أعمالها وأشعارها. انشغلت بالدفاع عن حقوق المرأة الهندية وعملت على إيقاظها. شاركت فى قمة المؤتمر الهندى فى كانبور وحملت عام ١٩٢٨ إلى الولايات المتحدة الأمريكية رسالة غاندى للتحرر دون قتال وإراقة الدماء. وتولت بنفسها قيادة الحركة الغاندية بعد اعتقاله عام ١٩٣١ وشاركت فى العام التالى فيما عرف بمؤتمر المائدة المستديرة مع غاندى.

اعتقلت عام ١٩٤٢ أثناء مظاهرة احتجاج ومكثت ٢١ شهرا فى السجن مع غاندى. وبعد استقلال الهند تولت منصب حاكم ولاية أوتار براديش. فكانت أول امرأة تشغل هذا المنصب.. توفيت عام ١٩٤٩. اشتهرت بدفاعها عن الرسول ﷺ وعرفت بقولها: (الإسلام أول الديانات التى نادت بالديمقراطية والمساواة وطبقها بدءا من الأذان للصلاة واصطفاف القروى إلى جانب المالك والفقير إلى جانب الغنى فى وحدة بين الناس. لقد أدهشتنى هذه الوحدة بين الناس)!

نجيب الريحاني

من أكابر الرواد فى المسرح العربى وفن التمثيل. عرف بمسرحه الضاحك (الكوميدى) الساخر المعجون بالشجن حتى شبه بشارلى شابلن. هو «نجيب بن إلياس ريحانة» عرف باسم الريحانى. ولد عام ١٨٩١م أو (١٨٨٩) فى مدينة الموصل وقيل فى القاهرة. كان والده تاجر خيول، ومن المسيحيين الكلدانيين العراقيين وأمه مصرية قبطية. نشأ فى القاهرة بمصر فى باب الشعرية وسط الفقراء والمهمشين اجتماعيا فأثر ذلك فى تكوينه.

درس فى مدرسة الفرير بالخرنفش فتعلم الفرنسية وأتقنها لكنه لم يكمل تعليمه بسبب وفاة والده وكان عمره ١٥ سنة. عمل فى البنك الزراعى عام ١٩٠٦ وتعرف هناك إلى الشاب الموظف «عزيز عيد» الذى سيكون له شأن كبير معه فيما بعد فكانا يذهبان معها لمشاهدة المسرح ثم عملا (كومبارس) فى الفرق الأجنبية الصغيرة. وحين قرر احتراف التمثيل غضبت أمه جدا فقد كانت تحتقر الممثلين وكانت تريده (موظفا أفنديا محترما)!

مارس هوايته فى (جراج) استأجره مع عزيز عيد وقدم أولى مسرحياته: (خلى بالك من أبليس). وفشل. وظل بلا عمل حتى ألحقه خاله بشركة السكر فى نجع حمادى، وكان يائسا محبطا فارتبط بعلاقة عاطفية مع زوجة شابة للباشكاتب العجوز وافتضح أمره وطرد من وظيفته، كما طردته أمه من البيت وكان ينام فى العراء كثيرا.

عرض عليه ترجمة روايات فرنسية فكسب الريحانى ما وفر له حياة كريمة. وعمل ممثلا ومترجما والتحق بفرقة جوالة من الصعيد وحتى الوجه البحرى لكنه عاد إلى عمله بشركة السكر من أجل أمه التى كان يحبها كثيرا. وفى عام ١٩١٤ استغنت الشركة عنه ومنحته مكافأة مالية.

عاد إلى القاهرة ليتابع الحركة المسرحية بفرقة «جورج أبيض» الجديدة التى كونها مع «سلامة حجازى» بعد عودته من فرنسا وطلب من الريحانى العمل فى الفرقة وكانت أغلى أمنياته أن يقف أمام اثنين من أساطين التمثيل والغناء فى مصر والعالم العربى. وكان يعمل بالفرقة «روز اليوسف» التى تزوجت محمد عبد القدوس فيما بعد. وكان دور الريحانى ثانويا جادا لكنه أضحك الجمهور فاعتبره جورج أبيض غير صالح للتمثيل!

قرر الريحانى تكوين فرقة خاصة مع عزيز عيد وأمين عطا الله واستيفان روستى وحسن فايق وروز اليوسف باسم (الكوميدى العربى) بمال اقترضوه من صاحب المقهى (الخواجه) الذى كانوا يجلسون فيه، وكانوا يقدمون عروضهم على مسرح (دار التمثيل العربى). وحين وزع عزيز عيد أدوار أول مسرحية مترجمة، اختار دورا (كوميديا) للريحانى، الذى رفض بشدة لكونه ممثلا تراجيديا لكنه قبل وقدم العرض الذى لاقى نجاحا هائلا وهو ما نقله إلى عالم التمثيل الكوميدى. كما يقول د. «أحمد سخسوخ».

قدم «نجيب الريحانى» أهم مشروعاته الفنية وهى شخصية (كشكش بيه) وهى أشهر شخصية تلازمت مع الريحانى فى مسيرته الفنية المسرحية بل يعتبرها النقاد (الأهم فى تاريخ المسرح الكوميدى كله)، وهى شخصية عمدة كفر البلاص الذى يتاجر بالقطن وينزل القاهرة حاملا إيراداته التى تضيع بين النساء ويعود إلى قريته ذليلا خائبا. وقد تم فيما بعد استنساخ وسرقة روايات الريحانى حول هذه الشخصية كثيرا، منها مرة فى لبنان على يد أحد ممثلى الفرقة السوريين ومرة فى البرازيل وسمى الممثل نفسه كشكش بيه البرازيلى!

قدم الريحانى كشكش بيه فى باريس واستطاع هناك الاتفاق على بناء مسرح جديد باسم (الاجيبسيانه) والذى تحول إلى أشهر مسرح فى عماد الدين، شارع المسارح آنذاك. وفى عام ١٩١٧ توفى سلامة حجازى فعانت الفرقة كثيرا خاصة مع ظهور نجم على الكسار المنافس والذى نجح فى جذب الجماهير باستخدام عروض استعراضية مما جعل الريحانى يحاول تقليده.

تعرف الريحانى فيما بعد إلى بديع خيرى، أفضل من ألف للمسرح الساخر والكوميدى، واتفق معه على التفرغ للكتابة للفرقة وكانت بواكير التعاون مسرحية (على كيفك) التى لاقت نجاحا باهرا. تعاقد الريحانى مع سيد درويش فكان الثلاثى الذى هز المسرح العربى والمكون من نجيب الريحانى وبديع خيرى وسيد درويش!

كان الزعيم المصرى «مصطفى كامل» من رواد هذا المسرح كما أصبح المثقفون والسياسيون وكبراء القوم من رواده، خاصة حين تغنى ألحان سيد درويش الوطنية. كما كان عميد الأدب العربى «طه حسين» من المعجبين بفنه المسرحى.

حاول الإنجليز إيقاف عروض الفرقة وشارك بعدها الريحانى مظاهرات عام ١٩١٩ وبعد نجاح مسرحية (العشرة الطيبة)، التى تعد (أكبر كوميك عرضت فى مصر، فى رأى النقاد) ووضع فيها سيد درويش عصارة فنه، أشيع أن الريحانى عميل للإنجليز، كما تعرض للإفلاس نتيجة تعاملات مالية واختلف مع عزيز عيد وسيد درويش بسبب مصادر التمويل والشكوك فيها وانهارت علاقته بصديقة له أوروبية تسمى «لوسى فرناند»، التى ظهرت ابنة لها بعد ٦٠ سنة من وفاة الريحانى تقول إنها ابنته، واحتفى بها الجمهور المصرى لكنها اختفت كما ظهرت.

اضطر إلى السفر إلى لبنان وتعرف إلى الراقصة بديعة مصابنى وأصبحت عروس مسرحه فى مصر. وتزوجا لكنهما لم يستمرا طويلا فتم الطلاق. قدم الريحانى بعض الملحنين الذين اشتهروا فيما بعد أمثال محمد القصبجى، لكنه حزن حين لم يحصل على رتبة (بك) من الملك كما حصل عليها سليمان نجيب ويوسف وهبى.!

اعتزل الريحانى المسرح عام ١٩٤٦ بعد أن قدم مع بديع خيرى وحده ٣٣ مسرحية وكان قد قدم عشرات المسرحيات من قبل وشارك فى تأليف وترجمة وتمصير معظمها وظل طيلة الفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩٤٦ ممثلا شعبيا دراميا ساخرا تربع على عرش المسرح.

كتب عنه «محمود عباس العقاد» إنه (رجل خلق للمسرح- إنك تحاول أن تتخيل الريحانى فى عمل آخر غير المسرح فلا تستطيع فهو على المسرح كالسمك فى الماء)!

حاول دخول السينما منذ عام ١٩٢٩ وكانت كل أفلامه سيئة كما قال. لكنه تفرغ للسينما بعد المسرح فقدم أفلاما قال فيها الموسيقار «محمد عبد الوهاب» (إنه فنان خلق للسينما فله وجه معبر صارخ الملامح وله لمحات تطفر من عينيه يسجل فيها أروع أحاسيس الفنان).

قدم أول أفلامه الكبيرة (سلامة فى خير) عام ١٩٣٧ لكنه سجل أولى نجاحاته السينمائية فى (سى عمر) عام ١٩٤١ وكان تألقه فى (لعبة الست) عام ١٩٤٦ والذى اعتبر أحد أهم كلاسيكيات السينما المصرية وكان آخر أفلامه، أحد أجمل الأفلام المصرية وأكثرها نجاحا وهو (غزل البنات)!

كان شخصية منطوية جدا وكان يحس بفارق بينه وبين المصريين لغير سبب معقول. وكان بعيدا تماما عن الحفلات الخاصة والعامة ويشاع أنه كان بخيلا!

توفى بعد إصابته بالتيفود عام ١٩٤٩ عن حوالى ستين عاما!



نصير الدين الطوسى

عالم فارسى فى الفلك والرياضيات والهندسة والفلسفة والفقه. أول من جعل علم المثلثات علما مستقلا بحد ذاته وأخذ عنه علماء أوروبا فيما بعد. كتب باللغة العربية. أنقذ عددا كبيرا من المؤلفات والكتب والمجلدات من يد هولاكو والمغول أثناء اجتياحاتهم وإبادتهم لمعظم التراث المكتوب فى نهر دجلة أو بالحريق. هو: «أبو جعفر محمد بن محمد نصير الدين الطوسى». ولد فى مدينة (طوس) قرب نيسابور (فى إيران اليوم) عام ٥٩٧هـ (١٢٠١)م. عمل فى الفلك للولاة، فكرموه لغزارة علمه مما أثار ضغينة البعض فحرضوا الولاة عليه فسجن فى قلعة (ألموت) حيث سمح له بمتابعة أبحاثه. لكن بعض كتب السيرة تذكر أن فرقة (الحشاشين) الاسماعيلية الباطنية، هى التى احتجزته فى قلعة «ألموت» شمال إيران وأن هولاكو هو الذى أفرج عنه حين اجتاحت قواته البلاد، لاحتياجه إليه.

كتب الطوسى معظم مؤلفاته العلمية فى سجنه بالقلعة. اجتاح المغول بقيادة هولاكو بغداد عام ١٢٥٨م وكان قد سمع بالطوسى فاتخذه مستشارا علميا له ليرصد له الفلك. وعينه على مرصد مدينة (مراغة) فى إيران وكان الطوسى هو الذى طلب بناءه وكان يعمل تحت إشرافه عدد كبير من الفلكيين الذين استدعاهم هولاكو من كل البلاد التى غزاها وبينهم أحد أهم الفلكيين وهو «نجم الدين القزوينى». وكان المرصد من أكبر وأهم المراصد فى الدول الإسلامية وقد ألحقت به مكتبة ضخمة ملأها هولاكو بالكتب التى نهبت من دمشق وبغداد. ويقال إن عددها بلغ ٤٠٠ ألف مجلد.

لا نعرف الكثير عن حياة الطوسى إلا فيما يتعلق بدراساته فى المثلثات والجبر وإنشاء المراصد واستخدام الاسطرلاب الذى كان شديد الأهمية العلمية، وقد طوره العرب والمسلمون بشكل اعتمد عليه الأوروبيون فيما بعد فى أبحاثهم الفلكية والمناخية. فهو يقوم بعمليات حسابية رياضية وفلكية تصل إلى ثلاثمئة عملية حسابية ويمكنه قياس أوقات النهار والفروق الزمنية وسرعة الرياح فى البر والبحر ومدى ارتفاع الشمس والكواكب وقياس الظل. فكان للطوسى باع طويل فى استخدام نوع متطور جدا منه. كان أول من استعمل الحالات الستة للمثلث الكروى القائم الزاوية وقام بتبسيط علم المثلثات وجعله فى متناول كل باحث. وخالف العالم الإغريقى «بطليموس» فى بعض نظرياته.

كتب (كتاب التذكرة) حول المسائل الهندسية المعقدة بخاصة المتوازيات. انتقد كتاب المجسطى لبطليموس ونشر شروحاته حوله وترجمت إلى اللاتينية، وكان المجسطى (الماجستيك) هو المرجع الأول لعلماء أوروبا، كما كتب «الطوسى» فى الجبر والمنطق والطب والجغرافيا والموسيقى وترجم عن الكتب اليونانية وترك عدد كبيرا من المؤلفات بينها (تجريد العقائد) حول علم الكلام عند المسلمين و(الرسالة الاسطرلابية) حول الاستخدامات الغريبة للإسطرلاب، و(التذكرة النصيرية) فى علم الفلك. وكتاب (قواعد الهندسة). ويبدو أنه أثر فى العالم الفيزيائى «كوبرنيك».

كتب «نصير الدين الطوسى» بالعربية والفارسية وقد ترجم عدد كبير من أعماله إلى اللاتينية وظلت مراجع للغرب لقرون طويلة. تعرض الطوسى لانتقاد شديد من قبل بعض المؤرخين ورجال الفقه مثل «ابن تيمية» الذى اتهمه بأنه صادق هولاكو وأطلعه على أسرار علمه ليضمن حياته! وصفه كتاب السير بأنه (فيلسوف وكان رأسا فى العلوم العقلية وعلامة بتشديد اللام) فى المجسطى والرياضيات). توفى عام ٦٧٢هجرية(١٢٧٤)م فى بغداد.



نظامى

أحد أهم الشعراء الذين كتبوا بالفارسية فى القرن الثانى عشر وكان له تأثير بالغ ورائع على معاصريه وعلى من أتوا بعده من الشعراء الذين كتبوا بالعربية والفارسية والأذرية والتركية والكردية.

هو «أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكى مؤيد». عرف باسم «نظامى كنجه إى» نسبة إلى مسقط رأسه. ولد حوالى ١١٤١م فى مدينة «كانجه» عاصمة أران فى أذربيجان أيامها (طاجكستان حاليا) حتى مات فيها حوالى عام ١٢٠٩. هاجر والده من مدينة «قم» الإيرانية مع والدته التى كانت كردية الأصل. فقد والديه مبكرا فنشأ برعاية عمه وتزوج ثلاث مرات. كانت زوجته الأولى «آفاق»

جارية أهداها له الحاكم «بهرام شاه» وكانت أحب زوجاته لكنها ماتت بعد أن كتب رائعته «خسرو وشيرين» (١١٧٧-١١٨٠)م وتكرر هذا مع زوجتيه الأخريين. حتى إنه قال: (يا إلهى! لماذا يتحتم على أن أضحى بزوجتى مع كل مثنوى؟).

عايش فترة مضطربة سياسية ومنتعشة فكريا وظهر ذلك بوضوح فى أشعاره. لا يعرف الكثير عن حياته سوى أنه لم يغادر مدينته. كتب فى وقت كان فيه الشعر الفارسى فى أوجه! وقد وجد ما سمى آنذاك بالأدب الأذربيجانى الذى كان منتميا للأدب التركى بعد غزو السلاجقة الأتراك للمنطقة لكنه يكتب بالحروف الفارسية. تميز «نظامى» بأنه كان متعمقا فى الأدب الفارسى والعربى كغيره من شعراء عصره، لكنه تفوق بعلمه الواسع فى الرياضيات والهندسة والفلك والأبراج والكيمياء والطب والقصص القرآنى والموسيقى والفنون.

برع فى كتابة أسلوب المثنوى! كما كتب أعمالا روائية شعرية أهمها (الجواهر الخمسة) وتعتبر درة فى الأدب الأذربيجانى، وتتكون من خمسة من أهم الأعمال الروائية الطويلة بينها «مخزن الأسرار» عام ١١٦٣م و«خسرو وشيرين» وهى قصة حب بين ملك ساسانى فارسى وأميرة ألبانية أرمنية. ثم «ليلى والمجنون» عام ١١٩٢م التى نقلت عن أصلها العربى فاندمجت فى الثقافة الفارسية لكن «نظامى» أضاف إليها الكثير مما لا يتسق مع الرواية العربية فجعل أحداثها تدور فى الحدائق بدل الصحراء. وأضاف إليها صبغة صوفية لم تكن فيها فى أصلها العربى. لكن «نظامى» كان أبرع من عالجها من الشعراء الفرس. وله «اسكندرنامه» عن الأسكندر الأكبر (١٠ آلاف بيت). توفى عام ١٢٠٩م.



كارستن نيبور

شارك فيما يعتبر أول رحلة علمية استكشافية أوروبية فى عالمنا العربى والإسلامى. عالم رياضيات وراسم خرائط ألمانى أنجز إحدى أهم الرسومات عن مصر وفلسطين واليمن. هو «كارستن نيبور» ولد فى مارس عام ١٧٣٣ وبسبب تعليمه المتواضع، عمل مزارعا فى بداية حياته ثم مهندسا فى الجيش مما أهله ليكون عضوا فى البعثة الاستكشافية الدانماركية التى دعا إليها ملك الدانمارك «فريدريك الخامس» بتوجيه من دارس العبرية «ديفيد ميكاليس». رافق «نيبور» كبار العلماء بينهم «فون هافن» المستشرق الدانماركى، و«كرامر» الفيزيائى الدانماركى، وعالم النباتات السويدى «فورسكال» ورساما ألمانيا مختصا بالرسم على النحاس.

درس «نيبور» اللغة العربية استعدادا للقيام بالرحلة وكذلك الرياضيات والجغرافيا والأرصاد ورسم الخرائط. انطلقت البعثة فى يناير عام ١٧٦١ من كوبنهاجن إلى الإسكندرية بمصر. وبعد قضاء

عام فيها انطلقوا من السويس إلى سيناء وغادروها فى أكتوبر عام ١٧٦٢ إلى اليمن، التى كانت هدف البعثة، حيث لم يكن اليمن معروفا للكثيرين بالرغم من أهميته التوراتية لديهم.

وصلوا فى مايو عام ١٧٦٣ إلى ميناء مخا (بضم الميم) بلد البن المعروف لدى الأوروبيين. وبسبب الملاريا توفى «كرامر» وعضوان آخران فى البعثة. انطلق الباقى إلى تاعز ثم صنعاء ثم بومباى بالهند. توفى أثناء ذلك اثنان آخران. ونجا «نيبور» بعد أن ارتدى الزى المحلى وتأقلم مع الطعام. فى عام ١٧٦٤ قام باستكشاف الهند وأبحر منها إلى مسقط فى عمان وزار أثناء الطريق شيراز فى إيران وبابل وبغداد والموصل بالعراق وحلب فى سوريا. وأمضى فترة طويلة فى بيرسيبوليس الإيرانية حيث قام برسم المكان والناس والخرائط.

ظلت رسوماته مرجعا لمدة مائة عام بعده. كان أفراد البعثة قد استعانوا بتجار عرب ومسلمين ويهود أيضا. وبالرغم من أنهم وصلوا جدة كما يزعمون، فإن السلطات اليمنية ارتابت فيهم واعتقلوا لمدة يومين وتم تفتيش قافلتهم أثناءها بدقة ثم أفرج عنهم وانصرفوا مع الهدايا التى قدمها لهم الإمام حاكم اليمن.

فى عام ١٧٦٦ قام باستكشاف فلسطين التاريخية قبل أن يعود نهائيا إلى الدانمارك ليشغل منصبا عسكريا ثم مدنيا وتزوج ومات فى ميلدورف عام ١٨١٥ عن ٨٢ سنة. راعى نيبور فى كتاباته عن جزيرة العرب واليمن عدم التقيد بملاحظات من سبقه من المستشرقين فاعتمد تماما على ملاحظاته التى كانت تنقصها الدقة أيضا وكذلك عدم معرفة الناس هناك، حيث اعتبرهم متخلفين علميا عن الأوروبيين. ظل «نيبور» بعد عودته للدانمارك يعمل لمدة عشر سنوات لاستكمال أعماله ونشرها فكانت تحفته (وصف جزيرة العرب) ونشر الجزء الرابع منها بعد وفاته على يد ابنته بينما تكفلت الحكومة الدانماركية بالإنفاق على نشر الرسومات الدقيقة من على النحاس إلى الطبع! وأطلق اسمه على قسم الاستشراق واللغات الشرقية فى جامعة كوبنهاجن.



جريس هوبر

مخترعة لغة الكومبيوتر المترجمة من اللغة الإنجليزية العادية إلى لغة الحاسب الرقمية. وهى التى أوجدت نظام نقل الأوامر من لوحة المفاتيح (الكى بورد) إلى الكومبيوتر. هى «جريس بروستر هوبر» أكبر أخواتها الثلاثة.

ولدت عام ١٩٠٦ فى مدينة نيويورك فى عائلة لها تاريخ فى العسكرية. تخرجت عام ١٩٢٨ وحصلت على الدكتوراه فى الرياضيات عام ١٩٣٤ وكانت واحدة من أربع نساء فى الدفعة فكانت من

أوائل الفتيات آنذاك، وأصبحت بروفسورا عام ١٩٤١ وتخصصت فى الرياضيات والفيزياء. ورثت عن والديها حب الأرقام وقرر الوالدان تعليم البنات كالابن تماما بعدما أظهرت نبوغا غير عادى.

التحقت بالبحرية الأمريكية عام ١٩٤٣ حين قررت أمريكا دخول الحرب العالمية الثانية وبالرغم من أن «جريس هوبر» كانت أكبر من السن المطلوبة للتجنيد لكنها لم تتراجع. وكان يسمح للفتيات بالتطوع لحالات الطوارئ. تلقت تدريبات شاقة وعملت للجيش فى مكتب الحواسب فى جامعة هارفارد وشاركت العالم «هوارد آيكن» العمل على الحاسب الأول الضخم (مارك الأول) والذى كان نواة الكومبيوتر وكان يشغل غرفة بأكملها. تحولت فى الجيش إلى الاحتياطى لتتفرغ للحاسب وعملت مع نهاية الحرب على الحاسب (مارك ٢) لكنها طلقت من زوجها ولم يكن لديها أطفال. كانت أول من اكتشف الفيروس فى الحاسب.

عملت فى هيئة «ايكرت- موكلى» للكومبيوتر وكانت أول من فكرت بإيجاد (لغة) يفهمها الحاسب ويمكنه تنفيذها فورا وهى المساة (كومبايلر) وذلك عن طريق التعليمات التى يتلقاها من لوحة المفاتيح (كى بورد) فابتكرت لغة (كوبول) وهى اختصار مصطلح هو (اللغة الموجهة للأعمال العامة) والتى تقوم بما نعرفه اليوم من (وصف البرنامج والتعريف به، والبيئة الموجود فيها البيانات والإجراءات) فقد كانت الحاسبات تقوم بالتعامل مع الأرقام فقط. وكانت لغة (فورترام) هى المستخدمة فابتكرت جريس هوبر أول كومبايل عام ١٩٥٢ وهو الذى يترجم اللغة الانجليزية إلى لغة أرقام يفهمها الكومبيوتر.

أصدرت أكثر من ٥٠ بحثا فى علوم الحاسبات الالكترونية وقامت بالتدريس ولم تتوقف عن التطوير حتى تقاعدت من البحرية عام ١٩٨٦ وتوفيت عام ١٩٩٢.

جورج هيجل



صاحب الفلسفة الجدلية التاريخية ومن أهم الفلاسفة فى العصر الحديث وأشدهم تأثيرا. يعتبر آخر الفلاسفة المبدعين وقمة نهايات الفلسفة. عرف بصعوبة فلسفته وإنتاجه الفكرى. أسس فلسفة شمولية للتاريخ باعتباره مسرح الأحداث لتجليات الفكر الإنسانى. اعتبر رائد الفلسفة المثالية الألمانية فى أوائل القرن التاسع عشر. ولد «جورج فيلهلم فريدريش هيجل» فى ضواحى شتوتغارت جنوب ألمانيا فى ٢٧ اغسطس من عام ١٧٧٠ فى عائلة بروسية. دخل كلية اللاهوت الشهيرة فى مدينة توبنجن. درس التاريخ وفقه اللغة الألمانية والرياضيات. ربطته صداقة بالشاعر هولدرين والفيلسوف شيلنج. اهتم كثيرا بأعمال

الفيلسوف كانط واختلف معه. قرأ الأعمال الأدبية الكلاسيكية وكذلك الكتب رخيصة المحتوى وهو ما أخذه عليه فيما بعد الفيلسوف الكبير «شوبنهاور». ترجم الكثير من الأعمال اليونانية وقرأ الفيلسوف الرومانى «شيشرون» ودرس الإلياذة. اهتم بأرسطو الإغريقى، وكان «جان جاك روسو» الفرنسى مثله الأعلى. قام بتدريس أبناء العائلات فى منازلهم. انتشرت فلسفته (الهيجيلية) عام ١٨١٧لدرجة أنها كادت تصبح دستور الدولة. عين مديرا لجامعة برلين من عام ١٨٢٩ حتى مات ١٨٣١ بالطاعون وقيل بالكوليرا الحادة.

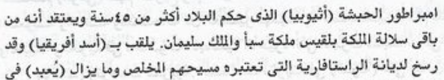
عاش حياة هادئة نسبيا. ولم يكن يجيد الكلام ولا الخطابة. كان متناقضا بين أفكاره وحياته. كان يدعو إلى التمسك بالأخلاق وترابط الأسرة بينما أنجب ابنا غير شرعى. أثر فى نشوء الماركسية وتدعيم البروتستانتينية المتحررة عن الكاثوليكية. كما أثر فى نشوء الفلسفة الوضعية والبراجماتية. استخدم (الوعى) لفهم التاريخ والإنسان مخالفا لسلفه «كانط»الذى استخدم العقل. فلسفته شديدة الصعوبة وألفاظه ومصطلحاته من العسير فهمها إلا للمتخصصين. اهتم بفلسفة الدين والروح والطبيعة والحرية فى محاضراته الجامعية الأخيرة التى أنجزت كمجلدات فى (الدليل الأنطولوجى على وجود الله) وترجمت للعربية. استخدمت نظريته فى (الدولة) على أساس (تسلطى) بينما كان يريدها (مثالية) إذ يعتبر الدولة (اكتمال مسيرة الرب على الأرض).

قال عنه الفيلسوف البريطانى «انجلز»: إنه (كان أول من نظر للعالم التاريخى والطبيعى والروحى نظرة عملية متطورة) ديناميكية. فالتاريخ كان المعلم الأول لهيجل. وحاول فهم قوانينه ومعانى تحولاته. وتوصل إلى أن التاريخ (فى صيرورة دائمة لا تتوقف) ولابد من فهم الشىء بنقيضه. فالخير لا يفهم إلا بالشر. ميز هيجل الفرق بين الوجود الفعلى والحقيقة والوجود. وتوصل إلى أننا نعرف بقدر الإدراك. لكن الإدراك يتغير بتغير الزمن والتراكم المعرفى، وبذلك لا يكون تصورنا عن الشئ هو حقيقة هذا الشئ الفعلية.. ابتكر الجدلية (الدياليكتيك) كعلم فلسفى لفهم التاريخ بالمعرفة المتكاملة المثالية. وقال إن المظهر يحتوى على الجوهر. فالشىء يكمن فى ظاهره محتواه. والعلاقة بين الفكر العادى والفكر الجدلى هى كالعلاقة بين الصورة الفوتوجرافية الساكنة والمتحركة. والفكر ليس نشاطا ذهنيا لدى البشر فحسب، بل هو (ماهية) مستقلة عن الإنسان. ومصدر أولى لكل ما هو موجود. وهو ما يؤدى إلى الفكرة المطلقة. التى يسميها هيجل (الروح المطلق) أو (التاريخ الإنسانى). والفكر عند هيجل له (ألوهية). ووحدة الفكر والوجود هى مركز انطلاق الفكر الهيجلى. كان يعتبر الدين (شكلا له أسس فى علاقة الإنسان بما وراء الطبيعة).

شكلت الثورة الفرنسية وحروب نابليون والتحول من الملكية للجمهورية فى فرنسا، العامل الأهم فى فكر هيجل حين حاول فهمها بشكل فلسفى. فتح هيجل آفاقا جديدة فى (علم الجمال) ودراسة الفن وتاريخه فكانت (إضافة واعية غير مسبوقة لمفهوم الجمال والفن) و(محاولة لربط الإنسان بالكون). حين مات هيجل كانت جنازته مظاهرة كبيرة من الناس بالرغم من أنهم

لم يفهمـوا الكثير مما قاله. نشـر فى حياته أربع كتب فقط بينما نشـرت أبحاثـه وكتبه الأهم ومحاضراتـه بعد موته. ومنها ثلاثة مجلدات ضخمـة عن محاضراته الجامعية فى علم الجمال. ترك كثيرا من الكتب أهمها (موسوعة العلوم الفلسفية) و(فينومونولوجيا الروح) و(حياة يسوع) و(فلسفة التاريخ) و(فلسفة القانون). أثر فى ماركس وسارتر وشوبنهاور ونيتشه وغيرهم. توفى عام ١٨٣١.

هيلاسيلاسى الأول



امبراطور الحبشة (أثيوبيا) الذى حكم البلاد أكثر من ٤٥سنة ويعتقد أنه من باقى سلالة الملكة بلقيس ملكة سبأ والملك سليمان. يلقب بـ (أسد أفريقيا) وقد رسخ لديانة الراستافارية التى تعتبره مسيحهم المخلص وما يزال (يُعبد) فى بعض أنحاء جامايكا بأمريكا الجنوبية على أنه إله! عرف بالأسـود الكثيرة التى كانت فى القصر وكانت تضفى عليه ملامح القوة!

اسمه «تافارى ماكونن». ولد عام ١٨٩٢ وكان من عائلة الإمبراطور الإثيوبى «مينليك الثانى» الذى حكم أثيوبيا حتى وفاته عام ١٩١٣. كان والد «هيلا سيلاسـى» حاكما لاقليم هرارى وكان ضابطا فى (الحرب الإيطالية الاثيوبية الأولى) ولعب دورا رئيسـيا فى معركة عدوة وورث الدم الملكى من جدته الأميرة «تيناجنيورك سـاحلى سيلاسى» التى كانت عمة الامبراطورة «مينليك الثانى».

كما كانت أمه من عائلة نبيلة من أسـرة على أبو جعفر المسـلمة وكانت ابنة حاكم اقليم (وولو).

وقد فقد والده وكان عمره ١٣ سـنة فقط. وبالرغم مـن تنصيب ابن «منليك الثانى» فقد كان «تافارى» هـو الحاكـم الفعلى للبلاد وقاد الثورة واسـتولى على العرش بعد وفـاة ولى العهد عام ١٩٣٠ وسمى نفسه (الهيلا سيلاسى) وتعنى (قوة الثالوث المقدس) فقد كان متدينا شديد التعصب لدينه المسيحى الكاثوليكى لكن الكنيسـة الاثيوبيـة الكاثوليكية كان لها منهج مختلف عن الكنيسـة الكاثوليكة الرومانيـة حيث يؤمن أتباعها بأنها الكنيسـة التـى حافظت على نقاء المسـيحية وأنها من أوائل الكنائس التى أنشئت فى تاريخ المسيحية.

كان جده الإمبراطور «منليك الكبير»، هو الذى بنى مدينة (أديس أبابا) لتكون الجسـر الواصل بين مصر وبين جنوب أفريقيا. واراد لها مجد مملكة سبأ. وقد بنيت على هضاب بالقرب من ينابيع المياه المعدنية ومعنى الاسم (الزهرة الجديدة).

قاوم «هيلا سيلاسى» القوات الإيطالية التى غزت بلاده عام ١٩٣٥ لكنه لم يستطع الصمود طويلا لضعف الإمكانيات، فهزم وهرب إلى المنفى وعاد عام ١٩٤١ أيام الحرب العالمية الثانية، واسـتعاد العرش (بالاتفاقية الاثيوبية الانجليزية) عام ١٩٤٤بمساعدة بريطانيا التى كانت مع الحلفاء تقف ضد إيطاليا وألمانيا أثناء الحرب. وكانت بلاده تعانى مـن الفقر والمجاعة والتخلف وحاول إجراء الاصلاحات لتحسين المعيشة لكنه لم ينجح خاصة بعد اجتياحه اريتريا (التى كانت إقليما اثيوبيا) يغلب عليه المسلمون، وكانوا قد شكلوا جبة معارضة تنادى بالانفصال.

ألغى «هيلاسيلاسـى» تدريس اللغة العربيـة فى الإقليم ردا على محـاولات الانفصال، وأغلق المدارس الإسـلامية واعتقـل الآلاف. وقادت الفوضى فى البلاد إلى الانقلاب الماركسـى الذى قام به «مانجسـتو هيلا ماريام» الديكتاتور عام ١٩٧٤ واختفى بعدها الامبراطور «هيلا سيلاسـى» فاعتقد أتباع كنيسته أنه صعد إلى السماء كمسيح مخلص!

لكنهم وجدوا رفاته فيما بعد فى عام ١٩٩٢ تحت إحدى دورات المياه فى القصر بما يؤكد أنه قتل هناك على يد أنصار الماركسيين، ودفنت الرفات مع باقى العائلة المالكة فى كاتدرائية (الثالوث المقدس) عام ٢٠٠٠. فى احتفال مهيب سـار فيه المشـاركون فى الجنازة مسافة عشرة كيلومترات وسط النحيب والدموع وحضره القساوسـة والمحاربون القدامى وقد ارتدوا قبعاتهم المزينة بشـعر الأسـد، ورفضت الحكومة الاثيوبية المشـاركة فى احتفال الدفن باعتباره شـأنا خاصا بالعائلة. وقد حضرها بعض أتباع الديانة (الراستافارية) بينما رفض الكثيرون منهم بحجة أنه ما يزال حيا وأنه سيعود كمسيح!

شارك «هيلا سيلاسـى» بتأسـيس (منظمة الوحدة الافريقية) عام ١٩٦٣ باعتباره رئيسا لدولة أفريقية وكان رمز (الأسـد) هو رمز البلاد والعرش، وكان يسـتقبل ضيوفه من السياسيين الأجانب والديبلوماسـيين وهو يمسك بلجام أسـد شبل أمامه. وحتى حين زار أوروبا عام ١٩٢٤ كان برفقته سـتة أسود، أهدى أربعة منها لفرنسا واثنين لملك انجلترا. وقد ظلت الأسود فى القصر بعد رحيله وإن لم تلق نفس التكريم والرعاية والأهمية.

وبالرغم من أنه كان قصير القامة، ضئيل الجسـم، فإن منصبه الدينى كان كبيرا ومهما. فقد كانت صوره الملكية تعلق فى الكنائس إلى جانب صور المسيح والسيدة العذراء والقديسين. وتلعب الكنيسة دورا مهما فى حياة الاثيوبيين ويقال إن طقوس القداس تقام فيها طول الوقت. وتتميز عن الكنيسة القبطية المصرية، بالغناء والطبول والرقص، الذى يعتبر فى معظم أفريقيا نوعا من طقوس العبادة مثل بعض دول أمريكا الجنوبية وتسـود الراستافارية نسبة إليه (رأس تافارى) وقـد احتفلوا عـام ٢٠٠٨ بقدوم الألفية الثالثة بعد ثمانية أعوام من احتفاء العالم بها عام ٢٠٠٠ وللطائفـة أتباع فـى الولايات المتحدة الأمريكية وفى أمريكا الجنوبيـة حيث يعتقد بعضهم أن (ملك الشعوب السوداء) سيأتى من الشرق، وهو ملك الملوك، ويقولون إنهم بانتظار عودة جلالة «هيلا سيلاسى»!

جورج واشنطن

أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وزعيم الثورة التحريرية وقائد الجيش الذى حارب من أجل الاستقلال عن بريطانيا وهو رئيس اللجنة التى صاغت الدستور الأمريكى. ولد فى ٢٢ فبراير عام ١٧٣٢ فى ولاية فيرجينيا لأبوين (بريطانيين) هاجرا وعملا بالزراعة كغالبية العائلات التى أصبحت أمريكية آنذاك. نجا من إصابة بالجدرى عام ١٧٥١ بينما اصيب أخوه بالسل. التحق بالجيش عام ١٧٥٤ واختير بعدها بعام قائدا له فى حرب التحرير القاسية التى استمرت ٦ سنوات. كما شارك فى الحرب الفرنسية الهندية حيث قيل إنه كان القائد الأعلى للجيش. عاد إلى الحياة المدنية بعد إعلان الاستقلال عن بريطانيا عام ١٧٧٦.

عمل بمنتهى الحزم لإقرار نظام فيدرالى للولايات المبعثرة التى كانت تتقاتل أحيانا. أصدر الدستور فى مؤتمر فيلادلفيا عام ١٧٨٧ وانتخبته الهيئة الإنتخابية أول رئيس للبلاد عام ١٧٨٩. وأدى أول قسم دستورى فى التاريخ الأمريكى يوم ٣٩ إبريل من عام ١٧٨٩من شرفة الكونجرس الأمريكى. وحكم فترتين متتاليتين حتى عام ١٧٩٧. شرع الكثير من القوانين ووضع الأسس التى قامت عليها الدولة. كان يلقب أحيانا بـ (أبو الأمة) و(أبو الأمريكيين). عرف باحترامه للدستور الأمريكى ولقرارات الكونجرس ولم يحاول استخدام شعبيته أو نفوذه لخرق قرارات الكونجرس فأرسى بذلك تقليدا أمريكيا. استخدم وسائل كثيرة لاستفزاز بريطانيا بالرغم من أنه هو نفسه من أصل بريطانى!! كما استعان بفرنسا لطرد الانجليز من مدينة يورك. وكان له الفضل فى فرض سياسة (تحييد) أمريكا فى المنازعات الدولية خاصة الصراع بين فرنسا وبريطانيا بعد أن أصبح رئيسا.

بنى مدينة واشنطن مكان مدينة جميلة فى مقاطعة كولومبيا على نهر البوتوماك كان فيها أسواق وتجار قبل أن ينهبها القادمون الجدد البيض وكانت تسمى (تكن شتنكه) وتقطنها قبائل شعب الكونوى من سكان البلاد الأصليين وأبيدت على أيديهم عام ١٦٢٣ وأقام جورج واشنطن المدينة التى سميت باسمه مكانها وزعم أنها مجرد مستنقعات! وأصدر أوامره إلى الجنرال «جون سوليفان» بإزالة ما تبقى من بيوتها وكتب إلى السيناتور «جيمس دواين» يقول إن (طرد هذه الشعوب بمثل طرد الوحوش من الغابات ضرورة لإقامة المدنية).

كان «جورج واشنطن» من مالكى العبيد ومتاجرا بهم ويشاع أنه كان شديد القسوة عليهم يجلدهم بالسوط نساء ورجالا وسن قانونا بإعدام من يسرق الخنازير منهم. حين فتحت الملفات فى القرن الواحد والعشرين تأكد أنه كان ماسونيا ونال رتبة الأستاذ الاعظم فى أكبر محفل ماسونى أمريكى. يصنف كأفضل رئيس أمريكى مع ابراهام لينكولن. توفى بمرض فى ١٤ ديسمبر من عام ١٧٩٩.

فيرجينيا وولف



أهم كاتبة بريطانية فى أوائل القرن العشرين. ومن أهم المجددين فى الكتابة باللغة الإنجليزية الذين يسمون (الحداثيين). أنهت حياتها منتحرة فى نهر. هى «آدلين فيرجينيا ستيفن» ولدت لأب كاتب وناقد معروف فى عائلة أرستقراطية، ومن أم ولدت فى الهند. عاشت فيرجينيا مع أخواتها غير الأشقاء من أبيها ومن أمها فى جو (فيكتوريانى أرستقراطى) خالص حيث كانت الأسرة تستقبل كبار الشخصيات المرموقة من سياسيين وأدباء.

توفيت والدتها وهى فى سن الثالثة عشرة فبدأت أولى متاعبها النفسية وانهياراتها العصبية التى تكررت بعد وفاة أختها ستيلا ثم والدها عام ١٩٠٤ مما دفعها إلى الانهيار التام. تخللت انهياراتها مراحل اكتئاب مرضى زاد من حدته تعرضها وأختها فانيسا غير الشقيقة للاستغلال الجنسى من قبل أخوين لهما غير شقيقين، وهو ما ذكرته فى مقالاتها حول سيرتها الذاتية التى كتبتها متفرقة ونشرت فيما بعد فى ثلاثة مجلدات ضخمة. تزوجت من المفكر السياسى والناقد «ليونارد وولف» الذى أعطاها اسمه، الذى اشتهرت به.

انتقلت إلى «بلومزبرى» حيث كونت جماعة «بلومزبرى» الأدبية. عانت من تقلب طبيعتها المزاجية ومن (اختلال نفسى) لم يؤثر على إبداعها الأدبى لكنه لون حياتها وأعمالها وعلاقاتها بلون خاص عرفت به. أنهت حياتها عام ١٩٤١حين أرغمها زوجها على الانتقال إلى ضاحية ريتشموند الهادئة لكنها اختارت العودة إلى لندن حيث ارتدت فى يوم ٢٥ يناير عام١٩٤١ معطفها الشتوى ودست فى جيبها عددا من الأحجار وألقت بنفسها فى النهر وماتت غرقا ولم تكتشف جثتها إلا بعد ثلاثة أسابيع. فدفن زوجها بقاياها فى حديقة منزلهما.

نشرت أولى رواياتها (نهاية الرحلة) عام ١٩١٥ التى شهرتها. شكلت أسلوب ما يسمى بـ (تيار الوعى) الذى ساهم فيه أيضا «جيمس جويس» و«هنرى جيمس»، والذى يهتم بسرد وتحليل الدوافع النفسية الكامنة والانفعالات العاطفية فى اجتياز للزمن المحدود. تعتبر «فيرجينا وولف» من أهم من طوروا السرد الروائى فى الأدب الانجليزى. صنفت بين الناشطات فى الحركة النسائية بعد وفاتها لكن اتهاما لها باللاسامية (معاداة اليهود) اعتمادا على ما كتبته مرة (لا أحب الصوت اليهودى ولا أحب الضحكة اليهودية) فزوجها كان يهوديا. لكنها استدركت فيما بعد: (كم كرهت أن أكون زوجة ليهودى لكنى أدركت كم كنت متكبرة فاليهود يمتلكون حيوية فائقة)! تركت أعمالا توصف بالخيال العلمى.

أهم أعمالها كان: (الفنار) عام١٩٢٧ و(الأمواج) عام ١٩٣١ و(السنوات) عام ١٩٣٧ ومجموعة مقالاتها فى ٤ مجلدات ومجموعات قصص قصيرة وآخر أعمالها كان (بين فصول الأحداث) عام

١٩٤١. كان آخر ما كتبته لزوجها (أشعر أننى سأجن ثانية. لن يمكننا بعد الآن اجتياز هذه الأوقات العصيبة. وأعرف أننى لن أشفى هذه المرة. لقد بدأت أسمع أصواتا وأفقد التركيز. أعتقد أنه لابد لى من أن أنهى كل هذا)!

وبالرغم من استحسان النقاد والقراء لها طيلة القرن الماضى، فإن اتهامات لها اليوم تقول بأنها (كانت تعيش فى عالم منغلق) و(أنها تفتقد الشمول والعمق)! مازال الإعجاب بها والاعتراف بمكانتها الأدبى الفذ حتى اليوم. صدرت مئات الكتب والمقالات عنها وأنتج فيلم باسم (من يخاف فرجينيا وولف) الذى قامت ببطولته اليزابث تايلور، بينما قامت «نيكول كيدمان» الاسترالية ببطولة فيلم (الساعات) ويحكى حياة فيرجينيا وولف وقد نالت عنه الأوسكار عام ٢٠٠٢.



سير تشارلز ليونارد وولى

عالم آثار بريطانى مكتشف مدينة وحضارة (أور) بالعراق، التى يقال: إنها المدينة التى خرج منها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام. وكانت فى إحدى أقدم الإمبراطوريات فى بلاد ما بين النهرين (العراق). ولد فى لندن عام ١٨٨٠ وتعلم فى أكسفورد. عين مساعدا فى متحف اشموليان بأكسفورد وعمل فى القسم الرومانى فى كامبردج. بدأ تنقيبه عن الآثار فى عام ١٩٠٦ ولم يكن قد درس شيئا عن التنقيب ولم يكن لديه أية فكرة عنه باعترافه فيما بعد. نقب عن الحيثيين بين عام ١٩١٢ وعام ١٩١٤.

عمل فى تل العمارنة فى مصر. لكن المهمة الأكبر كانت فى تنقيبات مدينة (أور) بتعاون بين المتحف البريطانى وجامعة بنسلفانيا الأمريكية بدءا من عام ١٩٢٢ واستطاع القيام بحفريات غاية فى الأهمية فى القبور الملكية هناك.

تأثرت مؤلفة الروايات البوليسية البريطانية «أجاثا كريستى» بعمله فكتبت رائعتها (جريمة فى بلاد ما بين النهرين) وتزوجت فيما بعد من مساعده الشاب «ماكس مالووان». ويرجع اهتمام الدوائر الأوروبية والأمريكية بآثار الشرق إلى هدف ايجاد الدليل على المرويات التوراتية فالمنطلق دينى بحت منذ القرن الثامن عشر وكان الملوك يمولون هذه المهمات.

وجد «سير وولى» مقابر ملكية تعود لعصر الحضارة السومرية وفيها لوحات ضخمة ملونة وتحف وكنوز أغرب من الخيال فقد كانت مرصعة بالذهب والجواهر بخاصة تلك التى تعود للملكة «بو- أبى». وقد وجدت جثتها مع اثنتين من الجوارى قتلتا بالسم ليخدمانها بعد موتها كما جرت العادة آنذاك. نقل بعضا من كنوز مقبرتها إلى بنسلفانيا الأمريكية.

عمل فى سوريا عام ١٩٣٦ لاكتشاف حضارات بحر إيجه المهمة فى مدينة (المينا البيضا) شمال غرب سوريا وكانت مرفأ مملكة أوغاريت التى انتهت عام ١١٨٥ق.م. أنهى حفرياته مع الحرب العالمية الثانية وعمل بقسم أرشيف الفنون والآثار فى جيوش الحلفاء. ترك عددا من الكتب بينها (التنقيب فى الماضى) عام ١٩٣٠ و(عالم الشرق الأدنى القديم) نشر عام ٢٠٠٥. مات سير «ريتشارد ليونارد وولى» عام ١٩٦٠.



هربرت جورج ويلز

من مؤسسى أدب الخيال العلمى الممزوج بالصيغة الأدبية. أديب وعالم اجتماع وصحفى ومؤرخ انجليزى من القرن التاسع عشر اعترف بفضل النهضة العربية الإسلامية على الغرب. ولد فى بروملى بمقاطعة كنت بانجلترا عام ١٨٦٦ لأب تاجر من الطبقة المتوسطة أفلس فاضطر ابنه «هربرت» لترك المدرسة والعمل لدى بائع قماش لكنه حصل على منحة تعليمية فى مدرسة العلوم بلندن فدرس علم الأحياء ووجد فى أستاذه «هكسلى» ملهما له. شارك فى حلقات بحث وبدأ اهتمامه بالعلوم يتضح وأصدر مجلة طلابية علمية كان يحررها بنفسه. وإن كان مهتما أيضا بالعلوم الاجتماعية والإصلاحات ووجد فى الاشتراكية الجديدة تنفيسا لأفكاره.

لم يكمل تعليمه الجامعى إلا عام ١٨٩٠ بسبب ظروفه المادية. تزوج ابنة عمه لكنه تركها وتزوج بإحدى طالباته وعرف منذ ذلك الحين بتعدد علاقاته. بدأ كتابة الرواية عام ١٨٩٥ وكان قد اقترب من الثلاثين من عمره. وأحدثت روايته الأولى (آلة الزمن) صدى واسعا لدى القراء ومازال تأثيرها على كتّاب الخيال العلمى والفنون السينمائية حتى اليوم.

نشر روايته الثانية فى العام التالى (جزيرة الدكتور مورو) عن عالم، يحول الحيوانات إلى بشر. وتوالت رواياته من (الرجل الخفى) عن رجل يمكنه إخفاء نفسه (على طريق طاقية الإخفاء) الشعبية وربما استمدها من قصص ألف ليلة وليلة، إلى نشر رواية (حرب العوالم) عام ١٨٩٨ عن غزو كائنات فضائية للأرض. بينما كانت روايته (أول رجل على سطح القمر) عام ١٩٠٠ وصفا خياليا، ولكنه دقيقا لرواد الفضاء الذين زاروا الفضاء بالفعل فيما بعد فى القرن العشرين ثم كتب (اكتشاف المستقبل) عام ١٩٠٢.

كتب «ويلز» الأدب الواقعى أيضا بعيدا عن الخيال العلمى مثل (الحب والسيد لويشام) و(كيبس). لكنه لم يستطع التخلى نهائيا عن أفكاره الخيالية فنشر تحقيقا أو رواية مسلسلة فى إحدى المجلات

بعنوان (تجربة فى التنؤ) عما سيحدث فى عام ٢٠٠٠ أى بعد مائة سنة من عصره. والطريف أنه تنبأ بوجود (حافلات جماعية) لنقل الناس بطريقة سريعة جدا، لكنه كان يستبعد وجود غواصات تحت الماء أو حتى طائرات فى وقت قريب فلم يكن خياله العلمى يصل إلى هذا الحد.

(المرأة الجديدة) كانت إحدى روايات «ويلز» التى أثارت ضجة ضده واعتبرت غير أخلاقية، بينما كان يريد التنبؤ بالحرية الجنسية التى حدثت فيما بعد فى منتصف القرن العشرين. انضم (إلى جماعة فابيه) التى تشكلت من مجموعة من المفكرين البريطانيين الرافضين للماركسية لكنهم مؤمنون بالإشتراكية التى تناسب المجتمع البريطانى فاختلف مع الكاتب المسرحى الآيرلندى «برنارد شو» الذى كان يرأسها وكان «ويلز» يريد توسيع الجماعة لتشمل العامة وليس الخاصة ورفض طلبه. فكتب «ويلز» عنهم ينتقدهم فى كتابه (مكيافيللى الجديد)عام ١٩١١.

زار روسيا عام ١٩١٤ أيام القيصرية وكانت البلاد فى أشد حالاتها اضطرابا خاصة مع تحركات الثوار. وبالرغم من تحفظاته الكثيرة على ما قامت به الثورة البلشفية فيما بعد ضد القيصرية والمعارضين للثورة، فإنه قابل «لينين» زعيم الثورة وتأثر به فرشح نفسه عن حزب العمال البريطانى.

ويبدو أنه تأثر كثيرا بالحرب العالمية الأولى فتوجه إلى الشعوب بكتابه الجديد (موجز تاريخ العالم) فى مجلدين عام ١٩٢٠ للتعريف بتاريخ العالم دون تعقيدات تفصيلية وهو ما جعله مجالا لانتقاد المؤرخين المحترفين باستثناء «أرنولد توينبى» الذى وجد فيه (مقدمة مهمة فى موضوع التاريخ).

وانتقل فجأة إلى فرنسا وعاش فيها طويلا بين عام ١٩٢٤ و١٩٣٣، وترأس بعدها جمعية الكتّاب الدولية المسماة PEN.

فشل «ويلز» فى الحصول على اهتمام الزعيم السوفيتى «ستالين» فانقلب على الشيوعية وكتب (الإرهاب المقدس) عام ١٩٣٩ يحكى فيه عن تطور مثير لشخصية طاغية! انتابته حالة هلع شديد حين قامت الحرب العالمية الثانية فقد كتب قبلها عن القنبلة (التى يمكن أن تدمر الملايين) واعتبرها (قنبلة جزئية الذرات) فحذر من الحروب القادمة، التى ستستخدم (أنواعا من هذه القنابل). وكان قد كتب عام ١٩١٣ (العالم لابد أن يتحرر) متخوفا من قيام حرب شاملة وقد قامت الحرب العالمية الأولى بعدها بعام واحد، مما نبه العلماء والمؤرخين إلى استعادة قراءة كتبه ويقال إن فكرة (القنبلة الذرية) التى وصفها فى روايته كانت إلهاما لهم!

تابع «ويلز» نشر الكتب التى تهم الناس بشكل عام فكتب (علوم الحياة) فى تسعة مجلدات استغرقت منه أربعة أعوام بدءا من عام ١٩٣٠ وحتى عام ١٩٣٤ وشاركه فى كتابته «جوليان هكسلى» و«جورج ويلز» وفى نفس العام أصدر (محاولات فى السيرة الذاتية) استعرض فيه بعضا من أحداث حياته. وكان «ويلز» قد عاش فى لندن أثناء الحرب العالمية الثانية ورفض مغادرة «ريجنس بارك» الشهيرة، رغم القصف النازى الألمانى المدمر. يذكر أن «ويلز» ضمن كتابه (موجز تاريخ العالم) فصلا بعنوان (عظمة العرب) وهو الفصل رقم ٤٤ فقال: (لقد انطلق العقل العربى فى

طول العالم وعرضه باسرع وأعظم مما فعله العقل اليونانى). ويقول: (اشتدت الاستنارة الفكرية إلى أقص الحدود بفعل ما صدره الإسلام من حضارة إلى الغرب. إن تطور الشعوب عامة يرتبط بالظواهر السياسية فالاقتصادية والاجتماعية إلا أن العرب كسروا هذه القاعدة).

ويقول: (عندما حل القرن الثامن للميلاد كانت للدولة الإسلامية منظمات تعليمية منتشرة.. وكان العلماء فى مدارس قرطبة يتبادلون رسائل العلم مع زملائهم علماء القاهرة وبغداد وبخارى وسمرقند واصفهان وخراسان).

وقال عن العلماء العرب والمسلمين: (نجحوا فى إقامة نهضة فريدة.. لقد ابتدع الكيميائيون التجريبيون العرب نظام سرية التجارب ثم أدركوا أن تجاربهم سيكون لها تأثير بعيد المدى على الإنسانية فأصبحت تجاربهم تعاونية واجتماعية.. ويسجل التاريخ أنهم نجحوا فى الاستنباطات التجريبية والتطبيقية فهم الذين ابتدعوا السبائك والتقطير وزجاج العدسات....).

ويقول: (إن أى هاو للتاريخ يعرض نفسه للخطأ إذا تجاهل أو اساء تقدير القوى الكامنة فى الصحراء العربية. فخلال قرن واحد حفل بالقوة والعظمة وسادت فيه اللغة العربية من بلاد الأندلس وحتى حدود الصين.. إن هؤلاء العرب قد منحوا الدنيا فى مشارقها ومغاربها ثقافة جديدة وأقاموا عقيدة تعد اليوم من أعظم القوى الروحية الحيوية فى العالم)!!

توفى «هربرت جورج ويلز» عام ١٩٤٦.

ياقوت الحموى

رحالة وعالم جغرافى سورى وأديب وشاعر وواضع أول وأهم وأعظم موسوعة جغرافية مكونة من خمسة أجزاء ضخمة هى (معجم البلدان). هو «شهاب الدين ياقوت أبو عبد الله» عرف بالرومى حيث يفترض أنه ولد عام ١١٧٨م فى بلاد الروم وقيل من أب رومى بينما تؤكد معظم المصادر أن أباه كان عربى الأصل من بلدة حماة بسوريا وليس لدينا معلومات موثقة عنه لكن الظن أن أباه أسر فى غارة للمغول أيام حكم الدولة الحمدانية وتزوج من فتاة رومية بيزنطية أنجبت له «ياقوت» الذى وقع فى يد المغول وهو طفل فاشتراه تاجر من الشام هو «عسكر بن أبى نصر بن إبراهيم» لينقذه، وكان يعرف بـ «عسكر الحموى» ومنه أخذ لقبه.

انتقل معه إلى بغداد وعامله كابنه، وأرسله لحفظ القرآن واللغة العربية والحساب وكان يتردد على مسجد «الزيدى» حيث كان يقرأ فى مكتبته. عمل ياقوت بالتجارة بين البلاد مع «عسكر» قبل

أن يعتقه. كما عمل نساخا للكتب التى يحتاج إليها طلبة العلم فى بغداد. بدأ بعدها بتجارة الكتب وظل يجوب البلاد ناسخا وتاجرا حتى استقر فى حلب فأقام فيها حتى توفى عام ٦٢٦هجرية/ ١٢٢٩م عن ٥٢ عاما.

أولى رحلات ياقوت الحموى كانت إلى جزيرة كيش جنوب الخليج العربى وكانت مركزا تجاريا. زار ياقوت الحموى بلاد فارس والشام والجزيرة العربية وفلسطين ومصر وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره كان لديه رصيد هائل من مختلف العلوم. افتتح فى الكرخ ببغداد دكانا عرض على رفوف جدرانه الكتب التى اقتناها فى أسفاره والتى استنسخها.

ترك قصائد شعرية عن الغربة والعناء كما ترك (معجم الشعراء) و(معجم الأدباء) أو ما يسمى (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب) وكذلك (المبدأ والمآل) فى التاريخ و(كتاب الدول) و(المقتضب فى النسب) عن أنساب العرب وكتاب (المشترك) عن أسماء البلاد المتشابهة. لكن أعظم ما ترك لنا (معجم البلدان) الذى مازال حتى اليوم مرجعا جغرافيا وتاريخيا، دون فيه أسماء (البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام) كما قال.

وتأتى أهمية المعجم من أنه كتب فى الفترة التى سبقت سقوط الأندلس فجاء دقيق التفاصيل مراعيا شروط المنهجية فى التأليف الموسوعى. كانت الكتابة الأولى له فى مدينة مرو الثقافية (فى تركمنستان اليوم)، لكنه هرب منها إلى الموصل مع اجتياح قوات جنكيزخان للمنطقة. سافر بعدها إلى حلب بسوريا فى رعاية حاكمها المؤرخ والوزير والعالم «القفطى» حيث أنهى الحموى كتابة المعجم لكنه كان يعاود السفر لضبط معلوماته. من مؤلفاته التى تركها (المقتضب فى النسب) و(أنساب العرب) و(أخبار المتنبى).

يوسف سميث المصرى

مؤسس ديانة المورمون فى أمريكا الشمالية فى القرن التاسع عشر. كان عدد أتباعه ثلاثين ووصلوا اليوم إلى ١٣ مليونا فى أنحاء العالم حسب إحصائياتهم. ومازال حركتهم فى ازدياد مذهل. ولد فى ديسمبر عام ١٨٠٥ وتوفى شابا فى يونية عام ١٨٤٤. يعتبره أتباعه نبيا يوحى إليه من الرب الذى يدعى أنه رآه وكلمه وأنزل عليه الألواح الذهبية التى كانت باللغة المصرية القديمة والتى فك رموزها بمعونة إلهية ونشر الكتاب المقدس كتاب مورمون الذى اعتبره تكملة ضرورية لكتاب العهد القديم والجديد.

أسس كنيسة المورمون (قديسى الأيام الأخيرة) ، ويدعى أنه أتى ليصحح العقيدة المسيحية التى تدنست من قبل الكنيسة الموجودة حاليا. يروى الموروموں أنه كان فى خلوة حين بدأت الرؤيا وكان عمره ١٨ سنة، وزاد عدد الرؤى بين عامى ١٨٢٣ و١٨٢٧ فكان يزوره ملاك أوحى إليه باختيار

الرب له ليقوم بمهمة ترجمة ونشر الألواح الذهبية المخبأة من قبل النبى «مورمون» منذ عام ٤٠٠ قبل الميلاد! كان سميث وعائلته من بين الباحثين عن الذهب والكنوز فى القارة الجديدة وقيل إنهم استخدموا أحجارا سحرية.

تزوج عام ١٨٢٧ وتلقى الدعم المادى من جاره «مارتين هاريس» الذى سيكون له دور كبير فى تأييد سميث فى زعمه لترجمة نصوص الألواح عن المصرية القديمة. ساعده فى الترجمة فيما بعد «اوليفر كاوديرى» الذى كان يكتب ما يمليه عليه نبيه سميث ونشرا فى نيويورك (كتاب مورمون) بعد اكتمال الترجمة عام ١٨٢٩ وأسسوا مع هاريس (كنيسة المسيح) واعترف بها رسميا عام ١٨٣٠ وبعد انضمام الوزير «سيدنى ريجدون» إليها.

لقب بالمصرى بعد ترجمته كما يقول للألواح الذهبية التى فيها كتاب مورمون المقدس وتعاليم الرب. وكانت الخلافات الشديدة بدأت فى الظهور بين نيويورك وبنسلفانيا حول الألواح والديانة الجديدة، بسبب محاولة نسخ عقيدتهم التى تتمثل فى ماهية الأب والإبن والروح القدس والتى أجمع المسيحيون على اعتبارها ثالوثا واحدا بينما اعتبرها سميث منفصلة عن بعضها البعض. وقد جسد «سميث» الله (سبحانه وتعالى) كالبشر من لحم وعظم، وقال بزواج فعلى بين الله وبين السيدة العذراء مريم وقال بتعدد الزوجات حتى يولد أبناء للمسيح فى كل الأرض واعتبر البشر أبناء الله والمسيح أخاهم وقال بأبدية الإنسان المورمونى، وبمعمودية الموتى لينالوا المجد السماوى وقال بوجود أب وأم سماويين متلاقحين وكل البشر أولادهما.

فى عام ١٨٢٣ طعنه بعض المتشددين المسيحيين ومزقوا جسده وصبوا السم فى فمه بعد أن كسروا أسنانه. ونزعوا ابنه من يديه فمات الطفل بعد أيام بينما اعتبره أتباعه المسيح الجديد. شفى وبدأ بناء الكنيسة فى كيرتلاند بين عامى ١٨٣٣ و١٨٣٦ وسرت شائعات بأن المسيح وموسى عليهما السلام ظهرا للناس هناك وكذلك بعض أنبياء التوراة وبعض الملائكة الذين كانوا يغنون بعدة لغات فاندلعت موجة إيمان جديدة.

فى عام ١٨٣٧ اتهم سميث وبعض معاونيه فى قضايا نصب واستغلال وفساد وأعمال غير مشروعة مما أدى إلى إفلاس بنك كيرتلاند لحساب بنك صهيون. فزادت معارضة المسيحيين والسلطات له حتى غادر كيرتلاند إلى الغرب فى ميسورى حيث قام ببناء الهيكل وأعلن مدينة ميسورى (أورشليم الجديدة) وبدأ فيها بناء المستوطنات فاندلعت ما سمى فى التاريخ (حرب المورمون) عام ١٨٣٨ ونقل بتهمة الخيانة والقتل إلى سجن ميسورى لكنه هرب عام ١٨٣٩ وأنشأ مركزا استيطانيا على شواطئ المسيسيبى سرعان ما اتسع كثيرا وبنى فى نوفو بإلينوى مركزا دينيا كبيرا وأصبح رئيس بلديتها ورشح نفسه عام ١٨٤٤ لرئاسة أمريكا. تشكلت ضده جبهة قوية بعد منعه صدور صحيفة مسيحية مما أدى إلى سجنه الذى اقتحمته فرقة مكونة من ٢٠٠ رجل واختطفته مع أخيه الذى مات بالرصاص فورا وأصيب سميث إصابات بالغة وسقط من نافذة صريعا واعتبر (قديسا شهيدا) فى يونية من عام ١٨٤٤ عن ٣٩ سنة!

الفهرس

هذا الكتاب

استكمالا للجزء الأول وعلى نفس النهج ننتقي شخصيات من أنحاء الأرض أثرت في الحقبة التاريخية الممتدة طيلة الألف الثانية من عام ١٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٠، سواء أكان علميا أم عسكريا أم أدبيا أم اجتماعيا أم ثقافيا. لكن الانتقاء ليس محدود المساحة الجغرافية ولايرتبط بقوم أو جنس أو عرق أو طائفة؛ فكل إنسان صنع تاريخا بشكل أو بآخر أو غير في مسار حياتنا على الأرض هو جزء من هذه الموسوعة الصغيرة التى أبقينا فيها على نفس الأسلوب اللاهث السريع للجزء الأول ليكون وجبة سريعة الهضم فلم يعد هناك مجال للتفاصيل الكثيرة وليس الهدف من الكتاب هو الإلمام بجميع من ساهموا بصنع التاريخ وإنما هو انتقاء محسوب، وليس من أغفلنا هم أقل شأنا ممن ذكرنا، فالهدف من هذا الكتاب هو تعريف الأجيال الشابة ببعض من كان لهم الفضل في أن نصبح اليوم على ما نحن عليه، خيرا أو شرا.



